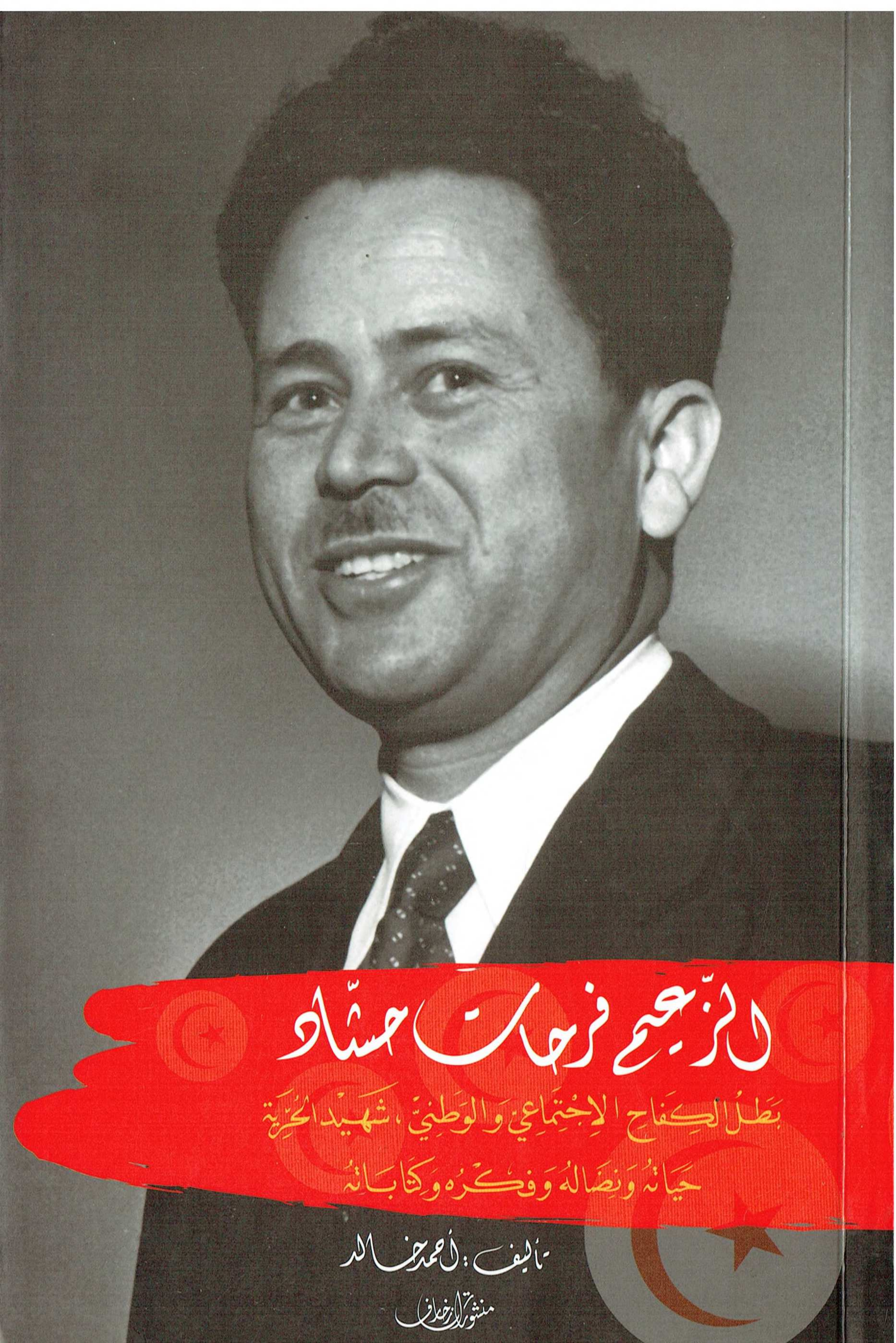


الزّعيم فرحات حشّاد

بطل الكفاح الاجتماعي والوطنيّ، شهيد الحرّية

حياته ونضاله وفكره وكتاباته

تأليف: أحمد خالد

منشورات زخارف



أحمد خالد

- وُلِدَ بسوسة في 13 جويلية 1936.
- شارَكَ فِي الحركَة الوَطنيَّة منذ شبابه الباكر، وعَانَى الاضطهاد والسِّجْنَ والتّعذيب والطّرد من المعهد الكلاسيكي بسوسة سنة 1952.
- بعد إحرازه الدّيبلوم الصّادقيَّ والباكالوريا بجُزْأَيْهَا التَحقَ بدار المُعلّمين العُلْيَا حيثُ نَالَ الإِجَازَة فِي اللُّغَة والآداب العربيَّة (جائزة رئيس الجمهوريّة) سنة 1961. ثُمَّ دِيبلُوم الدّراسات العُلْيَا (1965)، فَشهادةَ التّبريز (1967) من جَامعَة بَارِيس (النّاجح الأوّل).
- مُتفقّد عامّ للتّربية.
- تَقَلَّدَ عِدَّة مَهَامّ عُليا في الإدارة والدّولة منها: رئيس بلديّة سوسة (1975 ـ 1980)، عضو بمجلس النّوّاب (1989 ـ 1990)، كاتب دولة للتّربية (1989 ـ 1990)، وزير الثّقافة والإعلام (1990 ـ 1991)، سفير تونس بالرّباط، ثُمّ بموسكو (1991 ـ 1996).
- عضو مُؤسّس لاتّحاد الكُتّاب، والرّابطة التّونسيّة لحقوق الإنسان.
- عضو مجلس أُمَنَاء المجمع الثّقافي العربي (بيروت).

لَهُ العديد من المُؤلّفات باللّغتين العربيّة والفرنسيّة منها:

- الطّاهر الحدّاد والبيئة التّونسيّة في الثّلث الأوّل من القرن العشرين (1967).
- الطّاهر الحدّاد ومسألة الحداثة من خلال كتابه « امرأتنا في الشّريعة والمجتمع » (2002).
- الإشراف على جمع ونشر الأعمال الكاملة للطّاهر الحدّاد (1999)
- الزّعيم الشّيخ عبد العزيز الثّعالبي وإشكاليّة فكره السّياسي من خلال أدبه ونضاله ورحلاته (2001).
- الهادي نويرة: مسيرة مُثقّف مناضل ورجل دولة (2006).
- تحديث النّحو العربي موضة أم ضرورة (مُقاربة لسانيّة جديدة للجُملة العربيّة) (2000) الخ...

نشر شركة بوبليغراف (منشورات زخارف)

العُنْوان: نهج 8011 فضاء تونس عمارة 1/2 مونبليزير - تونس

الهاتف: 165 950 71 /216

طبع بمطابع الشان إليزي

نهج الكهرباء - المنطقة الصناعيّة 3102 بن عروس

الهاتف : 555 883 71 - 777 883 71

الطّبعة الأولى (الثّلاثية الثّالثة 2007)

ر.د.م.ك ISBN: 978- 9973-885-07-4

نشر شركة بوبليغراف (منشورات زخارف)
العُنْوان: نهج 8011 فضاء تونس عمارة 1/2 مونبليزير - تونس
الهاتف: 165 950 71 /216

طبع بمطابع الشان إليزي
نهج الكهرباء - المنطقة الصناعيّة 3102 بن عروس
الهاتف : 555 883 71 - 777 883 71

الطّبعة الأولى (الثّلاثية الثّالثة 2007)
ر.د.م.ك ISBN: 978- 9973-885-07-4

الزّعيم فرحات حشّاد

حياتُه ونِضالُه وفكرُه وكتاباتُه

تأليف: أحمد خالد

منشورات زخارف



فرحـــات حشّـــاد

مدخل عام

بسم الله الرحمن الرحيم

وَفَّقَنا اللَّهُ لِرُشْدِهِ، وَأَعَانَنا عَلَى شُكْرِهِ، وَحَبَّبَ إِلَيْنَا مُوَاصَلَةَ السَّيْرِ فِي خِدْمَةِ العِلْمِ لِنَعْلَمَ بالقَلَمِ مَا لَمْ نَعْلَمْ، وَجَعَلَنا مِمَّنْ يُؤْثِرُ الحَقَّ، وَيَقُولُهُ، وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَنْقَطِعُ إِلَيْهِ، وَيُوصِلُهُ إِلَى أَهْلِهِ، وَعَلَّمَنَا التَّوَقُّفَ لِلتَّثَبُّتِ فِيمَا نَكْتُبُ عَنْ مَاضِي الأَحْدَاثِ وَسَالِفِ المَوَاقِفِ وَالأَعْمَالِ.

وَبَعْدُ، فَاعْلَمْ -حَفِظَكَ اللَّهُ، وَأَذَاقَكَ حَلاَوَةَ الظَّفَرِ بِأَسْرَارِ الوَدَائِعِ وَخَفَايَا الأَسْفَارِ وَالأَخْبَارْ - أَنَّ هَذَا الكِتَابَ ثَمْرَةُ جُهْدٍ، وَسُهْدٍ، وَمَعَانَاةٍ لَمْ يُخَفِّفْ مِنْ وَطْأَتِهَا إِلاَّ الصَّبْرُ الطَّوِيلُ عَلَى التَّنْقِيرِ وَالتَّنْقِيبِ، وَشَغَفُ الدَّرْسِ، وَحُبُّ الاِطِّلاَعْ.

فَهَذَا الكِتَابُ الذِي يُصَادِفُ صُدُورُهُ الذِّكْرَى الخَامِسَةَ وَالخَمْسِينَ لاِغْتِيَالِ الزَّعِيمِ الشَّهِيدِ فَرحات حَشَّاد قَدْ أَرَدْنَاهُ كِتَابًا فِي التَّعْرِيفِ بِشَخْصِيَّتِهِ وَنِضَالِهِ وَفِكْرِهِ وَكِتَابَاتِهِ، جَامِعًا بَيْنَ جِنْسَيْنِ أَدَبِيَّيْنِ هُمَا : فَنُّ تَرَاجِمِ الأَعْلاَمِ وَالتَّأْرِيخُ. وَيَشْتَمِلُ الكِتَابُ عَلَى جُزْأَيْنِ بالعَرَبِيَّةِ وَالفَرَنْسِيَّةِ مُتَكَامِلَيْنِ مُتَلاَزِمَيْنِ، يُثْرِي أَحَدُهُمَا الآخَرَ بِمُعْطَيَاتٍ وَتَحَالِيلَ إِضَافِيَّةٍ خُصُوصِيَّةٍ مِنْ حَيْثُ مَضْمُونُ سِيرَةِ العَلَمِ التُّونُسِيِّ فَرحات حَشّاد، الخَالِدِ بِنِضَالِهِ وَفِكْرِهِ وَأَعْمَالِهِ فِي المَيْدَانَيْنِ الاِجْتِمَاعِيِّ النّقَابِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ الوَطَنِيِّ، وَكَذَلِكَ مِنْ حَيْثُ رَوَائِعُ المُنْتَخَبَاتِ مِنْ كِتَابَاتِهِ بِاللُّغَتَيْنِ العَرَبِيَّةِ وَالفِرَنْسِيَّةِ كَمَا يَجِدُهَا القَارِئُ فِي المَلاَحِقِ.

فَالقِسْمُ العَرَبِيُّ يَشْتَمِلُ عَلَى تِسْعَةِ أَبْوَابٍ. أَمَّا القِسْمُ الفِرَنْسِيُّ المُوَسَّعُ فَيَحْتَوِي ثَلاَثَةَ عَشَرَ بَابًا.

وَلاَ يَدَّعِي المُؤَلِّفُ في هذا المُصَنَّفِ اسْتِيعَابَ جَمِيعِ الإِنْجَازَاتِ والأَعْمَالِ المَيْدَانِيَّةِ وَالفِكْرِيَّةِ لِعَلَمِنَا الفَذِّ نَظَرًا لِعُمْقِ نِضَالِهِ وَتَشَعُّبِهِ وَزِخَمِ المَادَّةِ المُتَّصِلَةِ بِهِ وَثَرَائِهَا سَوَاءٌ مِنْهَا مَا تُوَفِّرُهُ وَثَائِقُ الأَرْشِيفِ التُّونِسِيِّ وَالأَجْنَبِيِّ، أَوِ البُحُوثُ والدِّرَاسَاتُ المُتَعَلِّقَةُ بِالحَرَكَةِ النِّقَابِيَّةِ، أَوْ شَهَادَاتُ مُعَاصِرِيهِ المَكْتُوبَةُ وَالمَرْوِيَّةُ عَنْ أَحْيَاءٍ عَاشَرُوهُ، أَوْ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَقَالاَتِهِ وَرَسَائِلِهِ وَتَقَارِيرِهِ وَخُطَبِهِ.

وَمِنْ حَظِّ جِيلِي في عَهْدِ اليَفَاعَةِ وَالشَّبَابِ أَنَّنَا عَرَفْنَا فَرْحات حشّاد في لَقَاءَاتٍ جماهِيرِيَّةٍ مُبَاشِرَة. وَمِنْ حَظِّي مُضَاعَفًا أَنِّي جَدَّدْتُ اكْتِشَافَهُ، بَلْ تَعْمِيقَ مَعْرِفَتِي بِهِ وَنِشْدَانَ مَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ، وَاسْتِجْلاَءَ مَعَالِمِ شَخْصِيَّتِهِ القَوِيَّةِ اللاَّمِعَةِ الشَّامِخَةِ بِمَوَاهِبِهِ وَنِضَالاَتِهِ وَتَضْحِيَاتِهِ كَمَا سَأُبَيِّنُهُ فِي هذِهِ الدِرَاسَةِ المُوَثَّقَةِ المُرَاوِحَةِ بَيْنَ أَرْيَحِيَّةِ الكِتَابَةِ الأَدَبِيَّةِ، وَهْيَ مِنْ فَنِّ تَرَاجِمِ الأَعْلاَمِ، وَصَرَامَةِ مَنْهَجِيَّةِ البَحْثِ العِلْمِي لِتَدْقِيقِ المَعْرِفَةِ بِفَرْحات حشّاد فِي القِسْمَيْنِ العَرَبِيِّ وَالفرَنْسِيِّ المُتَلاَحِمَيْنِ، فاهْتَمَمْتُ بِالخَلْفِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ لِنَشْأَتِهِ، وَمُحِيطِ أُسْرَتِهِ، وَتَكْوِينِهِ وَعُبُورِهِ مِنَ المَدْرَسَةِ الاشْتِرَاكِيَّةِ الفِرَنْسِيَّةِ، ثُمَّ انْفِصَالِهِ عَنْهَا لِبَعْثِ النَّقَابَاتِ المُسْتَقِلَّةِ التي أَفْضَتْ إِلَى تَأْسِيسِ الاتِّحَادِ العَامِّ التُّونِسِيِّ لِلشُّغْلِ، كَمَا اهْتَمَمْتُ بِعَلاَقَاتِهِ بِالأَحْزَابِ المُتَوَاجِدَةِ على السَّاحَتَيْنِ التُّونِسِيَّةِ وَالفِرَنْسِيَّةِ، وَمِنْهَا بِالأَخَصِّ حِزْبُ قِيَادَةِ النِّضَالِ الوَطَنِيِّ، المُتَحَفِّزُ لِتَحْرِيرِ الوَطَنِ وَبِنَاءِ الدَّوْلَةِ الحَدِيثَةِ، الحِزْبُ الحُرُّ الدُّسْتُورِيُّ الجَدِيدُ.

وَاهْتَمَمْتُ أَيْضًا بِعَلاَقَاتِ فَرْحات حشّاد وَتَجَارِبِهِ النَّقَابِيَةِ وَالسِيَاسِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ وَالعَالَمِيَّةِ مِنْ مَنْظُور وَطَنِيٍّ إِنْسَانِيٍّ (***nationaliste et humaniste***)، وَقَدَّمتُ وَحَلَّلتُ نَمَاذِجَ رَائِعَةً من كِتَابَاتِ هذا العِصَامِيِّ العَبْقَرِيِّ، وتَابَعْتُ واسْتَقْصَيْتُ رُسُومَ صُورَتِهِ فِي أَعْيُنِ مُعَاصِرِيهِ التُّونِسِيِّينَ والأَجَانِبِ وَأَيْضًا فِي

تَقارِيرِ المُخابَراتِ الفِرَنْسِيَّةِ والأمْرِيكِيَّةِ، وَعَرَّفْتُ - فِي تَفَاصِيلَ ضَافِيَةٍ - بِظُرُوفِ اغْتِيَالِهِ، وَكَشَفْتُ بِالخُصُوصِ فِي القِسْمِ الفِرَنْسِيِّ عَنْ مُعْطَيَاتٍ جَدِيدَةٍ بِقراءةٍ وَثائِقِيَّةٍ جَدِيدَةٍ فِي هذا المِلَفِّ الكَبِيرِ الشَّائِكِ الذِي خَصَّصْتُ لَهُ بَابًا كَامِلاً فِي القِسْمِ الفِرَنْسِيِّ ، وَمَا إلى ذلك مِنَ الجَوَانِبِ المُتَدَاوَلَةِ وَالمُسْتَكْشَفَةِ وَغَيْرِ المَأْلُوفَة.

وَهَذَا الكِتَابُ قَدْ أَمْلاَهُ وَاجِبُ الحِفَاظِ على الذَّاكِرَةِ الوَطَنِيَّةِ، ذَاكِرَةِ أَمْجَادِنَا لِإِذْكائِهَا في عُقُولِ وَضَمائِرِ نَاشِئَتِنَا وَشَبَابِنَا حَتَّى يُوَاصِلُوا السَّيْرَ في خِدْمَةِ تُونِسَ وَالحِفَاظِ على مَكَاسِبِهَا، وَفِي الدَّرَجَةِ الأُولَى اسْتِقْلاَلُهَا، فَلا يَنْقَطِعَ السَّنَدُ الصَّحِيحُ لِأَنَّ بِانْقِطاعِهِ تَرْتَبِكُ الأَجْيَالُ اللاَّحِقَةُ وَتَخْتَفِي مَعَالِمُ الطَّرِيقِ وَمَسَالِكُ العُمرانِ البَشَرِيّ، وَتَنْهَارُ الحَضَارَةُ، كَمَا يَقُولُ عَلاَّمَتُنا التُّونِسِيُّ العَبْقَرِيُّ عَبْدُ الرَّحْمانِ ابنُ خَلْدُون في مُقَدِّمَتِهِ، فَإِنَّ الشَّعْبَ الذي يَنْسَى تارِيخَهُ مُهَدَّدٌ بِتَمَزُّقِ كِيَانِهِ فِي مُسْتَقْبَلِ الأَيَّامِ، إِذْ أَنَّ المَاضِي امْتِدَادٌ وَتَوَاصِلٌ فِي الحَاضِرِ. وهذا الحَاضِرُ لَيْسَ مَا هُوَ كَائِنٌ جامِدٌ، بَلْ وَاقِعٌ مُتَحَرِّكٌ، مُتَجَدِّدٌ فِي كُلِّ حِينٍ، وَاعِدٌ بِمَا هُوَ آتٍ.

وَشُكْرِي مُوَجَّهٌ إِلَى كُلِّ مَنْ أَمَدَّنِي بِرِوَايَةٍ مَوْثُوقَةٍ أَوْ وَثِيقَةٍ مَكْتُوبَةٍ أَوْ صُورَةٍ ذَاتِ قِيمَةٍ تَارِيخِيَّةٍ. وَعَسَى أَنْ يَجِدَ القَارِئُ هَهُنَا ما يُفِيدُهُ مِنْ أَضْوَاءٍ وَمُقَارَبَاتٍ لِمَزِيدِ اسْتِكْشَافِ مَعَالِمِ شَخْصِيَّةِ فَرْحَاتْ حَشَّاد. وَمِنَ اللّٰه أَسْتَمِدُّ العَوْنَ وَأَلْتَمِسُ التَّوْفِيق.

المُؤَلِّف

البَابُ الأوَّل

التّعريفُ بفرحات حشّادُ

نشأته ووسطه العائلي وتعلمه

مَنْ هُوَ هَذَا القِيَادِيُّ المَرمُوقُ، المُعْتَبَرُ مِنْ كِبَارِ البُنَاةِ وَالمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الحُرِيَّةِ وَالكَرَامَةِ وَالأَمْنِ الاجْتِمَاعِيِّ؟ وَمَا هِيَ أَهَمُّ مَحطَّاتِ نِضَالِهِ؟ وَإِذْ كَانَ إِلَى جَانِبِ نِضَالِهِ المَيْدَانِيِّ مُثَقَّفًا عِصَامِيًّا، فَارِسَ قَلَمٍ بِاللِّسَانَيْنِ العَرَبِيِّ وَالفرَنْسِيِّ، فَمَا نَوْعُ كِتَابَاتِهِ وَأَهَمِّيَّتُهَا؟

وُلِدَ فَرْحَات حَشَّاد فِي قَرْيَةِ «العَبَّاسِيَّة» الوَاقِعَةِ بِشَمَالِ جَزِيرَةِ قرْقنَة يَوْم 2 فِيفري ***1914*** فَنشَأَ فِي أُسْرَةٍ شَعْبيَّةٍ تَعِيشُ عَلَى الكفَافِ مِنْ مَنْتُوجِ الصَّيْدِ البَحْرِيِّ، إِذْ كَانَ وَالِدهُ مُحَمَّد حَشَّاد بَحارًا. حَدَّثَنِي عَنْهُ صَدِيقِي الأُسْتَاذ مُحمَّد بن رُمْضَانْ ابنُ خَالَةِ فَرحات حَشَّاد وَرَفِيقُ نِضَالِهِ فقال : كَانَ مُحَمَّد حَشَّاد رَجُلاً مَهِيبًا شَدِيدَ البَأْسِ فِي مُعَامَلَتِهِ لِأَوْلاَدِهِ فَربَّاهُمْ على الشَّجَاعَةِ فِي تَحَمُّلِ المَسْؤولِيَّةِ. وَكَانَ العَيَّادِي، وَهْوَ أَكْبَرُ أَوْلاَدِهِ، يُبْحِرُ مَعَهُ لِلصَّيْدِ فَإِذَا ارْتَكَبَ خَطَأً دَاخِلَ اليَمِّ بِعَشَرَاتِ الكِيلومِتْرَاتِ أَخَذَهُ وَالِدُهُ مِنْ يَدِهِ، وَرَمَاهُ فِي البَحْرِ، وَتَرَكَهُ يُصَارِعُ المَوْجَ حَتَّى يَخْرُجَ إِلى الشَاطِئِ.

وَرَغْمَ صَلاَبَةِ طَبْعِ الوَالِدِ مُحَمَّد حَشَّاد فَإِنَّهُ لَمْ يَصِحْ يَوْمًا فِي وَجْهِ أَبْنِهِ فرحات. وَلَمْ يَنْهَرْهُ قَطُّ، بَلْ كانَ الفَتَى يَتَمَتَّعُ بِعَطْفِهِ وَمَحبَّتِهِ كَمَا كَانَ يَحْظَى بِمَحبَّةِ وَالِدَتِهِ وَإِخْوَتِهِ وَأَقْرِبَائِهِ وَأَتْرَابِهِ لِلُطْفِهِ وَجِدِّهِ.

فَالوَالِدُ مُحَمَّد بنُ أحمد بنُ مَيمُونْ حشّاد مِنْ أَصْلٍ يَمَنِيٍّ - وَفْقَ رِوَايَةِ البَاحِثِ الجَامِعِيِّ جُمْعة شِيخَة - الذي يُفِيدُنَا بأنَّ جَدَّ العَائِلَةِ مَيْمون قَدْ جَاءَ إلى الرَّمْلَة بِجزُرِ قِرْقنة في القرن الثَّامِنَ عَشَرَ قادمًا مِنْ واد ميمون (تونس الوُسطى). وَأَحمد حشَّاد، جَدُّ فَرْحَات حشّاد، لاَمُحمّد حشّاد وَالِدُهُ خِلاَفًا لِمَا رَوَاهُ جُمعة شِيخَة - هُوَ الذي انْتَقَلَ مِنَ الرَّمْلَةِ إِلَى العَبَّاسِيَّةِ مَعَ جَدَّتِهِ مِنْ جِهَةِ الأُمِّ [1]

---

[1] جُمْعَةِ شِيخَة «قِرْقنة الأَرْخَبِيلُ السَّاحِرُ مِن خِلالِ كُتُبِ الرَّحلاتِ، وَفَرْحاتْ حَشّاد من خِلالِ الإِبْداعِ» ط. تونس ***2005*** ص ***107***.

ظَهرَ فَرْحَات إلى الوُجُودِ في عَائِلَةٍ كَثِيرَةِ العَدَدِ. وَكَانَ وَسِيمًا ذَكِيًّا، عُرِفَ مُنْذُ صِباهُ بِفِطْنَتِهِ العَجِيبَةِ وَسُرْعَةِ بَدَاهَتِهِ.

أُمُّهُ هَنَاء بِنتُ محمّد بن رُمْضَانْ امْرَأَةٌ طَيِّبَةٌ جِدًّا، لَمْ تُعَمِّرْ طَوِيلاً نِسْبِيًّا إذْ تُوُفِّيَتْ فِي عَقْدِ الخَمْسِينَ بَعْدَ أَنْ أَرْهَقَهَا الإنْجَابُ المُتَعَاقِبُ (حَوَالَيْ خَمْسَةَ عَشَرَ مَوْلُودًا). وَبِقَدْرِ مَا كَانَ زَوْجُهَا مُحَمَّد حَشَّاد شَدِيدَ البَأْسِ مَعَ أَوْلاَدِهِ كَانَتْ الأُمُّ فِي غَايَةِ الرِّقَةِ وَاللُّطْفِ وَالحَنَان.

وَلَمَّا بَلَغَ الصَبِيُّ سِنَّ التَّمَدْرُس التحقَ بِمَدْرَسَةِ قَرْيَةِ الكَلاَّبِينَ وَكَانَتْ هِيَ المَدْرَسَةُ الوَحِيدَةُ آنَذَاكَ فِي جُزُر قرقنة، تَبْعُدُ عَنْ مَسْقَطِ رَأْسِهِ قَرْيَةِ العَبَّاسِيَّة بِنَحْوِ ثَلاثَةِ كِيلُومِتْرٍ يَطْوِيهَا الصَّبِيُّ مَشْيًا في كُلِّ يَوْم دِرَاسَةٍ ذَهَابًا وَإِيَابًا.

وَمَا يَزَالُ السِّجِلُّ المَدْرَسِيُّ الذي اطَّلَعْتُ عَلَى نُسْخَةٍ مِنْهُ أَمَدَّنِي بِهَا الأسْتَاذ مُحمّد بن رُمْضَان يَشْهَدُ بِتَارِيخ الْتِحَاقِ فَرْحاتْ بِصُفُوفِ تِلْكَ المُؤَسَّسَةِ التَّرْبَوِيَّةِ تحْتَ عدد ***411*** في الخَامِسَةِ مِنْ عُمُرِهِ فِي غُرَّةِ أكتوبر ***1919***. وَقَدْ التَحَقَ بِهَا أَيْضا في ***8*** فيفري مِنْ نَفْس السَّنَةِ الحبيب عَاشور الذي يَكْبُرُ فَرْحَاتْ حشّاد بِسَنَةٍ على الأَقّلِّ حَسَبَ الدَّفْتَرِ المَدْرَسِيِّ.

مَا كَانَتْ تُوجَدُ مَلاَهٍ تَشْغَلُ الصِّبْيَانَ عَن الدِّرَاسَةِ فِي تلك الظُّرُوفِ، فَيَنْصَبُّ اهْتِمَامُهُمْ كُلِيًّا عَلَى التَّبَارِي فِي طَلَبِ المَعْرِفَةِ لِلتَّفَوُّقِ والنُّبُوغِ فِيهَا. وَكَانَ فَرْحَاتْ مِنَ النُجَبَاءِ المُجْتَهِدِينَ وَالمَوْهُوبِينَ، فَيُجِيدُ الكِتَابَةَ باللُّغَةِ الفِرَنْسِيَّةِ السَّائِدَةِ فِي المَنْظُومَةِ التَّرْبَوِيَّةِ آنَئِذٍ.

وَعُرِفَ مُدِيرُ المَدْرَسَةِ وَمُعَلِّمُهَا المُسَمَّى «سِيبِيل» بِسَعَةِ ثَقَافَتِهِ وَتَمَكُّنِهِ مِنَ اللُّغَةِ الفِرَنْسِيَّةِ وَإِلْمَامِهِ بِتَارِيخ فِرَنْسَا وَحَضَارَتِهَا. وَكَانَ مِنْ قُدَمَاءِ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الأُولَى قَدْ شَارَكَ فِي مَعَارِكِ «فِرْدَانْ» وَأُصِيبَ بِجُرُوحٍ. وَلِفَرْطِ إِعْجَابِهِ بِنُبُوغِ الفَتى

فَرْحَاتْ حَشّاد قَدْ كَانَ يَلْتَذُّ بِقِرَاءَةِ أَنَاشِيه فَيَخْتَارُهَا كَنَمَاذِجَ مُمْتَازَةٍ يُلْقِيهَا عَلَى مَسَامِعِ تَلامِيذِ الفَصْلِ، وَيَعْتَبِرُهَا مِنَ الكِتَابَاتِ الجَيِّدَةِ التي تَفُوقُ المُسْتَوَى المَطْلُوبَ فِي دَرَجَاتِ التَّعْلِيم الابْتِدَائِي"، وَيُشِيدُ بِصَاحِبِهَا.

وفِي عَــام *1929* تَحَصَّلَ فَرْحَات على الشَّهَادَةِ الابْتِدَائِيَّةِ بِمُلاَحَظَةِ «حَسَن». وَكَانَ لِتلك الشَّهَادَةِ قِيمَةٌ كُبْرَى إِذْ تَدُلُّ على تَمَكُّن مُحْرِزِهَا - وَخَاصّةً إِذَا كَانَ مُتَفَوِّقًا مِثْلَ فرحات حشّاد -عَلَى امْتِلاَكِ نَاصِيَةِ اللُّغة الفِرَنْسِيَّةِ مِنْ حَيْثُ الخِطَابُ وَالكِتَابَةُ وَسَعَةُ التَّكْوِين الأَسَاسِيِّ. وَمِنْ مِيزَاتِهَا أَنَّهَا تُخَوِّلُ لِحَامِلِهَا إِعْفَاءَهُ مِنَ الخِدْمَةِ العَسْكَرِيَّة.

وَنظَرًا لِظُرُوفِهِ العَائِلِيَّةِ المُتَوَاضِعَةِ لَمْ يَتَمَكَّن الفَتَى مِنْ مُوَاصَلَةِ تَعَلُّمِهِ فِي العَاصِمَة. وَبَعْدَ تَخَرُّجِهِ ظَلَّ يَبْحَثُ عَنْ عَمَلٍ لاَ يَجِدُهُ فِي جَزِيرَتِه، فَاضْطُرَّ إلى الالْتِحَاقِ بِسُوسَةَ حَيْثُ اسْتَقَرَّ خَالُهُ حَسَنْ بن رُمْضَان.

نباهته

حَدَّثَنِي الأستاذ محمّد بن رُمضان أَنَّ ابْنَ خالَتِهِ فَرْحَات حشّاد كانَ سَرِيعَ البَدَاهَةِ، يَفْهَمُ الأُمُورَ فَهْمًا دَقِيقًا عفويًّا «عَلَى الطَّائِرِ» كما يَقُولُ الرَّاوي، بِمُجَرَّدِ لَفْتَةٍ صَغِيرَةٍ. فَكَانَ إِذا قَرَأَ مَقَالاً أَوْ طَالَعَ كِتَابًا أَوْ سَمِعَ خَبَرًا رَسَخَ ما قَرَأَهُ وَسَمِعَهُ فِي ذِهْنِه،فَتَصَرَّفَ فِي تَحْلِيلِهِ وَنَقْدِهِ.

وَرَوَى عَنْهُ ابنُ خَالَتِهِ وَرَفِيقُ شَبَابِهِ وَنِضَالِهِ أَنَّهُ كَانَ دَائِمَ التَّفْكِير حَتَّى فِي أَوْقَاتِ النَّوم، فَكَانَ حِينَمَا يَسْتَيْقِظُ يَأْخُذُ قَلَمَ رَصَاصٍ لاَ يُفَارِقُهُ وَيُسَجِّلُ خَواطِرَهُ على جِدَارِ غُرْفَتِهِ. سَأَلَهُ ابْنُ خَالَتِهِ مُحمَّد بن رُمضَان عَنِ السِّرِ فِي ذَلِكَ فَأَجَابَهُ: أَكُونُ مُتَكِئًا عَلَى فِرَاشِي وَأَحْيَانًا بَيْنَ نَوْم وَيَقْظَةٍ فَتَخْطُرُ بِبَالِي خَاطِرَةٌ فَأَتَنَاوَلُ قَلَمَ الرَّصَاص بِجَانِبِي وَأُسَجِّلُهَا عَلَى الجِدَارِ كَمُذَكِّرَةٍ أُرَاجِعُهَا عِنْدَما أَنْهَضُ.

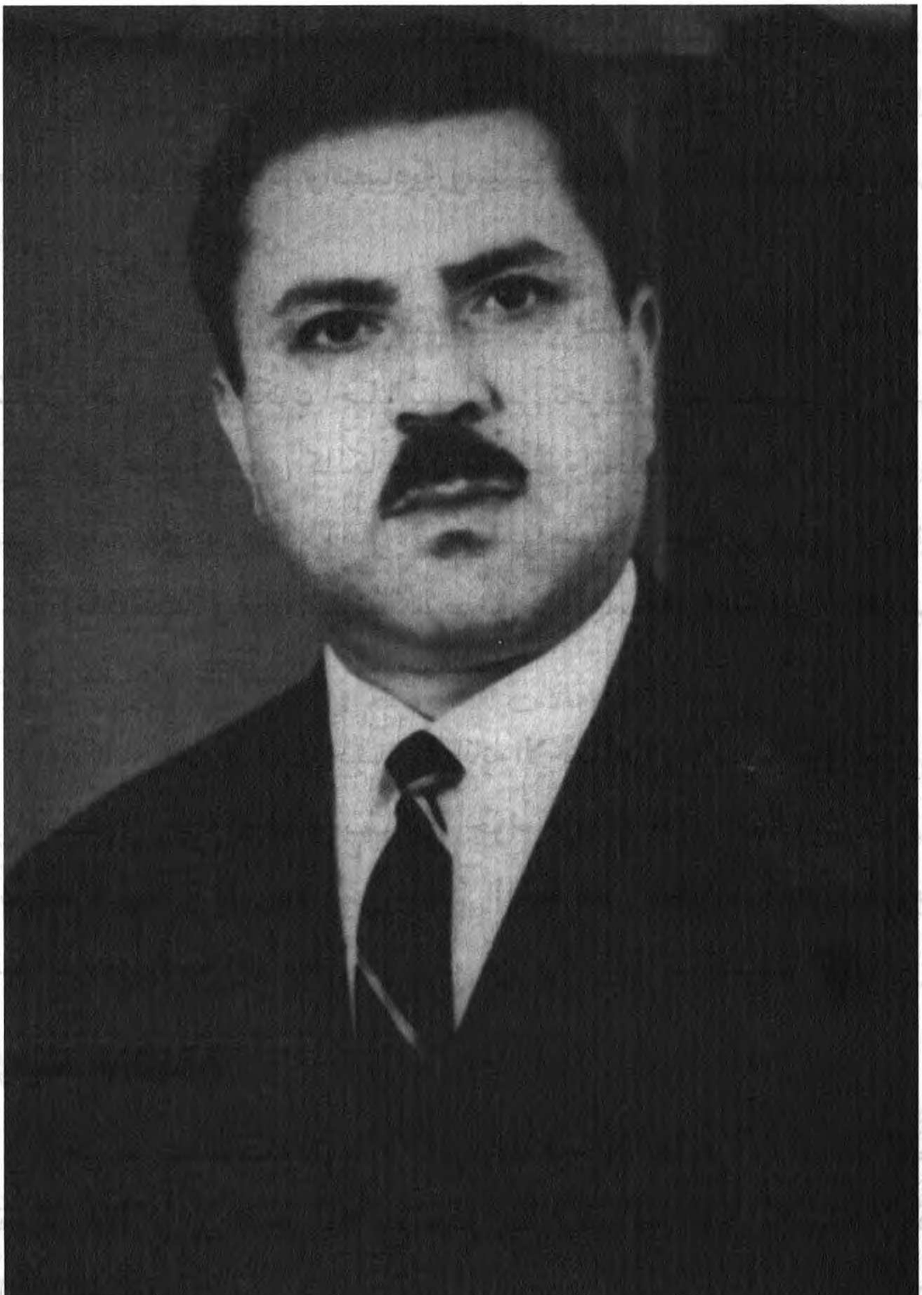
مُطَالَعَاتُهُ

تَدُلُّ كِتَابَاتُ فَرْحَاتْ حَشَّاد التي اخْتَرْتُ قُطُوفًا مِنْهَا في المَلاَحِقِ باللُّغَتَيْنِ العَرَبِيَّةِ وَالفِرَنْسِيَّةِ عَلَى سَعَةِ ثَقَافَتِهِ وَخَاصَّةً فِي كُلٍّ مِنَ المَيْدَانِ الاجْتِمَاعِيِّ والاقْتِصَادِيِّ والسِّيَاسِيِّ. وَقَدْ سَأَلْتُ ابْنَ خَالَتِهِ عَنْ نَوعِ الكُتُبِ التي كَانَ فَرْحَاتْ يَقْتَنِيهَا وَيَقْرَأُهَا، فَقَالَ لِي : لَيْسَ لِي فِكْرَةٌ عَنْ عَنَاوِينِ الكُتُبِ التي كَانَ يُطَالِعُهَا لَكِنِّي أَذْكُرُ أَنَّ اهْتِمَامَهُ قَدِ اتَّجَهَ إلى الدِّرَاسَاتِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَإِلَى كُتُبِ تَرَاجِمِ الإِعْلاَمِ وَسِيَرِ الزُّعَمَـاءِ وَالقَادَةِ الكِبَارِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ خُصُوصًا بِتَحْرِيرِ أَوْطَانِهِمْ.

وَيُعْتَبَرُ فَرْحَات حشّاد مِنَ المُبْدِعِينَ في كِتَابَةِ المَقَالَةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالسّيَاسِيَّةِ بـاللُّغَةِ الفِرَنْسِيَّةِ. وَتَشْهَدُ بِبَرَاعَتِهِ خُصُوصًا مَقَالاَتُهُ في الدَّوْرِيَّةِ الأُسْبُوعِيَّةِ «الرّسالَة» .(*Mission*) أَمَّا كِتَابَتُهُ بالعَرَبِيَّةِ فقد كانَتْ في البِدَايَةِ مَحْدُودَةً وفْقَ شَهَادَةِ الأُسْتاذ محمّد بن رُمضان، لَكِنَّهُ سُرْعَانَ ما اكْتَسَبَ الدُّرْبَةَ على التَّحْرِيرِ الجَيِّدِ كَمَا تَشْهَدُ بِذَلِكَ مَقَالاَتُهُ وَخَاصّةً رَائِعَتُهُ بِعُنْوان «أُحِبُّكَ يا شَعب!» (راجعها في المُنْتَخَبَاتِ)

فرحات حشّاد وَفَنُّ الكِتَابَةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالسّيَاسيّة بِالعَرَبِيَّةِ الفُصْحَى

نَعَمْ، لَمْ يَكُنْ فَرْحَاتْ حَشّاد فِي بِدَايَةِ تَجْرِبَتِهِ النَّقَابِيَّةِ يُتْقِنُ العَرَبِيَّةَ الفُصْحَى التِي كَانَتْ مُهَمَّشَةً مُخْتَصَرَةً في حِصَّةٍ قُرْآنِيَّةٍ خَارِجَ البَرْنَامَجِ الرَّسْمِيِّ الذِي كَانَ يُنْجَزُ بِالفِرَنْسِيَّةِ فِي مَنْظُومَةِ التَّكْوِينِ الأَسَاسِيِّ. ثُمَّ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَبِسُرْعَةٍ عَجِيبَةٍ اكْتَسَبَ فَرْحَاتْ حَشَّاد القُدْرَةَ عَلَى الخَطَابَةِ وَالكِتَابَةِ فِي الأَغْرَاضِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَحَتَّى الاِقْتِصَادِيَّةِ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى، فَأَبْدَعَ بِهَا تَدْبِيجَ مَقَالاَتِهِ العَمِيقَةِ البَلِيغَةِ كَمَا فِي دَوْرِيَّتَيْ «الحُرِيَّة» و «لِوَاءِ الحُرِيَّة».



مُحمَّد بن رُمْضان في أواخر الخمسينيات

وَقَدْ أَفَادَنِي الأُسْتَاذ مُحمّد بن رُمْضَان رَفِيقُ دَرْبِ الزَّعِيم النَّقَابِيِّ أَنَّهُ كانَ فِي بِدَايَةِ نَشْأَةِ الاتِّحَادِ العامِّ التُّونِسِيِّ لِلشُّغل يَبْذُلُ جُهْدًا كَبِيرًا وَيُقَضِّي وَقْتًا طَوِيلاً فِي البَحْثِ عَنْ عِبَارَاتٍ تُؤَدّي بدِقَّةٍ وَأَمَانَةٍ مَا يَخْتَلِجُ فِي فِكْرِهِ مِنَ المَعَانِي لِمُعَالَجَةِ قَضَايَا اجْتِمَاعِيَّةٍ وَاقْتِصَادِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ هَامَّةٍ يُرِيدُ عَرْضَهَا عَلَى نِطَاقٍ إِعْلامِيٍّ وَاسِعٍ فِي مَقَالاَتِه.

وَالمُدْهِشُ حَقًّا أَنَّهُ أَصْبَحَ يَكْتُبُهَا بِسُهُولَةٍ، فَتَنْسَاقُ إِلَيْهِ كِتَابَتُهَا بِلُغَةٍ طَلِيَّةٍ وَأُسْلُوبٍ جَذَابٍ. وَقَدْ يَكُونُ أَحْيَانًا مُنْهَمِكًا فِي تَحْرِيرِهَا، وَهْوَ مُنْصَرِفٌ فِي مَكْتَبِهِ إِلَى مَشَاغِلَ عَدِيدَةٍ أُخْرى كالمُكَالَمَاتِ الهَاتِفِيَّةِ وَالمُحَادَثَاتِ مَعَ زُوَّارِهِ وَأَعْضَادِهِ، فَيُنْهِي المَقَالَةَ، وَهُوَ عَلى تِلْكَ الحَالِ، ثُمَّ يُسَلِّمَهَا بِدُونِ مُرَاجَعَةٍ إِلى مُمَثِّلِ الجَرِيدَةِ، فَتُنْشَرُ كَمَا قَدَّمَتْ. وَيَقْرَأُهَا القُرَّاءُ بَعْدَ صُدُورِهَا مُتماسِكَةً، بَلِيغَةً فِي مَبْنَاهَا، ثَرِيَّةً هادِفَةً فِي مَعْنَاهَا، وَيَتَنَاقَلُونَهَا.

وَهَكَذَا ارْتَقَى فَرْحَاتْ حَشّاد بِكِتَابَاتِهِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ إِلَى مُسْتَوَى رَفِيعٍ، وَحَلَّقَ بِهَا فِي أَجْوَاءِ الإِبْدَاعِ حَتَّى أَصْبَحَتْ مَقَالاَتُهُ الأُنْمُوذَجِيَّةُ بِمَثَابَةِ المَدْرَسَةِ لِمَنْ يَنْشُدُ الدُّرْبَةَ عَلَى الكِتَابَةِ بِأَبْعَادٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَاقْتِصَادِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّة. إِنَّهَا بِحَقٍّ مِنْ رَوَائِعِ فَنِّ المَقَالَةِ كَمَا سَيَكْتَشِفُهَا القَارِئُ.

هِوَايَتُهُ المُفَضَّلَةُ

وَعَنْ هِوَايَتِهِ المُفَضَّلَةِ تَقُولُ أُمُّ الخير أَرْمَلَةُ فرحات حشّاد: «كان مُحِبًّا لِلبَحْرِ وَالصَّيْدِ، فَيَخْرُجُ إلى البَحْرِ لَيْلاً مَعَ عَمِّهِ رَابِحْ لِيَعُودَ مَعَ الفَجْرِ بِالسَّمَكِ، وهي هِوَايَتُهُ المُفَضَّلَة». [1]

---

[1] مَجلّة «حقائق» عدد 8-14 ديسمبر 2005- حديثُ السّيدة أُمّ الخير زوجة فرحات حشّاد أجراهُ معها المُنصف بن فرج، ص 14

أُمْنِيَّاتُه

وَعَنْ أُمْنِيَّاتِهِ تَقُولُ أُمُّ الخير : «أمَّا أُمْنِيَّاتُهُ فَكَانَتْ اسْتِقْلاَلَ تُونِس وَرَفَاهَةَ شَعْبِهَا وَنجاحَ أَبْنَائِهِ. وَكَانَ دَائِمًا يَتَمَنَّى العَوْدَةَ إلى قَرْقَنة لِيُقَضِّيَ فيها بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ «اليَدَ الحَمْرَاءَ» اغتَالَتْهُ في رَيْعانِ الشَّبابِ وَبِدايَةِ الكُهُولَة...»[1]

شَخْصِيَّتُه

لَنَا العَدِيدُ مِنَ الشَّهَادَات، كَمَا سُقْتُهَا فِي القِسْمِ الفِرَنْسِيّ مِنْ كِتَابِي، وَهْيَ لِمُعَاصِرِي فَرْحَاتْ حَشّاد مِنْ المُعْجَبِينَ بِهِ وَمِنْ خُصومِهِ، وَكُلُّهَا تَعْتَرِفُ بِقُوَّةِ شَخْصِيَّتِهِ. وَيَشْهَدُ مُحمّد بن رمضان ابنُ خَالَتِهِ وَرَفِيقُ شَبَابِهِ وَنضَالِهِ بِأَنَّ لِفَرْحَاتْ حَشَّاد شَخْصِيَّةً جَذَابَةً، فَتُقَرِّبُكَ مِنْهُ كُلُّ حَرَكَةٍ وَلَفْتَةٍ تَصْدُرُ عنْهُ. فَفِكْرُهُ الثَّاقِبُ وَنبَرَاتُ صَوْتِهِ الدَّافِئِ وَنَظَرَاتُهُ الوَدِيعَةُ وَخِطَابُهُ المَنْطِقِيُّ المُقْنِعُ تَشُدُّكَ إليه.

وَمِنْ حَوْلِهِ قَدِ الْتَفَّ رِجَالاَتٌ أَفْذاذٌ نَوَابِغُ في تَفْكِيرِهِم وَثقَافَتِهِمْ وَعَطَائِهِمْ. وَيَتَسَاءَلُ مُحمّد بن رمضان في حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ لِكَثْرَتِهِمْ : مَنْ أَذْكُرُ مِنْهُمْ ؟ أَأَذْكُرُ مَحمود المِسعدي وَهُوَ مَنْ هُوَ فِي الإِبْدَاعِ وَالعَطَاءِ ؟ أَمْ أَذْكُرُ العَلاَّمَةَ الفاضل ابن عاشور، والأَساتِذَةَ الطّاهر عميرة، وأحمد بن صالح، ومصطفى الفيلالي، وهم قَادَةٌ مَرْمُوقُونَ في العمل النَّقابيّ والإخلاص والثَّباتِ والتَّضْحِيَّةِ ؟

وَيَعْتَذِرُ محمّد بن رمضان لِمَنْ لَمْ يَذْكُرْهُمْ مِنْ رِفَاقِ فَرْحات حشّاد الذين مَثَّلُوا تلك الطّاقاتِ الفِكْرِيَّةَ وَالعَلاَمَاتِ البَارِزَةَ فِي الحَرَكَةِ النَّقَابِيَّةِ وَالوَطَنِيَّةِ وَأَيْضًا الأَدَبِيَّةَ، المُحِيطَةَ بِعَلَمِنَا، مُضِيفًا أَنَّهُ ليسَ مِنَ السَّهْلِ أَنْ يَلْتَفَّ كُلُّ تِلْكَ الطَّاقَاتِ الفِكْرِيَّةِ وَالنِّضَالِيَّةِ حَوْلَ شَخْصٍ وَاحِدٍ هُوَ فَرْحَاتْ حَشَّاد لَوْلاَ مَا وَهَبَهُ اللّهُ مِنْ قُوَّةِ مَسْكٍ وَتَماسُكٍ وَالْتِقَاءٍ بِهِمْ فِي الفِكْرِ وَالعَمَلِ.

---

[1] نفس المرجع السّابق.

وكيل قرية العباسيّة

بَدأَتْ ملاَمحُ الشَّخْصيَّة القِيَاديَّة القَوِيَّة لِفرْحَات تبْرزُ مُنْذُ صِباهُ وَشبَابه.

حَدَثَنِي الأستاذ مُحمّد بن رُمضان فقال : كَانَتْ مِياهُ الشُّرْبِ فِي جُزُر قِرقنة قَبْلَ أنْ تَسْتَقِلَّ البلادُ قليلةً نَفِيسَةً، وَكَانَ الأَهَالِي لاَ يَشْرَبُونَ إلاَّ مِياهَ الأَمْطَار المُجَمَّعَة في الفِسْقيَّاتِ وَالمَواجِل .وَلِنَدْرَةِ المِيَاه الصَّالِحَةِ لِلشُّرْبِ قَامَتْ خُصُومَةٌ كُبْرَى بَيْنَ سُكَّانِ القَرْيَتَيْن المُتَجَاورَتَيْن العَبَّاسيَّة وَالكَلاَّبينَ مِنْ أَجْلِ التَّصرُّفِ فِي المِيَاهِ المُجَمَّعَةِ فِي ثَلاَثَةِ مَوَاجِل عُمُوميَّة تَابعَةٍ لِبَلْدَةِ العَبَّاسيَّة، فَيَتَبَرَّعُ بِمَخْزُونِهَا أَهْلُ الخَيْر، وَيُقَسِّطُونَ الماءَ تَقْسِيطًا لاَ يَتجَاوَز أَحْيَانًا قُلَّةً وَاحِدَةً لِكُلِّ عائِلَة. وَجِيءَ بِفَرْحَاتْ حَشَّاد لِفَضِّ الخِلاَفِ بَيْنَ الخُصُوم مِنْ أَهَالِي القَرْيَتَيْن، فَأَصْلَحَ ذَاتَ البَيْن.

وَلَحِقَتْ بِذَلِكَ الخِلاَفِ ظُرُوفٌ أُخْرَى قَاسِيَةٌ مِنْ تبعَاتِ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الثَّانِيةِ حِينَمَا لاَذَ فرحات بِقَرْيَتِهِ العَبَّاسِيَّة. وَكَانتِ المَوادُّ الغِذَائِيَّةُ تُوَزَّعُ بالتَّقْسِيطِ عَلى النَّاس، وَيُشْرِفُ على تَوْزيعِهَا شَيْخُ القَرْيَةِ المَدْعُوُّ مُحمَّد شعورْ، وَكَانَ مِنْ مُتَمَلِّقِي نِظَام الحِمَايَةِ وَاللاَّهِجِينَ بِذِكْرِ المَاريشَالْ بيتَان (***Maréchal Pétain***) وَحُكُومَةِ فِيشِي المُتَعَاونَةِ مَعَ المُحْتَلِّين الأَلْمَان لِفرَنْسا، فَكَانَ الحَلُّ وَالعَقْدُ فِي تَوْزِيعِ المَوادِّ الغِذَائِيَّةِ على السُّكَّانِ بِيَدِ الشَّيْخ محمّد شعورْ، فَيَتَصرَّفُ فِيهَا كَمَا يَشاءُ، فَلاَ يَنالُ أَهْلُ القَرْيَةِ منها إلاَّ القليلَ، فاجْتَمعُوا لِتَكْلِيفِ مَنْ يُدَافِعُ عَنْ مَصَالِحِهِم، وَيَسْهرُ على تَمْتِيعِهِمْ بِمَا يَسْتَحِقّونَهُ مِنْ مَوادَّ تَمْوِينِيَّةٍ وَغيْرِهَا، فَأَجْمَعُوا عَلَى اخْتِيَار الشَّابِّ فَرْحَاتْ لِتِلْكَ المُهِمَّة، فَفَوَّضُوهُ لِلدِّفَاع عَنْ حُقُوقِهِم وِفْقَ تَوْكِيلٍ شَرْعِيٍّ بِمَحْضَرِ عَدْلَيْ إِشْهَادٍ. وَهذَا التَّوكِيلُ التَفوِيضِيُّ مَوْجُودٌ فِي وَدَائِعِ العُدُولِ وِفْقَ مَا أَفَادَنِي بِهِ مُحمّد بن رُمْضَان، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ الحُضُور فِي تلكَ المُنَاسَبَة.

وَهذَا الحَدَثُ يُنْبئُ بِأَمَانَةِ فَرْحَات واسْتِقَامَتِهِ وَتَوسُّم أهالِي قَرْيَتِهِ صِفَتَهُ القِيَادِيَّةَ قَبْلَ أنْ يَضْطَلِعَ بِبعْثِ النَّقَابَاتِ المُسْتَقِلَّةِ التي أَفْضَتْ إلى تَأْسِيس المُنْظَمَةِ الشَّغيلَةِ العَتِيدَة (الاِتّحاد العامّ التّونسِي للشّغل).



أُمُّ الخير أَرْمَلَةُ فرحات حشّاد أمام بَيتِ أُسْرَةِ حَشّاد بِقَرْيَةِ العَبَّاسِيَّةِ بِقَرْقنة،
وَتَظهَرُ مِرْسَاةُ المَرْكَبِ عَلَى الجِدَارِ.

التحاقُهُ بسُوسَة

بَعْدَ تَخَرُّجِهِ مِنْ مَدْرَسَةِ العَبَّاسِيَّةِ، أَخَذَ فَرْحَات يَبْحَثُ عَنْ شُغْل، فَالْتَحَقَ في السّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ (*1930*) بِمَدينَةِ سُوسَة حَيْثُ كانَ يُقِيمُ خَالُهُ حَسَن بن رُمْضَان بِحَيّ القراقنة بواد الخَرُّوبِ (حَيّ جَوْهَرَة الآن). وَكَانَ خَالُهُ رَجُلاً خَيِّرًا تَكَفَّلَ بِرِعَايَةِ صِغَارِ أُخْتَيْهِ، هَنَاء بن رمضان، أمّ فَرْحات حَشّاد، وفَاطِمَةَ وَالِدَةِ مُحمّد بن رُمضان، فَسَاعَدَ فَرْحات على إيجادِ مَوْطِنِ رِزْقٍ، فَانْتُدِبَ بِصِفَةِ مُسْتَكْتَبٍ رَاقِنٍ بِشَرِكَةِ النَّقْلِ بِالسَّاحِلِ (*S.T.T.A.S*) في غُضُونِ عام *1930*. وَلَمْ يَنْطَلِقْ في نَشَاطِهِ النَّقَابِيّ إلاّ في *26* جويليا *1936* بَعْدَ تَأْسِيسِ نَقَابَةِ شَرِكَةِ النّقْل، وَكَانَتْ تَتْبَعُ الاتّحادَ الإقْليمِيَّ لِلكُنْفِيديراليَّةِ العامّة للشُّغل (*U.D./ C.G.T*) الفِرَنْسِيَّةِ وَفَرْعِها المَحَلِّي.

البَابُ الثَّانِي

انخِراطُهُ في العَمَلِ النَّقابيّ

فِي صُفُوفِ الكُنْفِيدِيرَالِيَّةِ العَامَّةِ لِلشُّغْلِ (C.G.T)

لَمَّا أُعِيدَ بَعْثُ جَامِعَةِ عُمُومِ العَمَلَةِ التُّونُسِيِّين (***CGTT***) فِي سَنَةِ ***1937*** تَغَيَّبَتْ فُرُوعُهَا تَمَامًا فِي مَدِينَة سُوسَة وفْقَ مَا يُفِيدُنَا بِهِ تَقْرِيرٌ لِضَابِطِ الشُّرْطَةِ بِعَاصِمَةِ السَّاحِلِ فِي وَثَائِق الدَّاخِلِيَّةِ بِتَارِيخ ***17*** جويلية ***1937***. وَقَدِ انْخَرَطَ فَرْحَات حَشَّاد بَعْدَ الْتِحَاقِهِ بِشَرِكَةِ النَّقْل (***STTAS***) فِي الاتِّحَادِ الإِقْلِيمِيِّ لِلْكُنْفِيدِيرَالِيَّةِ العَامَّة المُوحَّدَة لِلشُّغْل (***CGTU***) التِي جَمَعَتْ فِي عَهْدِ الجَبْهَة الشَّعْبِيَّة لأَحْزَابِ اليَسَارِ الفِرَنْسِيَّة (***Front Populaire***) بَيْنَ الكُنْفِيدِيرَالِيَّةِ العَامَّةِ لِلشُّغْل الاِشْتِرَاكِيَّة (***CGT***) وَاللِّجَانِ النِّقَابِيَّة الثَّورِيَّة الشُّيُوعِيَّة، فَتَخَرَّجَ فَرْحَات حَشَّاد مِنَ المَدْرَسَةِ النِّقَابِيَّةِ الفِرَنْسِيَّةِ المُتَشَبِّعَةِ بِالفِكْرِ الاِشْتِرَاكِيِّ فِي المَرْحَلَةِ الأُولَى مِنْ نَشَاطِهِ المَيْدَانِيِّ. وَتَدَرَّجَ فِي مَرَاتِبِ المَسْؤُولِيَّةِ النِّقَابِيَّةِ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ بِفَضْلِ ذَكَائِهِ الوَقَّادِ وَصَبْرِهِ الكَبِير، فَأَصْبَحَ مُسَاعِدًا لِلْكَاتِبِ العَامّ لِلاِتِّحَادِ المَحَلِّيِّ بِالمنطَقَة الرَّابِعَة (سُوسَة) الفِرَنْسِيِّ الجِنْسِيَّة «جَاكُبْزُون» (***Jacobzone***) الذِي كَانَ يَشْغَلُ أَيْضًا مُهِمَّةَ مُتَفَقِّدٍ لِلسِّكَكِ الحَدِيدِيَّة.

وَقَوِيَ دَوْرُهُ النِّقَابِيُّ ضِمْنَ شَرِكَتِهِ وَفِي الفَرْعِ المَحَلِّي لِلسِّيجِتِي بِسُوسَة، فَقَرَّرَتِ الشَّرِكَةُ إِبْعَادَهُ بِنَقْلِهِ إِلَى صَفَاقُس وَمَنْحِهِ تَرْقِيَةً ظَاهِرُهَا خَيْرٌ وَبَاطِنُهَا انْتِقَامٌ، وِفْقَ مَا رَوَاهُ لِي مُحمَّد بن رمْضَان، فَعُيِّنَ الشّابُّ فَرْحَاتْ مُرَاقِبًا لِلحافلاتِ.

زَوَاجُهُ الأَوَّلُ

أَفَادَنِي مُحمّد بن رُمضان أَيْضًا أنَّ فرحات حَشّاد تَزَوَّجَ مَرَّةً أولى امْرَأَةً مِنْ مَوَاليدِ قرقنة تُدْعَى هَنِيَّة بنت حسين المَبروك. وَلَمْ يَطُلْ زَوَاجُ فرحات بها لِسُوءِ تَفَاهُم بَيْنَهُمَا، فَفارَقَها، ولَمْ يُنْجِبْ مِنْهَا.

ارتباطه ببوزنكي

وَفِي عَام **1939** ارْتَقَى فَرْحَات حَشَّاد إِلَى دَائِرَةِ المَسْؤُولِيَّةِ القِيَادِيَّةِ المَرْكَزِيَّة لِلاتِّحَادِ الإِقْلِيمِيّ لِلْكُنْفِيدِيرَالِيَّةِ العَامَّة لِلشُّغْل (***U.D./ C.G.T***) كَكَاتِب ضِمْنَ هَيْئَتِهَا الإِدَارِيَّة بِالعَاصِمَة (تُونس)، وَربَطَ آنَذَاكَ عَلاقَةَ وِدٍّ بِثُلَّةٍ مِنَ القِيَادِيِّين فِي الحَرَكَةِ النِّقَابِيَّة الفِرَنْسِيَّةِ وَخُصُوصًا بِالكَاتِب العَامّ «بُوزَنْكِي» (***Bouzanquet Albert***) المَعْرُوف فِي الأَوْسَاطِ السِّيَاسِيَّة كَقِيَادِيٍّ اشْتِرَاكِيٍّ مَرْمُوقٍ وَصَدِيقٍ حَمِيم لِلأَمِين العَامِّ لِلسِّيجِيتِي (***CGT***) كُلِّهَا «جُوهُو» (***Léon Jouhaux***) الذِي كَانَ يَتَزَعَّمُ الحَرَكَةَ النِّقَابِيَّةَ الاشْتِرَاكِيَّةَ عَلَى مُسْتَوَى فِرَنْسَا الكُبْرَى (***Métropole***) وِفْقَ الاصْطِلاَح القَدِيم لِلإِمْبراطُورِيَّةِ الفِرَنْسِيَّة.

وَسُرْعَانَ مَا أَدْرَكَ «بُوزَنْكِي» بِفَرَاسَتِه وَخِبْرَتِهِ نَبَاهَةَ القِيَادِيِّ فَرْحَات حَشَّاد، وَخَبِرَ قُدْرَتَهُ عَلَى حَشْدِ الجَمَاهِير العُمَّالِيَّةِ وَالإِصْغَاءِ إِلَيْهِمْ وَالْتِصَاقِهِ بِهِمْ، فَفَتَحَ لَهُ صَفَحَاتِ جَرِيدَةِ (***Tunis Socialiste***) لِسَانِ الحِزْبِ الاشْتِرَاكِيّ الفِرَنْسِيّ بِتُونس (***SFIO***)، فَكَتَبَ فَرْحَات حَشَّاد مَقَالاَتٍ فِي تِلْكَ الجَرِيدَة الوَاسِعَةِ الرَّوَاج عَام **1938** وعامَ **1939** حَيْثُ دَافَعَ بِكَفَاءَةٍ عَنْ مَطَالِبِ نَقَابَتِهِ، وَعَارَضَ مُحَاوَلاَتِ تَشْتِيتِ صُفُوفِ الشَّغَّالِين كَمَا فِي مَقَالِهِ بِتَارِيخ **2** جوان **1938**. وَفِي مَقَالٍ آخَر بِنَفْسِ الجَرِيدَةِ «تُونس الاشْتِرَاكِيَّة» (***Tunis Socialiste***) بِتَارِيخ **11** نوفمبر **1938** كَشَفَ فَرْحَات حَشَّاد عَنْ ضُغُوطٍ وَتَهْدِيدَاتٍ كَانَتْ تَسْتَهْدِفُهُ مِنْ شَرِكَة النَّقْل بِالسَّاحل (***STTAS***) لإِقْلاَعِهِ عَن النَّشَاطِ النِّقَابِيِّ. وَلِمَعْرِفَةِ كِتَابَاتِهِ وَأَهَمِّيَتِهَا فِي هذا الطَّوْرِ مِنْ حَيَاتِهِ، يَجِدُ القَارِئُ تَفَاصِيلَ هَامَّةً فِي القِسْمِ الفِرَنْسِيّ مِنَ الدِّرَاسَة.

ظَلَّ حَشَّادُ مُلازِمًا خَطَّ الكُنْفِيدِيرَالِيَّةِ العَامَّة لِلشُّغْل (***CGT***) فِي تِلْكَ الظُّرُوفِ ظَانًّا فِي بَادِئِ الأَمْرِ - قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِقَ بِالحَرَكَةِ الوَطَنِيَّة - أَنَّ إِحْيَاءَ جَامِعَةِ

عُمُوم العَمَلَةِ التُّونُسِيِّين (CGTT) التِي أَسَّسَهَا فِي سَنَة **1924** الزَّعِيمُ مَحمّد علي الحَامِّي وَأَعَادَ بَعْثَهَا مِنْ جَدِيدٍ بِلْقَاسم القناوي فِي سَنَة **1937** بِإِيعَازٍ مِنَ الحِزْبِ الحُرِّ الدُّسْتُورِيِّ التُّونُسِيِّ (الجَدِيد)، ثُمَّ افْتَكَّهَا مِنْهُ الهَادِي نويرَة، إِنَّمَا هُو تَشْتِيتٌ لِلْقُوى الشَّغيلَةِ تَسْتَفِيدُ مِنْهُ الرَّأْسمَالِيَّةُ الاِسْتِعْمَارِيَّة.

وَقَدْ مَكَّنَهُ نَشَاطُهُ بِجَانِبِ بُوزَنْكَى فِي سَنَتَيْ **1938-1939** مِنْ دَعْم مَرْكَزِهِ فِي صُلْبِ اللَّجْنَةِ الإِدَارِيَّةِ لِلاِتّحادِ الإِقْلِيمِيّ لِلسِّيجِيتِي (**U.D./ C.G.T**) الفِرَنْسِيَّةِ إِلَى أَنِ الْتَحقَ بِالعَاصِمَةِ لِيَشْغَلَ مُهِمَّةَ عِضْو قَارٍّ فِي الهَيْئَةِ الإِدَارِيَّةِ المَرْكَزِيَّةِ لِتِلْكَ المُنَظَّمَةِ (**1939**). ثُمَّ انْدَلَعَتِ الحَرْبُ الكَوْنِيَّةُ الثَّانِيَة، فَصَدَرَ قَرَارٌ بِحَلِّ المُنَظَّمَاتِ النِّقَابِيَّةِ فِي أكتوبر **1940**.

وَلاَ شَكَّ أَنَّ اقْتِنَاعَهُ الأَوَّلَ بِاخْتِيَارِ السِّيجِيتِي (**C.G.T.**) الفِرَنْسِيَّةِ بِفَرْعِهَا الإِقْلِيمِيّ فِي تُونس مُتَأَتٍّ مِنْ تَحْلِيلٍ سِيَاسِيٍّ ظَرْفِيٍّ مُرْتَكِزٍ عَلَى آمَالٍ عَرِيضَةٍ كَانَ فَرْحَاتْ حَشَّادْ وَثُلَّةً مِنْ رِفَاقِهِ التُّونُسِيِّينَ يُعَلِّقُونَهَا عَلَى صُعُودِ «الجَبْهَةِ الشَّعْبِيَّةِ لأَحْزَابِ اليَسَار» بفرنسا (**Front Populaire**) إِلَى دَفَّةِ الحُكْم، فَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ طُمُوحَاتِ الشَّغَّالِينَ التُّونُسِيِّين سَتَتَحَقَّقُ عَلَى أَيْدِي أَحْزَابِ اليَسَارِ كَمَرْحَلَةٍ تَقُودُهُمْ إِلَى التَّحَرُّرِ الوَطَنِيِّ. وَكَانَ الدُّسْتُورِيُّونَ الجُدُدُ أَنْفُسُهُمْ أَوَانَ تَجْرِبَةِ الحِوَارِ مَعَ حُكُومَةِ الجَبْهَةِ الشَّعْبِيَّةِ مُتَفَائِلِينَ خَيْرًا بِالاِشْتِرَاكِيِّين وَبِأَحْزَابِ اليَسَارِ الفِرَنْسِيَّةِ لإِيجَاد حَلٍّ لِلْقَضِيَّةِ الوَطَنِيَّةِ التُّونُسِيَّة.

لَكِنَّ مَعْرَكَةَ **9** أفريل **1938** وَمَا نَتَجَ عَنْهَا مِنْ أَهْوَالِ القَمْعِ الذِي لَمْ تَشْهَدْ تُونسُ مَثِيلَهُ مِنْ قَبْلُ، بَعْدَ فَشَلِ تَجْرِبَةِ الحِوَارِ مَعَ حُكُومَةِ الجَبْهَةِ الشَّعْبِيَّة، قَدْ بَدَّدَتْ شَيْئًا فَشَيْئًا أَحْلاَمَ فَرْحَات حَشَّاد، وَغَيَّرَتْ تَصَوُّرَهُ الأَوَّلَ لِلنِّضَالِ النِّقَابِي، وَجَعَلَتْهُ خُصُوصًا بُعَيْدَ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ يُرَاجِعُ مَوْقِفَهُ وَيَعْتَبِرُ قَضِيَّةَ التَّحْرِير الوَطَنِيِّ مِنْ أَوْكَدِ الأَوْلَوِيَّات وَأَنَّهَا لاَ تَنْفَصِلُ عَنِ الحَرَكَةِ النِّقَابِيَّة.

وَفِي 27 ديسمبر 1940 اجْتَازَ حَشَّاد بِنَجَاح مُنَاظَرَة انْتِدَاب المُسْتَكْتَبِينَ الرَّاقِنِين فِي الأَشْغَال العُمُومِيَّة، وَعُيِّنَ بِمَدِينَةِ صَفاقس حَيْثُ تَمَّ تَرْسِيمُهُ (جَانفي 1943).

وَقَدْ شَارَكَ مِنْ قَبْلُ في مُنَاظَرَةٍ لِانْتِدابِ كُتَّابِ شُرْطَةٍ وَكَانَ مِنْ ضِمْنِ مَوادِّ الامْتِحانِ الرَّقْنُ الآلِيُّ، وَهُوَ لاَ يَرْقُنُ إِلاَّ بِسَبَّابَةِ اليَدِ اليُمْنَى وَاليُسْرَى. وَمَعَ ذلك اسْتَطَاعَ التَّفَوُّقَ على جَميعِ المُتَبارينَ الذين يُتْقِنُونَ الرَّقْنِ على الآلَةِ وِفْقَ القَواعِدِ المَعْرُوفَة. وَنَجَحَ فرحات في تلك المُنَاظَرَةِ وَلكنَّهُ رَفْضَ العَمَلَ بالشُّرْطَةِ وَفَضَّلَ الالْتِحاقَ بِدَائِرَةِ الأشغال العامّة بِصَفاقُس كَمَا أَفَادَنِي بِتِلْكَ المَعلومَةِ ابنُ خالَتِهِ مُحمّد بن رُمْضان.

زواجـهُ الثّـانـي

ذَكَرْنا مِنْ قَبْلُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ مَرَّةً أُولَى هَنِيَّةِ بنت حسين المَبْروك فَرافَقَتْهُ مِنْ قَرقنة إلى سوسة، ثُمَّ فارَقَهَا في الثَّلاثينات مِنَ القَرْنِ المَاضِي بدونِ إِنْجَابٍ. وَكَانَتْ وَالِدَتَهُ تُلِحُّ عليه بَعْدَ طَلاَقِهِ أنْ يَتَزَوَّجَ ثَانِيَةً، فَاخْتَارَ - حَسَبَ شَهادَةِ مُحمّد بن رُمْضان- ابْنَةَ عَمِّهِ آمِنَةَ حَشّاد (آمِنة اسْمُهَا الأَصْلِيُّ في بِطَاقَةِ الوِلاَدة) وَقَدْ شُهِرَتْ باسْمِ أُمِّ الخَير، وَكَانَتْ صَبِيَّةً لَمْ تَبْلُغْ سِنَّ الزَّوَاجِ، فَهِيَ مِنْ مَوَالِيدِ 24 أفريل 1930 بقرقنة فَتَرَقَّبَهَا عِدَّةَ سَنَوَاتٍ، ثُمَّ بَنَى بِهَا في 15 اكتوبر 1943 [1]، فَأَنْجَبَتْ لَهُ وَلَدَيْنِ هُمَا نُور الدّين، وهو الأَكْبَرُ، ثُمَّ النَّاصِر، وَكَذلِكَ ابْنَتَيْنِ هُمَا جميلَة وَالصُّغْرَى سَمِيرة.

[1] مجلّة حقائق (*Réalités*) بتاريخ 8-14 ديسمبر 2005 استِجْواب أرملة حشّاد، ص 14



فَرْحات حشّاد يَحْتَضِنُ بُنَيَّتَهُ جَميلة،
وعلى يَمِينِهِ نُور الدِّين، وعلى يَسَارِهِ النَّاصِر.

وَصَفَ مُحمّد بن رُمْضَان أُمَّ الخَيْرِ وَصْفًا جَمِيلاً فقالَ :«لَقَدْ أَضْفَى عليها الخالِقُ مَسْحَةً مِنَ الجَمَال الهَادِئ الوَدِيعِ، وَابْتِسَامَةً تَسْرِي في جَمِيع أَطْرَافِهَا إلى جَانِبِ قَنَاعَةٍ وَوداعَةٍ وبَرَاءَةِ طُفُولَة. تَزَوَّجهَا فكَانَا سَعِيدَيْن.»

وَيَسْتَرْسِلُ مُحمّد بن رُمْضانِ في وَصْفِهَا قَائِلاً في تِعْدادِ مَنَاقِبِهَا : «لِينٌ في المُعَاشَرَة وَخُلُقٌ رَضِيٌّ، تَحَمَّلَتْ مَعَ زَوْجِها شُحَّ العَيْش. وَأَذْكُرُ (والكلامُ لِمُحمّد بن رُمْضان ابن خَالَةِ فَرْحَات) أَنِّي كُنْتُ مَعَ فَرْحَات في اجْتِمَاعِ المَجْلَس القَوْمِيِّ بقاعة الخَلْدُونِيّة بَعْدَ تَأسيس الاتِّحَادِ العَامّ التُّونسِيّ للشُّغل، وَكَانَ فَرْحات يَتَقَاضَى مُقَابلَ تَفَرُّغِهِ للعَمَل النّقابيّ مِنْحَةً زهيدةً تُقَدَّرُ بأَرْبَعينَ أَلف فرنْكٍ، وَلَوْ بَقِيَ في الوَظيفةِ العُمُوميّة لَتَقَاضَى أَضْعَافَهَا. وَكَانَ يَدْفَعُ مِنْهَا أُجْرَةَ كِرَاءِ بَيْتٍ بِنَهْج المستيري في المدينةِ العَتِيقَةِ بالعَاصِمَة، فَلاَ يَبْقَى مِنْ جِرَايَتِهِ إلاَّ القليلُ الذي يَكَادُ لاَ يَكْفِي لِلإنفَاقِ عَلَى أُسْرَتهِ النَّاشِئَةِ وَشَقِيقِهِ الأَكْبَر العَيَّادِي الذي اسْتَدْعَاهُ فَرْحَات لِلإقَامَةِ مَرْفُوقًا بزَوْجَتِهِ مَعَ عِيَالِهِ. وَكَانَ العَيَّادي مُولَعًا بالتَّدْخِينِ وَارْتِيَادِ مَلاَعِبِ كُرَةِ القَدَم مِمَّا كانَ يَزِيدُ في إثْقَال كَاهِلِ فَرْحَات، وَلَكِنَّهُ يَتَحَمَّلُ شَظَفَ العَيْش بِقَنَاعَةٍ وَصَبْر. فَلَمَّا ارْتَأَى رِفَاقُهُ في المَجْلَسِ القَوْمِيِّ أَنْ يُرَفِّعُوا في مِقْدَارِ جِرَايَتِهِ لِتَصِلَ إلى سِتِّينَ أَلْفَ فِرنْك أَنّبَهُمْ كَثِيرًا رَافِضًا عَرْضَهُمْ. فقد كَانَ بِحَقٍّ قَنُوعًا يَسْعَى دَائِمًا في إِسْعَادِ الآخَرينَ غَيْرَ عَابِئٍ بِمَصَالِحِهِ الخَاصَّة.

وَفِي ظُرُوفِ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الثَّانية التي أَلْحَقَتِ الدَّمَارَ بالبلاد التُّونِسيَّة وَخَاصّةً المُدن الكُبْرَى وَالمَوَانِي انْخَرطَ فرحاتْ حَشَّاد في مُنَظَّمَةِ الهِلال الأَحْمَرِ، وَشَارَكَ في إِنْقَاذِ ضَحَايَا القَصْفِ الجَوِّيِّ بمدينةِ صَفَاقس.



فرحات حشّاد مع أُسْرتِهِ في جزيرةِ قِرْقنة :
زَوْجَتِهِ أمِّ الخير، وابْنِهِ النّاصر في أَحْضانِهِ ونور الدّين بجانِبِ أُمِّه.

الباب الثّالث

انفصاله عن السِّيجِيتي وتأسِيسُ الإتّحاد العَام التونسيّ للشّغل

بدء تراجعه عن السِّيجيتي لرفضه الشُّيُوعيَّة المهيمنة عليها

فِي أَوائِل **1944** انتَعَشَت الحَرَكَةُ النِّقَابيَّةُ، فَعَاد حَشَّاد إِلَى سَالِفِ نَشَاطِهِ، وَأَسَّسَ نقابَةَ الأَشْغَال العُمُومِيَّة بِصفاقس في **7** مَارس **1944**، وَانْتُخِبَ كَاتِبَهَا العَامَّ. ثُمَّ أَسَّسَ الاتِّحَادَ الجِهَوِيَّ لِلسِّيجِيتِي، وَرُشِّحَ لِعُضْوِيَّةِ الهَيْئَةِ الإِدَارِيَّة فِي المُؤْتَمرِ الثَّامِنِ عَشَر الإِقْلِيمِيِّ بِتُونس (مَارس **1944**). لَكِنَّ الشُّيُوعِيِّينَ نَجَحُوا فِي اقْتِلاعِ مَرَاكِزِ القِيَادَةِ (**17** من مَجْمُوع **21** مَقْعَدًا فِي الهَيْئَة الإِدَارِيَّة)، فَأَصْبَحَ الاشْتِرَاكِيُّونَ أَقَلِّيَّة. وَرَغْمَ فَوْز زَعِيمِهِمْ ***Bouzanquet*** بِمَقْعَدٍ فِي هَيْئَتِهَا الإِدَارِيَّةِ فَقَدْ فَضَّلَ الانسِحَابَ مِنَ السِّيجِيتِي، وَتبعَهُ رِفَاقُهُ الاشْتِرَاكِيُّون. وَلَمْ يَنْجَحْ حَشَّاد فِي اقْتِلاعِ مَقْعَدٍ بِالهَيْئَةِ الإِدَارِيَّة إِذْ كَانَ يَجْهَرُ بِاحْتِرَازِهِ مِنَ الشُّيُوعِيِّين وَيُحذِّرُ فِي أَشْغَالِ المُؤْتَمَر مِن اسْتِحْوَاذِهِمْ عَلَى مَرَاكِزِ النُّفُوذِ فِي السِّيجِيتِي وَاحْتِوَائِهِمْ المُنَظَّمَةَ الشَّغِيلَةَ لِتَمْرِير إِدْيُولُوجِيَّتِهِمْ المَارْكْسِيَّةِ وَتَحْقِيق مَطَامِحِهِم السِّيَاسِيَّة. وَمِمَّا تَجْدُرُ مُلاحَظَتُهُ أَنَّ الحَرَكَةَ النِّقَابِيَّةَ الوَطَنِيَّة، مُنْذُ نَشْأَتِهَا الأُولَى بِتُونس مَعَ مَحمَّد علي الحَامِّي، ثُمَّ مَعَ بلْقَاسم القنَاوِي وَ الهَادِي نويرَة وَمِنْ بَعْدُ مَعَ حَشَّاد، لَمْ تَكُنْ تَدْعُو إِلَى حَرْبِ الطَّبَقَات.[1]

ضرورة تكامل رأس المال والعمل

نَعَمْ، جَهَرَ فَرْحَاتْ حَشَّاد فِي العَدِيدِ مِنَ المُنَاسَبَات بِرَفْضِهِ حَرْبَ الطَّبَقَاتِ وَكَانَ يُنَادِي بِضَرُورَةِ تَكَافُلِ رَأْسِ المَال وَالعَمَل. وَهَلْ أَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ فِي مُحَاضَرَةٍ أَلْقَاهَا عَلَى مِنْبَرِ جَمْعِيَّةِ طَلَبَةِ شَمَال إِفْرِيقْيَا المُسْلِمِين (***A.E.M.N.A.***) فِي **20** دِيسمبر **1946** بِبَارِيس: «كَانَ عَلَيْنَا بَادِئَ ذِي بَدْءٍ أَنْ نُكَوِّنَ لِحَرَكَتِنَا مَذْهَبًا. وَحَرَكَتُنَا النِّقَابِيَّةُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَرْمِيَ إِلَى القَضَاءِ عَلَى رَأْسِ

---

[1] راجع أحمد خالد «مَحمَّد علي الحامّي رائدُ الحركةِ النّقابيَّة الوطنيّة بتونس» منشورات زخارف – شركة بوبليغراف– تونس *2006* انظر خاصّة الباب الرَّابع.

المَال مُطْلَقًا لأَنَّنا نُقدِّرُ حَاجَةَ كُلٍّ مِنْ رَأْس المَال وَالعَمَل إِلَى صَاحِبِهِ وَضَرُورَتَهُمَا لِحَيَاةِ البِلاَد. فَكَانَ حَتْمًا عَلَيْنَا إِيجَادُ طَرِيقَةٍ يَتَكَامَلُ بِهَا العُنْصُرَان: رَأْسُ المَال وَالعَمَلَةُ عِوَضَ أَنْ يَكُونَا مُتَنَافِرَيْن مُتَبَاعِدَيْن، وَذَلِكَ بِأَنْ لاَّ يَتَضَخَّمَ رَأْسُ المَالِ عَلَى حِسَابِ العَمَل تَضَخُّمًا لاَ حَدَّ لَهُ إِذْ مَهْمَا كَانَ العَمَلُ يَجِبُ أَنْ يَلْقَى مِنَ الأَجْرِ العَادِيِّ مَا يَكْفِي وَيَضْمَنُ لِلْعَامِلِ حَيَاةً كَرِيمَةً تَسْمَحُ لَهُ بِالاِسْتِفَادَةِ بِكُلِّ خَيْرَاتِ الرُّقِيِّ. فَاشْتِرَاكُ رَأْسِ المَال وَالعَمَل يَضْمَنُ إِذَنْ ازْدِهَارَ المَشَارِيعِ وَالأَعْمَال بِأَقْصَى فَائِدَةٍ لِلْجَمِيع»[1]. وَيُفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ أَنَّ فَرْحَات حَشَّاد بِقَدْرِ مَا كَانَ يَعْمَلُ عَلَى تَرْشِيدِ العُمَّال كَانَ يَرُومُ أَيْضًا تَرْشِيدَ رَأْسِ المَال لِيَكُونَ لَهُ – فَضْلاً عَن الكَسْبِ وَتَنْمِيَةِ الثَّرْوَةِ الاِقْتِصَادِيَّةِ– دَوْرٌ اجْتِمَاعِيٌّ إِنْسَانِيٌّ.

آلَ الأَمْرُ إِذَنْ بَعْدَ المُؤْتَمَر الإِقْلِيمِي لِلسِّيجِيتِيّ بِتُونس (مارس *1944*)، إِلَى تَصَدُّعِ تِلْكَ المُنَظَّمَة، فَتَوَالَت انْسِحَابَاتُ المُنْخَرِطِين التُّونُسِيِّين مِنْ صُفُوفِهَا خُصُوصًا فِي ظُرُوفِ مَوْقِفِ الشُّيُوعِيِّينَ الدَّاعِينَ إِلَى إِلْحَاقِ الإِيَالَةِ التُّونُسِيَّة كَمُقَاطَعَةٍ بِالتُّرَابِ الفِرَنْسِيّ. وَقَرَّرَ حَشَّاد فِي مَاي *1944* تَقْدِيمَ اسْتِقَالَتِهِ مِنَ المَكْتَب الجِهَوِي لِلسِّيجِيتِي بصفَاقس وَحَلَّ النِّقَابَاتِ التُّونُسِيَّة المُنْتَمِيَةَ إِلَيْه.

وَفِي تِلْكَ الظُّرُوفِ أَثَارَتْ سَيْطَرَةُ الشُّيُوعِيِّينَ عَلَى الحَرَكَةِ النِّقَابِيَّة مَخَاوِفَ إِدَارَةِ الحِمَايَة، فَأَخَذَتْ تَسْعَى فِي إِضْعَافِ السِّيجِيتِي، وَلَمْ تَعُدْ تُنَاهِضُ مَبْدَئِيًّا قِيَامَ مُنَظَّمَةٍ شَغِيلَةٍ تُونُسِيَّة مُسْتَقِلَّةٍ مُنَافِسَةٍ لِلسِّيجِيتِي المُتَطَرِّفَة إِدْيُولُوجِيًّا بِهَجْمَةِ المَارْكسِيِّينَ. وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ أَنهَا أَضْعَفَتِ الحَرَكَةَ الوَطَنِيَّة وَأَرْهَقَتِ الدُّسْتُورِيِّين زَمَنًا طَوِيلاً بِعَمَلِيَّاتِ القَمْع بَعْدَ مَعْرَكَةِ *9* أفريل *1938*، فَلَمْ تَعُدْ تَشْعُرُ بِخَطَرِهِمْ.

وَرُبَّمَا تَوَهَّمَتْ إِدَارَةُ الحِمَايَةِ وَكَذَلِكَ القِيَادِيُّ النِّقَابِيُّ الفِرَنْسِيُّ ***Bouzanquet*** أَنَّ رَفْضَ فَرْحَات حَشَّاد الوِصَايَةَ السِّيَاسِيَّةَ الشُّيُوعِيَّة عَلَى الحَرَكَةِ النِّقَابِيَّة يَعْنِي

---

[1] رَاجع النَّصّ الكَامل فِي المُلْحَقَات.

رَفْضَهُ لِلتَّعَاوُنِ المُطْلَقِ مَعَ أَيِّ حَرَكَةٍ سِيَاسِيَّةٍ أُخْرَى مَهْمَا كَانَ لَوْنُها. وَلَمْ يَكُنْ فَرْحَات حَشَّاد يَنْوِي فِي الحَقِيقَةِ التَّمَلُّصَ مِنَ الوَاجِبِ الوَطَنِيِّ إِذْ وَثِقَ مِنْ كَوْنِ الحَرَكَةِ النِّقَابِيَّةِ هِيَ البَدِيلُ لِمُوَاصَلَةِ الكِفَاحِ فِي ظُرُوفِ فُتُورِ الحَرَكَةِ الوَطَنِيَّةِ بِسَبَبِ القَمْعِ المُسَلَّطِ عَلَيْهَا.

فرحات حشّاد في مؤتمر ليلة القدر

انْعَقَدَ المُؤْتَمَرُ الوَطَنِيُّ لَيْلَةَ السَّابِعِ وَالعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَان سَنَة *1365*هـ/*23* أوت *1946*، فَعُرِفَ بِمُؤْتَمَرِ لَيْلَةِ القَدْرِ، وَتَرَأَّسَهُ القَاضِي الجَلِيلُ العَرُوسِي الحَدَّاد الذِي قَضَّى شَطْرًا مِنْ حَيَاتِهِ فِي رِئَاسَةِ المَحَاكِمِ الجِنَائِيَّةِ المُخَوَّلَةِ لإِصْدَارِ الأَحْكَام بِالإِعْدَامِ. وَكَانَ مُؤْتَمَرُ لَيْلَةِ القَدْرِ الذِي أَلَّفَ بَيْنَ جَمِيعِ الوَطَنِيِّينَ التُّونُسِيِّينَ بِلاَ اسْتِثْنَاءٍ بِمَثَابَةِ جَلْسَةِ مُحَاكَمَةٍ بِالإِعْدَامِ عَلَى النِّظَامِ الاسْتِعْمَارِيِّ الفِرَنْسِيِّ الجَاثِمِ عَلَى وَطَنِهِمْ، إِذْ أَسْفَرَ قَرَارُهُ عَلَى وَثِيقَةٍ حُكْمِيَّةٍ تُصَرِّحُ - بَعْدَ عِشْرِينَ حَيْثِيَّةٍ قَضَائِيَّةٍ - بِأَنَّ المُؤْتَمَرَ يَرَى «أَنَّ نِظَامَ الحِمَايَةِ نِظَامٌ سِيَاسِيٌّ وَاقْتِصَادِيٌّ لاَ يَتَّفِقُ مُطْلَقًا مَعَ سِيَادَةِ الشَّعْبِ التُّونُسِيِّ وَمَصَالِحِهِ الحَيَوِيَّةِ، وَأَنَّ هَذَا النِّظَامَ نِظَامٌ اسْتِعْمَارِيٌّ قَضَى عَلَى نَفْسِهِ أَمَامَ العَالَمِ بِالإِخْفَاقِ بَعْدَ تَجْرِبَةِ خَمْسَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، كَمَا يُعْلِنُ عَزْمَ الشَّعْبِ الثَّابِتِ عَلَى اسْتِرْجَاعِ اسْتِقْلاَلِهِ التَّامِّ وَالانْضِمَام كَدَوْلَةٍ ذَاتِ سِيَادَةٍ إِلَى جَامِعَةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ وَهَيْأَةِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ...»[1] وَكَانَ حَشَّاد مِنْ أَبْرَزِ المُشَارِكِينَ فِي ذَلِكَ المُؤْتَمَرِ الوَطَنِيِّ فِي فَجْرِ نَشْأَةِ الاتِّحَادِ العَامِّ التُّونُسِيِّ لِلشُّغْلِ، فَلَعِبَ دَوْرًا فَاعِلاً فِي الإِضْرَابِ الذِي تَوَاصَلَ أَيَّامًا احْتِجَاجًا عَلَى إِلْقَاءِ القَبْضِ عَلَى **46** شَخْصِيَّةٍ. وَأَفْلَتَ مِنْ قَبْضَةِ الشُّرْطَةِ مَعَ بَعْضِ المُنَاضِلِينَ كَالهَادِي نويرَة عَبْرَ السُّطُوحِ.

---

[1] مِنْ مِيثَاقِ مُؤْتَمَرِ لَيْلَةِ القَدْرِ، نَقْلاً عَنِ البَشِيرِ العرِيبِي، مَقَال زمعَ حَشَّادس صَادِرٍ فِي مَجَلَّةِ الصَّادِقِيَّةِ (عدد أكتوبر *2002*)، ص. *42*.

وَبَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّام (26 أوت 1946) عَقَدَتْ جَمْعِيَّةُ حُقُوقِ الإِنْسَانِ اجْتِمَاعًا لِتَدَارُس الأَزْمَةِ بِحُضُور تُونُسِيِّينَ وَطَنِيِّينَ وَفِرَنْسِيِّينَ أَحْرَار وَتَحْتَ رِئَاسَةٍ مُزْدَوجَةٍ لِلْجَلْسَةِ، فَتَرَأَّسَ الأُسْتَاذُ الطَّيّبِ المِيلاَدِي النِّصْفَ الأَوَّل مِنَ الاجْتِمَاعِ، وَتَرَأَّسَ نِصْفَهُ الثَّانِي فِرَنْسِيٌّ. وَتَدَخَّلَ حَشَّاد بِاسْمِ الاتِّحَادِ، فَأَلْقَى كَلِمَةً عَلَى التَّوَالِي بِالعَرَبِيَّةِ ثُمَّ بِالفِرَنْسِيَّةِ أَبْهَرت الحَاضِرينَ بِعُمْقِهَا وَرَوْعَتِهَا إِذْ جَعَلَ الحَاضِرينَ مِنْ تُونُسِيِّينَ وَفِرَنْسِيِّينَ أَحْرَار يُجْمِعُونَ عَلَى شَرْعِيَّةِ مُؤْتَمر لَيْلَةِ القَدْر، وَأَحَقِّيَةِ المُطَالَبَةِ بِالحُرِّيَّةِ كَحَقٍّ مِنْ حُقُوقِ الإِنْسَان، وَيَعْتَبِرُونَ مَا قَامَتْ بِهِ السُّلْطَةُ الفِرَنْسِيَّة مِنْ إِيقَافَاتٍ فِي ذَلِكَ المُؤْتَمر الوَطَنِيّ عَمَلاً لاَ إِنْسَانِيًّا[1].

فِي أَوَاسِطِ أَرْبَعِينات القَرْنِ المَاضِي، بَدَأَ فَرْحَاتْ حَشَّادْ يَشْعُرُ بِضَرُورَةِ رَبْطِ النِّضَال مِنْ أَجْلِ الرُّقِيِّ الاجْتِمَاعِيّ بِالنِّضَال فِي سَبِيل التَّحَرُّر السِّيَاسِيِّ خُصُوصًا بَعْدَ انْتِهَاءِ الحَرْبِ العَالَمِيَّة الثَّانِيَّة حِينَمَا تَطَوَّرَ تَصَوُّرُهُ لِلعَلاَقَةِ بَيْنَ الحِزْبِ الحُرِّ الدُّسْتُورِيّ (الجديد) وَالحَرَكَةِ النِّقَابِيَّة الوَطَنِيَّة فِي اتِّجَاه اسْتِقْلاَلِيَّةِ المُنَظَّمَةِ وَلَكِنْ بِالإِبْقَاءِ عَلَى التَّعَاوُنِ وَالتَّوَاصُل الطَّوْعِيِّ بَيْنَهُمَا لِبُلُوغ الهَدَفِ المَنْشُودِ، أَلاَ وَهوَ تَحْرِيرُ البِلاَدِ كَأَوْلَوِيَّةٍ مُطْلَقَة.

رَبْطُ النِّضَالِ النِّقَابِيّ بِالحَرَكَةِ التَّحْرِيرِيَّة

نَعَمْ، رَأَى حَشَّاد تَلاَزُمًا بَيْنَ العَمَلِ النِّقَابِيِّ وَالكِفَاحِ السِّيَاسِيّ مِنْ أَجْلِ التَّحَرُّر مِنْ نَيْر الاسْتِعْمَار. وَبَدَأَ يَجْهَرُ بِذَلِكَ مُنْذُ بِدَايَةِ انْبِعَاثِ الاتِّحَاد العَامّ التُّونُسِيِّ لِلشُّغْل كَمَا تُبَيِّنُهُ العَيْنَةُ التَّالِيَةُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ أَلْقَاهَا بِنَادِي جَمْعِيَّةِ طَلَبَةِ شَمَال إِفْرِيقيَا المُسْلِمِين بِبَارِيس : «إِنَّهُ *[أَي العَمَلُ النِّقَابِيُّ]* لَعَمَلٌ وَاسِعُ المَجَالِ حَقًّا، وَلَكِنَّهُ أَعْظَمُ بِفَائِدَتِهِ، وَسَنُنْجِزُهُ إِلَى نِهَايَتِه السَّارَّةِ بِالمُثَابرَةِ وَالإِخْلاَص لِلْقَضِيَّةِ العُمَّالِيَّةِ. وَهوَ عَمَلٌ مُرْهِقٌ وَلَكِنْ سَيَتَحَمَّلُهُ جَمِيعُ النِّقَابِيِّين فِي بِلاَدِنَا

---

[1] نفس المرْجَع، ص. 42-43.

بِصَدْرٍ رَحْبٍ إِذْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ حِينَ يَعْمَلُونَ لِفَائِدَةِ الطَّبَقَةِ الشَّغِيلَةِ فِي الأَوْقَاتِ الحَاضِرَةِ، يَقُومُونَ بِكِفَاحٍ مُزْدَوِجٍ ضِدَّ رَأْسِ المَالِ المُسْتَثْمِرِ وَضِدَّ الاِسْتِعْمَارِ الغَاشِمِ...»[1]. وَيَعْنِي بِرَأْسِ المَالِ المُسْتَثْمِرِ ذلك الذي لاَ لَوْنَ إِنْسَانِيٌّ لَهُ.

وَكَمَا نَجِدُهُ فِي مَقَالاَتِهِ جَامِعًا بَيْنَ المَشَاغِلِ النّقَابِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، فَكَذَلِكَ نَكْتَشِفُهُ فِي رَسَائِلِهِ زَعِيمًا عُمَّالِيًّا وَقَائِدًا سِيَاسِيًّا وَطَنِيًّا مُعَبِّرًا عَنْ هُمُومِ شَعْبِهِ، جَاعِلاً فِي المَرْتَبَةِ الأُولَى قَضِيَّةَ تَحْرِيرِهِ. أَلاَ تَرَى ذَلِكَ وَاضِحًا مَثَلاً فِي إِحْدَى رَسَائِلِهِ إِلَى رَفِيقِ دَرْبِهِ النُّورِي البُودَالِي حَيْثُ يُعْلِمُهُ بِانْتِظَارِ عَوْدَتِهِ لِنَقْلِ مَقَرِّ الاِتِّحَادِ مِنْ نَهْج سِيدِي عَامِرٍ إِلَى سَاحَةِ مَحمّد عَلِي، وَيُبْدِي رَأْيَهُ فِي رِفَاقِهِ بِالهَيْئَةِ الإِدَارِيَّةِ، وَيَصِفُ الوَضْعَ السِّيَاسِيَّ الغَامِضَ بَعْدَ مَجِيءِ المُقِيمِ العَامّ «بِيرِيِّي» خَلَفًا لِمُونس، وَيُشِيرُ إِلَى مَا كَتَبَهُ فِي جَرِيدَةِ «الرِّسَالَة» رَدًّا عَلَى تَهْمِيش مُمَثِّلِ فِرَنْسَا لِلْقَضِيَّةِ التُّونُسِيَّةِ ذَاتِ الأَوْلَوِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ، وَكَعَادَتِهِ فِي رَسَائِلِهِ إِلَى رِفَاقِهِ يُبْدِي حَشَّاد فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ أَيْضًا اهْتِمَامًا بِالشَّأْنِ العَائِلِيِّ لأُسْرَةِ البُودَالِي: «عَزِيزِي النُّورِي. إِنَّ وَالِدَكَ عَلَى حَالَةٍ صِحِّيَّةٍ جَيِّدَةٍ وَكَذَلِكَ كُلُّ أَفْرَاد العَائِلَةِ. وَتُقِيمُ حَرَمُكَ عِنْدَ وَالِدَيْهَا، وَأَظُنُّ أَنهَا مَا تَزَالُ مُتَأَثِّرَةً بِأَتْعَابِ الحَمْلِ.

إِنِّي أَنْتَظِرُ رُجُوعَكَ لِتَطْبِيقِ مُقَرَّرَاتِ الهَيْئَةِ الإِدَارِيَّةِ فِيمَا يَخُصُّ النَّادِي الجَدِيدِ، فَلاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْتَقِلَ إِلَى المَقَرِّ الجَدِيد فِي غِيَابِكَ إِذْ أَنَّ الاِتِّحَادَ الجِهَوِيَّ بِتُونس الوَافِرَ النَّشَاطِ حَالِيًّا صَعْبُ التَّسْيِيرِ إِذْ غَادَرْتَهُ وَأَنْتَ مُتَغَيِّبٌ. لَكِنْ يَجِبُ أَنْ لاَ تَقْلَقَ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّ رِفَاقَنَا يَتَّصِفُونَ أَحْيَانًا بِالشِّدَّةِ فِيمَا يَخُصُّ النِّظَامَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ فِي الوَاقِعِ لَيْسُوا إِلاَّ صِبْيَةً كِبَارًا يَصِيحُونَ لَكِنَّهُم يَقُومُونَ بِوَاجِبِهِمْ، وَذَلِكَ هُوَ المُهِمُّ. إِنَّ الحَالَةَ السِّيَاسِيَّةَ عُمُومًا لاَ تَزَالُ غَامِضَةً. وَلَمْ يُقَرَّرْ أَيُّ أَمْرٍ فِي شَأْنِ الإِصْلاَحَاتِ. وَشُعُورُ القَلَقِ لاَ يَزَالُ مُسَيْطِرًا بَل ازْدَادَ خُطُورَةً.

[1] انظُر النصّ الكامل في الملاحق.

فَالمُقِيمُ العَامُّ يَقُومُ الآنَ بجَوْلاَتٍ فِي البلاَدِ. وَلَقَدْ رَجَعَ إِلَى الفِكْرَةِ العَزِيزَةِ عَلَى «مُونْس»، فهوَ يَقُولُ بأَوْلَوِيَّةِ المَيْدَانِ الاِقْتِصَادِيِّ وَالاِجْتِمَاعِيِّ وَوُجُوبِ إِرْجَاءِ النَّاحِيَةِ السِّيَاسِيَّةِ فِي الوَقْتِ الحَاضِرِ. إِنِّي قُمْتُ بردِّ الفِعْلِ كَمَا يَنْبَغِي فِي «الرِّسَالَة». وَإِنِّي لاَ أَظُنُّ أَنَّ اتِّحَادَنَا النِّسَائِيَّ سَيَسْتَجِيبُ لِلدَّعْوَةِ فِي مُؤْتَمرِ زغْرب.

إِنَّ جَانْ رُوسْ كَاتبَنِي لِيُحِيطَنِي بالاِنْطِبَاعَاتِ الحَسَنَةِ التِي تَرَكتها أَثْنَاءَ مُحَادَثَاتِ بَارِيس. هَذَا كُلُّ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَكْتُبَهُ لَكَ فِي هَذَا الصَّبَاحِ الذِي انْشَغَلْتُ فِيهِ بِإِضْرَابٍ فِي الأَشْغَالِ العُمُومِيَّةِ احْتِجَاجًا عَلَى مَا حَدَثَ مِنْ طَرْدٍ، إِلاَّ أَنَّ الاتِّحَادَ النِّقَابِيَّ لِلْعُمَّالِ التُّونُسِيِّينَ ***U.S.T.T*** لَيَذُوبُ ذَوَبَانَ الثَّلجِ فِي الشَّمْسِ. إِلَيْكُمْ جَمِيعًا تَحِيَّاتِي الأَخَوِيَّةَ. فَرْحَات حَشَّاد»[1].

مُقَاوَمَةُ الاِسْتِعْمَار

نَعَمْ، مُنْذُ فَجْرِ تَأْسِيسِ الاِتِّحَادِ العَامِّ التُّونُسِيِّ لِلشُّغْلِ بَرَزَ بجَلاَءٍ رَبْطُ حَشَّاد لِمُنَظَّمَتِهِ بحَرَكَةِ الكِفَاحِ الوَطَنِيِّ لِتَخْلِيص تُونسَ مِنْ شَتَّى أَنْوَاعِ الهَيْمَنَةِ الاِسْتِعْمَارِيَّةِ كَمَا جَاءَ فِي خِطَابِهِ بِمِنبَرِ جَمْعِيَّةِ طَلَبَةِ شَمَال إِفْرِيقِيَا المُسْلِمِين حَيْثُ قَالَ مُعَرِّفًا بالنِّقَابَاتِ الحُرَّة وَبِمُنَظَّمَتِهِ: «تَرَوْنَ النِّقَابِيِّينَ فِي كُلِّ البُلْدَانِ يَتبَوَّؤُونَ مَقَاعِدَهُمْ فِي طَلِيعَةِ كُلِّ حَرَكَةٍ تَقَدُّمِيَّةٍ، وَهيَ فِي مُقَدِّمَةِ كُلِّ عَمَلٍ يَهْدِفُ إِلَى ضَمَانِ الاِسْتِقْلاَلِ الوَطَنِيّ وَالحُرِّيَّةِ لبِلاَدِهِم. وَمِنْ أَجْلِ هَذَا تَأَلَّبَ النِّقَابِيُّونَ فِي العَالَمِ لِلتَّشْهِيرِ أَوَّلاً وَلِلإِطَاحَةِ ثَانِيًا بِكُلِّ أَنْوَاعِ الدِّيكْتَاتُورِيَّةِ وَالاِسْتِبْدَادِ وَبِكُلِّ أَلْوَانِ وَأَشْكَالِ الاِسْتِعْمَار التِي قَامَتْ أَوْ مَا تَزَالُ قَائِمَةً فِي بَعْضِ بِلاَدِ الدُّنْيَا... وَمِنْ أَجْلِ هَذَا يَجِبُ أَنْ تُعْتَبَرَ حَرَكَتُنَا النِّقَابِيَّةُ التُّونُسِيَّةُ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ تَفَاؤُلِ بِلاَدِنَا...»[2].

---

[1] رَاجِع النَّصّ الكَامِلَ الهَامَّ لِخِطَابِ حَشَّاد *20* دِيسمبر *1946*.

[2] رِسَالَة حَشَّاد إِلَى النُّورِي البُودَالِي، نَقْلاً عَنْ جَرِيدَة «الشَّعب»، *16* جوان *2007*، ص. *2*.

إرادةُ الشُّعُوبِ لاَ تُقْهَرُ

مَا فتِئَ فَرْحَات حَشَّاد يُرَدِّدُ فِي مَقَالاَتِهِ أَنَّ إِرَادَةَ الشُّعُوبِ لاَ تُقْهَرُ، وَمِنْهَا إِرَادَةُ شَعْبِهِ الذِي تَسَلَّطَ عَلَيْهِ الاسْتِعْمَارُ الاسْتِيطَانِيُّ، وَهُوَ أَخْبَثُ اسْتِعْمَارٍ وَأَخْطَرُهُ إِذْ سَعَى فِي مَسْخِ الذَّاتِ التُّونُسِيَّةِ بِجَمِيعِ أَبْعَادِهَا. فَاقْرَأْ لِحَشَّادٍ هَذِهِ العَيِّنَةَ مِنْ مَقَالٍ رَائِعٍ فِي جَرِيدَةِ «الحُرِّيَّة» بِعُنْوَانِ «لِنُقَاوِم العُنْفَ»:

«ظَنَّ أَصْحَابُ الجَاهِ (المُسْتَعْمِرُونَ) بِهَذِهِ البِلاَدِ أَنَّ سِيَاسَةَ القَمْعِ وَالزَّجْرِ تَكْفِي وَحْدَهَا لإِخْفَاتِ صَوْتِ الحَقِّ وَالوُقُوفِ أَمَامَ تَيَّارِ النُّهُوضِ الذِي أَصْبَحَ يَسْرِي فِي النُّفُوسِ وَيُحَرِّكُ الجَمَاهِيرَ وَيَدْفَعُهَا كَالسَّيْلِ المُتَدَفِّقِ إِلَى حَيْثُ العِزَّةُ وَالكَرَامَةُ. وَاسْتُعْمِلَتْ تِلْكَ السِّيَاسَةُ فِي مُخْتَلَفِ المُنَاسَبَاتِ، وَكَانَتِ القُوَّةُ الغَاشِمَةُ تَحُلُّ مَحَلَّ المُفَاهَمَةِ حَيْثُ يُحَاوِلُ المُغْرِضُونَ بِوَاسِطَتِهَا قَتْلَ الشُّعُورِ وَالحَطَّ مِنَ المَعْنَوِيَّاتِ وَإِرْغَامَ النَّاسِ عَلَى الرُّضُوخِ إِلَى حَيَاةِ الذِّلَّةِ وَالتَّعَاسَةِ. وَلطَالَمَا أَعْطَتْهُمُ التَّجَارِبُ دُرُوسًا مُرَّةً فِي هَذَا المِضْمَارِ، وَأَظْهَرَتْ لَهُمْ عَكْسَ مَا يَرْمُونَ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ لأَنَّ سِيَاسَةَ القَمْعِ وَالعُنْفِ لاَ تَنْجَرُّ عَنْهَا إِلاَّ خَيْبَةُ أَصْحَابِهَا لأَنَّ النُّفُوسَ البَشَرِيَّةَ لاَ تَرْضَخُ وَلَنْ تَرْضَخَ إِلاَّ لِلْحَقِّ وَالعَقْلِ. وَلاَ فَائِدَةَ هُنَا بِذِكْرِ المُنَاسَبَاتِ المُتَعَدِّدَةِ وَالظُّرُوفِ المُتَنَوِّعَةِ التِي أَقَامَتِ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ إِرَادَةَ الشُّعُوبِ وَعَزِيمَةَ الرِّجَالِ لاَ تُقْهَرُ وَلاَ تُذَلُّ بِمَحْضِ اسْتِعْمَالِ القُوَّةِ المَادِّيَّةِ الغَاشِمَةِ، بَلْ تُقَوِّيهَا وَتُغَذِّيهَا مَا دَامَتِ الرُّوحُ لَمْ تُفَارِقِ الجِسْمَ...» وَالمَقَالُ عَمِيقُ المَعَانِي مَنْسُوجٌ بِلُغَةٍ طَلِيَّةٍ مِنَ السَّهْلِ المُمْتَنِعِ[1] (رَاجِعْهُ فِي المَلاَحِقِ).

وَيَجِدُ القَارِئُ فِي ذَلِكَ المَقَالِ لِحَشَّادٍ نَفَسَ الرُّوحِ وَالإِشَادَةِ بِالقُوَّةِ اللَّيِّنَةِ، أَي القُوَّةِ المَعْنَوِيَّةِ التِي تَقْوَى عَلَى القُوَّةِ الغَاشِمَةِ المُتَجَبِّرَةِ مِثْلَمَا يُصَوِّرُهُ الشَّاعِرُ الوَطَنِيُّ أَبُو القَاسِمِ الشَّابِّي فِي العَدِيدِ مِنْ قَصَائِدِهِ.

---

[1] رَاجِع النَّصّ الكَامِلَ لِمَقَالِ فرحَات حَشَّاد «لِنُقَاوِمِ العُنْف» فِي المَلاَحِقِ. وَقَدْ نَشَرَهُ حَشَّاد فِي جَرِيدَة «الحُرِيَّة»، عدد87 – ديسمبر 1949.

إرادةُ الحياةِ منْ إرادةِ جيلِ حشّادٍ ومَنْ قَبْلَهُ

تَواكَبَ النِّضَالُ الثَّقَافِيُّ وَالنِّضالُ الاِجْتِمَاعِيُّ وَالنِّضَالُ السِّيَاسِيُّ الوَطَنِيُّ مُنْذُ الرَّعِيلِ الأَوَّلِ مِنْ تلاميذِ المُفكِّرِ المُصْلِحِ خَيرِ الدِّين باشَا التّونسِيّ وَعَلَى مَرِّ الأَجْيَالِ وُصُولاً إلى جيلِ فَرْحَات حشّاد (***1914-1952***)، وَهُوَ تَقْرِيبًا مِنْ جيلِ شَاعِرِنَا الوَطَنِيّ أبي القاسمِ الشّابّي (***1909-1934***) وَمَنْ قارَبَهُ سَبْقًا لَهُ أَوْ لِحَاقًا بِهِ.

وَقَدْ تَنَاغَمَ الزَّعِيمُ النِّقابِيُّ وَالسِّيَاسِيُّ فرحاتْ حشّاد مَعَ شَاعِرِ النُّورِ وَصَنَّاجِ أَغَانِي الحياةِ أَبِي القَاسِمِ الشَّابِي فِي نِشْدانِ التَّحَرُّرِ مِنَ الاِسْتِبْدادِ وَالاِسْتِعْبَادِ فِي زَمَنِ الهَيْمَنَةِ الاِسْتِعْمَارِيَّةِ حَيْثُ كَانَ الشَّعْبُ التُّونِسِيُّ مَكَبَّلاً يُعَانِي مِنْ مُخَلَّفَاتِ ظُلُمَاتِ عُصورِ التَّدَلِّي وَقُيُودِ المُسْتَعْمِرِينَ، كَمَا يُصَوِّرُهُ الشّابِّي لاِسْتِنْهَاضِهِ فِي قَصِيدٍ لَهُ بِعُنْوانِ «النّبيُّ المَجْهُولُ» إِذْ يَقُولُ :

«أَنْتَ فِي الكَوْنِ قُوَّةٌ كَبَّلَتْهَا * ظُلُمَاتُ العُصورِ مِنْ أَمْسِ أَمْسِ»

وَكَانَ فَرحات حَشّاد يَتَغَنَّى مَعَ شَاعِرِ جِيلِهِ أبي القَاسِمِ الشَّابي بـ «تُونِس الجَمِيلَة»، وهي رائِعَةٌ شِعْرِيّةٌ يَخْتَتِمُهَا بِقَوْلِهِ :

«ضَيَّعَ الدَّهْرُ مَجْدَ شَعْبِي وَلَكِنْ * سَتَرُدُّ الحياةُ يَوْمًا وِشَاحَهْ»

وَلَوْ عُدْتَ إلى دِيوانِ «أَغَانِي الحياةِ» لِأبي القاسمِ الشّابِّي وَتَأَمَّلْتَ العَدِيدَ مِنْ قَصَائِدِهِ لَتَبَيَّنْتَ أَنَّهُ قَدْ تغنَّى فِيهَا كَثِيرًا بِإِرَادَةِ الحَيَاة، وَأَدْرَكْتَ سِرَّ اخْتِيارِهِ ذَلِكَ العُنْوانَ الذي لَمْ يَكُنْ مِنْ بابِ الصُّدْفَةِ لِمَجْمُوعِ أَشْعَارِهِ (أَغَانِي الحياة).

وَلَو اعْتَمَدْتَ تَوَارِيخَ قَصَائِدِهِ المَشْحُونَة بِأَشْجَانِ الغُرْبَةِ وَأَهَازِيجِ التَّوقِ إِلى نُورِ الحُرِّيَّةِ، وَرَبَطْتَ مَعَانِيهَا بِالظُّرُوفِ التَّارِيخِيَّةِ لِبِيئَتِهِ التُّونِسِيَّةِ فِي عِشْرِينَاتِ وَثَلاثِينَاتِ القَرْنِ المَاضِي لَتَجَلَّى لك أَنَّ سِيَاسَةَ التَّجْنِيسِ وَالتَّجْهِيلِ وَالتَّفْقِيرِ وَالفَرْنَسَةِ وَمَنْ وَرائِهَا الرَّغْبَةُ الاِسْتِعْمَارِيَّةُ فِي القَضَاءِ عَلَى الشَّخْصِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ،



أبو القاسم الشّابّي
صاحِبُ قَصِيد « إرادة الحياة»

هِيَ التِي كَانَتْ في أَصْلِ نَشْأَةِ ذلكَ الشُّعُورِ بالاِغْتِرابِ وَالتَّشَرُّدِ في نَفْسِ أَبِي القاسِمِ الشَّابِّي «الحَسَّاسِ الشَّقِيِّ بِحَساسِيَّتِهِ» [1]، وَكَذَلِكَ فِي نُفُوسِ الأُدَبَاءِ التُّونِسِيِّينَ الأَيْقَاظِ زَمَنَئِذٍ مِنْ أَمْثَالِ سَعِيدٍ بُوبَكْرٍ [2]، والطّاهر الحدّاد [3]، وَمُحمّد الحلِيوِي وَمُحمَّد البَشْرُوش [4].

وَلَوْ قُمْنَا بِإِحْصاءِ كَلِمَةِ «الحياة» وَمَا يُرَادِفُهَا في أَشْعَارِ الشابِّي وَآثَارِهِ الأُخْرَى لَطَالَتِ القَائِمَةُ. وَلَوْ تَمَادَيْنَا في ذِكْرِ وَطَنِيّاتِهِ وَمَا يُرَافِقُهَا مِنْ مَعَانِي إِرادَةِ الحَيَاةِ لاَحْتَجْنَا إِلَى تَخْصِيصِ بابٍ كامِلٍ لَهَا. وَيكْفِيكَ في هذا المَقَامِ التَّذْكِيرُ بِبَعْضِ العَنَاوِينِ : «نَظْرَةٌ في الحَيَاةِ» و «الصَّيْحَةِ» و«إلى الطَّاغِية» و «النَبيّ المجهولِ» و«صَوْتٌ مِنَ السّماء» و «إلى الشَّعْبِ» وَ «إِرَادَةِ الحياة».

وَهَذِهِ القَصِيدَةُ الأَخِيرَةُ نَظَمَها الشَّابِّي يوم ***16*** سبمتبر ***1933*** بَعْدَ المُقَابَلَةِ التي أَجْرَاهَا مَعَ الزَّعِيمِ الوَطَنِيِّ الطّاهِرِ صَفر (***1903-1942***)، فَأَهْدَاهَا إلى المُجَاهِدِينَ التُّونِسِيّين، وإلى الأَحْرارِ في كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ إِذْ تَجَاوَزَ بِهَا الحُدُودَ الإِقْلِيمِيَّةَ المَكَانِيَّةَ وَالزَّمَانِيَّةَ، وَأَكْسَبَهَا أَبْعَادًا إِنْسَانِيَّةً خالِدَةَ، فَرَدَّدَتِ الأَجْيالُ مِنْهَا خاصَّةً قَوْلَهُ :

« إِذَا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الحَيَاةْ * فَلاَ بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ القَدَرْ »

« وَلاَ بُدَّ لِلَّيْلِ أَنْ يَنْجَلِي * وَلاَ بُدَّ لِلقَيْدِ أَنْ يَنْكَسِرْ »

---

[1] راجع في هذا الموضوع : أحمد خالد «الغُرْبَةُ في أدب الشّابّي – مفْهومُها وأبعادُها» مِنْ كِتاب المُؤلّف «شَخْصِيّات وتيارات» ط. الدّار العربيّة للكتاب ***1982***، ص ***136-165***

[2] راجع أحمد خالد «سعيدٌ بُوبكر وَغُرْبَةُ جيل» مِنْ كتاب المؤلّف بعنوان «شَخْصِيّاتٌ وَتَيّاراتٌ» ط. الدّار العربية للكتاب ***1982***، ص ***76-111***

[3] راجع أحمد خالد «النّضالُ والثَّوْرَةُ في أدب الطّاهر الحدّاد» نفس المرجع السّابق ص ***232-264***

[4] هُما مِنْ أَصْدقاءِ الشّابي الأدباء راجع رسائِلَهُمَا في مجموعة «رسائل الشّابّي» التي نَشَرَهَا أبو القاسم محمَّد كرُّو.

«وَمَـنْ لَـمْ يُعَانِقْهُ شَوْقُ الحيـاة * تَبَخَّـرَ فـي جَوِّهَـا وَانْدَثَـر»

«إذا طَمَحَـتْ للحـيـاةِ النُّفُـوسُ * فَلاَ بُـدَّ أَنْ يَسْتَجِيـبَ القَـدَر» [1]

إرادةُ الحياةِ مِنْ أَدبيَّاتِ جِيلِ حَشّاد

نَعَمْ، إِنَّ إرادَةَ الحياةِ وَمَا يَحْدُوهَا مِنْ أَمَلٍ فِي التّحرُّرِ وَعَزْمٍ على كَسْرِ أَغْلاَلِ الاِسْتِبْدادِ وَالاِسْتِعمارِ قائِمَةٌ فِي صُدورِ أَعْلاَمِ جيلِ فَرْحَاتْ حشّاد وَمَن قَارَبَهُ سَبْقًا أَوْ لِحَاقًا، حَادِثَةٌ عَنْ فِكْرِهِمْ، مُخْتَلِجَةٌ فِي وُجْدانِهِمْ، مُتَجَلِّيَةٌ في أَدَبِيَّاتِهِمْ كَمَا عَبَّرَ عَنْهَا الشَّاعِرُ العِصَامِيُّ سَعِيدُ بُوبَكْر في أُنْشُودَةِ «الأَمَل» مِنْ دِيوَانِهِ «السَّعِيدِيّاتِ» الصّادِرِ عامَ *1927* [2] وَمِنْهَا قَوْلُهُ :

«سُدْ ما اسْتَطَعْتَ على ابنِ آدَمَ يـا أَمَـلْ * أَنْتَ الحيـاةُ وَأَنْتَ مـا فيـها أَجَـلْ

كَـمْ بائِـسٍ أَنْعَشْـتَ فِيه حَيَاتَــهُ * وَجَعَلْتَـهُ يَرْنُـو إِلَيْـكَ بِلاَ مُقَــلَ

وَمُحَاصَــرٍ فِي أَرْضِهِ لَـوْلاَكَ ما اسْـ * طاعَ الوُقُوفَ أَمامَ أَطْماعِ الدُّوَلْ !!!»

علاقةُ فرحات حشّاد بِسعيدٍ بُوبكر

كَانَ فَرْحَات حشّاد يُبْدِي اهْتِمَامًا بِالوَسَطِ الأَدَبِيِّ وَالإِعْلاَمِيِّ الوَطَنِيِّ. وَفِي هذا المَوْضُوعِ أَفَادَنِي ابْنُ خَالَتِهِ وَرَفِيقُ دَرْبِهِ الأُسْتاذ مُحمَّد بن رُمضان أَنَّ الزَّعِيمَ النَّقَابِيَّ كَانَتْ تَرْبِطُهُ صَداقَةٌ مَتِينَةٌ بِالشَّاعِرِ المَوْهُوبِ وَالإِعْلاَمِيِّ الوَطَنِيِّ الفَنَّانِ سَعيدٍ بُوبَكْر (*1899-1948*)، فَكَانَ يَصْطَحِبُهُ فِي بَعْضِ جَوْلاَتِهِ.

---

[1] أحمد خالد «الغُرْبَةُ في أَدَبِ الشّابّي – مفهومُها وأبعادُها» من كتاب «شخصيّات وتيّارات» انظر خاصّةً ص *159-160*.

[2] سعيد بوبكر «السّعديّات» تقديم الشّيخ راجح إبراهيم. المطْبعة الأهليّة – تونس *1927* ص *16* وما بعدها.

فهْو الصّدّاحُ الصَّنّاجُ بِصَوْتِ تُونس في اجْتِماعِيَّاتِهِ وَسِياسِيَّاتِهِ نَثْرًا وَشِعْرًا، كَمَا فِي مَقَالاَتِهِ بِصُحُفِ «النَّدِيم» و«الصَّواب»، وَ «الوَزير»، وَ«لِسانِ الشَّعْبِ»، وَ«مُرْشِد الأُمَّة»، وَ«الزّمانِ» وَ«الزُّهْرَة»، وَفِي مَجَلَّةِ «العالَم» التي تَسَوَّغ امْتِيَازَهَا لِمُدَّةِ ثَلاَثَةِ أَعْوَامٍ، وَمَجَلَّةِ «تونس المُصَوَّرَة» التي أَصْدَرَهَا في سنةِ **1937** حتَّى احْتِجابِهَا في ديسمبر **1942**، ثُمَّ عَوْدَتِهَا لِلظُّهُورِ في عام **1945**.

وَفِي رَوائِعِهِ الشِّعْرِيّةِ بديوانِ «السَّعيديّات» الصَّادِرِ في عام **1927** بِمُقَدِّمَةٍ عَمِيقَةِ المُحْتَوى لِرَجُلِ الفِكْرِ وَالقِيَادِيِّ الدُّسْتُورِيِّ راجِحْ إِبْرَاهِيم عَبَّرَ سَعِيدٌ بوبَكر عَنْ غُرْبَةِ شَبَابِ جِيلِهِ في وَطَنِهِم السَّلِيبِ، وَأَسْمَعَنَا أَنِينَ تُونِسَ وَشَجاها في يَأْسِ أَهْلِهَا وَأَمَلِهِمْ تَحْتَ كابُوس الاِحْتِلاَلِ كَمَا فِي رَائِعَتِهِ « أُنْشُودَةِ الأَعْمَى». وَهَذَا العُنْوانُ كِنَايَةٌ عَنِ الشَّاعِرِ نَفْسِهِ الذي أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ كَيْ لَايَرى هَوْلَ مُعانَاةِ شَعْبِهِ السَّجِينِ فِي وَطَنِهِ.

وَفِي قَرِيضِ سعيدٍ بُوبَكر إِذْكاءٌ لَطِيفٌ لِلشُّعورِ الوَطَنِيِّ كَما في هذا المَقْطَعِ مِنْ مُخَمَّسِ «أُنْشُودَةِ الأَعْمَى» :

«إِنَّ صَوْتَ الشَّعْبِ فِي عَبْرَتِـــهِ * يُوقِــفُ العَابِــرْ»
«طَمَسَ الأَعْدَاءُ فِي كُرْبَتِـــهِ * مَجْدَهُ الغَابِــرْ»
«وَ(الغَرِيـبُ) اليَوْمَ فِي غُرْبَتِــهِ * عَقْــرَبٌ آبِــرْ»
«خَبِّرونِـي كَـمْ أَبِـيٍّ قَهَــرُوا * فَانْحَنَـى حَتْمًــا»
«وانْظُرُوا ظُلْمًا وَجَوْرًا واذْكـرُوا * أَنِّـي الأَعْمَـــى» [1]

---

[1] راجع أحمد خالد «سعيد بُوبكر وَغُرْبَة جيل» في كتاب «شَخْصِيَّات وَتَيّارات» نشر الدّار العربيّة للكتاب. تونس *1982*، ص *78-111*



أنا ما دمت في الحياة "سعيد" .. رغم حزني به وحزني عليه
هذه صورتي فإن قيل: إني .. قد نبذت الحياة فارجع إليه

٢٥/٦/٩٢٧

الشّاعِرُ سَعِيدٌ بُوبَكر في عام 1927

وَقدْ تغَنَّى الأَدِيبُ المُصْلِحُ الطّاهر الحدّاد المُتَوَفَّى عام *1935* بإرادةِ الحياة في أَدَبيَّاتِهِ نثْرًا وَشِعْرًا فَغذَّتْ نِضالَهُ كما في قَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَهِ «طالَ بِنَا النَّوْمُ» :

« إرَادَةُ الشَّعْبِ مُرَادُ السَّمَا * وَكُلُّنَا تلقاءَهَا رَاكِعُ »(1)

وَكَانَ فَرْحاتْ حَشّاد الذي يَنْتَمِي إِلَى ذَلِكَ الجِيلِ القِيَادِيِّ بِالفِكْرِ وَالعَمَلِ، مَسْكُونًا – مِثْلَ الشَّابي – بِإِرَادَةِ الحَيَاةِ. وَقَدِ اتَّخَذَ خِطَابُهُ مَعَ الأَيَّامِ مَنْحًى سِيَاسِيًّا وَطَنِيًّا وَاضِحًا ظَلَّ يَتَصَاعَدُ فِي تَحَدِّي الاِسْتِعْمَارِ وَالمُطَالَبَةِ بِاسْتِقْلَالِ تُونس وَسَائِرِ أَقْطَارِ المَغْرِبِ العَرَبِيِّ. أَلاَ تَرَاهُ يَقُولُ فِي خِطَابِهِ (غُرَّة مَاي *1951*) :

«لاَ تحْرِيرَ لِتُونِسَ وَلاَ لِلْجَزَائِرِ أَوْ مَرَّاكُشْ مَا دَامَ هَذَا المَغْرِبُ العَظِيمُ يَرْزَحُ تَحْتَ أَثْقَالِ الاِسْتِعْمَارِ...» إِلَى أَنْ يَقُولَ قَبْلَ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ مِن انْدِلاَعِ الثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ الحَاسِمَةِ (جَانفِي *1952*) :

«هُنَاكَ أَزْمَةٌ مُخَيِّمَةٌ عَلَى البِلاَدِ. وَهَذِهِ الأَزْمَةُ سِيَاسِيَّةٌ تَتَجَسَّمُ فِي بَقَاءِ هَذَا المَجْلِسِ الحَقِير (المَجْلِس الكَبِير) الذِي يَعْمَلُ لِفَائِدَةِ أَقْطَابِ الاِسْتِعْمَارِ. وَقَدْ أَصْبَحَ مُمَثِّلُ فِرَنْسَا مُحْتَارًا فِي أَيِّ الطُّرُقِ يَسْلُكُ... وَلَكِنَّ شُعُورَ القَوْمِيَّةِ يَنْمُو فِي التُّونُسِيِّ فَيَزِيدُ إِيمَانًا بِأَنَّ الشَّعْبَ التُّونُسِيَّ لَمْ يَبْقَ وَحْدَهُ. فَلَنَا أَنْصَارٌ فِي الدُّنْيَا وَشُعُوبٌ فِي العَالَمِ حَكَمَتْ عَلَى الاِسْتِعْمَارِ بِالمَوْتِ. وَإِنَّ العَالَمَ بِأَجْمَعِهِ لَيَنْظُرُ إِلَى الشَّعْبِ التُّونُسِيِّ... عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَعِدَّ لِتَدْمِيرِ مَعَاقِلِ الاِسْتِعْمَارِ تَدْمِيرًا إِذْ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَعِيشَ التُّونُسِيُّ مَحْرُومًا مِنْ حُرِّيَّاتِهِ... إِنَّنَا نُعَاهِدُ الشُّهَدَاءَ عَلَى مُوَاصَلَةِ الكِفَاحِ لِتَحْقِيقِ الرَّغَائِبِ القَوْمِيَّةِ وَإِزَالَةِ الكَابُوسِ أَحَبَّ الاِسْتِعْمَارُ أَمْ كَرِهَ. وَلْتَحْيَا تُونِسُ عَزِيزَةً مُكَرَّمَةً». فَهَذَا بَيَانٌ لِزَعِيمٍ سِيَاسِيٍّ يَتَجَاوَزُ حَجْمَ الزَّعَامَةِ النِّقَابِيَّةِ فِي مَرْحَلَةٍ حَاسِمَةٍ مِنْ تَارِيخِ تُونِس قُبَيْلَ الثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ(2).

---

(1) رَاجِعْ «الأَعْمال الكامِلة» للطّاهر الحدّاد، تقديم وإشرافِ أحمد خالد. منشورات وزارة الثقافة والدّار العربيّة للكتاب. تونس *1999*، المُجلّد الثّالث ص *332-333*.

(2) رَاجع النَّصَّ الكَامِلَ لِخِطَابِ فَرْحَات حَشَّاد (غُرَّة مَاي *1951*) بِالمَلاَحِق.



الطّاهر الحدّاد

وَفِي نَفسِ يَوْمِ اسْتِشْهَادِ فَرْحَاتْ حَشَّاد (5 ديسمبر 1952) صَدَرَ لَهُ مَقالٌ بمَجَلَّةِ «النَّدْوَةِ» يُبَيِّنُ فِيهِ تَشَابُكَ النِّضَالَيْنِ النِّقَابِيِّ وَالتَّحْرِيرِيِّ، وَيُفَسِّرُ تَرَابُطَهُمَا كَمَا يَلِي:

«يَجِدُ العَامِلُ نَفسَهُ فِي المَغْرِبِ وَالجَزَائِرِ وَتُونِسَ مُضْطَلِعًا بمَسْؤُولِيَّتَيْنِ يَجِبُ عَلَيْهِ تَأْدِيَتُهُمَا: أُولاَهُمَا التَّحَرُّرُ الاِجْتِمَاعِيُّ، وَثَانِيَتُهُمَا التَّحَرُّرُ الوَطَنِيُّ. فهُوَ فِي الوَاقِعِ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحُدَّ نَشَاطَهُ فِي المُهِمَّةِ الأُولَى وَحْدَهَا لأَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنَ المُسْتَحِيلِ عَمَلِيًّا أَنْ يُحَقِّقَ مَطَامِحَهُ فِي الحَقْلِ الاِقْتِصَادِيِّ وَهوَ رَازِحٌ تحْتَ نِظَامٍ سِيَاسِيٍّ يُسَيْطِرُ عَلَى البِلاَدِ وَلاَ يَعْتَرِفُ لِشَعْبِهِ بالحُقُوقِ الأَوَّلِيَّةِ التِي تُحَدِّدُ شُرُوطَ حَيَاةِ الشُّعُوبِ...»[1]. فَهَلْ ثَمَّةَ بَيَانٌ أَوْضَحُ مِنْ هَذَا فِي تَعْلِيلِ تَرَابُطِ النِّضَالَيْنِ النِّقَابِيِّ الاِجْتِمَاعِيِّ، وَالسِّيَاسِيِّ التَّحْرِيرِيِّ، فِي مَسْلَكِ كِفَاحِ فَرْحَاتْ حَشَّاد؟

لاَ معْنَى لِلاسْتِقْلاَلِ بِدُونِ عدَالَةٍ اجْتِماعِيَّةٍ وَنِظَامٍ دِيمُقْرَاطِيّ

مِنْ ثَوَابِتِ فِكْرِ فَرْحَاتْ حَشَّاد إِيمَانُهُ بِأَنَّ «الاِسْتِقْلاَلَ السِّيَاسِيَّ - بِغَيْرِ الرُّقِيِّ الاِجْتِمَاعِيِّ وَسِيَادَةِ العَدَالَةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ وَتَغْيِيرِ القَوَاعِدِ الاِقْتِصَادِيَّةِ لِلنِّظَامِ القَائِمِ (الاِسْتِعْمَارِيِّ الاِسْتِبْدَادِيّ) - لَيْسَ إِلاَّ إِغْرَاءً خَادِعًا خَطِيرًا...»[2].

وَمَقَالُهُ بِعُنْوَانِ «لِمَاذَا نُقَاوِمُ الاِسْتِعْمَارَ؟» الصَّادِرُ فِي جَرِيدَةِ «الحُرِّيَّة» (19 ديسمبر 1948) يُعْتَبَرُ مِنْ أَرْوَعِ مَا كَتَبَهُ فِي تَشْخِيصِ الاِحْتِلاَلِ الغَاشِمِ وَالاِسْتِعْمَارِ المُخَادِعِ بِشَتَّى أَشْكَالِهِ القَهْرِيَّةِ العَسْكَرِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّة

---

[1] راجع فِي المَلاَحق النّصّ الكَامِلَ لِمَقَال فَرْحَاتْ حَشَّاد «الحَرَكَة النّقَابِيَّة بِشَمَال إِفْرِيقيا» - مَجَلَّة النَّدْوَة 5 ديسمبر 1952.

[2] رَاجع تَفَاصِيل مَوْقِف فَرْحَاتْ حَشَّاد فِي هذَا المَوْضُوع مَثَلاً فِي مَقَالِهِ بِعُنْوَان «الحَرَكَةُ النِّقَابِيَّةُ بِشَمَال إِفْرِيقيَا» الصَّادِر بِمَجَلَّةِ النَّدْوَة - 5 دِيسمبر 1952 - أُنْظُرْهُ فِي المَلاَحِق.



فرحات حشّاد (السّابع مِنَ اليسار) وعلى يَمِينِهِ الصَّيْدَلِيُّ جلُّول بن شريفة رئيسُ الجامِعة الدُّستوريّة بالسّاحل وَسَط جَمْعٍ، وَخَلْفَهُم العَلَمُ التّونُسِيّ المُسْدَلُ على طول الجدَارِ، وَمَدْخَلُ الوَلِيِّ الصّالحِ سيدي بُوراوي بمدينةِ سُوسة العَتِيقَة.

وَالاجْتِمَاعِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّة. فَهوَ مَقَالٌ يُرِيكَ أَنَّ مَاضِيَ النُّزُوعِ الإِمْبِرْيَالِيِّ، المُتَذَرِّعِ فِي اسْتِعْمَارِ الشُّعُوبِ بِحَمْلِ المَدَنِيَّةِ إِلَيْهَا وَتَحْرِيرِهَا مِنَ الحُكْمِ المُطْلَق، أَشْبَهُ مِنَ المَاءِ بِالمَاءِ بِحَاضِرِ الإِمْبِرْيَالِيَّةِ الجَدِيدَةِ المُخَادِعَةِ لِلشُّعُوبِ وَالتي تَرْفَعُ شِعَارَاتِ الحُرِّيَّةِ وَالدِّيمُقْرَاطِيَّةِ وَمُقَاوَمَةِ الاِسْتِبْدَادِ وَالدِّفَاعِ عَنْ حُقُوقِ الإِنْسَانِ فِي نِظَامِ شَرْقِ أَوْسَطِيٍّ جَدِيدٍ، كَمَا يَحْدُثُ فِي هَذَا الزَّمَنِ العَرَبِيِّ وَالإِسْلاَمِيِّ الفَاجِعِ. بَيْدَ أَنَّ فَرْحَاتْ حَشَّاد يَظَلُّ فِي مَقَالِهِ قَوِيَّ الإِيمَانِ بِإِرَادَةِ شَعْبِهِ وَسَائِرِ الشُّعُوبِ المَظْلُومَةِ لِكَسْرِ طَوْقِ الاِسْتِعْمَارِ مَهْمَا كَانَ عَتِيًّا[1].

وَيَظَلُّ فَرْحَاتْ حَشَّاد مُرَدِّدًا بِأُسْلُوبِهِ السَّاحِرِ وَلُغَتِهِ النَّافِذَةِ الرَّشِيقَةِ فِي غَيْرِ مَا مُنَاسَبَةٍ «أَنَّ إِرَادَةَ الشُّعُوبِ وَعَزِيمَةَ الرِّجَالِ لاَ تُقْهَرُ وَلاَ تُذَلُّ بِمَحْضِ اسْتِعْمَالِ القُوَّةِ المَادِّيَةِ الغَاشِمَة، بَلْ تُقَوِّيهَا وَتُغَذِّيهَا مَا دَامَتِ الرُّوحُ لَمْ تُفَارِقِ الجِسْمَ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمَا نَجَحَتِ الأَعْمَالُ التَّارِيخِيَّةُ العَظِيمَةُ التِي حَوَّلَتْ مَجْرَى الأُمُورِ، وَلَمَا تَقَدَّمَتْ فِكْرَةُ التَّقَدُّمِ الاِجْتِمَاعِيِّ، وَلَمَا نَهَضَتِ الأُمَمُ مِنْ كَبْوَتِهَا.»[2]

فَالمُنَظَّمَةُ النّقَابِيَّةُ إِذَنْ - فِي تَصَوُّرِ فَرْحَاتْ حَشَّاد وَضِمْنَ حَرَكِيَّتِهِ النِّضَالِيَّةِ - قَدْ «جَاءَتْ مُعَزِّزَةً لِلْكِفَاحِ القَوْمِيِّ وَمُدَعِّمَةً لِجُيُوشِهِ البَوَاسِلِ» عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِهِ فِي مَقَالٍ آخَرَ لَهُ بِعُنْوَانِ «الحَرَكَةُ النّقَابِيَّةُ تَنْهَضُ بِالشَّعْبِ» صَادِرٍ بِجَرِيدَةِ «الحُرِّيَّة»[3].

وَفَضْلاً عَنِ ارْتِبَاطِهِ العِضْوِيِّ بِالحِزْبِ الحُرِّ الدُّسْتُورِيِّ (الجَدِيد) وَزَعِيمِهِ الحبيب بُورقِيبَة وَالمُحَامِي المُنَاضِل الهَادِي نويرَة خُصُوصًا فِي جَرِيدَةِ «الرِّسَالَة» (***Mission***) كَمَا سَنُبَيِّنُهُ، فَقَدْ رَبَطَ فَرْحَاتْ حَشَّاد صِلَةً وُثْقَى بِالمُنَظَّمَات الوَطَنِيَّة

---

(1) رَاجع المقَال فِي نَصِّهِ الكَامِلِ بِالمَلاَحِق.

(2) رَاجع النّصّ الكَامل فِي المَلاَحِق - مَقَال «لِنُقَاوِم العُنْف» جريدَة «الحُرِّيَّة» ***4*** ديسمبر ***1949***.

(3) ***12*** اكتوبر ***1949*** رَاجع النّصّ الكَامل فِي المَلاَحِق.



فرحات حشّاد الثّاني على اليَمِين في حَشْدٍ مِنَ المُناضِلاتِ التّونسيّاتِ
مِنَ الجِيلَيْنِ التَّقْلِيدِيِّ المحَافِظِ وَالعَصْرِيِّ المُتَحَرِّر

كَاتِّحَاد الصِّنَاعَةِ وَالتِّجَارَةِ، وَالْمُنَظَّمَةِ الكَشْفِيَّةِ التِي كَانَ يَزُورُ مُخَيَّمَاتِهَا، وَالحَرَكَةِ النِّسَائِيَّة (الاتِّحَاد النِّسَائِيِّ) التِي كَانَ يَدْعَمُهَا وَيُشَجِّعُهَا عَلَى المُشَارَكَة فِي الحَرَكَةِ النّقَابِيَّةِ. وَمِثَالُ تِلْكَ المُشَارَكَةِ النِّسْوِيَّةِ شريفَة المسعدِي، زَوْجَةُ الأَدِيبِ المُبْدِعِ وَالمُنَاضِلِ مَحمُود المسْعدِي، التِي كَانَتْ تَنْشَطُ فِي جَامِعَةِ المُوَظّفِين. وَتَشْهَدُ أُمُّ الخير، زَوجَةُ فرحات حشّاد، بأَنَّهُ «أَلَحَّ عليها في عَدِيدِ المَرَّاتِ أَنْ تَنْزَعَ الحِجَابِ (السّفساري) إذْ كان مُتَفَتِّحًا مُؤْمِنًا بِحُرِّيَةَ المرأة الوَاعِيَةِ المُتَعَلِّمَةِ الجادّةِ المُسْتَقيمة» [1]

وكَانَ حَشَّاد لاَ يَنْقَطِعُ عَنْ زِيَارَةِ الطَّلَبَةِ المُزَاوِلِينَ دِرَاسَتَهم بفِرَنْسَا كُلَّمَا حَلَّ فِي مُهِمَّةٍ بِبَارِيس، فَيُشَجِّعُهُمْ، وَيَقُومُ مُحَاضِرًا عَلَى مِنْبَرِهم كَمَا أَشَرْتُ إِلَى ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ مُسْتَشْهِدًا بِعَيِّنَاتٍ مِنْ خِطَابِهِ بِنَادِي جَمْعِيَّةِ طَلَبَةِ شَمَال إِفْرِيقيَا المُسْلِمِين (*A.E.M.N.A.*) بِبَارِيس (راجع القسم الفرنسيّ).

وَنَجِدُ فَرْحَات حَشَّاد مُنْذُ تَأْسِيس مُنَظَّمَتِهِ مُشَارِكًا فِي مُؤْتَمر لَيْلَةِ القَدْر لِلْحِزْبِ الحُرِّ الدُّسْتُورِيِّ الجَدِيد فِي ***23*** أُوت ***1946*** وفْقَ شهادَةِ مُحمّد بن رُمضان. وَفِي ذَلِكَ المُؤْتَمر تَقَرَّرَ لأَوَّل مَرَّةٍ مُنْذُ انْتِصَابِ الحِمَايَةِ الفِرَنْسِيَّة بتُونس مُصَادَقَةُ المُؤْتَمرِينَ مِنْ مُخْتَلَفِ التَيَّارَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الوطَنِيَّةِ عَلَى مِيثَاقٍ يَعْتَبِرُ الاِسْتِقْلاَلَ التَّامَّ الهَدَفَ المَنْشُودَ وَيحْكُمُ عَلَى الاِسْتِعْمَار بِالمَوت. كَمَا نَجِدُ حَشَّاد مُنَظِّمًا وَمُحَرِّكًا لإِضْرَابَات أُوت ***1946*** لِلْمُطَالَبَةِ بِإِطْلاَقِ سَرَاحِ الوَطَنِيِّين الذِينَ اعْتُقِلُوا إِثْرَ انعِقَادِ مُؤْتَمرِ لَيْلَةِ القَدْر.

التَّدرُّجُ نحوَ بعثِ منظَّمةٍ نقابيَّةٍ وطنيَّة

بُعَيْدَ سَيْطَرَةِ الشُّيُوعِيِّينَ عَلَى الاتِّحَادِ الإقْلِيمِيِّ لِلْكُنْفِيدِيرَالِيَّةِ العَامَّةِ للشُّغْلِ (***U.D.C.G.T***) فِي مُؤْتَمَرِهَا الثَّامِنِ عَشَر المُنْعَقِدِ بِتونس (***18-19*** مارس ***1944***)،

[1] مجلّة «حقائق» ***8-14*** ديسمبر ***2005*** – حوار مع أمّ الخير أجراه المنصف بن فرج، ص ***14***



فرحات حشّاد (الرَّابع من اليسار)
يرأس اجتماعًا نقابيًا (قد يَكونُ مُؤْتَمرًا)

حَيْثُ أُزِيحَ الاشتِراكِيُّ «أَلْبِيرْ بُوزِنْكِي» صَدِيقُ فَرْحات حشّاد عن القِيَادَةِ النَّقَابِيَّةِ، وَانْتُخِبَ خَصْمُهُ الشُّيُوعِيُّ «جُورْج بُورُوبانْ» خَلَفًا لَهُ، بَادَرَ فَرْحات بتقديمِ اسْتِقالَتِهِ مِنَ الاتِّحَادِ المَحَلِّي لِلسِّيجِيتِي بِصفاقس (27 مارس 1944)، وَبَدَأَ يُفَكِّرُ في إِنْشَاءِ مُنَظَّمَةٍ نِقَابِيَّةٍ جَدِيدَةٍ مُنْذُ شَهْرِ اكتوبر 1944.

وَلِهَذَا الغَرَض انْعَقَدَ بِصَفَاقس في 19 نُوفمبر 1944 اجْتِمَاعٌ تَأْسِيسِيٌّ لِاتِّحادِ النَّقَابَاتِ المُسْتَقِلَّةِ لِعُمَّالِ الجَنُوبِ التُّونِسِيِّ بِنَوَاةٍ أُوْلَى مُمَثِّلَةٍ لِبَعْضِ قِطَاعَاتِ الشُّغْلِ بِعَاصِمَةِ الجَنُوبِ، كَالأَشْغَالِ العَامَّةِ، وَالبَرِيدِ وَالبَرْق، وَإِدَارَةِ المَالِيَّةِ، وَالتَّعْلِيمِ العُمُومِيّ، وَأَعْوَانِ البَلَدِيَّةِ، وَالمُسْتَشْفَى الجِهَوِيّ، وَدِيوَانِ الزَّيت، وَبعضِ الشَّرِكَاتِ كصفاقس - قفصَة، وَعُمَّالِ الرَّصِيف وغيرهم.

وَأَفْضَى الاجْتِمَاعُ التَّأْسِيسِيُّ إلى تَعْيِينِ هَيْئَةٍ إِدَارِيَّةٍ وَقْتِيَّة لِمُتَابَعَةِ نشاطِ الحَرَكَةِ العُمَّالِيَّةِ الجديدة بالجنوبِ التُّونِسِيِّ، فَتَرَأَّسَ فَرْحات حشّاد تِلْكَ الهَيْئَةَ بِصِفَتِهِ كَاتِبًا عامًّا، وَعَاضَدَهُ مَسعود علي سَعد (كاتب عامّ مُساعد)، وَعبدُ العزيز بوراوي (أمين مال)، والحبيب عاشور (أمين مال مساعد أوّل)، وعبد اللّه جابر (أمين مال مساعد ثان)، وَأَرْبَعَةُ وَثَّاقِين هُمْ مُصطفَى القرقوري، وَعَبْد اللّه زنّات، وعلي الفقي، وَمُحمّد مِقْدِيش، وَثلاثَةُ أعضاء هُمْ مُحمّد الكافِي، وعامِر كَمُّون، وَمَخْلوف العَيَّادِي. وَتَمَّ إِيداعُ القانونِ الأَسَاسِيِّ بالمُراقبَةِ المَدَنِيَّةِ بصفاقُس يوم 23 مارس 1944.

وَلَمَّا اسْتَقام الأَمْرُ لِفَرحَات حَشَّاد وَتَوَسَّعَتْ دائِرَةُ حَرَكَتِهِ النَّقَابِيَّة المُسْتَقِلَّةِ في الجَنُوبِ التُّونِسِيّ أَحْدَثَ «اتِّحَادَ النِّقَابَات المُسْتَقِلَّة فِي الشَّمَالِ» انْطِلاقًا مِنَ العَاصِمَة، وَصرفَ جُهْدَهُ كُلَّهُ لِلْعَمَل النِّقَابِيّ بَعْدَ تَفَرُّغِهِ الإِدَارِيِّ لِمُدَّة خَمْسَةِ أَعْوَام، فَحقَّقَ أَكبَرَ كَسْبٍ لِحَرَكَتِهِ بجَلْبِ «الجَامعَةِ التُّونُسِيَّة لِلْمُوظّفِين» إلى صَفِّهِ بقِيَادَةِ كَاتِبهَا العامّ الصّادق الشَّايْبي. وَيَعُودُ تَأْسِيسُهَا إلى عام 1936. وَهي التي أَمدَّتِ المُنَظَّمَةَ الشَّغِيلَةَ بِجُلِّ إِطَارَاتِهَا وَمنهُمْ العَدِيدُ مِنَ الدُّسْتُورِيِّينَ.



فرحات حشّاد (الثّالث مِنَ اليَسار) في اجتماعٍ نِقَابِيٍّ بسوسة (نهج فرانسا) عام *1950*. وعلى يَمينِهِ المُناضِلُ بُوجُمَعْة الغَرْبِي وَهو من أصْلٍ جَزائِرِيٍّ اضْطَهَدَتْهُ السُّلْطَةُ الاِسْتِعمارِيَّةُ حَيْثُمَا حَلَّ فَرعَاهُ حَشَّاد.

وَهَكَذَا اتَّحدَتِ القُوَّتَان : قُوَّةُ الفِكْرِ وَقُوَّةُ السَّاعِدِ بِتَوازُنٍ بَيْنَهُمَا (***4000*** مُوَظّف، و ***4000*** عامِلِ مِنَ المُنْخَرِطِينَ في الحَرَكَةِ في بِدَايَتِهَا). وَأَفْضَتْ جُهُودُ حَشّاد فِي نِهَايَةِ الأَمْرِ إِلَى عَقْدِ المُؤْتَمَرِ التَّأْسِيسِيِّ لِلاتِّحَادِ العَامِّ التُّونُسِيِّ لِلشُّغْل (***UGTT***) فِي ***20*** جَانفي ***1946*** بِمَقَرِّ الخَلْدُونِيَّةِ.

وَفَرْحَات حَشَّاد هُوَ الذِي ابْتَكَرَ اسْمَ المُنَظَّمَةِ وَشِعَارَهَا. وَانْتُخِبَ كَاتِبًا عَامًّا لِقِيَادَتِهَا. وَأُسْنِدَتِ الرِّئَاسَةُ الشَّرَفِيَّةُ إِلَى الشَّيْخِ العَلاَّمَة الفَاضل ابن عَاشُور إِرْضَاءً لِلْمُوَظَّفِينَ وَالزَّيْتُونِيِّينَ.

وَقَدْ سُقْتُ فِي القِسْمِ الفِرَنْسِيِّ مِنْ هَذَا الكتابِ تَفَاصِيلَ ضَافِيَةً عَنْ ظُرُوفِ نَشْأَةِ الاتِّحَادِ العَامِّ التّونُسِيّ للشُّغْلِ، وَعَرَّفْتُ بِمُوَاجَهَةِ مُؤَسِّسِهِ لِلمُنَاوَرَاتِ الاسْتِعْمَارِيَّةِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلاَلِ قِرَاءَةٍ جَدِيدَةٍ لِوَثَائِقِ الاِسْتِعْلاَمَاتِ العَامَّةِ لِلبُولِيس السِّيَاسِيِّ الذي كَانَ يَرْصُدُ فَرْحَاتْ حَشَّاد وَمُنَظَّمَتَهُ. فَلْيَعُدِ القَارِئُ إِلَى المَعْلُومَاتِ وَالتَّحَالِيل الإِضَافِيَّةِ الهَامَّةِ فِي القِسْمِ الفِرَنْسِيِّ مِنَ الدِّرَاسَةِ المُسْتَنِدَةِ بِالخُصُوص إِلَى وَثَائِقِ الأَرْشِيفِ الوَطَنِيِّ التُّونِسِيِّ[1] وَغَيْرِهِ مِنَ الأَرْصِدَةِ وَالدّراسات[2].

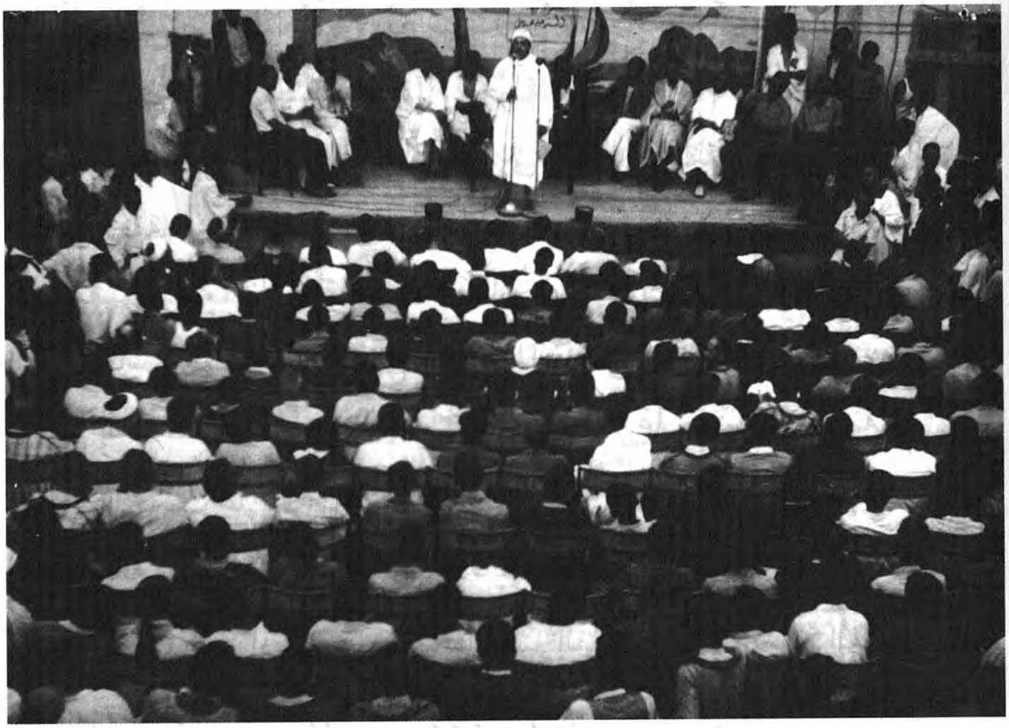
العلاقة بين فرحات حشّاد والشيخ الفاضل ابن عاشور

حَدَّثَنِي ابنُ خَالَةِ فرحات حَشّاد وَرَفِيقُ دَرْبِهِ الأُسْتَاذُ مُحمّد بن رُمْضَان فقال : «عِشْتُ ظُرُوفَ قِيَامِ تِلْكَ العَلاَقَةِ بَيْنَهُمَا. كَانَ فَرحات بَعْدَ انتِقَالِهِ إِلَى العَاصِمَةِ فِي ظُرُوفِ الإِعْدَادِ لِبَعْثِ الاِتّحَادِ العَامّ التُونِسِيِّ للشُّغْلِ يَسْكُنُ بَيْتًا بِنَهْجِ المِستيري فِي المَدِينَةِ العَتِيقَةِ. وَحِينَمَا يَتَغَيَّبُ فِي مُهمّاتٍ نَقَابِيَّةٍ خَارِجَ العَاصِمَةِ يَدْعُونِي لِلسَّهَرِ على أُسْرَتِهِ النَّاشِئَةِ. وَقَدْ بَدَأَ يَبْرُزُ شَأْنُهُ وَيُصْبِحُ لَهُ صِيتٌ».

---

(1) *Archives Nationales deTunisie. Série E : Mouvement National. Carton 8, dossiers 1,2,3.*

(2) انْظُر القَائِمَة المَرْجِعِيَّةِ وَالمَلاَحِق.



الشَّيْخ الفاضل ابن عاشور يَخطُبُ في الخَلْدُونيَّة

وَكَانَ الشَيْخُ الفاضل ابن عاشور مِنَ المُعْجبِينَ بهِ، وكُنْتُ مِنْ تَلاَمِيذِهِ في جَامِعِ الزَّيْتُونَةِ أتَابعُ دُرُوسَهُ لإِعْدَادِ شَهَادَةِ العَالِمِيَّةِ بالقِسْمِ الأَدَبيِّ، فَقَالَ لِي يَوْمًا: «أَعْلَمُ أَنَّ لَكَ قَرَابَةً بسِي فَرْحَات، فَقُلْت نعَمْ. فقَالَ : بِودّي أنْ أَتَعَرَّفَ عَلَيْهِ، فَاسْعَ إلى تَقْدِيمِهِ إِلَيَّ لِيَنَالَنِي شَرَفُ مَعْرِفَتِهِ».

وَظَلَّ ذَلِكَ الطَّلَبُ مَفْتُوحًا لِكَثْرَةِ تَنَقُّلُ فَرحات وَانْشِغَالِهِ المُتَوَاصِلِ بحَرَكَتِهِ حَتَّى صَادَفَ مَرَّةً في يَوْمِ سَبْتٍ مِنْ شَهْرِ أكتوبر أَوْ نوفمبر تَقْرِيبًا في عام *1945*، وَكَانَ فَرْحَاتْ يَسْتَعِدُّ لِلقِيَام بجَوْلَةٍ في مَدِينَةِ الكاف وَالشَّمَالِ الغَرْبيِّ، وَكُنْتُ أُرَافِقُهُ مِنْ بَيْتِهِ بنَهْجِ المِسْتِيرِي إلى مَكْتَبِهِ في المَقَرِّ الأَوَّلِ لِنَوَاةِ الاتِّحَادِ الكَائِنِ بزَنْقَةِ سيدي عامِر عدد*6* المُتَقَاطِعَةِ مع نَهج سيدي على عَزُّوز. فَلَمَّا وَصَلْنَا قُبَالَةَ مَقَرِّ جَمْعِيَّةِ الخَلْدُونِيَّةِ بسُوقِ العَطَّارين، اعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ لأُفَارِقَهُ وَأَلْتَحِقَ بذَاكَ النَّادِي لِأَسْمَعَ مُحَاضَرَةَ الشَّيْخ العَلاَّمَةِ الفَاضِل ابن عاشور. وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الشَّيْخ إِلْقَاءُ مُحَاضَرات بانْتِظَام في كُلِّ يَوْمِ سبتٍ عَلَى مِنْبَرِ الخَلْدُونِيَّةِ.

وَأَلْحَحْتُ على فَرْحَات أَنْ يُرَافِقَنِي وَنَوَّهْتُ بخِصالِ الفاضِل وَسَعَةِ مَعْرِفَتِهِ وَرَوْعَةِ بَيَانِهِ وَأَشَرتُ إلى رَغْبَتِهِ في مُلاَقَاتِهِ.

وَبعْدَ تَرَدُّدٍ رَافَقَنِي فَرْحَات، فَدَخَلْنَا القَاعَةَ، وَكَانَ الشَّيْخُ الفاضِلُ يُلْقِي مُحَاضَرَتَهُ، فَلاَحَظَ حُضُورَنَا، فَأَشَارَ إِلَيْنَا مَرحِبًا.

وَأَنْصَتَ فَرْحات باهْتِمَام كَبير إلى المُحَاضِر مُنْبَهِرًا بسَعَةِ عِلْمِهِ وَفَصَاحَتِهِ. وَعَبَّرَ لِي أَيْضًا عَنْ إعْجَابِهِ بالقَاعَةِ، فَسَأَلَنِي : هَلْ بالإِمْكَانِ التِماسُ تَسْخِيرِهَا مِنْ قِبَلِ رَئِيس الخَلْدُونِيَّةِ الشَّيْخ الفَاضِل لِيَنْعَقِدَ بهَا المُؤْتَمَرُ التَّأْسِيسيُّ لِلاتِحادِ العامِّ التُّونِسِيّ للشُّغْل ؟ وَأَضَافَ فرحات قَوْلَهُ : إِنِّي أَبْحَثُ مُنْذُ مُدّةٍ عَنْ مَكَانٍ لائِقٍ مِثْلِ هذه القَاعَةِ لِاحْتِضَانِ أَشْغال مُؤْتَمرِنَا التَّأْسِيسِيّ.

قُلْتُ لهُ : «هَذِهِ فُرْصَةٌ سَانِحَةٌ لِمَعْرِفَةِ الشَّيْخ الفَاضِل وَمُكَاشَفَتِهِ في الأمْر، وَمَا أَظُنُّ أَنَّهُ يَرُدُّ لَكَ طَلَبًا. وَتَمَّ اللّقاءُ بَيْنَ الرَّجُلَيْن وَاتَّفقَا على تَسْخِيرِ قَاعَةِ

الخَلْدُونيّةِ لِإيواءِ المُؤْتَمرِ التَّأْسيسِيِّ الذي اِنْعَقَدَ بِهَا في **20** جَانفي **1946** بِرِئَاسَةِ الشّيخ الفاضِل ابن عاشور وَأُبَّهَتِهِ المَعْرُوفَة».

وَقَدْ أَفَادَنِي الأُستاذ مُحمّد بن رمضان أَيْضًا أَنَّ الشَّيْخَ الفاضل كَانَ يَتَعَمَّدُ الحُضورَ في الاِجتماعاتِ العُمُومِيَّة لِلاتِّحادِ بَعْدَ انطِلاقِهَا بِوقْتٍ قَليل لِيُثِيرَ الاِنْتِباهَ، فَيُسْتَقْبَلَ مِنْ قَبلِ الجُمْهُور بالتَّصْفِيق الحَادّ. ذَاكَ أُسْلُوبُهُ وفْقَ رِوايَةِ مُحمَّد بن رُمْضان. وَقَدْ جَاءَالشَّيْخ يَوْمًا إِلى سُوسَةَ لِحُضُورِ الاِجْتِمَاع العَامّ المُقَرَّرِ بِقَاعَةِ الأَفْرَاح القَدِيمَةِ المُتَواجِدَةِ آنَذاكَ تَحْتَ السُّور قُرْبَ زَاوِيَةِ سِيدِي يَحْيَى بنْ عُمَر، فَدَخَلَ الشَّيْخُ الفَاضِلُ ابن عاشور إِلى القَاعَةِ بَعْدَ انطِلاَقِ الاِجْتِمَاع، وَكَانَ فرحات حشّاد يُلْقِي كَلِمَتَهُ الاِفْتِتَاحِيَّةَ، فَقَاطَعَهَا الحَاضِرُونَ بِالهُتَافِ لِلشَّيْخِ الفاضل.

وَاسْتَغَلَّ بَعْضُ النَّقَابِيِّينَ مِنْ خُصُومِ الاتّحادِ العَامّ التُّونِسِيّ لِلشُّغْلِ فِي مَرْحَلَةِ نَشْأَتِهِ ذَلِكَ المَوْقِفَ لِلاِنْسِحَابِ مِنَ القَاعَةِ وَإِحْدَاثِ مَزِيدٍ مِنَ الجَلَبَةِ وَالفَوْضَى، وَتَبِعَهُمْ جَمْعٌ مِنَ الجُمْهُور. وَلَوْلاَ لَبَاقَةُ فَرْحَات وَسُرْعَةُ تَدارُكِهِ لِلأَمْرِ لِإِعَادَةِ الجُمْهُورِ إِلَى هُدوئِهِ لاَنْفَضَّ الاِجْتِمَاعُ، وَكَانَ فِي نِهَايَةِ الأَمْرِ نَاجِحًا رَغْمَ مَا تَخَلَّلَهُ مِنْ بَلْبَلَةٍ وَإِحْرَاجٍ.

وَيَذْكُرُ الأُسْتَاذ مُحمّد بن رُمضان مَوْقِفًا آخرَ يُشْبِهُ مَا تَقَدَّمَ، حِينَمَا حَضَرَ الشَّيْخُ الفاضل على عَادَتِهِ اجْتِمَاعًا نِقَابِيًّا عامًّا بَعْدَ انْطِلاَقِهِ وَقَدِ انْتَظَمَ ذلك الاِجْتِمَاعُ بِحَدِيقَةِ «قُمْبتًّا» (***Parc Gambetta***) بالعاصِمَة، فَبَدَا التَّضَايُقُ على مَلاَمِحِ فَرحَات حَشّاد لَمَّا وَصَلَ الشَّيْخُ الفَاضِلُ إِلَى المِنَصَّةِ مُتَأَخِّرًا، فَفَهِمَ الشَّيْخُ أَنَّ دَوْرَهُ الرِّئاسِيَّ الشَّرَفِيَّ قَدِ انْتَهَى.

وَيَذْكُرُ الأستاذ مُحمّد بن رُمضان أَنَّ أَكْبَرَ عَقَبَةٍ وَاجَهَها فَرحَات حشّاد في طَلَبِ انْخِرَاطِ مُنَظَّمَتِهِ الشَّغِيلَةِ في الفيديراليَّة النِّقَابيَّة العَالَمِيَّةِ (***F.S.M***) قَدْ تَمَثَّلَتْ في وُجُودِ الشَّيْخِ الفَاضِلِ ابن عاشور في مَوْقِعِ رِئاسَةِ الاتّحادِ، وَإِنْ كَانَتْ رِئَاسَتُهُ شَرَفِيَّةً. فالفيديراليَّة العَالَمِيَّةُ للشُّغْلِ لَا تَقْبَلُ الاِنْتِمَاءَاتِ الدِّينيَّة

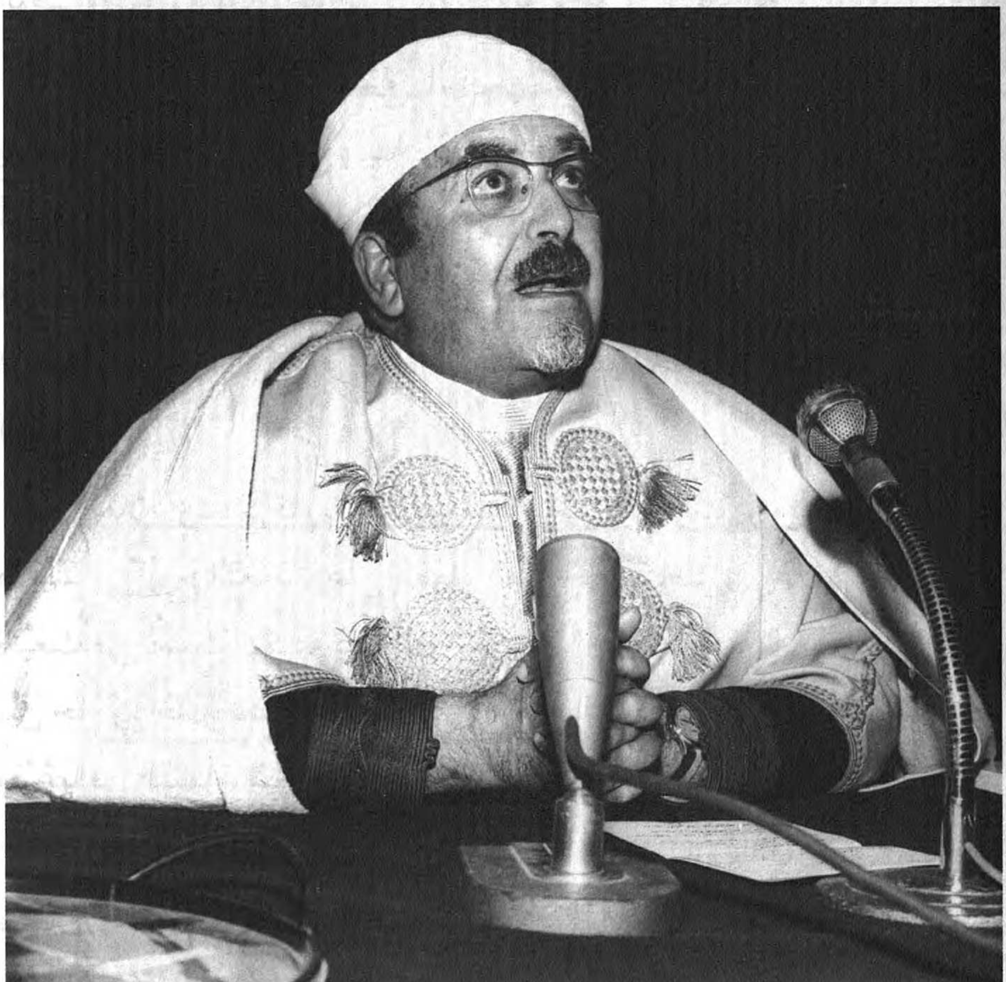
وَتَتَمَسَّكُ باللائِكِيَّةِ، وَالشَّيْخُ الفاضل مِنْ أَبْرَز رجَال الدّين. وَالفِيديراليَّة تَرْفُضُ وَلَوْ ظَاهِرًا الانْتِمَاءَات السِّياسيَّة،وَالشَّيْخُ الفَاضِلُ مِنْ رُمُوز السّياسَةِ يَنْتَسِبُ إلى الحِزْبِ الحُرِّ الدُّسْتُورِيّ (القَدِيم). وَالفِيديراليَّةُ مُنَظَّمَةٌ تَعْمَلُ لِفَائِدَةِ الجَمَاهِير الكَادِحَةِ، وَالشَّيْخُ الفَاضِل مِنْ وَسَطٍ أَرِسْتُقْرَاطِيٍّ، مِنْ سَراةِ العائِلات التُّونِسِيَّة.

السَّبَبُ العَميقُ لِلخِلافِ بَيْنَ فرحات حشّاد وَالرَّئِيسِ الشَّرَفِيِّ لِلاتِّحادِ حَسَبَ رِسَالَةٍ لِلشَّيْخِ الفَاضِل

عَمَّقَتْ حَوَادِثُ *5* أوت *1947* وَمُخَلَّفَاتُها الخِلافَ بَيْنَ فَرْحات حَشّاد والشّيْخ الفاضِل ابن عاشُور وِفْقَ مَا تُفِيدُنَا بِهِ مُسْوَدَّةُ رِسَالَةٍ بِخَطِّهِ مَوْجُودَةٌ فِي وَدَائِع وَثَائِق آل عَاشُورْ تَحْتَ عدد *10*. وَيَظْهَرُ مِنْ وُجُودِ تِلك الوَثِيقَةِ أَنَّ الرَّئِيسَ الشَّرَفِيَّ لِلاتِّحَاد قَدْ بَعَثَ بِنَصِّهَا إِلى الكاتِبِ العَامّ لِلاتِّحَادِ بَعْدَ اطِّلاعِهِ فِي الصُّحُفِ اليَوْمِيَّةِ عَلَى خَبَرِ التِجاءِ فَرْحَاتْ حَشّاد إِلى طَلَبِ تَدَخُّل الأَمين بَايْ لِفَائِدَةِ المُنَظَّمَةِ الشَّغِيلَةِ كَمَا سَنُوَضِّحُ ذلك. وهذه الوَثِيقَةُ نَشَرَها وَعَلَّقَ عليها مُحمّد الحبيب الهِيلَة الأُستاذُ بالجَامِعَةِ الزَّيتُونَتّةِ [1].

وَتَكْشِفُ الوَثِيقَةُ عَنْ جَانِبٍ هامٍّ مِنْ أَسْبَابِ إِبْعَادِ الشَّيْخ الفَاضِل عن الرِّئاسَةِ الشَّرَفِيّةِ لِلمُنَظَّمَةِ النَّقَابِيّة النَّاشِئَةِ لِتَحَوُّل مَوْقِفِهَا مِنْ «مُنْصُفِيٍّ» مُتَمَسِّكٍ بِشَرْعِيَّةِ المَلِكِ الوَطَنِيِّ المَعْزُول وَالمَنْفِيّ المُنْصُف بايْ، إلَى «أَمِينِيٍّ» مُعْتَرِفٍ بِتَنْصِيبِ الأمين بايْ خَلَفًا لِسَلَفِهِ المَنْزُوع مِنْ عَرْشِهِ بِقَرَار القَائِدِ العَامّ الفِرَنْسِيِّ لِلقُوَّاتِ المُسَلَّحَة بَعْدَ انْتِصَار الحُلفاءِ عَلَى قُوَّاتِ المِحْوَرَ في تُونس الجِينِيرَال «جِيرُو»، فَكَانَ عَزْلُ المنصف بايْ في *14* ماي *1943*. وَقَدْ حَدَثَ ذَلِكَ التَّحَوُّلُ في

[1] محمّد الحبيب الهيلَة «رسالَةُ الشّيخ محمّد الفاضل ابن عاشور إلى فرحات حشّاد بعد حوادث صفاقس (أوت *1947*)» مجلّة «روافِد» للمعهد الأعلى لِتاريخ الحركة الوَطنيّة. عدد *8* لِسنة *2003* ص *217-228*.



الشَّيْخُ الفاضل ابن عاشُور

مَوْقِفِ فرْحات حشّاد بَعْدَ فَاجِعَةِ 5 أوت *1947* بصفاقس وَمُخَلَّفَاتِهَا إذ احْتَمَى الكَاتِبُ العامُّ لِلاتِّحَادِ التُّونِسِيِّ للشُّغْلِ بالأَمِين بايْ لِيُسَاعِدَهُ على إنْقاذِ مُنَظَّمَتِهِ التي كانَتْ مُهَدَّدَةً بحَلِّهَا مِنْ قِبَلِ إِدَارَةِ الحِمايَةِ الفِرَنْسِيَّةِ. وَكَانَ الأَمِين بايْ قَبْلَ ذلك مَنْبُوذًا في الرَّأْيِ العَامِّ التّونِسِيِّ الذي ظَلَّ على عَهْدِ المَلِكِ الوطَنِيِّ المَنْكوبِ المُنْصِف بايْ وكان الشَّيْخُ الفَاضِل يَتَزَعَّمُ الحَرَكَةَ المُنْصُفِيَّةَ.

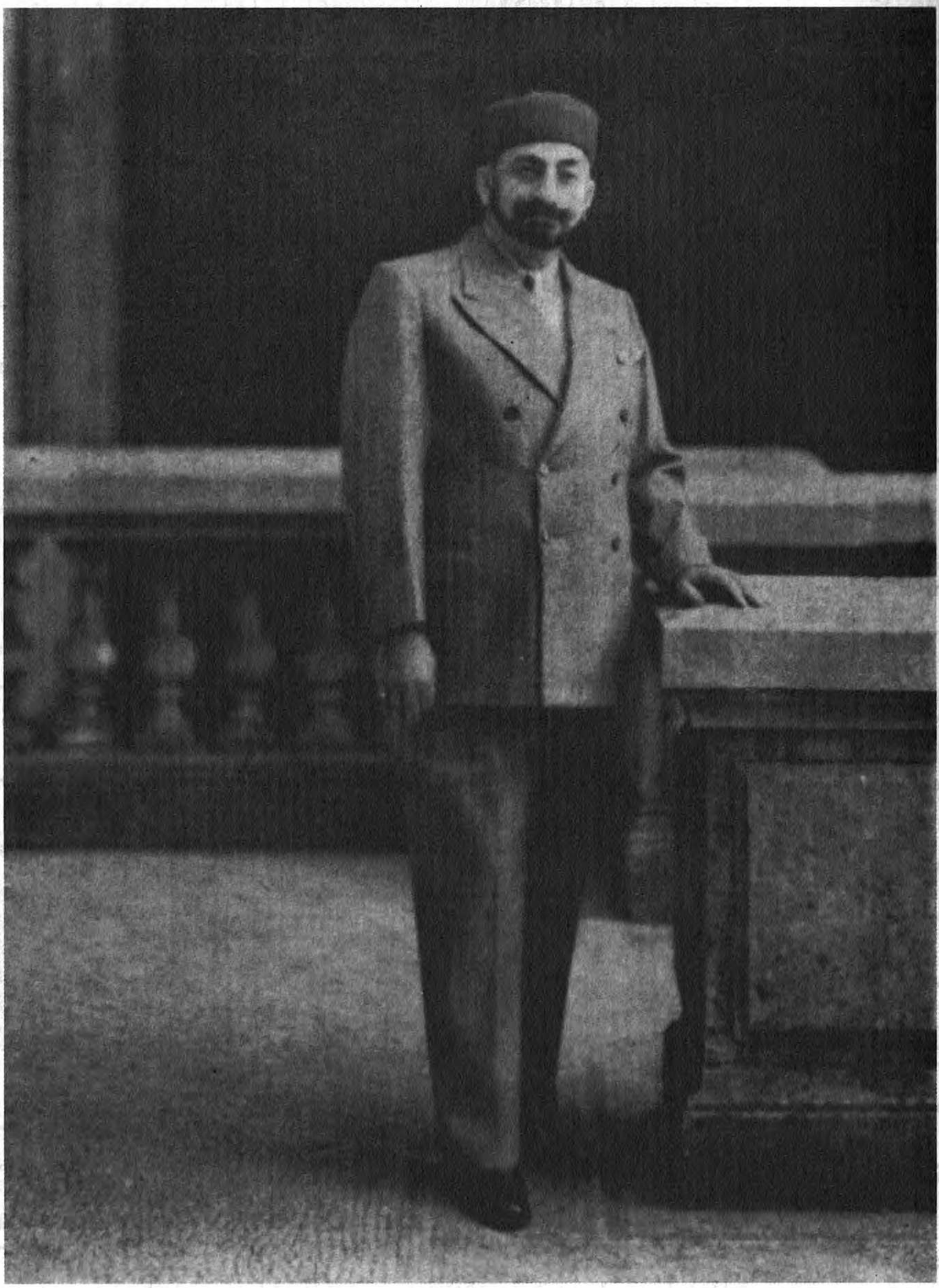
وفِي الوَثِيقَةِ بخَطِّ الشَّيْخ الفَاضِلِ ابْن عاشُور وَصْفٌ لِمَا كَانَ يَرْبُطُهُ بفَرْحَات حشّاد مِنْ عَلاقَةٍ وَثِيقَةٍ مُنْذُ أَنْ تَأَسَّسَ الاتِّحادُ حَتَّى جاءَتْ فَاجِعَةُ 5 أوت بِصَفَاقس. وَيَذْكُرُ الشَّيْخُ الفَاضِلُ في الاِسْتِهلال مَا تَحَلَّى بهِ الزَّعِيمُ النَّقَابِيُّ مِنْ مَنَاقِبَ أَخْلاَقِيَّةٍ وَوَطَنِيَّةٍ مِنْهَا عُمْقُ فِكْرِهِ السِّيَاسِيِّ وَصُمُودُهُ وَحُسْنُ تَصَرُّفِهِ في مُواجَهَةِ الصِّعَابِ كَمَا فِي قَوْلِ الشَّيْخ فِي تَحِيَّةِ مُخَاطِبهِ بأُسْلُوبهِ المُعْتَادِ اللَّبِقِ البَلِيغِ الغِنَائِيِّ :

«سَلاَمًا زَكِيًّا كَزَكَاءِ نَفْسِكَ، وَمُشْرِقًا كَإِشْرَاقِ ذَكَائِكَ، وَتَحِيَّةً أَخَوِيَّةً تُنْعِشُ مَا بَيْنَنَا مِنْ رُوحِ التَعَاضُدِ على العَمَلِ الصَّالِحِ، وَالتَّنَاصُرِ في إعْلاَءِ كَلِمَةِ الحَقِّ، وَتَبْعَثُ فِي نَفْسِكَ الكَرِيمَةِ ذِكْرَيَاتِ السَّاعَاتِ الحَرِجَةِ العَذْبَةِ التي قَضَيْتَهَا مَعِي بَيْنَ حَلٍّ وَتِرْحَالٍ، تَضَعُ النَّوَاةَ الأُولَى فِي هَذِهِ الشَّجَرَةِ المُبَارَكَةِ التِي أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَمَاءِ، شَجَرَةِ الاِتِّحَادِ العَامِّ التُّونِسِيِّ لِلشُّغْلِ». [1]

ثُمَّ يَنْتَقِلُ الشَّيْخُ الفاضِلُ إلى اسْتِعْرَاضِ جَوَانِبِ الخِلاَفِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَرْحَات حشّاد، وَهِيَ إِصْرَارُ المُرَاسِلِ على رَفْضِ الاِعْتِرَافِ بما أَقْدَمَتْ عَلَيْهِ السُّلَطُ الفِرَنْسِيَّةُ مِنْ عَزْلٍ لِلمَلِكِ الشَّرْعِيِّ المُنْصِف باي وَتَنْصِيبِ خَلَفِهِ وَلِيِّ العَهْدِ مَكَانَهُ.

---

[1] نفس المرجع ص *221*.



المنصف باي في المَنْفَى بِبُو

وَيُعَبِّرُ الفاضل ابن عاشور - وَهُوَ الذي كَانَ يَتَزَعّمُ الحَرَكَةَ المُنْصُفِيَّةَ - عَنْ عَدَمِ رِضاهُ عَمَّا أَقْدَمَ عَليهِ النَّقَابِيُّونَ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِم فَرْحات حشّاد، مَنْ رَبْطِ الصِّلَةِ بالأمِينِ بايْ والاسْتِعانَةِ بِهِ لِحِمَايَةِ الاتِّحَادِ المُهَدَّدِ بالحَلِّ، وَرِعَايَةِ النَّقَابِيِّينَ المَوْقُوفِينَ في حَوَادِثِ 5 أوت 1947 حَتَّى لاَ تُسَلَّطَ عليهم الأحكامُ الصَّارِمَةُ كَالحُكْمِ بِالإِعْدَام.

وَيُؤاخِذُ الشَّيْخُ الفاضل ابنُ عاشُور مُخَاطِبَهُ فرحات حشّاد عَلَى قَبولِهِ إعانَةً مالِيَّةً بِمِقْدَارِ مائةِ أَلْفِ فِرَنْكٍ مِنَ الأَمِين باي الذي تَبَرَّعَ بِها لِفائِدَةِ عائِلاتِ الضَّحايا والمَساجِينِ النَّقَابِيِّين.

وَيَظْهَرُ مِنْ نَصِّ الوَثِيقَةِ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ قَدْ تَمَّ دُونَ إِعْلاَمِ الشَّيْخِ الفَاضِلِ الذي اسْتَقَى الأَخْبَارَ مِنْ وَسَائِلِ الإِعْلاَمِ كَمَا في السِّيَاقِ التَّالِي مِنْ خِطَابِهِ :

«يَظْهَرُ لِي أَنَّ تَحَرُّجَ المَوْقِفِ بَعْدَ حَوَادِثِ صَفَاقس التي لَمْ تَزَلْ جِرَاحَاتُهَا تَحُزُّ في قُلُوبِنَا هُوَ الذي سَوَّلَ لَكُمْ هَذَا الصَّنِيعَ [أي الاحْتِمَاءَ بالأَمِينِ بايْ .] وَكَأَنِّي بِكُمْ، وَقَدْ هَالَكُمْ الأَمْرُ وَدَبَّ إلى نُفُوسِكُمْ اليَأْسُ، ذَهِلْتُمْ عَنْ أَنَّ قُوَّةَ الطَّبَقَةِ العَامِلَةِ هِيَ قُوَّةُ اللّهِ المُنَضَّدَةُ عَلَيْهَا مَعَهَا وَقُوَّةُ الحَقِّ الكَامِنَةُ فيهَا، فَانصَرَفْتُمْ تَبْحَثُونَ عَنْ سَنَدٍ تَتَقَوَّوْنَ بِهِ في مُقَابَلَةِ الصَّوْلَةِ العُدْوَانِيَّةِ الخَائِبَةِ الفَاشِلَةِ التي صالَ بِها عَلَيْنَا أَعْوَانُ الاسْتِعْمَارِ، فَلاَحَ لَكُمْ قَصْرُ الإِمَارَةِ وَعَظَّمَتْهُ فِي أَعْيُنِكُمْ دِعَايَةُ حُكَّامِهِ... وَاسْتَنْجَدْتُمْ بِهِ... وَإِنَّ الذي يُؤْلِمُنِي مِنْ ذَلِكَ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ فَرْحاتْ الذي وَقَفْتَ في وَجْهِ أَعْظَمِ صَدْمَةٍ صَدَمَتْنَا في تاريخِ كِفَاحِنَا يَوْمَ أَجْمَعَتْ جَامِعَةُ النِّقَاباتِ العَالَمِيَّةِ (F.S.M.) بِطَمِّ طَمِيمِهَا على عَدَمِ الاعْتِرَافِ بِنَا، فَتَلَقَّيْتَ ذَلِكَ ثَابِتًا ساخِرًا وَقُلْتَ : إِنَّ قُوَّتَنا فِينَا، وَإِنَّ اتِّحَادَنا سَيُنْشِئُ جَامِعَةً عَالَمِيَّةً أَعْظَمَ مِنَ الجَامِعَةِ التي لَمْ تَعْتَرِفْ بِنَا...»[1] وَتَنْتَهِي

---

[1] نَفْسَ المَرجع ص 223-224.



الوَطَنيُّ الغَيُورُ المُنْصُف بَايْ مَلِكُ تُونس وَوَراءَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّؤُوف

الوَثِيقَةُ بِدَعْوَةٍ مُوَجَّهَةٍ إلى فرحات حشّاد لِعَرْضِ رِسالَةِ الشَّيْخِ الفاضل ابن عاشور عَلَى اللَّجْنَةِ العُلْيَا وَاللَّجْنَةِ الإِدَارِيَّةِ لِلاِتّحاد كَيْ تَطَّلِعَا عَلى نَصِّهَا.

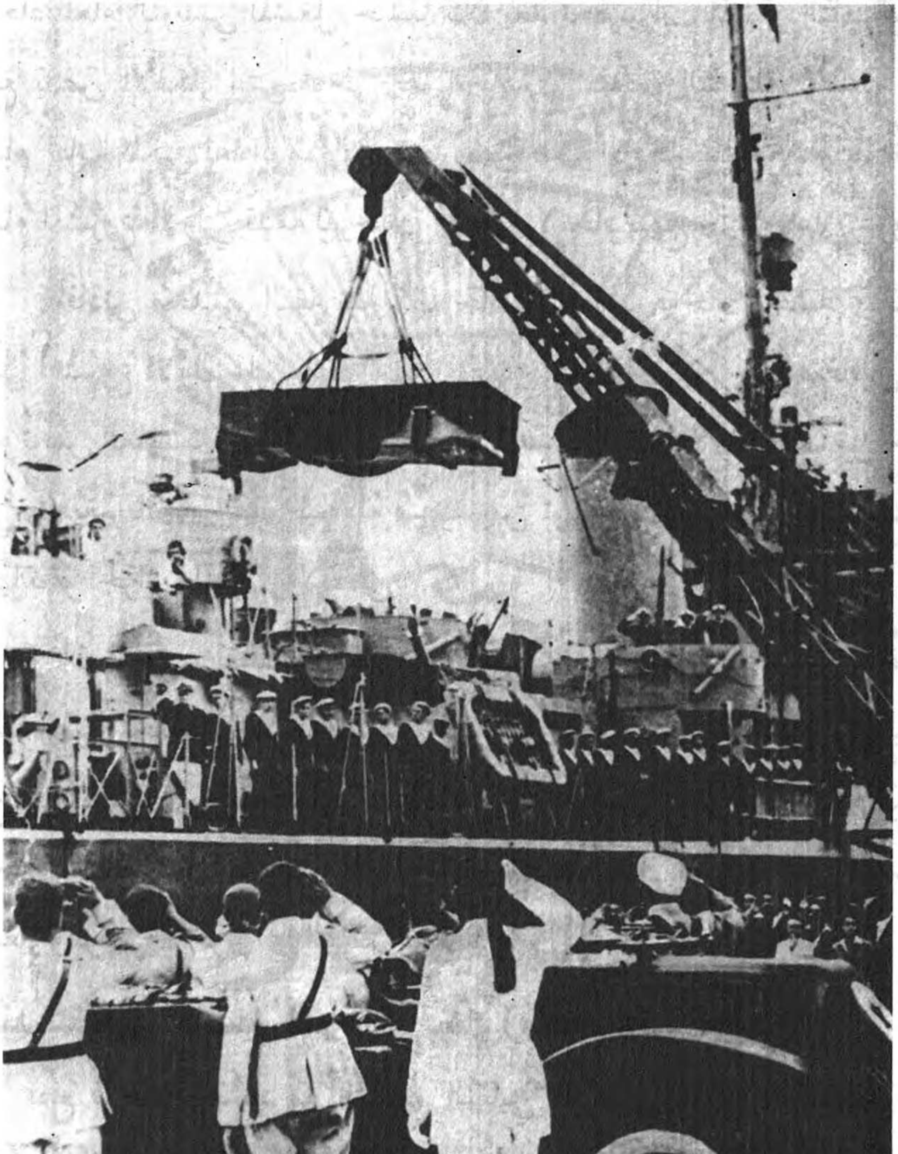
وَيَطْلُبُ الفاضِل ابن عاشور مِنْ فَرْحَاتْ حَشّاد إِرْجَاعَ المال المُتَبَرَّعِ بِهِ لِمَنْكُوبيّ أَحْدَاثِ 5 أوت 1947 إلى مانِجِهِ الأَمِين بايْ، وَإِصْدَارَ بَلاَغ يَنُصُّ عَلَى رَفْضِ وَسَاطَةِ البايْ في الخِلاَفِ القائِم بَيْنَ الاِتِّحادِ العامِّ التُّونِسِيِّ للشُّغْلِ وَسلْطَةِ الحِمايَةِ.

وَيَبْدُو مِنْ إِشَارَةٍ فِي الوَثِيقَةِ أَنَّ الرِّسَالَةَ بُعِثَتْ في سبتَمْبر 1947، وَعَلى كُلِّ حال قَبْلَ انْعِقادِ الجَلْسَةِ العامَّةِ للاِتِّحَادِ التِي لَمْ يُدْعَ لِحُضُورِهَا الشَّيْخُ الفاضل في حِينِ دُعِيَ لِحُضُورِهَا الزَّعِيمُ الدُّسْتُورِيُّ صالح بنْ يُوسف بِصِفَتِهِ عِضْوًا شَرَفِيًّا لِلاِتِّحَادِ في غيابِ الزَّعِيم الحبيب بورْقِيبَة المُتَوَاجِدِ آنَذاكَ في جَوْلَةٍ عَبْرَ المشرقِ العَرَبِيِّ وَمَنَاطِقَ أُخرى. وَفِي تِلْكَ الجَلْسَةِ العَامَّةِ أُبْعِدَ الشَّيْخُ الفاضِل ابن عاشور عَنْ رِئاسَةِ الاِتِّحاد التي ظَلَّ يَتَحَمَّلُهَا قَرابَةَ عَامَيْن [1].

فالشَّيْخُ الفَاضِل ابن عاشور هُوَ- دُونَ شَكٍّ - رَجُلُ دِينٍ وَمُفَكِّرٌ أَلْمَعِيٌّ ذُو ثقافَةٍ مَوْسُوعِيَّةٍ أَدَبِيَّةٍ وَفِقْهِيَّةٍ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ سِياسِيًّا بالمَعْنَى الوَاسِعِ لِيَأْخُذَ بِعَيْنِ الاِعْتِبَار مَا كَانَ يُوَاجِهُهُ مُؤَسِّسُ الاِتِّحَادِ العَامِّ التّونِسِيِّ للشُّغْلِ مِنْ مَصَاعِبَ جَمَّةٍ وَمَخَاطِرَ جَسِيمَةٍ بَعْدَ فَاجِعَةِ 5 أوت 1947 حَتَّى وَجَدَ نَفْسَهُ مُظْطَرًا بِدَافِعِ السِيَّاسَةِ الوَاقِعِيَّةِ لِلاِحْتِماءِ بِرَمْزِ السّيادَةِ التُّونِسِيَّةِ آنَئِذٍ الأَمِينَ بَايْ طَالِبًا تَدَخُّلَهُ لِحِمَايَةِ المُنَظَّمَةِ الشَّغيلَةِ الفَتِيَّةِ مِنْ تَهْدِيدِ إِدارَةِ الحِمَايَةِ التي كانَتْ تَنْوِي القَضاءَ عليها. وَمَعَ ذلك ظَلَّ فَرْحات حشّاد وَفِيًّا للمُنْصُف بايْ. فهو الذي أَشْرَفَ على التَّنْظِيم الأَمْنِي المَدَنِيِّ بِمُنَاضِلِيهِ لِمَوْكِبِ جنازة الشَّهيدِ المنصف بايْ حِينَمَا وَافاهُ الأَجَلُ في غُرَّة سبتمبر 1948، فقادَ فرحات المَوْكِبَ مِنَ المِيناءِ إلى مقبرةِ الجلاّز في الصفِّ الأَوَّل لِمُشَيِّعِي جُثْمانِ الملك المَحبوبِ الرَّاحِلِ.

---

[1] راجع النصّ الكامِل للوَثِيقة في «روافد» عدد 8 لسنة 2003 ص 217-228.



تَابُوتُ الشَّهِيد المُنْصُفْ بايْ يُنْزَلُ مِنَ البَاخِرَة في مَوْكِبٍ رَسْمِيٍّ.

شِعَارُ الاتّحاد

حَدَّثَنِي مُحمّد بن رُمْضَان أَنَّ فرحات حشّاد فَكَّرَ في اخْتِيار شِعَار (sigle) لِلاتّحادِ العَامِّ التونِسِيّ لِلشُّغل حِينَمَا كانَ يُعِدُّ تَحْضِيرَاتِ المُؤتَمَر التَّأسِيسِيّ، فَجَمَعَ بَعْضَ الأَفكَارِ التي تُوحِي بِها اتِّجَاهَاتُ المُنَظَّمَةِ الشَّغِيلَة، وَطَلَبَ مِنَ الرَّسَامِ حَاتِمِ المَكِّي إِعْدَادَ مَشْرُوعِ شِعَارٍ وِفْقَ تلْكَ الأَفْكَارِ المُجَمَّعَةِ، وَلَمَّا أَنجَزَ الرَّسَامُ المَشْرُوعَ الأَوَّلِيَّ قَدَّمَهُ لِفَرْحَات في مَقَرِّ الاتِّحَادِ بِنَهج سيدي علي عَزُّوز.

وَأَفَادَنِي مُحَدِّثي الثِّقَةِ بِأَنَّهُ كان حَاضِرًا بِجَانِبِ فرحات حَشَّاد يَوْمَئِذٍ. وَيُمَثِّلُ المَشْرُوعُ الأَوَّلُ عَلَمَ تُونِسَ مُرَفرِفًا يَحْمِلُهُ سَاعِدٌ آتٍ مِنْ جِهَةِ صفاقس في اتّجاهِ تُونس العَاصِمَةِ. فَلَمَّا اطَّلَعَ فرحات عَلَى ذلك الرَّسْمِ الأَوّل طَلَبَ مِنْ حاتم المَكِيّ أَنْ يُغَيِّرَ اتِّجاهَ العَلَمِ فَيَجْعَلَهُ مُنْطَلِقًا مَنْ تونس مُرَفرِفًا على كَامِلِ البلادِ مُتَجِهًا نَحْوَ الجَزَائِرِ وَالمَغْرِبِ الأَقْصَى.

وَكَانَ فرحات يَقْصِدُ بذلك أَنَّ الاتّحادَ العَامَّ التُّونِسِيَّ للشُّغل مُنَظَّمَةٌ تُونسِيَّةٌ وَطَنِيَّةٌ تَحْتَضِنُ جَمِيعَ النَّقَابِيِّينَ التُّونِسِيّين وَتُشِعُّ على الأَشِقَّاءِ المَغَارِبِيّين وَتَنْزَعُ إلى تَحقِيقِ الوَحْدَةِ المغَارِبِيّة. فَهَذَا التَّوَجُّهُ الإِقْلِيمِيُّ وَالوَطَنِيُّ كَانَ وَاضِحًا في اخْتِيارَاتِ فرحات مُنْذُ البِدَايَة. وَقَدْ أَوْرَدْتُ تَفَاصِيلَ إِضَافِيَّةً عَنِ التَّسْمِيةِ وَالشِّعَارِ وَالرُّمُوزِ الأُخْرَى في القِسْمِ الفِرَنْسِيّ.

السَّنَدُ النِّقَابِيُّ الأَصِيلُ لِفَرحَاتَ حَشَّاد (مَحمَّد علِي الحَامِّي)

قَطَعَ فَرْحَاتْ حَشَّاد مَعَ التَّنْظِيمِ النِّقَابِيِّ الفِرَنْسِيِّ الذي لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَجَرَّدُ تَمَامًا مَنَ النَّزْعَةِ الاِسْتِعْمَارِيَّةِ فِي تُونِسَ، وَرَبَطَ مُنَظَّمَتَهُ الاتّحَاد العَامَّ التُّونُسِيَّ لِلشُّغْل مُنْذُ انْبِعَاثِهَا بِسَنَدٍ نِقَابِيٍّ وَطَنِيٍّ أَصِيلٍ تَمْتَدُّ جُذُورُهُ إِلَى أُولَى حَرَكَةٍ نِقَابِيَّةٍ عَرَفَتْهَا بِلاَدُهُ، بَلِ المَغْرِبُ وَالمَشْرِقُ العَرَبِيَّانِ بِأَسْرِهِمَا، أَيْ حَرَكَة مَحمَّد عَلِي الحَامِّي (1924-1925) التِي عَبَّرَ فَرْحَاتْ حَشَّاد عَنِ اعْتِزَازِهِ بِرَائِدِهَا.



بِطاقَةُ انْخِرَاطٍ بِشِعارِ الاتِّحَاد

أَلاَ تَرَاهُ يَعْتَرِفُ بِفَضْلِ هَذَا الرَّائِدِ فِيمَا ذَكَرَهُ عَنْهُ فِي المُحَاضَرَةِ التِي أَلْقَاهَا بِمِنْبَرِ جَمْعِيَّةِ طَلَبَةِ شَمَالِ إِفْرِيقْيَا المُسْلِمِين (*A.E.M.N.A.*) (بِبَارِيس *20* دِيسمبر *1946*) لِلتَّعْرِيفِ بِهَا إِذْ يَقُولُ :

«لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَغْفُلَ عَنْ ذِكْرِ أَبِي الحَرَكَةِ التِي نَمَتْ وَكَبُرَتْ إِذْ كَانَ غَرْسُهَا بِيَدِ حَكِيمٍ، بَلْ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ لاَ أُثِيرَ عَمَلَ المَرْحُومِ مَحمَّد عَلِي الجَرِيء وَتَضْحِيَتَهُ الكَامِلَةَ مَقْرُونًا بِمَا نَدِينُ لَهُ مِنْ خَالِصِ وَعَمِيقِ اعْتِرَافِنَا بِالجَمِيلِ.

أَجَلْ، إِنَّهُ بِدُونِ شَكٍّ لَوَاجِبٌ أَكِيدٌ عَلَى الكَاتِبِ العَامِّ لِلاِتِّحَادِ العَامِّ التُّونُسِيِّ لِلشُّغْلِ أَنْ يُمَجِّدَ حَيَاةَ مَنْ كَانَ مُنْشِئَ الحَرَكَةِ النِّقَابِيَّةِ بِالبِلاَدِ التُّونُسِيَّةِ وَمَنْ كَافَحَ مِنْ أَجْلِ مَثَلِهِ الأَعْلَى بِعَقِيدَةٍ لاَ تَتَزَعْزَعُ، وَدَافَعَ عَنِ القَضِيَّةِ النِّقَابِيَّةِ حَتَّى التَّضْحِيَةِ العُظْمَى. وَإِنَّ اتِّحَادَنَا العَامَّ الذِي لَهُ أَسْمَى الشَّرَفِ بِأَنْ كَانَ وَرِيثَ المُنَظَّمَةِ التِي أَسَّسَهَا المَرْحُومُ مَحمَّد عَلِي سَيُبَرْهِنُ كَيْفَ كَانَ جَدِيرًا بِهَذَا التُّرَاثِ...»[1]

وَلَمْ يَذْكُرْ فَرْحَاتْ حَشَّاد بلقَاسِمِ القنَاوي وَلَمْ يَتَعَاطَفْ مَعَهُ إِذْ زَاغَ عَنِ الخَطِّ الوَطَنِيِّ بِتَحْيِيدِ الحَرَكَةِ النِّقَابِيَّةِ عَنْ حَرَكَةِ الكِفَاحِ الوَطَنِيِّ فِي الطَّوْرِ الثَّانِي لإِحْيَاءِ الجَامِعَةِ العَامَّةِ لِلْعُمَّالِ التُّونُسِيِّينَ (*C.G.T.T.*) فِي فِيفْرِي *1937* وَفِي زَمَنِ الكَرَامَةِ قَبْلَ الخُبْزِ، فَافْتَكَّ مِنْهُ قِيَادَتَهَا الهَادِي نويرة. وَآلَ الأَمْرُ إِلَى إِلْقَاءِ القَبْضِ عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَةِ الاِسْتِعْمَارِيَّةِ قُبَيْلَ انْدِلاَعِ مَعْرَكَةِ *9* أَفْرِيل *1938*.[2]

---

[1] راجع النّصّ الكامل لِلمُحاضَرَة *20* ديسمبر *1946* فِي الملاَحِق.

[2] راجع أحمد خالد «الهادي نويرة – مسيرةُ مثقَّفٍ مناضل ورجل دولة» منشورات زخارف (بوبليغراف) *2006* ص *210* وما بعدها



مَحَمّد علي الحامّي في مَخْفَرِ البُولِيس

وَالهَادِي نويرَة وَرِفَاقُهُ فِي الحَرَكَةِ النِّقَابيَّةِ الوَطَنيَّةِ الثَّانِيَةِ هُمُ الذِينَ عَانَوا السُّجُونَ. وَهُمُ الذِينَ يُشِيرُ إِلَيْهم فَرْحَاتْ حَشَّاد وَإِنْ لَمْ يُسَمِّهِمْ فِي مَعْرِضِ حَدِيثِهِ عَنْ تِلْكَ المَرْحَلَةِ وَمَا سَبَقَهَا بِمِنْبَرِ جَمْعِيَّةِ شَمَال إِفْرِيقيَا المُسْلِمِين (بَارِيس ***20*** دِيسمبر ***1946***)، فَيَقُولُ:

«حَقَّقَ النِّقَابِيُّونَ التُّونسِيُّونَ أُمْنِيَتَهُم الغَالِيَةَ التِي حَافَظُوا عَلَيْهَا وَالمُتَمَثِّلَة فِي إِحْيَاءِ الجَامِعَةِ العَامَّةِ لِلْعُمَّالِ التُّونسِيِّينَ التِي حَطَّمَهَا الاِسْتِعْمَارُ سَنَةَ ***1924***، فَعَاشَتْ فَتْرَةً مِنَ الازْدِهَارِ جَعَلَتْ نَفسَ وُجُودِ (س.ج.ت) بِتُونِس فِي خَطَرٍ»، إِلَى أَنْ يَقُولَ:

«لَكِنْ لَمْ تَسْتَطِعِ الجَامِعَةُ النِّقَابيَّةُ القَوْمِيَّةُ، بِكُلِّ أَسَفٍ، أَنْ تَثبُتَ فِي وَجْهِ القَمْعِ الوَحْشِيِّ الذِي قَامَتْ بِهِ السُّلَطُ الاِسْتِعْمَارِيَّةُ فِي ***9*** أَفريل ***1938*** مِمَّا اضْطَرَّ مُنَظَّمَتَنَا النِّقَابِيَّةَ القَوْمِيَّةَ إِلَى تَوْقِيفِ نَشَاطِهَا لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ بَيْنَمَا أُودِعَ السِّجْنَ أَبْرَزُ مُسَيِّرِيهَا (يَعْنِي الهَادِي نويرَة وَرِفَاقَهُ، لاَ بِلْقَاسِم القنَاوِي الذِي تَمَسَّحَ عَلَى أَعْتَابِ الإِقَامَةِ العَامَّة خَوْفًا مِنْ عَوْدَةِ القَمْعِ، فَلَمْ يُلاحَقْ وَلَمْ يُسْجَنْ آنَذَاك.)...»[1].

تَواصُلُ مُقَوِّمَاتِ الحَركَةِ النِّقَابِيَّةِ مِنْ مُحَمّد علي الحَامِّي إِلَى فَرحَات حَشَّاد

يَبْرُزُ التَّوَاصُلُ وَالتَّمَاثُلُ بَيْنَ زَعِيمَيْ الحَرَكَةِ النِّقَابيَّةِ حَشَّاد وَمحَمَّد علِي فِي رَبْطِهَا النِّضَالَ الاِجْتِمَاعِيَّ بِالحَرَكَةِ التَّحْرِيرِيَّة. وَيَلْتَقِيَانِ أَيْضًا فِي رَفْضِهِمَا لِمَقُولَةِ الصِّرَاعِ الطَّبَقِيِّ وَمَا تَسْتَهْدِفُهُ مِنْ مُعَادَاةٍ لِرُؤُوسِ الأَمْوَالِ فِي مُقَابِلِ القُوَى العَامِلَةِ. وَعَلَى غِرَار محَمَّد علي الحَامِّي فَإِنَّ مِنْ أَهَمِّ بُنُودِ بَرْنَامَجِ فَرْحَاتْ حَشَّاد «تَرْبِيَةَ الطَّبَقَةِ الكَادِحَةِ وَحَمْلَهَا عَلَى إِدْرَاكِ مَدَى صِلَةِ الحُقُوق

---

[1] رَاجع النَّصَّ الكَامِلَ لِمُحَاضَرَة فرحَاتْ حَشَّاد ***20*** دِيسمبر ***1946*** فِي المَلاَحِقِ.

بِالوَاجِبَاتِ»، وَكَذَلِكَ تَرْبِيَتَهَا «عَلَى التَّعَاوُنِ وَالتَّسَانُدِ وَإِنْشَاءِ صَنَادِيقَ لِلإِسْعَافِ المُتَبَادَلِ».

وَمِنْ مَبَادِئِ فَرْحَاتْ حَشَّاد «مُرَاعَاةُ المَصْلَحَةِ العُلْيَا وَالعَامَّة لِلْبِلاَدِ» وفْقَ صَرِيحِ عِبَارَتِهِ كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي خِطَابِهِ بِمِنْبَرِ جَمْعِيَّةِ طَلَبَةِ شَمَال إِفْرِيقْيَا المُسْلِمِين (**20** ديسمبر **1946** بِبَارِيس) (راجع النصَّ في المَلاحِق).

تَنَامِي انْتِشَارِ الاتِّحَادِ العَامّ التُّونسِيّ لِلشُّغلِ فِي البِلاَدِ

فِي وَدَائِعِ الاتِّحَادِ العَامِّ التُّونُسِيِّ لِلشُّغْل وَثِيقَةٌ لِمَحْضَرِ اجْتِمَاعٍ شَعْبِيٍّ نَظَّمَهُ الاتِّحَادُ النَّاشِئُ لأَوَّل مَرَّةٍ بِتَارِيخ **31** مَارس **1946** فِي قَاعَةِ الأَفْرَاحِ بِمَدِينَةِ سُوسَةَ لِبَعْثِ لَجْنَةٍ نِقَابِيَّةٍ وَقْتِيَّةٍ بِالسَّاحِلِ. وَقَدْ أُسْنِدَتْ رِئَاسَةُ ذَلِكَ الاجْتِمَاعِ الذِي حَضَرَهُ قُرَابَةُ سِتِّمَائَةِ شَخْص إِلَى مُدِيرِ المَدْرَسَةِ القُرْآنِيَّةِ التريكِيَّةِ بِسُوسَةَ الشَّيْخ تُهَامِي عَمَّار، وهُوَ أَوَّلُ كَاتِبٍ عَامٍّ لِلاتِّحَادِ الجِهَوِيّ بسوسة فَأَلْقَى خِطَابًا بَيَّنَ فِيهِ أَنَّ المُنَظَّمَةَ الشَّغِيلَةَ تَتَوَافَقُ مَعَ المَنْحَى الأَخْلاَقِيِّ الإِسْلاَمِيّ وَالتَّضَامُنِ الاجْتِمَاعِيّ لإِسْعَافِ المُعْوِزِينَ وَالمَحْرُومِين، وَالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوَحُّدِ كَمَا جَاءَ بِهَا القُرْآنُ وَالحَدِيثُ النَّبَوِيُّ.

ثُمَّ أَلْقَى فَرْحَاتْ حَشَّاد بَيَانًا طَوِيلاً عَرَضَ فِيهِ ظُرُوفَ انْبِعَاثِ المُنَظَّمَةِ الشَّغِيلَةِ، وَمَبَادِئِهَا، وَأَوْضَاعَ الشَّغَّالِينَ، وَضَرُورَةَ إِصْلاَحِهَا وَالدُّخُول فِي مُفَاوَضَاتٍ لإِبْرَام عُقُودٍ مُشْتَرَكَةٍ جَدِيدَةٍ وَتَأْسِيس مَحَاكِمَ لِلْبَتِّ فِي قَضَايَا الشُّغْلِ.

وَقَامَ الشَّيْخُ الفَاضِل ابن عَاشُور خَطِيبًا بَعْدَ فَرْحَاتْ حَشَّاد، فَاسْتَعْرَضَ نَظَرِيَّةً اشْتِرَاكِيَّةً اجْتِمَاعِيَّةً لِلاِتِّحَادِ العَامِّ التُّونُسِيِّ لِلشُّغْل مُسْتَوْحَاةً مِنَ القُرْآنِ وَالحَدِيثِ، وَأَكَّدَ عَلَى أَنَّهُ قَدِمَ إِلَى سُوسَة لإِتْمَام مُهِمَّةٍ أُنْجِزَتْ بَعْدُ بِصَفَاقس



الشّيخ تُهامي عمّار

أول كاتب عام للإتّحاد الجهوي بسوسة ورئيس أوّل اجتماع جماهيري بعاصمة السّاحل يعقِدُه الاتّحاد العامّ التّونسي للشّغل بِحضور فرحات حشّاد. وَهو الذي وضع تحت تصرّف الاتّحاد الجهويّ بسوسة مقرّه بِسَاحَةِ جَبَّانَةِ الغُرَباء مجانا

وَتُونِسَ العَاصِمَةِ بِتَكْلِيفٍ مِنَ المُؤَسَّسَةِ التَّعْلِيمِيَّةِ الدِّينِيَّةِ الزَّيْتُونِيَّةِ التِي تَدْعَمُ الاتِّحَادَ العَامَّ التُّونُسِيَّ لِلشُّغْلِ[1]. وَكَأَنَّهُ بِهَذَا يُعَبِّرُ عَنْ مُصَالَحَةٍ بَيْنَ الإِسْلاَمِ وَالعَمَلِ النِّقَابِيِّ.

وَتَعَاقَبَتِ الاِجْتِمَاعَاتُ النِّقَابِيَّةُ الجِهَوِيَّةُ عَلَى غِرَارِ مَا تَمَّ بِالعَاصِمَةِ وَصَفَاقُس وَسُوسَةَ فِي قَفْصَة (9 مَاي 1946)، وَجَزِيرَة جِرْبَة (2 جوَان 1946)، وَبَاجَة (19 جوَان 1946)، ثُمَّ الكَاف وَنَابل حَتَّى تَوَسَّعَتْ شَبَكَةُ الاِتِّحَادِ العَامِّ التُّونُسِيِّ لِلشُّغْلِ وَامْتَدَّتْ إِلَى المَرَاكِزِ الهَامَّةِ بِالبِلاَد. (راجع التَّفاصيل في القِسْمِ الفِرَنْسِيِّ).

وَتَحَرَّكَ النِّقَابِيُّونَ بِزَعَامَةِ فَرْحَاتْ حَشَّاد بَعْدَ انْبِعَاثِ الاِتِّحَاد العَامّ التُّونُسِيّ لِلشُّغْل فِي اتِّجَاهِ تَكْوِينِ خَلاَيَا نِقَابِيَّة مُنَافِسَةٍ لِلشُّيُوعِيِّين. وَتَأَلَّقَ بِالخُصُوصِ المُنَاضِلُ أَحمد التّليلي فِي الجَنُوب، وَنَجَحَ فِي إِضْعَافِ شَقِيقِهِ علي التّليلي المُتَعَاطِفِ مَعَ الشُّيُوعِيِّين، فَأَزَاحَهُ، وَاسْتَدْرَجَ عُمَّالَ المَنَاجِمِ الوَاحِدَ تِلْوَ الآخر إِلَى صَفِّ الاِتِّحَاد العَامّ التُّونُسِيّ لِلشُّغْل.

وَوَاصَلَ الاِتِّحَادُ تَوَغُّلَهُ فِي الأَمَاكِنِ وَالمُؤَسَّسَاتِ التِي تَرْمُزُ إِلَى هَيْمَنَةِ قُوَى الضَّغْطِ الاِسْتِعْمَارِيَّة، وَانْتَشَرَ فِي المُدُنِ مُسْتَغِلاًّ الدِّعَايَةَ الوَطَنِيَّةَ إِلَى أَبْعَدِ الحُدُودِ لِفَصْلِ النِّقَابِيِّينَ التُّونُسِيِّينَ عَنِ السِّيجِيتِي التِي سَيْطَرَ عَلَيْهَا الشُّيُوعِيُّونَ فِي المؤتَمَرِ الثّامِن عشر للاتّحاد الإقليميّ في مارس سنة 1944، فَعَزَّزَ صُفُوفَهُ. وَهَكَذَا أَصْبَحَ الاِتِّحَادُ العَامُّ التُّونُسِيُّ لِلشُّغْل مُنَظَّمَةً مُنَاهِضَةً لِلاِسْتِغْلاَلِ الاِجْتِمَاعِيِّ وَالهَيْمَنَةِ الاِسْتِعْمَارِيَّة، وَقَوِيَ تَعَامُلُهُ وَتَنْسِيقُهُ الطَّوْعِيُّ مَعَ الحزب الحُرِّ الدُّسْتُورِيّ الجَدِيد بِقِيَادَةِ الزَّعِيمِ الحَبِيب بُورقِيبَة فِي الكِفَاحِ الوَطَنِيِّ كَمَا بَيَّنَتْ ذلك بِتَفَاصِيلَ ضَافِيَةٍ فِي القِسْمِ الفِرَنسِيّ.

---

[1] **Voir Mustapha Kraïem « La classe ouvrière tunisienne et la lutte de libération nationale (1939-1952)», Ed. Tunis, 1980, pp. 168-169.**



أحمــــد التليلــي

وَمُنْذُ صَائِفَة **1946** وَخُصُوصًا فِي حَوَادِثِ **5** أوت **1947** التِي قَادَهَا الحبيب عَاشُور بَدَأَتْ تَبْرُزُ الخَفَايَا السِّيَاسِيَّةُ الوَطَنِيَّة لِلشَّعْبِ وَالهَيَجَانِ وَالاِعْتِصَابَات النِّقَابِيَّةِ، وَكَانَ يُحَرِّكُهَا الاِتِّحَادُ العَامُّ التُّونُسِيُّ لِلشُّغْل. وَقَدْ رُكِّزَتْ تَحَرُّكَاتُهُ بِالخُصُوص عَلَى قِطَاعَاتٍ تُعْتَبَرُ رُمُوزًا لِعُتَاةِ المُعَمِّرين كَالمَنَاجِمِ، وَشَرِكَةِ صفاقس – قفصة، وَشَرِكَةِ هنشير النّفيضَة.

وَظَهَرَ تَقَمُّصُ حَشَّاد لِلْقَضِيَّةِ الوَطَنِيَّة الكُبْرَى (تَحرير البلاَد) فِي العَدِيدِ مِنَ المَوَاقِفِ وَالمَقَالاَتِ. وَمِثَالُ ذَلِكَ الدَّوْرُ النَّشِيطُ التَّنْظِيمِيُّ الذِي لَعِبَهُ فَرْحَاتْ حَشَّاد فِي تَشْيِيعِ جَنَازَةِ مَلِكِ البِلاَدِ الوَطَنِيّ الغَيُور المُنْصُف بَايْ يَوْم **5** سبتمبر **1948**، فَقَادَ الحُشُودَ المُشَيِّعَةَ للمَلَكِ الرَّاحِلِ المَحبوبِ بعَدَدٍ لاَ يَقِلُّ عَنْ مَائَةِ ألفِ نَسمَةٍ، وَوفَّرَ الأَمْنَ لِلمَوْكِبِ بِمُنَاضِليه.

فَقَدْ تَوَلَّى فَرْحَاتْ في ذلك اليَوْم المَشْهُودِ نَقْلَ جثمانِ المغفور لَهُ المُنْصُف باي مِنَ البَاخِرَة التي جاءتْ بهِ مِنَ مَنْفَاهُ بِفِرَنْسَا، إلى مَقَرِّهِ الأَخير، فَقَادَ مَوْكِبَ الجنازة في حُشُودٍ جَاءَتْ لِتَوْدِيعِ المَلِكِ الرَّاحِلِ مِنْ كُلِّ صَوْب.

علاقةُ فرحات حشّاد بالأمين بايْ

لَمْ يَكُن الأَمين بَايْ يَملِكُ شَيْئًا مِنْ خِصَال سَلَفِهِ المُنْصِف باي مِنْ حَيْثُ الوقارُ وَالحِسُّ الوَطَنِيُّ القويُّ الأَصِيل، فكانَ الأَمِين بايْ يُنْظَرُ إِلَيْه بِعَيْنِ الغَضَبِ في عامَّةِ الشَّعْب لَمَّا اعْتَلَى العَرْشَ بَعْدَ عَزْل المُنْصِف بايْ وَنَفْيِهِ بِصَحْرَاءِ الجزائر، ثُمَّ نَقْلِهِ إلى مَدينَةِ «بُو» بِفِرَنْسَا حَيْثُ تُوُفِّيَ.

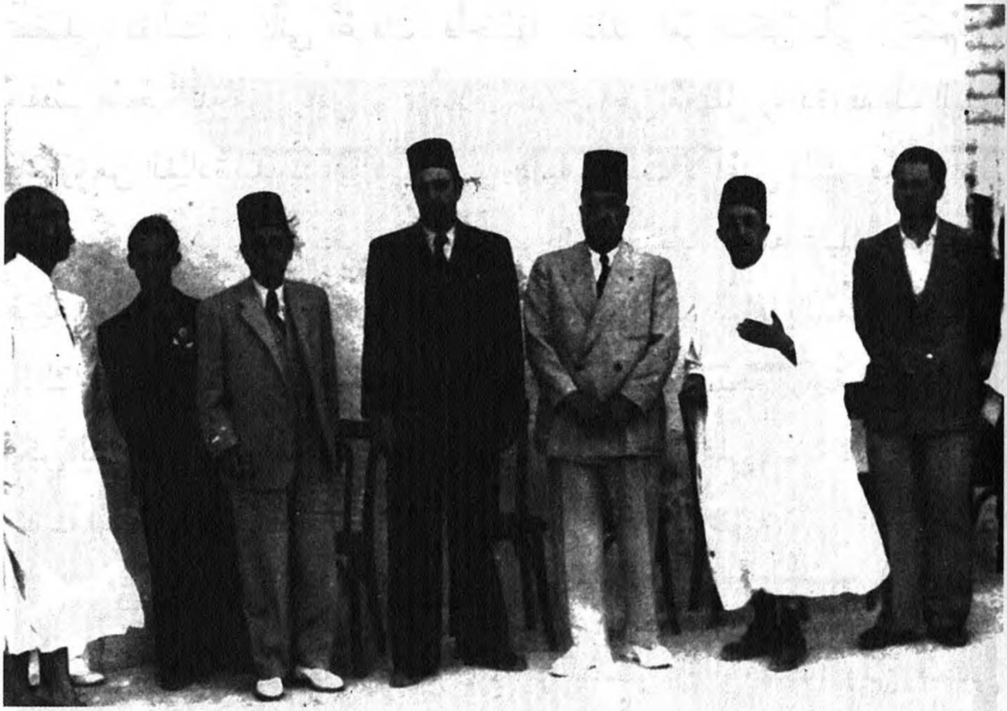
وَكَانَ الاتِّحَادُ يَوْمِئِذٍ في بِدَايَةِ نَشْأَتِهِ. وَجَاءَت الأَحْدَاثُ الدَّامِيَةُ في **5** أوت **1947**، وَأَصْبَحَ الاِتِّحَادُ مُهَدَّدًا في وُجُودِهِ، وَأُغْلقَتِ الأَبْوَابُ في وَجْهِ قِيادَتِهِ كَمَا فَصَّلْتُ ذلكَ بِقِراءَةٍ جديدَةٍ لِوَثَائِق الأَرشيف الوَطَنِيَّ في القِسْمِ الفِرَنْسِيِّ مِنَ الدِّرَاسَةِ، فَأَصْبَحَتِ المُنَظَّمَةُ مُطَوَّقَةً تَعِيشُ في عُزْلَةٍ.

وَقد أَفَادَنِي الأستاذ محمّد بن رُمضانَ بما يُؤَكِّدُ المَعْلُومَاتِ الوَثَائِقيّةَ أنّ فرْحات حشّاد لَمْ يَجِدْ مِنْ مَلاَذٍ لِكَسْرِ الطّوقِ المَضْرُوبِ على مُنَظّمَتِه مِنْ قِبَلِ إدَارَةِ الحِمَايَةِ إلاّ الاعْتِرَافَ بالبَايْ كسُلْطَةٍ تُمَثِّلُ السِيَّادَةَ، فَسلَكَ سِيَاسَةَ التَّقَرُّبِ مِنَ الأَمِين بَاي لِيَقِفَ إلى صَفِّهِ وَنَجحَ في ذلك، فَحَمَى مَلِكُ البلادِ الاتِّحَادَ العَامَّ التُّونِسِيَّ للشُّغْل وَسَاعَدَهُ على الخُرُوج مِنْ عُزْلَتِهِ الإدَارِيَّة. وَقَدْ تَعَامَلَ فرحات حشّاد مَعَ الباي لِيُسَاعِدَهُ على تجاوُز مُخَلَّفاتِ أَزْمَةِ حَوادِثِ 5 أوت 1947 وَمَا كانَ يُواجِهُهُ مِنْ خَطَرِ القَضَاءِ على مُنَظَّمَتِهِ الفتِيَّةِ. (رَاجِعْ القِسْمَ الفِرَنْسِيّ).

قَوّى فرحات مَعْنَوِيّاتِ الأمِين باي خاصَّةً عَبْرَ دَوْرِهِ النَّشِيطِ ضِمْنَ مَجْلِسِ الأَرْبَعِين، مَجْلِسِ الشُّورَى الذي عَيَّنَهُ البَايْ في صائِفَةِ 1952. واسْتَطَاعَ فرحاتْ التّأْثيرَ عَلَيْهِ لِرَفْضِ إمضاءَ الإِصْلاَحَاتِ الشَّكْلِيَّةِ التي أَرَادَ فَرْضَهَا المُقِيمُ العَامُّ دي هُوتِكْلُوكْ. وَبمُجَرَّدِ اغْتيَالِ فَرْحَات انهارَ البَايْ وَأَمْضَى تلك الإِصْلاَحَاتِ الوَهْمِيّة ثُمَّ إِصْلاَحات فوازارْ.

وَمِمَّا يُؤَكِّدُ مَتَانَةَ العَلاَقَةِ التي كَانَتْ تَرْبُطُ فَرْحَات بالقَصْرِ المَلَكِيِّ وَمَدَى تَأثيرِهِ على الأمين بايْ وَحَاشِيَتِهِ رِوَايَةٌ سَمِعْتُهَا مِنَ الأُسْتَاذ محمّد بن رُمضان. قالَ لِي : «مَرَّتِ الأَيَّامُ وَحَصَلَتِ البلادُ على الاسْتِقْلال، وَكُنْتُ رَئِيسَ لَجْنَةِ التَّحْقِيقِ لَدَى مَحْكَمَةِ القَضَاءِ العُلْيَا. وَمِنْ بَيْنِ مَنْ حَقَّقْتُ مَعَهُمْ الأَمِين بايْ لاَ بِصِفَةٍ قَضَائِيَّةٍ لِتُهْمَةٍ جِنَائِيَّةٍ، بَلْ لِلتَّدْقِيق في بَعْضِ الأَحْدَاثِ التي جَرَتْ في عهْدِهِ وَأَخْذِ بَعْضِ المَعْلُوماتِ عَنْهَا في تَشْكِيلِ الحُكُومَاتِ العَمِيلَةِ».

وَكَانَ الأَمين باي آنذاك في إقَامَةٍ جَبْرِيَّةٍ بِإِحْدَى الضَّيْعَاتِ بِضَاحِيَةِ سُكْرَة. وَكَانَ يُرَافِقُنِي في التَّحْقِيق كَاتِبٌ وَحَاكِمُ تَحْقِيق مُسَاعِدٍ هو مُحمّد الشّرِيف. وَكُنْتُ أَسْأَلُ الأَمين باي مُسْتَوْضِحًا بَعْضَ الأحْدَاثِ فَيُجِيبُنِي أَحْيَانًا بِأَنَّ ذَاكِرَتَهُ قَصِيرَة وَيَطْلُبُ مِنِّي إِحْضَارَ زَوْجَتِهِ لِلَّا زُنَيْخَة التي تَسْتَحْضِرُ الوَقَائِعَ بِذَاكِرَةٍ أَقْوَى مِنْ ذَاكِرَتِهِ، فَتَجِيءُ لِتَقْدِيمِ بَعْضِ المعلومات.

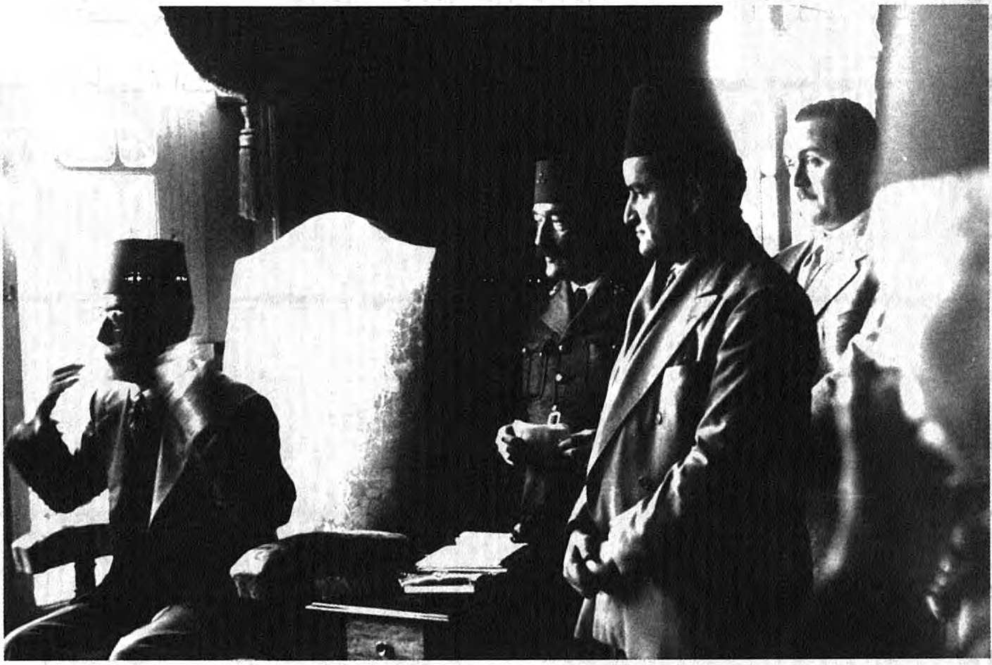


مِنَ اليَمِينِ إلى اليَسَارِ: الأَوَّل فَرْحاتْ حشّاد، الثَّاني فِرْجَاني بلحاج عمّار، الثَّالث صالَح فرحات، الرّابع رؤوف بايْ، الخَامِس المُنْجِي سليم، في موكب مرور أربعين يومًا على وفاة الملك الوطنيّ المنصف باي.

وَيَسْتَرْسِلُ مُحمّد بن رمضان في حَدِيثِهِ إِلَيَّ قَائِلاً : لَفَتَ نَظَرِي أَثْنَاءَ التَّحْقِيقِ أنَّ لَلَّا زُنَيْخَة تُطِيلُ فِيَّ النَّظَرِ وَتُحَدِّقُ بِي طَوِيلاً طَوِيلاً، وَأَحْيَانًا تُطْلِقُ تَنْهِيدَةً حَتَّى أَحْرَجَنِي المَوْقِفُ.

وَبَعْدَ أَنْ أَنْهَيْتُ التَّحْقِيقَ قالَتْ لِي : أَسْتَسْمِحُكَ في سُؤالٍ، فقلْتُ : تَفَضَّلِي، فقالَتْ : كَأَنِّي أَعْرِفُكَ. فَأَجَبْتُهَا : ذلكَ أَمْرٌ مُمْكِنٌ لِأَنِّي زُرْتُكُمْ في القَصْرِ صُحْبَةَ ثُلَّةٍ مِنْ رِفَاقِي بَعْدَ إِطْلاَقِ سَرَاحِنَا مِنْ مُعْتَقَلِ رمادة، فَقَابَلْنَا الباي بِإِشَارَةٍ مِنَ القِيَادَةِ الدُّسْتوريَّةِ وَكُنْتِ إِلى جانبِهِ. فقالت لاَ أَعْنِي ذلك. فَكُلَّمَا أَنْظُرُ إليك أَشْعُرُ بِقُشَعْرِيَرةٍ وَكَأَنِّي أَرَى سي فَرْحَات حشّاد. فَباللّهِ عليكَ، هَلْ لَكَ قَرَابَةٌ تَرْبِطُكَ بِهِ ؟ فَأَجَبْتُهَا : إِنَّهُ ابنُ خَالَتِي. فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْناهَا بالدُّموعِ وَقَالَتْ : «ذَاكَ الرَّجُلُ نَحْنُ الذين خَسِرْناهُ !» بِحَيْثُ كَانَتْ لَلَّازنيخة زوجةُ الأَمين باي تَكِنُّ لِفرحاتْ حشّاد مَحَبَّةً وَتَقْدِيرًا. وَفي ذلك دَلِيلٌ على مَتَانَةِ العَلاَقَةِ التي كَانَتْ تَرْبِطُهُ بالقَصْرِ وَتأثِيرهِ الكَبِيرِ على الأَمين باي وَحَاشِيَتِهِ.

وَيُضِيفُ مُحمّد بن رُمضان قَوْلَهُ : لَمَّا أُلْقِيَ القَبْضُ عَلَى الزُّعَمَاءِ في ***18*** جَانْفي ***1952*** ذَهَبَ وَفْدٌ مِنَ الحِزْبِ الحُرِّ لدّستوريِّ (الجديد) ومِنْ مُمَثِّلِي المُنَظَّمَاتِ القَوْميَّةِ مِنْ ضِمْنِهِمْ فَرحات حشّاد وَالمُنْجِي سليم وَإبراهيم عِبْد اللّهِ لِيَحْتَجُّوا على عَمَلِيَّةِ الاعِتِقَال ِوالقَمْعِ. وَيُرَى في صُورَةٍ التُقِطَتْ بِتِلْكَ المُناسَبَة الأمين بايْ وَهُوَ يَمُدُّ يَدَيْهِ مُشِيرًا إلى كَتِفَيْهِ قائلاً : أَنْتُمْ وَالقَضِيَّةُ التُّونِسِيَّةُ والشَّعْبُ التُّونِسِيُّ كُلُّكُمْ على كَتِفَيَّ (وهذا كلامٌ نَقَلَهُ محمّد بن رُمضان عَنْ فرحات حشّاد) (أُنْظُرْ الصُّورَة). وَيُضِيفُ الرَّاوي أَنَّهُ تَسَاءَلَ بِمَحْضَرِ فرحات : وماذا يكونُ العَمَلُ إذا لَمْ تَثْبُتْ قُوَّةُ كَتِفَيْهِ ؟ فَأَجَابَهُ فَرحات : حِينَئِذٍ نَتَجَاوَزه وَتُواصِلُ السَّيْرَ.



الأمين باي يرفَعُ يدَيْهِ إلى كَتِفَيْهِ إشارةً إلى أنّهُ يَضَعُ عليهما
القَضِيَّةَ الوَطنيّةَ والقيادَةَ الدُّستوريّة

بَرَزَ التَّضَامُنُ بَيْنَ مُؤَسِّس الاتِّحَادِ العَامّ التُّونسِي للشُّغْل وَقِيَادَةِ الحِزْبِ الحُرّ الدُّسْتُوري الجديد في اتِّجَاهِ «الوَحْدَةِ الوَطَنِيَّةِ» في العَدِيدِ مِنْ المُنَاسَبات. وَفِي خُطْبَةِ تَأْبِين شُهَدَاءِ حَادِثَةِ النَّفِيضَة الوَاقِعَةِ يوم **21** نوفمبر **1950** اسْتَنْتَجَ فَرْحَاتْ حَشَّاد العِبْرَةَ، إِذْ أَبْرَزَتِ الحَادِثَةُ الدَّامِيَةُ التِي ذَهَبَ ضَحِيَّتَهَا بِرَصَاص الجَنْدَرْمَةِ عُمَّالٌ مُضْرِبُونَ عَن الشُّغْل، «وَحْدَةَ الأُمَّةِ التُّونُسِيَّةِ فِي المِحَن وَالتَّضْحِيَةِ بِجَمِيع فِئَاتِهَا» عِنْدَمَا تَرَافَقَ وَرَاءَ تَوَابِيتِ الشُّهَدَاءِ مُمَثِّلُو السِّيَادَةِ الوَطَنِيَّة آنَئِذٍ «الأَمِيرُ وَالوَزِير» و«السِّيَاسِيُّ والاقْتِصَادِيُّ وَالفَلاَّحُ وَصَاحِبُ الصِّنَاعَة وَالعَامِلُ البَسِيطُ» حَسَبَ قَوْلِهِ.

وَيَدْخُلُ فِي نَفْس السِّيَاقِ أَيْضًا مَا كَتَبَهُ حَشَّاد فِي فَصْلٍ رَائِعٍ بِعُنْوَان «أُحِبُّكَ يَا شَعْب» نَشَرَهُ بِجَرِيدَة «الحُرِّيَّة» يَوْم **26** ديسمبر **1950** لاِسْتِخْلاَص العِبْرَةِ مِنْ وَاقِعَةِ هِنْشِير النَّفِيضَة، فَاعْتَبَرَهَا مَحَطَّةً تَارِيخِيَّةً خُصُوصِيَّةً عَلَى دَرْبِ النِّضَالِ الوَطَنِيِّ، مُمَثِّلَةً مَرْحَلَةَ تَحَوُّلٍ إِلَى عَصْرٍ جَدِيدٍ هُو - فِي نَظَرِهِ - «عَصْرُ التَّضَامُن»، و«الحَيَاةُ المُشْتَرَكَةِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ» بَيْنَ جَمِيعِ الفِئَاتِ «مِنْ أَجْل المَصْلَحَة العُلْيَا، وَسَعَادَةِ الجَمِيع، وَعِزَّةِ البِلاَدِ، وَكَرَامَةِ الأُمَّةِ، وَاحْتِرَام كِيَانِهَا وَسِيَادَتِهَا» (رَاجِع المقالة في المَلاحِق). وَكَانَتْ تِلْكَ الوَاقِعَةُ بِمَثَابَةِ الشَّرَارَةِ الأُولَى المُنْذِرَةِ بِقُرْبِ انْدِلاَعِ المَعْرَكَةِ التَّحْرِيرِيَّة الكُبْرَى الحَاسِمَةِ فِي جَانفي **1952** كَمَا تُبَيِّنُهُ مِنْ بَعْدُ.



في الصَّفِ الأَوَّل من اليَمين : صالَح بن يوسف وَمحمّد بَدْرَة، يَلِيهِ مُحمَّد سعد الله ، وفي أَقْصَى اليسار محمود الماطري وَهُمْ يُنْصِتُون إلى الكلمة التي يلقيها فرحات حشّاد في تأبين شُهداء النفيضة بِصَحْنِ الجامع الكبير بسوسة.
وفي الصّورة لاَ يُرَى حشّاد.

1950



الباب الرابع

صلته بالفيدرالية النقابية العالمية

F.S.M

فَكَّرَ فَرْحَاتْ حَشَّاد فِي رَبْطِ الصِّلَةِ بِالْمُنَظَّمَةِ النِّقَابِيَّةِ العَالَمِيَّةِ الْمُتَوَاجِدَةِ الوَحِيدَةِ آنَذَاكَ عَلَى السَّاحَةِ الدُّوَلِيَّةِ وَالأُمَمِيَّةِ مُنْذُ انْبِعَاثِهَا بِبَارِيس فِي ***29*** سبتمبر ***1945***، وَكَانَتْ خَادِمَةً لِتَوَجُّهَاتِ الكُتْلَةِ الشَّرْقِيَّة بِزَعَامَةِ النِّظَامِ البُلْشِفِيكِي بِمُوسْكُو. وَجَاءَ تَفْكِيرُ حَشَّاد فِي الاِنْضِمَامِ إِلَى الـ***F.S.M***، قُبَيْلَ انْعِقَادِ الْمُؤْتَمَرِ التَّأْسِيسِي لِلاِتِّحَاد، فَأَعَدَّ خِطَابًا (مَشْرُوعَ رِسَالَة) فِي طَلَبِ الاِنْضِمَام إِلَى الـ***F.S.M***، فقرأ نَصَّهَا فِي خِتَامِ الْمُؤْتَمَرِ التَّأْسِيسِيّ الرَّئِيسُ الشَّرَفِيُّ لِلاِتِّحَاد، الشَّيْخُ الفَاضِل ابن عَاشُور، وِفْقَ مَا أَفَادَتْ بِهِ الْمُخَابَرَاتُ العَامَّة بِالوَثِيقَة: (***1015 R.G./2 du 2 avril 1946***).

وَفِي ***5*** فيفري ***1946*** بَعَثَ فَرْحَات حَشَّاد رِسَالَةً إِلَى «وِيلْيَامْ سِيتْرِينْ» ***William Citrine*** رَئِيس الـ ***F.S.M*** يَطْلُبُ فِيهَا انْضِمَامَ مُنَظَّمَتِهِ إِلَى تِلك العَالَمِيَّة لِلشُّغْل، وَكَانَ يُرِيدُ مِنْ ذَلِكَ تَوْفِيرَ غِطَاءٍ عَالَمِيٍّ لِلاِتِّحَاد حَتَّى لاَ يُصَابَ بِمَا أَصَابَ جَامِعَةَ عُمُوم العَمَلَة التُّونِسِيِّين ***C.G.T.T*** فِي مَرْحَلَتِهَا الأُولَى بِقِيَادَةِ رَائِدِ الحَرَكَة النِّقَابِيَّة الوَطَنِيَّة، محمّد علي الحَامِّي (***1924-1925***) مِنْ مِحْنَةٍ فَاجِعَةٍ قَاسِيَةٍ وَحَلٍّ لِجِهَازِهَا وَتَغْرِيبٍ لِقِيَادَتِهَا، وَكَذَلِكَ جَامِعَةَ عُمُوم العَمَلَةِ التُّونُسِيِّين فِي مَرْحَلَتِهَا الثَّانِيَة مَعَ بِلْقَاسِم القنَاوِي، ثُمَّ الهَادِي نويرَة (***1936-1938***).

وَتَلاَحَقَتْ رَسَائِلُ فَرْحَات حَشَّاد فِي إِصْرَارٍ عَنِيدٍ عَلَى تَحْقِيق مَطْلَبِهِ رَغْمَ الضُّغُوطِ الْمُسَلَّطَةِ عَلَى إِدَارَةِ الـ ***F.S.M*** مِنْ قِبَلِ «لِيُونْ جُوهُو» ***Léon Jouhaux*** الذِي انْتُخِبَ، بَعْدَ إِطْلاَقِ سَرَاحِهِ مِنَ الْمُعْتَقَلاَتِ النَّازِيَّةِ بِأَلْمَانْيَا فِي عَام ***1945***، نَائِبًا لِرَئِيس الـ***F.S.M***.

وَلِلتَّذْكِيرِ أُلاَحِظُ أَنَّ «جُوهُو» الكَاتِبَ العَامَّ لِلسِّيجِيتِي عَلَى صَعِيدِ الإِمبراطُورِيَّة الفِرَنْسِيَّة هُوَ الذِي قَاوَمَ الحَرَكَة النِّقَابِيَّة الوَطَنِيَّة الأُولَى التِي قَادَهَا محمّد علي الحَامِّي كَمَا بَيَّنْتُ ذَلِكَ فِي كِتَابِي الصَّادِرِ فِي أَوَاخِرِ ***2006***

لِلتَّعْرِيفِ بِهَذَا الرَّائِدِ الوَطَنِيّ، فَكَانَ «جُوهُو» مُعَاضِدًا لِنَائِبِهِ بِتُونس «جُوَاكِيمْ دُورِيل» Joachim Durel لِلْقَضَاءِ عَلَى جَامِعَةِ عُمُومِ العَمَلَة التُّونسِيِّين فِي مَرْحَلَتَيْهَا الأُولَى وَالثَّانِيَة. وَهَا هُوَ يُعِيدُ الكَرَّة فِي مُحَاوَلَةٍ ثَالِثَةٍ لإِحْبَاطِ فَرْحَاتْ حَشَّاد وَمُنَظَّمَتَهُ.

وَفِي زَمَنِ حُكْمِ الرَّئِيس «فَانْسُونْ أُورِيُولْ» (1954-1947) Vincent Auriol ظَلَّ الحِزْبُ الاِشْتِرَاكِي .S.F.I.O يُحَرِّكُ خُيُوطَ المُرَاوَغَاتِ الثَّعْلَبِيَّةِ الهَادِفَةِ إِلَى تَعْطِيلِ انْضِمَام الاِتِّحَادِ العَامّ التُّونُسِي لِلشُّغْلِ إِلَى الـ F.S.M وَرَغْمَ تَأَثُّر فَرْحَاتْ حَشَّاد بِالمَدْرَسَةِ الاِشْتِرَاكِيَّةِ الفِرَنْسِيَّةِ أَثْنَاءَ تَمَدْرُسِهِ بِهَا لِمُدَّةِ ثَمَانِيَةِ أَعْوَام وَقُرْبِه مِنْ إِدَارَتِهَا، وَبالأَخَصّ مِنْ «أَلْبِيرْ بُوزَنْكِي» Albert Bouzanquet فَقَدْ أَصْبَحَ يَشْعُرُ بِأَنَّ الحِزْبَ الاِشْتِرَاكِيَّ المُتَوَاجِدَ فِي السّلْطَةِ مُشَارِكٌ فِي القَمْعِ الذِي أَصَابَ المُنَظَّمَةَ الشَّغِيلَةَ الوَطَنِيَّةَ إِثْرَ الحَوَادِثِ الدَّامِيَةِ (5 أوت 1947 بِصَفَاقُس).

نَعَمْ، خَيَّبَ الاِشْتِرَاكِيُّونَ الفِرَنْسِيُّونَ المُتَوَاجِدُونَ فِي السُّلْطَةِ حُسْنَ ظَنِّهِ بِهِمْ لِتَحْقِيقِ نَتَائِجَ وَانْتِصَارَاتٍ مَأْمُولَةٍ لِلْكَادِحِينَ وَفِي الدَّرَجَةِ الأُولَى لِلْقَضِيَّةِ الوَطَنِيَّة، فَوَاجَهَهُمْ بِخِطَابٍ وَطَنِيٍّ قَوِيّ، لاَ يَقْدرُ عَلَيْه إِلاَّ الأَفْذَاذ، كَمَا سَأُبَيِّنُهُ.

نَعَمْ، عَبَّرَ بِجَلاَءٍ وَإِبْدَاعٍ عَنْ مَوْقِفِهِ مِنْهُمْ أَثْنَاءَ انْعِقَادِ «مُؤْتَمَرِ شُعُوبِ آسِيَا وَأُورُوبَّا وَإِفْرِيقيَا» بِـ«بِيتُو» Puteaux فِي ضَوَاحِي بَارِيس فِي جَوَان مِنْ عَام 1948.

وَقَدِ الْتَأَمَ ذَلِكَ المُؤْتَمَر بِمُبَادَرَةٍ مِنْ رَجُلِ الفِكْرِ وَالسِّيَاسَةِ الزَّعِيم الاِشْتِرَاكِي «لِيُونْ بلُومْ» (1950-1872) Léon Blum، وَهُوَ مُرِيدُ القُطْب الاِشْتِرَاكِي فَارِس القَلَم الآخَر Jean Jaurès الذِي اغْتِيلَ مِثْلَ فَرْحَات حَشَّاد.

وَظَلَّ «لِيُونْ بلُومْ» الذِي كَانَ يُرْسِلُ مَقَالاَتِهِ مِنْ بَارِيس إِلَى جَرِيدَة «تُونس الاِشْتِرَاكِيَّة» Tunis Socialiste فَيَتَوَاجَدُ عَلَى صَفَحَاتِهَا مَعَ فَرْحَات حَشَّاد، كَمَا بَيَّنْتُهُ بِالشَّوَاهِدِ وَالإِحَالاَتِ فِي فَنِّ تَرْجَمَتِهِ بِالفِرَنْسِيَّة، قُلْتُ ظَلَّ



فرحات حشّاد (الرّابع من اليمين) النّاطق باسم إفريقيا
في مُؤتمر شُعوب آسيا وَأُوروبّا وإفريقيا المنعقد بِبيتُو (ضواحي باريس)
(18- 22 جوان 1948)، وعلى يمينه عبد المجيد رزق اللّه.

«لِيُونْ بلُومْ» Léon Blum وَفِيًّا - بَعْدَ مُؤْتَمَر Tours (ديسمبر 1920)، إِلَى العَالَمِيَّة النّقَابِيَّة الثَّانِيَة المُسْتَقِرَّة ببرُوكسيلْ وَالمَقْطُوعَة عَنِ المُشَارَكَة الشُّيُوعِيَّة بَعْدَ انْفِصَال الشُّيُوعِيِّين فِي إِطَارِ الكُومِنْتِرْن (Komintern) الحَمْرَاء عَام 1919.

نَعَمْ ضَبطَ فَرْحَات حَشَّاد مَوْقِفَهُ بِكُلِّ دِقَّةٍ وَبَرَاعَةٍ وَذَكَاءٍ وَاسْتِشْرَافٍ وَوَطَنِيَّة مِنْ أَهْدَافِ «مُؤْتَمر شُعُوبِ آسيَا وَأُورُوبَّا وَإِفْرِيقيَا» الذي حَضَرَهُ صُحْبَةَ المُنَاضِل الدُّسْتُورِي الكَبِير الأُسْتَاذ جَلُّولِي فَارِسْ وَأَيْضًا الطَّالِب عبد المجيد رزق اللّه. فَقَدْ وَضَّحَ مَوْقِفَهُ فِي مَقَالٍ مِنْ أَرْوَعِ مَا يُكْتَبُ فِي العِلْمِ السِّيَاسِيّ بِفِكْرٍ وَطَنِيٍّ غَيُور.

وَعُنْوَانُ مَقَالِهِ بالفِرَنْسِيَّة: («Le Congrès des Peuples» «مُؤْتَمَر الشُّعُوب») وَصَدَرَ لَهُ فِي جَرِيدَةِ «تونس الفَتَـاة» «La Jeune Tunisie» بتَارِيخ 6 جويلية 1948.

لَقَدْ خَابَ ظَنُّهُ فِي الحُكُومَةِ الفِرَنْسِيَّةِ المُنْبَثِقَةِ عَنْ رِفَاقِهِ القُدَامَى النَّقَابِيِّينَ فِي الحِزْبِ الاشْتِرَاكِي، عِنْدَمَا انْعَقَدَ مُؤْتَمَرُ Puteaux بِاجْتِهَادٍ مِنَ الجَنَاحِ اللِّيبِيرَالِي فِي ذَلِكَ الحِزْب، وَشَارَكَ فِيهِ الاشْتِرَاكِيُّونَ الإنجليز أَيْضًا فَضْلاً عَنِ الفِرَنْسِيِّين، فَرامُوا تَمتِينَ الأَوَاصِرِ بَيْنَ شُعُوبِ القَارَّاتِ الثَّلاثِ فِي اتِّجَاهِ التَّفَاهُمْ وَالتَّعَاوُنْ، فَكَشَفَ فَرْحَاتْ حَشَّادْ عَنِ الفِكْرَةِ السَّائِدَة أَثْنَاءَ المُدَاوَلاَت. وَهِيَ تَدْعُو إِلَى تَكْوِين «كُتْلَة» أَوْ «مُعَسْكَر ثَالِث» (Troisième bloc) بزَعَامَةِ أُورُوبَّا الغَرْبيَّة لِتُوَاجِهَ بِهِ المُعَسْكَرَيْن اللَّذَيْن بَدَءَا يَتَصَادَمَانِ بِصِفَةٍ تُثِيرُ الحَيْرَة، وَهُمَا يُمَثِّلاَنِ - حَسَبَ تَعْبِيرِهِ وِفْقَ مَا رَاجَ فِي المُؤْتَمَر - «الإِمْبِرْيَالِيَّة الرُّوسِيَّة وَالإِمْبِرْيَالِيَّة الأَمْرِيكِيَّة»، فَكَانَتْ «أُورُوبَّا الغَرْبِيَّة تَسْعَى - حَسَبَ تَعْرِيبِ كَلاَمِهِ بِأَمَانَةٍ - فِي جَمْعِ أَكْثَرِ مَا يُمْكِنُ مِنَ القُوَى الأَدَبِيَّة، وَبالأَخَصِّ المَادِّيَّةِ حَوْلَهَا لِتَقْوَى بِهَا عَلَى الصُّمُودِ، وَإِنْ لَزِمَ الأَمْرُ، عَلَى إِزَالَةِ الخَطَرِ المُحْدِقِ بِهَا.»

«وَهَذِهِ القُوَى المَنْشُودَةُ - دَائِمًا حَسَبَ خِطَابِهِ - لاَ تَجِدُهَا أُورُوبَّا الغَرْبِيَّة إِلاَّ فِي المَصَادِرِ اللاَّمَحْدُودَة لِلْقَارَّتَيْن (آسِيَا وَإِفْرِيقْيَا) اللَّتَيْن سَيْطَرَتْ عَلَيْهِمَا وَاسْتَغَلَّتْهُمَا حَتَّى الآن»، يَعْنِي تَارِيخ انْعِقَاد مُؤْتَمر Puteaux وَكِتَابَةِ مَقَالِه.

كَانَ مُنَظِّمُو ذَاكَ المُؤْتَمَر يَبْحَثُونَ عَن الصِّيغَةِ العَمَلِيَّة لِتَجْسِيمِ القُوَّة الثَّالِثَة، فَعبَّرَ الزَّعِيمُ النَّقَابِيُّ الوَطَنِيُّ عَنْ رِيبَتِهِ المَشْرُوعَةِ تِجَاهَ الأَقْطَارِ الاِسْتِعْمَارِيَّة الأُورُوبِّيَّة التِي تَبْحَثُ عَنْ «صَدَاقَةٍ محْسُوبَة» (**une amitié calculée**) يُرِيدُونَهَا مِنَ الشُّعُوبِ المُسْتَعْمَرَة لِدَعْم مَوَاقِفِهِم فِي جَوِّ بَوَادِرِ الصِّرَاع بَيْنَ العِمْلاَقَيْن. وَكَانَ خِطَابُهُ قَوِيًّا مُفْحِمًا، مُسْتَدِلاًّ بِهَذَا المِثَال: «فَالذِّئْبُ - حَسَبَ تَعْبِيرِه - لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ صَدَاقَةِ الخَرُوفِ، وَهُوَ يَشُدُّ خِنَاقَهُ لِيَحْمِيَهُ مِنَ الضِّرْغَام أَوْ يَحْمِيَ نَفْسَهُ مِنَ الخَطَر».

وَيَجْهَرُ فَرْحَات حَشَّاد بِأَنَّ الكُتْلَةَ الوَحِيدَة التِي تَهُمُّهُ وَفَرِيقَهُ آنَئِذٍ هِيَ «كُتْلَةُ الحُرِّيَّة» (**Le bloc de la liberté**).

وَتُحَرِّكُهُ الدَّوَافِعُ الوَطَنِيَّة حِينَمَا يُضِيفُ: «لَيْسَ مِنْ مَشَاغِلِنَا - نَحْنُ الشُّعُوبَ المُسْتَعْمَرَة - أَنْ نَتَّخِذَ مَوْقِفًا ضِدَّ هَذَا أَوْ ذَاكَ مِنَ المُعَسْكَرَيْن أَوْ لِفَائِدَةِ هَذَا أَوْ ذَاكْ، أَوْ أَنْ نُكَوِّنَ بِمَعِيَّةِ شُعُوبٍ أُخْرَى مُعَسْكَرًا ثَالِثًا أَوْ رَابِعًا. فَالكُتْلَةُ الوَحِيدَةُ التِي تَسْتَرْعِي اهْتِمَامَنَا الآنَ إِنَّمَا هِيَ كُتْلَةُ الحُرِّيَّة». (**Le bloc de la liberté**).

هَكَذَا تَلُوحُ لَنَا وَمْضَةُ العَبْقَرِيَّة فِي فِكْرِه الاسْتِشْرَافِي الوَطَنِي، إِذْ شَامَتْ عَيْنُهُ البَاطِنَة فِي حَزِيرَان **1948** مَفْهُومَ «الحِيَاد الإِيجَابِي» (**Neutralité positive**) أَوْ مَبْدَأَ «عَدَم الاِنْحِيَاز». (**le non-alignement**) وَصَدَرَ ذَلِكَ عَنْ فِكْرِهِ الكَشَّافِ فِي مَقَالِهِ قَبْلَ تِسْعَةِ أَعْوَام مِن اِنْعِقَادِ «مُؤْتَمَر بَانْدُونْق» الذِي أَسَّسَ فِي أَفْرِيل **1955** بِحُضُور **29** بَلَدًا آسْيَوِيًّا وَإِفْرِيقِيًّا مَجْمُوعَةَ بُلْدَانِ عَدَمِ الاِنْحِيَاز التِي سَاعَدَتْ نِضَالاَتِ الشُّعُوبِ المُسْتَضْعَفَة، وَأَصْبَحَ صَوْتُهَا يَصِلُ إِلَى أَسْمَاعِ القُوَى العُظْمَى. وَهَكَذَا تَحَقَّقَ حُلْمٌ مِنْ أَحْلاَمِ الشَّهِيدْ.

إِنَّ عِشْقَ الحُرِّيَّة يَنْبُعُ مِنْ وُجْدَانِ حَشَّاد الوَطَنِيِّ الغَيُور، وَيَصْدُرُ عَنْ فِكْرِهِ القَوِيِّ وَمَنْطِقِهِ العَجِيبِ فِي المَوَاقِفِ وَالكِتَابَاتِ كَمَا فِي مَقَالِهِ الرَّائِعِ الآخر

بِعُنْوان:

« Liberté, Liberté Chérie ! »

(حُرِّيَّتِي، يَا حُرِّيَّتِي العَزِيزَة !)

الصَّادِر فِي 12 مَاي 1948 بجَرِيدَة « La Jeune Tunisie ». وَكَانَ صُدُورُهُ قَبْلَ انعِقَادِ مُؤْتَمرِ آسْيَا وَأُورُوبَّا وَإِفْرِيقيَا.

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ المَقَال بِالفِرَنْسِيَّة وَالعَرَبِيَّة فِيمَا نَشَرَتْهُ لَهُ صُحُفُ «الحُرِّيَّة» و«لِوَاءُ الحُرِّيَّة» وَ « La Jeune Tunisie » وَ « Mission » وَغَيْرُهَا مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ فِي هَذَا المَقَام. وَهِيَ جَدِيرَةٌ بِأَنْ يَكْتَشِفَهَا بَاحِثُونَا وَمُعَلِّمُونَا وَمُتَعَلِّمُونَا مِنْ نَاشِئَتِنَا الطُّلاَّبِيَّة، وَأَنْ تُدَرَّسَ فِي كُلِّيَّاتِنَا وَمَعَاهِدِ الاِخْتِصَاص كَنَمَاذِجَ مِنْ فَنِّ المَقَالَةِ الإِبْدَاعِيَّة فِي العِلْمِ السِّيَاسِيّ، فَضْلاً عَنْ كَوْنِهَا رَوَافِدَ لِمَصَادِرِ تَارِيخِنَا الحَدِيث، تَارِيخ الحَرَكَة الوَطَنِيَّة.

إِنَّهَا صَيْحَاتُ برُومِثْيُوس وَنَشِيدُهُ وَمَنْطِقُهُ، مَنْطِقُ كُلِّ وَطَنِيٍّ حُرٍّ أَصَابَ الكَرِبُ مَوْطِنَهُ، فَقَامَ يَسْعَى بِأَقْوَال وَأَعْمَال لِفَكِّ قُيُودِهِ مِنْ سِجْنٍ كَبِير. إِنَّهَا أَنَاشِيدُ الحَيَاةْ فِي فَنِّ المَقَالَة تُسَاوِقُ وَتُنَاغِمُ فِي لَوْنِهَا الخُصُوصِيّ إِبْدَاعَاتِ شَاعِرِنَا الوَطَنِيّ أَبِي القَاسِمِ الشَّابِّي فِي فَنٍّ آخر، فَنّ القَرِيض بِدِيوَانِهِ «أَغَانِي الحَيَاةْ»، وَمِنْهَا قَصِيدُهُ «نَشِيدُ الجَبَّار أَوْ هَكَذَا قَال برُومِثْيُوس»، وَقَصِيدُهِ «إِرَادَةُ الحَيَاة» الذِي أَبْدَعَهُ بَعْدَ المُقَابَلَة التِي أَجْرَاهَا مَعَ الزَّعِيم الدُّسْتُورِيّ الطَّاهِر صفر فِي خَرِيفِ عَام 1934، فَأَصْبَحَتْ زَهَرَاتُهُ مِنْ نَشِيدِنَا الوَطَنِي:

«إِذَا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الحَيَاةْ * فَلاَ بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ القَدَر»

«وَلاَ بُدَّ لِلَّيْلِ أَنْ يَنْجَلِي * وَلاَ بُدَّ لِلْقَيْدِ أَنْ يَنْكَسِر»



فرحات حشّاد (الخامس من اليمين عَلَى المنصّة) يرأس اجتماعا.

وَيُضِيفُ فَرْحَات حَشَّاد إِلَى فَنِّ الخِطَابِ الوَطَنِي الإِبْدَاعِي صُمُودًا وَتَضْحِيَاتٍ بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيس.

وَلَهُ فِي كُلِّ مَيْدَانٍ مِنَ مَيَادِينِ الكِفَاح خِطَابُ وَطَنِيٌّ نَافِذْ، سَوَاءٌ فِي الدَّاخِلِ أَوْ فِي الخَارِج، فِي المَحَافِلِ الدُّوَلِيَّة. وَلاَ أُرِيدُ الدُّخُولَ فِي تفَاصِيلِ خِطَابِهِ الوَطَنِيّ لِكَشْفِ حِيَلِ خُصُومِهِ وَمُرَاوَغَاتِهِمْ الثَّعْلَبِيَّة التِي كَانُوا يُرِيدُونَ بِهَا إِحْبَاطَ سَعْيِهِ فِي الاِنْضِمَام إِلَى الـ***F.S.M***، كَمَا فِي المُنَاوَرَاتِ التِي تَزَعَّمَهَا «لوي سَيّانْ» ***Louis saillant***، وَكَانَ شُيُوعِيًّا، قَدْ شَارَكَ فِي مُقَاوَمَةِ الاحْتِلاَلِ النَّازِي لِبِلاَدِهِ فِرَنْسَا، وَاضْطَلَعَ بِمَسْؤُولِيَّاتٍ قِيَادِيَّةٍ لِلسِّيجِيتِي المَرْكَزِيَّة وَفُرُوعِهَا، وَارْتَقَى إِلَى الكِتَابَةِ العَامَّة لِلْـ ***F.S.M***، فَأَمْكَنَهُ مِنْ مَوَاقِعِهِ الرَّئِيسِيَّةِ أَنْ يُمَانِعَ وَيُمَاطِلَ وَيُرَاوِغ، وَيُوحِي لِلاِتِّحَادِ الإِقْلِيمِي لِلسِّيجِيتِي بِتُونس أَنْ يُغَيِّرَ اسْمَهُ لِيُصْبِحَ - تَظَاهُرًا بِأَنَّهُ تُونُسِيٌّ - ***U.S.T.T*** (الاِتِّحَاد النّقَابِي لِلشَّغَّالِين بِتُونس)، وَيَدْعُو ***Saillant*** فَرْحَات حَشَّاد لِيَتَوَحَّدَ بِالاِنْضِمَام لِـ ***U.S.T.T***، وِفْقَ سِيَاسَةِ الاِنْدِمَاجِ الاِسْتِعْمَارِيَّة أَي أَنْ يَقْبَلَ الذَّوَبَان وَفِقْدَان الهُوِيَّة الوَطَنِيَّة، فَكَانَ رَدُّ فَرْحَات حَشَّاد لِقَبُولِ مَبْدَإِ التَّوْحِيد وَطَنِيًّا مَشْرُوطًا بِمَطَالِبَ تَعْجِيزِيَّةٍ لِلشُّيُوعِيِّ «جُورجْ بُورُوبَانْ» ***Georges Propane*** الأَمِينِ العَامّ لِـ ***U.S.T.T*** وَحَامِيهِ فِي إِدَارَةِ ***F.S.M***، ***Louis Saillant.***

فَقَدْ طَالَبَهُمَا بِأَنْ تَكُونَ اللَّجْنَةُ الإِدَارِيَّة لِلْمُنَظَّمَةِ النّقَابِيَّة التُّونُسِيَّة المُوَحَّدَة التِي يَرُومُهَا خُصُومُهُ مُرَكَّبَةً مِنْ عَنَاصِرَ حَامِلِينَ لِلْجِنْسِيَّةِ التُّونُسِيَّة، وَأَنْ تَكُونَ اللُّغَةُ الرَّسْمِيَّة لِمُدَاوَلاَتِهَا هِيَ العَرَبِيَّة دُونَ غَيْرِهَا، وَأَنْ تُسَمَّى المُنَظَّمَةُ المُوحدَة «الاِتِّحَاد العَام التُّونُسِيّ لِلشُّغْل» (***U.G.T.T.***) كَمَا جَاءَ فِي تَوْصِيَّاتِ المُؤْتَمر القَوْمِي الثَّانِي لِلاِتِّحَاد (***1947***) وَفِي رَسَائِلِ فَرْحَاتْ حَشَّاد إِلَى الـ***F.S.M.***

وَكَانَ ذَلِكَ بِمَثَابَةِ قَلْبِ السِّلاَحِ عَلَى الخُصُوم (le retournement des armes) أَيْ بِالمُصْطَلَحِ العَرَبِيّ المَعْهُودِ «قَلْبِ ظَهْرِ المِجَنّ» فِي التَّكْتِيكِ السِّيَاسِيّ لِفَرْحَات حَشَّاد.

وَالأَمْثِلَةُ عِنْدَهُ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا القَبِيل، فَيَحَارُ البَاحِثُ فِي اخْتِيَارِ أَبْرَزِهَا كَأَمْثِلَةٍ لِخِطَابِ حَشَّاد ذِي البُعْدِ الوَطَنِي.

تَمَادَى Louis Saillant فِي مُنَاوَرَاتِهِ لِمُدَّةِ ثَلاثَةِ أَعْوَام لِمَنْعِ انْضِمَامِ الاتِّحَادِ العَامِّ التُّونُسِي لِلشُّغْلِ إِلَى الـ F.S.M. وَقَدْ يَطُولُ الخَوْضُ فِي تِلْكَ المُنَاوَرَات – كَمَا اسْتَعْرَضْتُهَا فِي القِسْمِ الفِرَنْسِيّ – «لِسَدِّ الطَّرِيق فِي وَجْهِ الاتِّحَادِ وَإِرْبَاكِ مُؤَسِّسِه بِالمُمَانَعَةِ وَالتَّلاعُبِ بِإِجْرَاءَاتِ وَشُرُوطِ الانْضِمَامِ وَالتَّعَلُّل بِوَاجِبِ تَوْحِيدِ صُفُوفِ البرُولِيتَارْيَا فِي تُونس كَمَا فِي العَالَم. فَكَانَ «لوي سَيَّان» المُتَغَطِّي بِقُبَّعَتَيْن، قُبَّعَةِ السِّيجِيتِي وَقُبَّعَةِ الـ F.S.M يُوفِدُ البِعْثَةَ تِلْوَ الأُخْرَى بِمُشَارَكَةِ «مَاكْ وِينِي» Mac Whinnie وَمُصْطَفَى العَرِيس، وَهوَ لُبْنَانِيٌّ، فِي مَسَاعٍ مُبَيَّتَةٍ لِتَجْمِيعِ الاتِّحَاد العَامّ التُّونُسِي لِلشُّغْل وَالاتِّحَاد الإِقْلِيمِي لِلسِّيجِيتِي بِتُونس الذِي غَيَّرَ اسْمَهُ مُدَاهَنَةً بِاسْم.U.S.T.T ، وَذَلِكَ بِقَصْدِ ابْتِلاعِ المُنَظَّمَةِ الشَّغِيلَةِ التُّونُسِيَّة الوَطَنِيَّة. وَقَدْ تَوَفَّقَ فَرْحَاتْ حَشَّاد لِقَلْبِ المِجَنّ عَلَيْهِم، وِفْقَ الأَسَالِيبِ التِي خَبرَهَا مِنْ عُبُورِهِ بِالمَدْرَسَةِ النَّقَابِيَّةِ الاشْتِرَاكِيَّةِ الضَّالِعَةِ فِي التَّكْتِيكِ السِّيَاسِيّ، فَوَاجَهَهُمْ بِشُرُوطٍ وَطَنِيَّةٍ تَعْجِيزِيَّةٍ لِخُصُومِهِ قَصْدَ ابْتِلاَعِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَبْتَلِعُوهُ. وَقَدْ جَادَلَهُمْ بِقُوَّةِ الحُجَّةِ، وَانْتَقَدَ Louis Saillant الذِي لَمْ يَتَوَرَّعْ عَنْ تَثْرِيبِ الاتِّحَادِ عَلَى إِثْرِ فَاجِعَةِ 5 أُوت 1947، فَاتَّهَمَ المُنَظَّمَة الشَّغِيلَة التُّونُسِيَّةَ بِأَنَّهَا «مُنَظَّمَةٌ مِلِّيَّة» (nationaliste)، «عُنْصُرِيَّةٌ» (raciste)، «تُمَارِسُ سِيَاسَةً انْفِصَالِيَّةً عَنْ فِرَنْسَا».

وَلَمَّا ظَهَرَ انْشِقَاقٌ فِي صُلْبِ الكُنْفِيدِيرَالِيَّة العَامَّة لِلشُّغْل (.C.G.T) بِفِرَنْسَا فِي دِيسمبر 1947، وَانفصَلَ عَنْهَا الاشْتِرَاكِيُّونَ الذِينَ كَانُوا يُمَثِّلُونَ

الأَقَلِّيَّة فِي تِلْكَ المُنَظَّمَة الشَّغِيلَة، وَأَسَّسُوا مَرْكَزِيَّتَهُم الخَاصَّة بِاسْمِ C.G.T–Force Ouvrière، انْعَكَسَ ذَلِكَ عَلَى العَمَلِ النِّقَابِي بِتُونِس الوَاقِعَة تَحْتَ الاِحْتِلَال، فَانْضَمَّ مُجَمَّعُ النّقَابَات الاِشْتِرَاكِيَّة بِتُونس (Cartel des Syndicats fédérés) إِلَى صَفِّ زُمَلاَئِهِم المُنْشَقِّينَ بِفرَنْسَا، بَعْدَ أَنِ انْفَصَلُوا عَنِ الاِتّحَادِ الإِقْلِيمِي لِلسِّيجِيتِي (U.D.-C.G.T.) حِينَمَا غَيَّرَ اسْمَهُ لِلمُنَاوَرَةِ ضِدَّ حَشَّاد لِيَتَسَمَّى U.S.T.T، فَكَوَّنُوا بِالإِيَالَةِ اتِّحَادًا عَلَى حِدَةٍ سَمَّوْهُ: (Union des Syndicats de Tunisie C.G.T.-F.O.) وَحَاوَلُوا اسْتِدْرَاجَ الاِتِّحَادِ العامّ التُّونُسِي لِلشُّغْل إِلَى صُفُوفِهِم.

وَلَمَّا أَصْدَرَ الاِشْتِرَاكِيُّونَ فِي المَجْلِس الفِيدِيرَالِي المَرْكَزِيّ بِفرَنْسَا فِي 10 مَاي 1951 لاَئِحَةً تَتَعَلَّقُ بِالحَرَكَةِ النّقَابِيَّة بِشَمَال إِفْرِيقيَا يُعَبِّرُونَ فِيهَا عَنْ وِصَايَتِهِمْ عَلَى تِلْكَ الحَرَكَةِ، فَيَدَّعُونَ أَنَّ مُسْتَقْبَلَهَا سَيَظَلُّ مَقْرُونًا تَمَامًا بِمَرْكَزِيَّةِ C.G.T.–F.O.، تَصَدَّى فَرْحَات حَشَّاد لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَدَحْض مَزَاعِمِهِمْ فِي مَقَالٍ لَهُ صَادِرٍ فِي جوَان 1951، مُؤَكِّدًا أَنَّ «الحَرَكَةَ النَّقَابِيَّة التِي تُعْتَبَرُ حَرَكَةً تَحْرِيرِيَّةً لاَ يُمْكِنُهَا التَّآلُفُ مَعَ عَقْلِيَّةِ الهَيْمَنَةِ الإِمْبِرْيَالِيَّة التِي يَتَوَجَّبُ عَلَى كُلِّ حَرَكَةٍ نَقَابِيَّةٍ حُرَّة مُقَاوَمَتُهَا وَتَدْمِيرُهَا» (وَهَذِهِ تَرْجَمَةٌ أَمِينَةٌ كَمَا لِمَقَالَتِهِ ذَكَرْنَاهَا فِي القِسْمِ الفِرَنْسِي).

ظَلَّتْ مُنَظَّمَة C.G.T.–F.O. تَضْمِرُ العِدَاءَ لِفَرْحَات حَشَّاد حَتَّى أَنَّهَا قَدْ وَجَّهَتْ مِنْ أَعْلَى مِنْبَرِ مُؤْتَمَرِهَا فِي 13 نُوفمبر 1952 نَذِيرًا لِفَرْحَات حَشَّاد، قُبَيْلَ اغْتِيَالِهِ، بِأَنَّهُ «لَمْ يَعُدْ زَعِيمَ حَرَكَة نِقَابِيَّة» بَلْ أَصْبَحَ «زَعِيمَ حَرَكَةٍ سِيَاسِيَّة».

وَذَاكَ النَّوعُ مِنَ الخِلاَفَاتِ التِي ظَهَرَتْ فِي صُفُوفِ الحَرَكَةِ النِّقَابِيَّةِ بِفرَنْسَا فِي جَوِّ الصِّرَاع بَيْنَ مَا كَانَ يُسَمَّى كُتْلَةَ العَالَم الحُرّ وَالكُتْلَة الشُّيُوعِيّة قَدِ امْتَدَّ إِلَى الـ F.S.M وَتَجَلَّى الخِلاَفُ فِي اجْتِمَاعِ مَكْتَبِهَا التَّنْفِيذِي المُلْتَئِم بِبَارِيس



فرحات حشّاد في اجتماعٍ بالمَقرِّ الأوَّل لِلاتِّحاد نهج سيدي عامر،
المتَقاطِع مَعَ نهج سيدي علي عَزُّوز.
وَيَظْهَرُ على يَسارِ حَشّادِ المُناضلُ مِنْ أَصْلٍ جزَائِريٍّ بُوجُمعَة الغَرْبِي،
وَوَراءَهُ العَلَمُ التُونِسِيُّ يُغَطِّي الجِدارَ.

فِي 19 جَانفِي 1949 بَيْنَ مُؤَيِّدٍ وَرَافِض لِلْوِصَايَةِ السُّوفْيَاتِيَّة، فَكَانَ ذَلِكَ الخِلَافُ مُبَشِّرًا بِظُهُورِ الكُونفِيدِيرَالِيَّة العَالَمِيَّة لِلنّقَابَات الحُرَّة (.C.I.S.L).

فِي تِلْكَ الظُّرُوفِ الخِلَافِيَّةِ، وَبَعْدَ انْتِظَار طَالَ ثَلَاثَ سَنَوات، وَخِشْيَةً مِنْ أَنْ يَنْظَمَّ الاتِّحَادُ العَامُّ التُّونُسِيّ لِلشُّغْل إِلَى المُنَظَّمَة النّقَابِيَّة العَالَمِيَّة الطَّالِعَة، قَبِلَتْ إِدَارَةُ اللاتِّحَادِ النَّقَابِيّ للعُمّال بِتونس .F.S.M عُضْوِيَّةَ الاتِّحَادِ بَدْءًا مِنْ غُرَّةِ جَانفِي 1949 فَاغْتَنَمَهَا الشُّيُوعِيُّ «جُورْج بُورُوبَانْ» Georges Poropane الكَاتِبُ العَامُّ لـU.S.T.T فُرْصَةً لِتَجْدِيدِ الدَّعْوَةِ إِلَى فَرْحَاتْ حَشَّاد أَنْ يَقْبَلَ تَوْحِيدَ المُنَظَّمَتَيْن دُونَ شُرُوط.

لَكِنَّ القَوْلَ الفَصْلَ كَانَ فِي اتِّجَاه الاِسْتِقْلَالِيَّةِ الوَطَنِيَّة كَمَا أَكَّدَهُ بَرْنَامَجُ عَمَلِ المُؤْتَمَرِ الثَّالِث الوَطَنِي فِي أَفْرِيل 1949، فَأَصْبَحَ الاِتِّحَادُ العَامُّ التُّونِسِيُّ للشُّغْلِ يَتَحَرَّكُ بِدَوَافِعَ وَطَنِيَّةٍ قَدِ ازْدَادَتْ قُوَّةً وَصَلَابَة، بِطُمُوحَاتٍ مَغَارِبِيَّةٍ لاَ تَخْلُو مِنْ تَوَجُّهَاتٍ عُرُوبِيَّةٍ إِفْرِيقِيَّة.

وَكَانَ فَرْحَاتْ حَشَّاد يُرَاسِلُ Louis Saillant الكَاتِب العَامّ لِلـF.S.M مُلِحًّا عَلَيْهِ أَنْ يُقِيمَ نَدْوَةً نِقَابِيَّةً شَمَالْ إِفْرِيقِيَّةً تَضُمُّ تُونِس وَالجَزَائِر وَالمَغْرب الأَقْصَى. وَقَدْ ظَلَّ هَذَا المَشْرُوعُ المَغَارِبِيُّ يَسْكُنُهُ، فَيُجَدِّدُ الدَّعْوَةَ إِلَى تَحْقِيقِهِ بِإِصْرَارٍ قَوِيٍّ فِي رَسَائِلِهِ المُوَجَّهَةِ إِلَى Louis Saillant، كَمَا فِي رِسَالَتِهِ إِلَيْهِ بِتَارِيخ 11 سبتمبر 1949. وَقَدْ رَاسَلَهُ فِي مَشَاغِلَ أُخْرَى اجْتِمَاعِيَّةٍ ذَاتِ أَبْعَادٍ وَطَنِيَّة بِتَجَاوُزِهَا لِلْمَطَالِبِ النّقَابِيَّةِ كَإِضْرَابَاتِ عُمَّالِ الفلاحَةِ بِهِنْشِير النَّفِيضَة التِي انْدَلَعَتْ فِي أَوَاسط اكتوبر 1950 وَأَفْضَتْ فِي 21 نوفمبر مِنْ نفس السَّنَةِ إِلَى فَاجْعَةٍ وَطَنِيَّةٍ، وَإِضْرَابَاتِ عُمَّالِ المَنَاجِمِ التِي تَوَاصَلَتْ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا دُونَ أَنْ تَلْقَى رَسَائِلُ حَشَّاد المُسْتَغِيثَةُ بِمُظَّمَةِ الـ .F.S.M آذَانًا صَاغِيَةً مِن قِيَادَتِهَا.

وَقَدْ وَجَّهَ فَرْحَاتْ حَشَّاد انْتِقَادًا لاَذِعًا لِتِلْكَ المُنَظَّمَةِ حِينَمَا حَضَرَ مُؤْتَمَرَهَا بِمِيلاَنُو (30 جوان - غُرّة جويليا 1949) مَرْفُوقًا بِمَحمود المسعدي

وَالطَّاهر البُرْصَالِي، فَغَابَ قُصُورَهَا عَنْ مُسَانَدَةِ قَضَايَا الأَقْطَارِ العَرَبِيَّةِ وتَمَنُّعَهَا عَنْ مُعَالَجَةِ الأَوْضَاعِ المَأْسَوِيَّةِ فِي تُونس وَفِي البُلْدَانِ الأُخْرَى المُسْتَعْمَرَة.

وَكَمْ كَانَتْ دَهْشَتُهُ وَخَيْبَةُ أَمَلِهِ كَبِيرَتَيْنِ حِينَمَا فُوجِئَ بِاتِّخَاذِ الـF.S.M قَرَارًا بِتَعْيِينِ بُورُوبانْ Georges Poropane خَصْمِهِ فِي تُونس عِضْوًا بِالمَجْلِسِ التَّنْفِيذِيّ لِلْمُنَظَّمَةِ العَالَمِيَّةِ مُمَثِّلاً لِمَنطقةِ شَمَال إِفْرِيقيَا، وَفَرْحَاتْ حَشَّاد مُجَرَّد نَائِبٍ لَهُ، فَطفحَ الكَأْسُ وَعِيلَ الصَّبْرُ إِذْ كَانَ حَشَّادٌ يَنْشُدُ إِقَامَةَ كُنْفِيدِيرَالِيَّةٍ نَقَابِيَّة شَمَال إِفْرِيقِيَّة إِيمَانًا مِنْهُ بِوَحْدَةِ مَصِيرِ الأَقْطَارِ المَغَارِبِيَّةِ الثَّلاَثَةِ التِي كَانَتْ تُوَاجِهُ نَفْسَ الهَيْمَنَةِ الاِسْتِعْمَارِيَّة.

وَهذَا التَّوَجُّهُ بَيِّنٌ فِي كِتَابَاتِ فَرْحَات حَشَّاد، كَمَا بَيَّنْتُ ذَلِكَ فِي تَحَالِيل سِيرَتِهِ وَفِي الزَّهَرَاتِ المُنْتَخَبَةِ بِالعَرَبِيَّةِ وَالفِرَنْسِيَّة مِنْ كِتَابَاتِهِ فِي «الحُرِّيَّة» و«لِوَاءِ الحُرِّيَّة» وَفِي «الرِّسَالَة» (Mission) وَغَيْرِهَا.

وَكَانَ حَشَّاد يُنَادِي بِبَعْثِ النِّقَابَاتِ الوَطَنِيَّةِ بِكُلٍّ مِنَ الجَزَائِرِ وَالمَغْرِبِ الأَقْصَى عَلَى غِرَارِ الاِتِّحَادِ العَامِّ التُّونُسِيِّ لِلشُّغْلِ صَاحِبِ الرِّيَادَةِ، حَتَّى يُمْكِنَ تَحْقِيقُ الكُنْفِيدِيرَالِيَّةِ النِّقَابِيَّة المَغَارِبِيَّة وَقَدْ لُوحِظَ حُضُورُ عِيسَاتْ إِيدِير، وَعَبْد الحَمِيد مِهْرِي، وَأَحمد بنْ بلَّةْ القِيَادِيِّينَ الجَزَائِرِيِّين فِي مُؤْتَمَرِ الـF.S.M (جويليا 1949) وِفْقَ مَا ذَكَرَهُ لِي أحمد بن صالح.

وَكَانَ مَوْقِفُ فَرْحَاتْ حَشَّاد اسْتِشْرَافًا لِمُؤْتَمَرِ طَنْجَة (أُكتوبر 1957) المُنْعَقِدِ بَعْدَ مُرُورِ خَمْسَةِ أَعْوَامٍ مُذْ تَارِيخِ اسْتِشْهَادِ فَرْحَاتْ حَشَّاد، فَظَلَّ حُلْمُهُ عَالِقًا بِالأَذْهَانِ حَتَّى حَانَ وَقْتُ انْبِعَاثِ الاِتِّحَادِ النِّقَابِي لِلْمَغْرِبِ العَرَبي (U.S.M.A.) وَاتُّخِذَ لَهُ مَقَرٌّ بِتُونس اعْتِرَافًا بِالجَمِيلِ لِلْمُبَشِّرِ بِهِ الزَّعِيم النِّقَابِيّ الشَّهِيد، وَذَلِكَ بَعْدَ انْعِقَادِ مُؤْتَمَرِ الدَّار البَيْضَاء (6 ديسمبر 1984) غَدَاة الذِّكْرَى الثَّانِيَّةِ وَالثَّلاَثِين لاِغْتِيَال فَرْحَاتْ حَشَّاد.

وَكَانَ مَشْرُوعُ الفِيدِيرَالِيَّةِ النَّقَابِيَّة المَغَارِبِيَّة الذِي حَمَلَهُ العَقْلُ الكَبِيرُ لِـفَـرْحَـات حَـشَّـاد يُـؤَرِّقُ وَيُـرْعِـدُ خَـوْفًـا مِـنْـهُ دُعَـاةَ الـتَّـفَـوُّقِ الاِسْـتِـعْـمَـارِي (les Prépondérants)، وَيَدْفَعُ بِفَرْحَات إِلَى التَّمَسُّكِ بِهِ وَالاِحْتِجَاجِ عَلَى إِدَارَةِ الـF.S.M لِعَدَمِ تبَنِّيهَا ذَلِكَ المَشْرُوعَ، كَمَا فِي رِسَالَتِهِ بِتَارِيخ 15 أَفرِيل 1950، فَيَتَّهِمُهَا بِالاِعْتِرَافِ بِالأَمْرِ الوَاقِعِ الذِي فَرَضَهُ الاِسْتِعْمَارُ الفِرَنْسِي عَلَى الأَقْطَارِ المَغَارِبِيَّةِ الثَّلاَثَةِ حَسَبَ قَوْلِهِ.

وَكَانَ خِطَابُهُ التَّحَرُّرِيُّ الجَرِيءُ الاِسْتِشْرَافِيّ فِي المَيْدَان النَّقَابِيّ يَأْخُذُ أَبْعَادًا سِيَاسِيَّةً وَطَنِيَّةً وَمَغَارِبِيَّةً وَإِفْرِيقِيَّةً تُزْعِجُ إِدَارَة الحِمَايَة فِي الإِيَالَة وَتُثِيرُ مَخَاوِفَ الدَّوَائِرِ النِّقَابِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ المَرْكَزِيَّة فِي عَاصِمَةِ الإِمْبرَاطُورِيَّة الفِرَنْسِيَّة إِذْ كَـانَ ذَلِـكَ الخِطَابُ يُـنْـذِرُ بِانْـتِـفَـاضَـاتٍ فِـي تِـلْـكَ الأَقْـطَـارِ الخَاضِـعَـة لِلْحُكْمِ الاِسْتِعْمَارِي الفِرَنْسِي، وَيَحْمِلُ خَاصَّةً فِي طَيَّاتِهِ بُذُورَ الثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ الحَاسِمَة التِي انْدَلَعَتْ بِقِيَادَةِ الحِزْبِ الحُرِّ الدُّسْتُورِيّ الجَدِيد فِي جَانفِي 1952، مُؤْذِنَةً بِانْتِفَاضَةِ المَغْرِبِ الأَقْصَى، ثُمَّ الثَّوْرَة الجَزَائِرِيَّة التِي آوَتْهَا تُونس وَرَعَتْهَا وَتَحَمَّلَتْ تَبِعَاتِهَا الفَاجِعِيَّة فِي سَاقِيَة سِيدِي يُوسف.

وَلاَ مَنَاصَ لِي – مَهْمَا حَاوَلْتُ الاِقْتِضَاب – مِنَ الإِشَارَة هَا هُنَا فِي تَحْلِيلِ الخِطَابِ الوَطَنِي لِفَرْحَات حَشَّاد وَمَوَاقِفِهِ وَنِضَالِهِ المَيْدَانِيّ، وَطَنِيًّا وَعَالَمِيًّا، إِلَى ظَاهِرَةٍ فَرِيدَة مِنْ نَوْعِهَا وَسَابِقَةٍ أُولَى فِي سِجِلاَّتِ تَارِيخ حَرَكَاتِ التَّحْرِير فِي العَالَمِ العَرَبِيّ وَفِـي إِفْرِيقيَا، أَلاَ وَهِيَ ظَاهِرَةُ التَّزَامُن وَالتَّنَاغُم (la synchronisation) بَيْنَ النِّضَال الاِجْتِمَاعِي وَالنِّضَالِ السِّيَاسِي فِي تَصَوُّرِ حَشَّاد لِمُقَاوَمَةِ الاِحْتِلاَلِ فِي أَوَاخِرِ أَرْبَعِينَاتِ وَأَوَائِلِ خَمْسِينَاتِ القَرْنِ المَاضِي ضِمْنَ «الوَحْدَة الوَطَنِيَّة» (L'Union Nationale). وَالعِبَارَةُ لِفَرْحَات حَشَّاد اسْتَعْمَلَهَا مَثَلاً فِي خِطَابِهِ بِمُؤْتَمَرِ الفِيدِيرَالِيَّـة الأَمْرِيكِيَّـة لِلشُّغْل .A.F.L بِسَانْ فِرَانسِيسْكُو فِي خُرِيفِ



فرحات حشّاد (الرّابع من اليمين) يرأس اجتماعًا نقابيًا،
وعلى المنصّةِ أُسْدِل العَلَمُ التونِسِيّ في حَجْمٍ كبير،
وَمَنْ وَرَاءِ الزَّعيم النّقابيّ شِعارُ الاتّحاد.

1951 (راجِع القِسْمَ الفِرَنْسِيَّ) حِينَمَا رَفَعَ يَدَ المُجَاهِدِ الأَكبر الحبيب بورقِيبَة المُتَوَاجِدِ مَعَهُ مُتَوَجِّهًا بِخِطَابِهِ ذِي البُعْدِ الوَطَنِيّ وَالمَغَارِبِيّ وَالإِفْرِيقِيّ قَائِلاً: «Voici notre héros national!»، وَاسْتَعْمَلَ عِبَارَات «الوَحْدَة الوَطَنِيَّة» وَضَرُورَة «تَنَاغُم النِّضَال الاِجْتِمَاعِي وَالنِّضَال السِّيَاسِي الوَطَنِي»، وَ«الأَوْلَوِيَّة التِي يَنْبَغِي أَنْ تُعْطَى لِلْكِفَاحِ السِّيَاسِي» كَمَا بَيَّنْتُ ذَلِكَ مُوَثَّقًا فِي التَّعْرِيفِ بِفَرْحَات حَشَّاد وَمَسِيرَتِهِ وَأَعْمَالِه مُفَصَّلَةً فِي القِسْمِ الفِرَنْسِيّ.

وَالجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ الشَّهِيدَ فَرْحَات حَشَّاد كَانَ ضِمْنَ تَرْكِيبَةِ الدِّيوَان السِّيَاسِيّ السِّرِّي المُوَازِي لِلدِّيوَان السِّيَاسِيّ العَلَنِي الذِي انْبَثَقَ عَن مُؤْتَمَرِ الحِزْب الحُرّ الدُّسْتُورِي التُّونُسِي الجَدِيد، المُنْعَقِدِ عَلَى عَجَل بِنَهْج قَرْمَطُّو (18 جَانفي 1952) تَارِيخ إِيقَاف المُجَاهِد الأَكْبَر. وَقَدْ تَرَأَّسَهُ الزَّعِيمُ الشَّهِيدُ الهَادِي شَاكِر. وَأَصْبَحَ فَرْحَات حَشَّاد فِي كَنَفِ السِّرِّيَّة المُنَسِّقَ العَامَّ لِلدُّسْتُور الجَدِيد وَحَرَكَةِ المُقَاوِمَة المُسَلَّحَة بَعْدَ اعْتِقَال المُجَاهِدِ الأَكْبَر وَرِفَاقٍ لَهُ فِي القِيَادَة، كَمَا بَيَّنْتُ ذَلِكَ مُوَثَّقًا فِي البَابِ الثَّانِي عَشَر فِي القِسم الفِرَنْسِيّ.

لَقَدْ كَانَ فَرْحَات حَشَّاد يَحْمِلُ إِذَنْ قُفَّازَيْنِ فَأَحَدُهُمَا نقَابِيّ وَالآخَرُ دُسْتُورِيٌّ. وَالتَّخْطِيطُ الحَشَّادِيُّ لِلْكِفَاحِ التَّحْرِيرِيّ مُتَنَاغِمٌ مَعَ بَرنَامَج الحَرَكَةِ الوَطَنِيَّةِ بِقِيَادَةِ الحِزْبِ الحُرِّ الدُّسْتُورِي التُّونُسِي (الجَدِيد) كَمَا يُبَيِّنُهُ خَاصَّةً مَقَالُهُ المُرَاوِح بَيْنَ اللِّين وَالشِّدَّة بعُنْوَان: « L'U.G.T.T. face à la crise » (الاتِّحَادُ التُّونُسِي لِلشُّغْل فِي مُوَاجَهَةِ الأَزْمَة) بِتَارِيخ 13 نوفمبر 1951 حَيْثُ يَقُول: «إِنَّ الشَّعْبَ التُّونُسِي قَدْ عَقَدَ العَزْمَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى عَلَى مُحَارَبَةِ النِّظَام (الاِسْتِعْمَارِي) المُتَسَبِّبِ فِي شَقَاوَتِه». وَيُفْهَمُ مِنْ السِّيَاقِ أَن فَرْحات حَشّاد لاَ يَسْتَبْعِدُ المُقَاوِمَة المُسَلَّحَة، إِنْ لَزِمَ الأَمْرُ. وَتَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ المَقَالَ مَقَالاَتٌ مُتَمِّمَةٌ لِمَنْهَجِ الكِفَاحِ الوَطَنِي كَمَقَال حَشَّاد فِي نَفْس «الرِّسَالَة» «Mission» بِعُنْوَان

«هُبُّوا إِلَى الأَمَام» (28 ديسمبر 1951)، وَمقَالِه «قَضِيَّةُ الحُرِّيَّة المُنْتَصِرَة» (8 فيفري 1952)، وَآخِرِ مَقَال لَهُ قَبْلَ إِيقَافِ «مِيسْيُونْ» بِعُنْوَان «تَضَامُنُ العَالَم النَّقَابِي» (15 فيفري 1952). (رَاجع التّحاليل في القسم الفرنسي).

وَمَا ذَكَرْتُهُ عَيِّنَاتٌ مُتَرْجَمَة لأُصُولِ عَنَاوِينِهَا بِالفِرَنْسِيَّةِ مِن مَقَالاَتِهِ الكُثْرِ التِي كَتَبَهَا بِلُغَةِ الخَصْمِ لِيَفْهَمَ رِسَالَتَهُ الوَطَنِيَّة، فَأَبْدَعَ فِيهَا أَيَّمَا إِبْدَاعْ.

وَالمُذْهِلُ حَقًّا زَخَارَةُ وَثَرَاءُ مَا صَدَرَ عَنْ هَذَا العَقْلِ الكَبِير. وَيَتَسَاءَلُ البَاحِثُ المُنَقِّبُ فِي حَيْرَةٍ وَتَعَجُّبٍ - لَوْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى قُدُرَاتِ الرَّجُل، وَسَعَةِ آفَاقِهْ، وَامْتِلاَكِهِ سِحْرَ البَيَانْ بِالفِرَنْسِيَّةِ وَمِنْ بَعْدُ بِالعَرَبِيَّةِ الفُصْحَى كَمَا شَهِدَ بِذَلِكَ أَنْصَارُهُ وَخُصُومُهُ - كَيْفَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْتَطِعَ مَا يَكْفِي مِنَ الأَوْقَاتْ لِتَذْبِيجِ مَا حَرَّرَهُ فِي ذَاكَ المُسْتَوَى الرَّفِيع الذِي يُضَاهِي بَلْ يَبُزُّ تَأَلُّقًا أَبْرَزَ وَأَشْهَرَ الأَقْلاَمْ، وَهُوَ يَكَادُ لاَ يَعْرِفُ طَعْمَ الرَّاحَة فِي أَحْلَكِ الظُّرُوفِ وَأَكْثَرِهَا إِرْهَاقًا بِأَعْبَاءِ المَسْؤُولِيَّاتْ؟

إِنَّهُ، بِلاَ رَيْب، الجِهَادُ البَاسِلُ الفَاعِلْ، وَالإِيمَانُ القَوِيُّ الدَّؤُوبْ بِثِقْلِ الأَمَانَةِ وَعَظَمَةِ الرِّسَالَةْ، المُحَرِّكَانِ لِنَبْضِ التَّفَانِي فِي حُبِّ الوَطَن بِلاَ مَحْسُوبِيَّة، وَالإِبْدَاعِ القِمَمِيّ فِي الكِتَابَةِ الاِجْتِمَاعِيَّة وَالاِقْتِصَادِيَّة وَالسِّيَاسِيَّةِ النَّابِضَةِ بِالصِّدْق، وَالمُتَّقِدَة بِوَهَجِ النِّضَال، المُتَعَالِيَةِ عَنِ اللُّغَةِ الخَشَبِيَّةِ وَالاِجْتِرَارِ وَالتَّكَلُّفْ.

تَصَاعَدَتْ شَيْئًا فَشَيْئًا، ثُمَّ اشْتَدَّتِ الأَزْمَةُ بَيْنَ حَشَّاد وَقِيَادَة الـF.S.M، وَأَفْضَى الخِلاَفُ فِي النِّهَايَةِ إِلَى إِعْلاَنِ القَطِيعَة وَالاِنْفِصَالِ عَن تلك المُنَظَّمَةِ النَّقَابِيَّة العَالَمِيَّة فِي المُؤْتَمَر الوَطَنِي الرَّابِع لِلاِتِّحَاد العَامِّ التُّونِسِيّ للشُّغل (مَارس 1951). فَقَدْ عَابَ عَلَيْهَا تَسْخِيرَ إِمْكَانَاتِهَا لِخِدْمَةِ أَهْدَافِ المُعَسْكَرِ الشَّرْقِيّ، وَخُضُوعَهَا لأَوَامِرِ مُوسْكُو وَإِهْمَالَ القَضَايَا المَشْرُوعَة لِلشُّعُوبِ المُسْتَعْمَرَة.

التَّوجُّهُ المغَارِبِيُّ الوحْدَوِيُّ النِّقَابِيُّ وَالتَّحْرِيرِيُّ لِفرحَات حشَّاد

لاَ يَفُوتُنَا، كَمَا ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلُ، الاِعْتِرَافُ بِأَنَّ فَرْحَاتْ حَشَّاد يُعْتَبَرُ المُبَادِرَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى بَعْثُ مَرْكَزِيَّاتٍ نَقَابِيَّةٍ مغَارَبِيَّةٍ وَتَوْحِيدِهَا فِي جَامِعَةٍ إِقْلِيمِيَّةٍ. فَهوَ مِنْ رُوَّادِ المَشْرُوعِ الاِتِّحَادِيِّ لِلْمَغْرِبِ العَرَبِيِّ عَلَى المُسْتَوى النّقابّي والسِّيَاسِيّ وَالاِقْتِصَادِيّ (فِي بُلْدَان شَمَال إِفْرِيقيَا الثَّلاثَة: تُونس وَالجَزَائِر وَالمَغْرب الأَقْصَى). وَلاَ أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ فِي نَادِي جَمْعِيَّةِ طَلَبَةِ شَمَال إِفْرِيقيَا المُسْلِمِين (A.E.M.N.A.) بِبَارِيس فِي 20 ديسمبر 1946:

«إِنَّ حَرَكَتَنَا العُمَّالِيَّةَ لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَبْقَى مُنْكَمِشَةً دَاخِلَ الحُدُودِ التُّونُسِيَّة. وَانْخِرَاطُنَا فِي الجَامِعَةِ النِّقَابِيَّةِ العَالَمِيَّةِ (FSM) سَيَضْمَنُ لِتُونِسَ مَقْعَدَهَا بَيْنَ الأُمَمِ الأُخْرَى لِلْعَمَلِ عَلَى تَحْقِيق الحَيَاةِ الكَرِيمَةِ العَامَّةِ لِلطَّبَقَةِ العُمَّالِيَّةِ فِي العَالَم. غَيْرَ أَنَّ العَمَلَ اليَوْمِيَّ لِمُنَظَّمَةٍ نقَابِيَّةٍ فِي النِّطَاقِ المَحَلِّيِّ مُحْتَاجٌ أَيْضًا إِلَى الاِعْتِمَادِ عَلَى وَحْدَةِ عَمَلِ جَمِيع مُنَظَّمَاتِ البِلاَدِ ذَاتِ الخُطُوطِ المُشْتَرَكَةِ فِي مَيَادِين الحَيَاةِ الأُخْرَى. وَأَعْنِي بِذَلِكَ تَوْحِيدَ الحَرَكَةِ النِّقَابِيَّةِ بِشَمَال إِفْرِيقيَا، وَهوَ مَشْرُوعٌ عَزِيزٌ عَلَيْنَا طَالَمَا حَلُمْنَا بِهِ. وَسَوْفَ لاَ نَأْلُو جُهْدًا فِي سَبِيل تَحْقِيقِهِ. وَلاَ مَجَالَ لِلشَّكِّ، يَا إِخْوَانِي، فِي أَنَّ حَظَّ بُلْدَانِ شَمَال إِفْرِيقيَا الثَّلاثَةِ مُشْتَرَكٌ وَوَثِيقُ الاِرْتِبَاطِ. وَقَضِيَّتُنَا وَاحِدَةٌ عَلَى وَجْهِ الإِطْلاَقِ. وَعَلَى هَذَا يَجِبُ إِحْكَامُ عَقْدِ الرِّبَاطِ الأَخَوِيِّ المَتِينِ الذِي يَرْبطُ بَيْنَ الطَّبَقَةِ العُمَّالِيَّةِ فِي الأَقْطَارِ الثَّلاَثَةِ فِي نِطَاقِ جَامِعَةٍ نقَابِيَّةٍ شَمَال إِفْرِيقِيَّة...»[1]

وَيَظْهَرُ هَذَا المَوْقِفُ الرِّيَادِيُّ سَابِقًا لِزَمَانِهِ، ثَوْرِيًّا فِي مُنَادَاةِ حَشَّادٍ مِنْ بَعْدُ بِتَنْظِيم عُمَّالِيٍّ جَزَائِرِيّ وَطَنِيّ صِرْفٍ، وَبَعْثِ حَرَكَةٍ نِقَابِيَّة بِالمَغْرِب الأَقْصَى لَمْ تَرَ النُّورَ آنَذَاك. (رَاجِع النصّ الكَامل فِي المُلحقات).

---

[1] رَاجِع النَّصّ الكَامل بِتَارِيخ 20 ديسمبر 1946 فِي المَلاَحِق.

وَقَدْ أَكْسَبَ حَشَّادُ دَعْوَتَهُ إِلَى إِقَامَةِ اتِّحَادٍ عُمَّالِيٍّ مَغَارِبِيٍّ بُعْدًا سِيَاسِيًّا يَنْدَرِجُ فِي نِطَاقِ الكِفَاحِ التَّحْرِيرِيِّ المُشْتَرَك إِذْ يَقُولُ فِي خِطَابِهِ بِمُنَاسَبَةِ اليَوْمِ العَالَمِيِّ لِلشُّغْلِ (غُرَّة مَاي 1951) مَا يَلِي:

«إِنَّ هَذَا الاتِّحَادَ (يَعْنِي مُنَظَّمَتَهُ) لَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِ الشَّعْبِ الإِفْرِيقِيِّ بِأَجْمَعِهِ [وَهَذَا بُعْدٌ إِضَافِيٌّ] إِذْ لاَ تَحْرِيرَ لِتُونِسَ وَلاَ لِلْجَزَائِرِ أَوْ مُرَّاكِشْ مَا دَامَ هَذَا المَغْرِبُ العَظِيمُ يَرْزَحُ تَحْتَ أَثْقَالِ الاسْتِعْمَارِ، فَلاَ غَرَابَةَ حِينَئِذٍ أَنْ أُنَوِّهَ فِي هَذَا العِيدِ بِالشُّعُوبِ الشَّقِيقَةِ: المَغْرِبِ وَجَلاَلَةِ سُلْطَانِهِ العَظِيمِ سِيدِي مُحمّد بن يُوسف وَشَعْبِهِ وَزُعَمَائِهِ وَشَعْبِ طَرَابُلس الجَسُورِ الذِي تَحَصَّلَ عَلَى اسْتِقْلاَلِهِ. فَهَذِهِ الوَحْدَةُ التِي تَجَلَّتْ فِي هَذَا العِيدِ تَجْعَلُنَا نَعْتَبِرُهُ عِيدَ التَّحْرِيرِ وَالاسْتِقْلاَلِ...»[1].

وَإِنَّ تَوَجُّهَهُ المَغَارِبِيَّ الشُّمُولِيَّ هُوَ الذِي جَعَلَهُ لِسَانَ دِفَاعٍ فِي صُلْبِ الاتِّحَادِ العَامِّ التُّونُسِيِّ لِلشُّغْلِ وَكَذَلِكَ الكُنْفِيدِيرَالِيَّةِ العَالَمِيَّةِ لِلنِّقَابَاتِ الحُرَّةِ عَنْ حَقِّ الشَّعْبَيْنِ الجَزَائِرِيِّ وَالمَغْرِبِيِّ الشَّقِيقَيْنِ فِي تَأْسِيس جَامِعَةٍ نِقَابِيَّةٍ وَطَنِيَّةٍ مُسْتَقِلَّةٍ عَنِ السِّيجِيتِي الفِرَنْسِيَّةِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ الحُصُولَ عَلَى تَأْشِيرَةٍ لِلْقِيَامِ بِمُهِمَّةٍ لِهَذَا الغَرَضِ، كَمَا أَفَادَنَا بِذَلِكَ فَرْحَاتْ حَشَّادْ فِي مَقَالِهِ بِعُنْوَان «العَمَلُ النِّقَابِيُّ وَالاسْتِعْمَار» (الرِّسَالَة فِي 22 جوَان 1951)[2].

---

(1) رَاجع النّصّ الكَامِل فِي المَلاَحِق.

(2) «Syndicalisme et colonialisme» par Farhat Hached, in «Mission» (22/06/1951). On y lit notamment : «Désigné par mon organisation syndicale pour la représenter au prochain Congrès de Milan, j'avais été chargé de présenter au dit Congrès un rapport sur la situation syndicale en Afrique du Nord.

Ce rapport devait être fait dans le cadre du projet de Création de Bureaux Régionaux de la C.I.S.L.

J'avais par conséquent besoin pour m'acquitter utilement de ma tâche de me documenter d'une façon aussi précise que possible; à cet égard, un voyage en Algérie et au Maroc s'imposait.

La Résidence Générale au Maroc me refuse le visa d'entrée...» (voir article en annexe.)

وَفِي مَقَالٍ آخَرَ بِعُنْوَان «الحَرَكَةُ النّقابيَّةُ بِشَمَالِ إِفْرِيقيَا» (نُشِرَ بِمَجَلَّةِ «النَّدْوَة» – 5 ديسمبر 1952)، وَهوَ تَاريخٌ مُتَزَامِنٌ مَعَ يَوْم اغْتِيَالِ فَرْحَاتْ حَشَّادْ يَجْهَرُ هَذَا القِيَادِيُّ ذُو البُعْدِ المَغَارِبِيِّ والإفْرِيقِي بِأَنَّ العَامِلَ «يَجِدُ نَفْسَهُ فِي المَغْرِبِ وَالجَزَائِرِ وَتُونس مُضْطَلِعًا بِمَسْؤُولِيَّتَيْن يَجِبُ عَلَيْهِ تَأْدِيَتُهُمَا: أُولاَهُمَا التَّحَرُّرُ الاِجْتِمَاعِيُّ، وَثَانِيَتُهُمَا التَّحَرُّرُ الوَطَنِيُّ. فَهوَ فِي الوَاقِعِ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحُدَّ نَشَاطَهُ فِي المُهِمَّةِ الأُولَى وَحْدَهَا لأَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنَ المُسْتَحِيلِ عَمَلِيًّا أَنْ يُحَقِّقَ مَطَامِحَهُ فِي الحَقْلِ الاِقْتِصَادِيِّ وَهوَ رَازِحٌ تَحْتَ نِظَامٍ سِيَاسِيٍّ يُسَيْطِرُ عَلَى البِلاَدِ وَلاَ يَعْتَرِفُ لِشَعْبِهِ بِالحُقُوقِ الأَوَّلِيَّةِ التِي تَتَوَفَّرُ بِهَا شُرُوطُ الإِنْسَانِيَّةِ».

وَمِثْلُ ذَلِكَ الخِطَابِ المُتَحَدِّي لِلاِسْتِعْمَارِ لاَ فِي تُونس فَقَطْ بَلْ أَيْضًا فِي القُطْرَيْنِ الشَّقِيقَيْنِ الجَزَائِرِ وَالمَغْرِبِ الأَقْصَى مَا كَانَ لِيَرُوقَ السُّلْطَةَ الفِرَنْسِيَّةَ العُلْيَا وَإِدَارَةَ الحِمَايَةِ وَغُلاَةَ المُعَمِّرِين، بَلْ يَسْتَفِزُّهُمْ جَمِيعًا وَيُثِيرُ غَضَبَهُمْ إِذْ كَانَتِ الجَزَائِرُ بِالخُصُوصِ تُعَدُّ فِي نَظَرِهِمْ مُقَاطَعَةً لاَ تَتَجَزَّأُ مِنَ التُّرَابِ الفِرَنْسِيِّ. فَكَانَ صَوْتُ فَرْحَات حَشَّاد فِي تَوَجُّهِهِ النِّضَالِيِّ المَغَارِبِيِّ نَذِيرًا لاِنْتِفَاضَةٍ شَامِلَةٍ لِشُعُوبِ شَمَالِ إِفْرِيقيَا قَاطِبَةً، وَهِيَ عِنْدَهُ شَعْبٌ وَاحِدٌ[1].

لِفَرْحَات حشّاد إِذَنْ تَوَجُّهٌ مَغَارِبِيٌّ وَاضِحٌ. وَقَدِ اتّصلَ بِنَقَابِيّينَ جَزَائِرِيّين وَمَغَارِبَةٍ لِلَمّ الشَّمْلِ. وَكَانُوا حاضِرِينَ مَعَهُ فِي مُؤْتَمرِ فيديرَالِيَّةِ الشُّغْلِ الأمريكيّة (A.F.L) فِي مُؤتَمرِهَا المُنْعَقَدِ فِي خَرِيف 1951 بسانْ فرانسيسْكُو كَمَا تُظْهِرُهُ صُورَةٌ شَمْسِيَّةٌ التُقِطَتْ فِي تلك المُنَاسَبَةِ حَوْلَ مائِدَةٍ حَضَرَهَا فرحاتْ حشّاد والحبيب بورقيبة وَثُلّةٌ مِنَ المَسْؤولين النّقابيّين المَغَارِبيّين (فِي القِسْمِ الفِرنسِيّ مِنَ الكِتاب). وَتبنّى فرحات فِي خطَابِه على مَنْبَرِ ذَلِكَ المؤتمر الدِّفاع عَنِ المغربِ العَرَبِيّ بِأَجْمَعِهِ وَكَانَ أَيْضًا لِسَانَ الدِّفَاعِ عَنِ القَارَّةِ الإِفْرِيقِيَّةِ. (راجع التّفاصيل

[1] راجع النّصّ الكامل لمقال حَشَّاد «الحركة النّقابيّة بشمال إفريقيا» (1950/12/5) في الملاحق.

في وَصف رَحلَتِهِ الأولى إلى الولاَيَاتِ المُتَّحِدَةِ الأمريكيَّةِ في القِسْمِ الفِرَنْسِيِّ مِنَ هذا الكتاب.)

وَقَدْ أَخْبَرَنِي الأُستاذُ محمّد بن رُمضان أنَّ ابنَ خَالتِهِ فرحات حشّاد أَدَّى زِيَارةً أثناء مُرُوره بباريس، بَعْدَ تَوَقُّفِ المفاوضاتِ حَوْلَ الحُكْمِ الذّاتِي، إلى مَصالي الحاج زعيم حِزْبِ الشّعب الجزائريّ (P.P.A) فَعَانَقَهُ هذا طَويلاً وَعَبَّرَ لَهُ عَنْ تَأَثُّرِهِ بزِيَارَتِهِ. وَكَانَ بَعْضُ المُلاَحِظِينَ يَلُومُونَ فرحات على ارْتِمَائِهِ القَوِيِّ في السّياسَةِ، فَكَانَ يُجِيبُهُمْ بأنَّ نِضالَهُ يَهْدِفُ إلى تَنْقِيَةِ البِلاَدِ مِنَ الاِسْتِعْمَارِ وَالاِسْتِغْلاَلِ، وَيقُولُ أَيْضًا أَنَّ التَخَلُّصَ مِنَ الاِسْتِعْمَارِ ليس غَايَةً في ذَاتِهِ بل وسيلة لِرَفاهَةِ الشَّعْبِ وَتَقَدُّمِهِ وَكَرَامَتِهِ.

نُفُورٌ مِنَ الشُّيُوعِيَّةِ وَتَعَلُّقٌ بِحُرِّيَّةِ التَّفْكِيرِ وَالتَّعْبِيرِ

يُعَلِّلُ فَرْحَاتْ حَشَّاد بِوُضُوحٍ تَامٍّ مَوْقِفَهُ مِنَ الفِيدِيرَالِيَّةِ النّقَابِيَّةِ العَالَمِيَّةِ (FSM) الخَاضِعَةِ لِلإِيدْيُولُوجْيَا الشُّيُوعِيَّةِ فِي مَقَالٍ جِدُّ هَامٍّ بِعُنْوَان «الحَرَكَة النّقَابِيَّة بِشَمَال إِفْرِيقيَا» صَادِرٍ بمَجَلَّةِ «النَّدْوَة» (5 ديسمبر 1952) كَمَا يَلِي:

«إِنَّ الاِتِّحَادَ العَامَّ التُّونُسِيَّ لِلشُّغْل شَعُرَ... أَنَّ الاِتِّحَادَ النّقَابِيَّ العَالَمِيَّ (FSM) لَمْ يَكُنْ إِلاَّ حَرَكَةً نَظَرِيَّةً وَأَدَاةً تَعْمَلُ لِتَنْفِيذِ سِيَاسَةِ الكُتْلَةِ الرُّوسِيَّةِ. فَالنَّظَرِيَّةُ الشُّيُوعِيَّةُ تَعْمَلُ فِي الظَّاهِرِ عَلَى تَحْرِيرِ الشُّعُوبِ. وَأَقُولُ «الظَّاهِر» لأَنَّ الحَقِيقَةَ هِيَ أَنْ لاَ وُجُودَ فِي نَظَرِ الكُتْلَةِ الرُّوسِيَّةِ لأَيِّ مَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ التَّحْرِير غَيْرَ التَّحْرِيرِ الشُّيُوعِيِّ.

وَالشَّعْبُ التُّونُسِيُّ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ مُسْتَعْمَرٌ مِنْ طَرَفِ الأَجْنَبِيِّ وَأَنَّهُ يَعْمَلُ بِطَبِيعَةِ الحَالِ لِلتَّحَرُّرِ مِنْ نِيرِ الاِسْتِعْمَارِ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْبَلَ هَذَا النَّوْعَ مِنَ التَّحْرِيرِ المُوصَى بِهِ مِنْ نَظَرِيَّةٍ ضَيِّقَةِ الأُفُقِ تَتَجَاهَلُ تَمَامًا جَمِيعَ الحُرِّيَّاتِ

الأَسَاسِيَّةِ لِلتَّفْكِيرِ وَالتَّعْبِيرِ، وَهيَ الحُرِّيَّاتُ التِي تُعَدُّ مِنْ أَعَزِّ وَأَثْمَنِ الحُرِّيَّاتِ وَأَكْثَرِهَا حَيَوِيَّةً وَإِلْحَاحًا بِالنِّسْبَةِ لِلإِنْسَانِ...

إِنَّ الشَّعْبَ التُّونُسِيَّ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَرَّرَ مِنْ سَيْطَرَةٍ اسْتِعْمَارِيَّةٍ لِيَقَعَ مِنْ جَدِيدٍ تَحْتَ نِظَامٍ اسْتِبْدَادِيٍّ مِنْ نَوْعٍ آخَر. وَهَذَا مَا جَعَلَهُ يَبْتَعِدُ عَنِ الشُّيُوعِيَّةِ بِقَدْرِ مَا يُكَافِحُ لِلتَّحَرُّرِ مِنَ الاِسْتِعْمَارِ...»[1] فَمَوْقِفُ حَشَّادٍ إِذْنْ وَاضِحٌ مِنَ الجَامِعَةِ النِّقَابِيَّةِ العَالَمِيَّةِ (FSM) التَّابِعَةِ لِمُوسْكُو. وَمَقَالُهُ هُوَ مِنْ أَبْلَغِ وَأَعْمَقِ الدُّرُوسِ فِي العِلْمِ السِّيَاسِيِّ (Science Politique) وَفِي مَعَانِي الحُرِّيَّةِ وَالدِّيمُقْرَاطِيَّةِ وَالرُّقِيِّ الاِجْتِمَاعِيّ. وَهَذَا المَقَالُ شَاهِدٌ بِسَعَةِ أُفُقِ الزَّعِيمِ فَرْحَات حَشَّاد المُنَاضِلِ وَالمُفَكِّرِ الذِي كَانَ لَهُ إِشْعَاعٌ قَوِيٌّ عَلَى المُسْتَوَى الوَطَنِيِّ وَالإِقْلِيمِيِّ وَالعَالَمِيّ. وَفِي ذَلِكَ إِزْعَاجٌ لِلْمُحْتَلِّين. وَمَقَالُهُ لاَ يَتَقَادَمُ بِمُرُورِ الزَّمَنِ، فَكَأَنَّهُ يَكْتُبُهُ الآنَ عِبْرَةً لِلشُّعُوبِ المُضْطَهَدَة.

---

[1] راجع فِي المَلاَحِقِ النَّصَّ الكَامِلَ لِمَقَال «الحَرَكَةُ النِّقَابِيَّةُ بِشَمَالِ إِفْرِيقِيَا» 1952/12/5.

الباب الخامس

الانضمام إلى الكنفيديرالية العالمية للنقابات الحرة (C.I.S.L)

أَظْهَرتْ هَذِهِ المُنَظَّمَةُ اهْتِمَامًا بِالحَرَكَةِ النّقَابيَّة التُّونُسِيَّةِ مُذْ خَرِيفِ 1950، فَأَوْفَدَتْ إِلَى بِلاَدِنَا أُولَى بِعْثَةٍ مُتَأَلِّفَةٍ مِنْ: مَارسِيل بَبُو Marcel Babau الفِرَنْسِي، وَرِيشَار بِرِيتْغُولف Richard Bringolf السّوِيسرِي، وَإِيرْفِينك بِراوْن Irving Brown الأَمْرِيكِي، ثُمَّ بيارْ لِينِتْغِيرْ Pierre Liniger وَستِي شَارْل Stie Charles مِنْ إِدَارَةِ السِّيزلْ قَصْدَ اسْتِكْشَافِ الأَوْضَاع بِتُونس (18 نُوفمبر – 10 ديسمبر 1950).

وَقَبْلَ انْضِمَامِ الاتِّحَادِ إِلَى السِّيزلْ، تَبَادَلَ فَرْحَاتْ حَشَّاد الرَّسَائِلَ مَعَ الأَمِينِ العَامِّ أُولْدِنبرُوكْ Oldenbroeck حَوْلَ عِدَّةِ قَضَايَا مِنْهَا الأَوْضَاعُ فِي المَشْرِقِ العَرَبِيّ وَبِالخُصُوص فِي مِصر وَالسُّودَان، وَكَذَلِكَ فِي المَغْرِب العَرَبِيّ، وَمِنْهَا إِضْرَابَاتُ هِنْشِير النّفِيضَة، وَالقَضِيَّتَانِ المَرْفُوعَتَانِ ضِدَّ مُؤَسِّس الاتِّحَادِ بِتُهْمَةِ التَّجَمُّع بِدُونِ رُخْصَة وَثَلْبِ صُنْدُوقِ الضَّمَانِ الاجْتِمَاعِيّ لِعُمَّالِ المَنَاجِمْ.

وَتَزَامَنَتِ القَطِيعَةُ مَعَ الفيديرَالِيَّةِ النّقَابِيَّةِ العالَمِيَّة .F.S.M وَقَرار الانْضِمَام إِلَى السِّيزِلْ فِي نَفْسِ المُؤْتَمَر الوَطَنِي الرَّابِعِ لِلاتِّحَاد (مَارس 1951) فِي جَوٍّ سَاخِنٍ بَيْنَ أَنْصَارِ القَطِيعَةِ مَعَ .F.S.M وَالانْضِمَام إِلَى .C.I.S.L، وَمُنَاهِضِينَ يُمَثِّلُونَ ثُلُث المُؤْتَمَر يَتَزَعَّمُهُمْ أَحمد بن صَالح وِفْقَ شَهَادَتِهِ وَشَهَادَاتِ مُعَاصِرِيه كَنُورِي بُودَالِي وَمُحمّد بن رُمْضَان.

وَلَمَّا اشْتَدَّ الخِلاَفُ بَيْنَ الفَرِيقَيْن تَدَخَّلَ فَرْحَاتْ حَشَّاد بِكِيَاسَتِهِ المَعْهُودَة وَبَرَاعَتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الإِقْنَاع لِفَضِّ الخِلاَفِ وَتَهْدِئَةِ الأَجْوَاء. وَكَانَ المُعَارِضُونَ يُنَادُونَ بِالوُقُوفِ عَلَى الحِيَادِ بَيْنَ المُنَظَّمَتَيْن.

وَفِي 5 أَفْرِيل 1951 رَاسَلَ الزَّعِيمُ النّقَابِيُّ الأَمِينَ العَامّ لِلسِّيزل Oldenbroeck لِيُعْلِمَهُ رَسْمِيًّا بِقَرَارِ مُنَظَّمَتِهِ الالْتِحَاقَ بِالسّيزِل وَالقَطْعَ النِّهَائِيَّ مَعَ F.S.M.

تَأَسَّسَتِ السِّيزل فِي مُؤْتَمرِهَا المُنْعَقِدِ بِلُنْدُنْ (28 نُوفمبر - 7 ديسمبر 1949). وَأَعْلَنَتْ فِي فَاتِحَةِ قَانُونِهَا الأَسَاسِيّ «حَقّ جَمِيع الشُّعُوبِ فِي الاِسْتِقْلاَل التَّامّ» و«مُسَانَدَةَ الجُهُودِ الرَّامِيَةِ إِلَى إِيجَادِ الظُّرُوفِ المُلاَئِمَة لِتَحْقِيق هَذَا الاِخْتِيَارِ فِي أَسْرَعِ وَقْت».

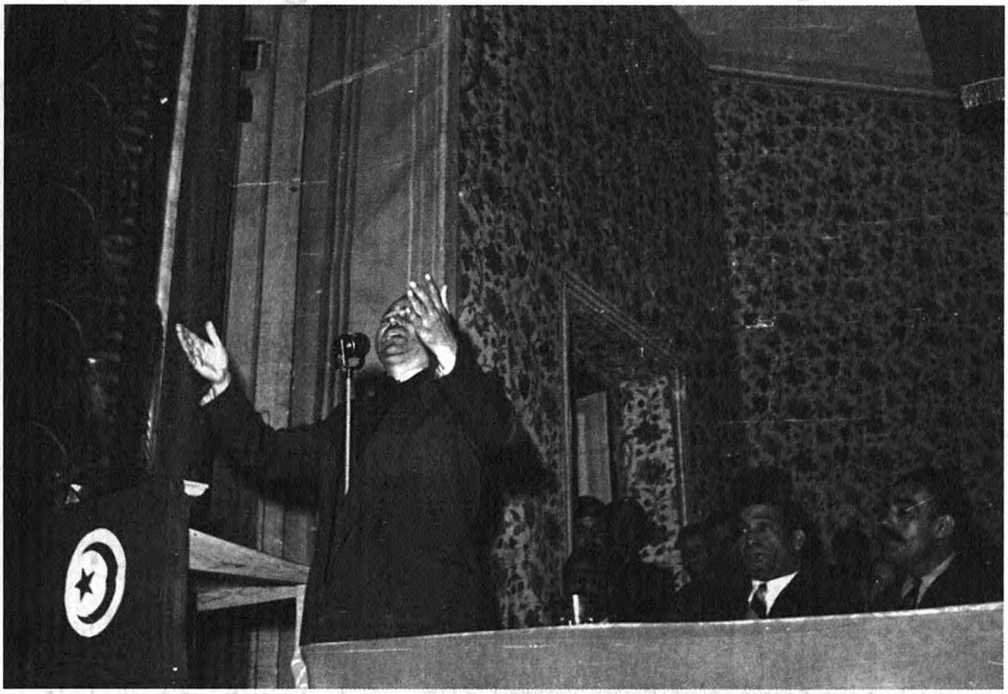
وَكَانَ هَدَفُ فَرْحَاتْ حَشَّاد مِنِ انْضِمَامِ مُنَظَّمَتِهِ لِلسِّيزل دَعْمَ مَوْقِعِهَا فِي المَحَافِلِ الدُّوَلِيَّة لِرِعَايَةِ مَصَالِح المَرْكَزِيَّة النّقَابِيَّة التُّونسِيَّة، وَبالأَخَصّ مُسَانَدَةِ القَضِيَّة الوَطَنِيَّة فِي مُوَاجَهَةِ السِّيَاسَة الاِسْتِعْمَارِيَّة، وَقَدْ أَبَانَ مَوْقِفَهُ بِجَلاَءٍ فِي مَقَالٍ لَهُ بِجَرِيدَة «الشَّعْب» فِي عَدَدِهَا بِتَارِيخ 20 جويليا 1951.

وَإِنَّ خِيَارَهُ فِي الاِنْضِمَام إِلَى السِّيزل وَاقِعِيٌّ بِرَاغْمَاتِيٌّ كَمَا يُبَيِّنُهُ التَّقْرِيرُ حَوْلَ العَلاَقَاتِ الخَارِجِيَّة لِلْمُؤْتَمرِ الرَّابع حَيْثُ جَاءَ فِي سِيَاقِهِ مَا يَلِي:

«بِانْخِرَاطِنَا فِي السِّيزلْ نَكُونُ أَكْثَرَ مُلاَءَمَةً مَعَ العُنْصُرِ الاِجْتِمَاعِيِّ الوَاقِعِيّ، فِي حِينِ أَنَّ الجُمْهُورِيَّاتِ الشَّعْبِيَّةَ (بُلْدَان أُورُوبَّا الشَّرْقِيَّة) قَدِ انْقَلَبَ مَثَلُهَا الأَعْلَى النّقَابِي وَانْحَرَفَ وَاسْتَحَالَ إِلَى خُضُوعٍ أَعْمَى وَأَصْبَحَ آلَةً بِيَدِ السُّلْطَة... وَنَحْنُ مُقِرُّون العَزْمَ عَلَى عَدَمِ التَّفْرِيطِ فِي شَيْءٍ مِنْ حُرِّيَّتِنَا فِي التَّفْكِيرِ وَالعَمَل. وَهَذَا مَا لَمْ نَكُنْ نَسْتَطِيعُ فِعْلَهُ ضِمْنَ الـF.S.M.

وَيَطُولُ هُنَا اسْتِعْرَاضُ الدَّوْرِ الفَاعِلِ الذِي قَامَ بِهِ فَرْحَاتْ حَشَّاد ضِمْنَ المَكْتَب التَّنْفِيذِي لِلسِّيزلْ، لِلدِّفَاعِ عَنِ القَضِيَّةِ الوَطَنِيَّة التِي احْتَلَّتِ الأَوْلَوِيَّة المُطْلَقَة فِي مَنْظُورِهِ وَكِفَاحِهِ المَيْدَانِيّ، وَكَذَلِكَ لِتَمْثِيل الأَشِقَّاء المَغَارِبِيِّينَ وَالدِّفَاعِ عَنْ طُمُوحَاتِهِمْ التَّحَرُّرِيَّة كَمَا فَصَّلْتُهَا فِي القِسْمِ الفِرَنْسِيّ.

وَكَانَتْ مُشَارَكَتُهُ قَوِيَّةً فِي المُؤْتَمرِ الثَّانِي لِلسِّيزلْ بِمِيلاَنُو عَلَى رَأْسِ وَفْدٍ مُتَكَوِّنٍ مِنْ نُورِي بُودَالِي وَمَحْمُود المِسْعدِي وَأَحْمَد التّلِيلِي وَبِنْ غُزِّيَّة. وَكَانَ الحَبِيب بُورقِيبَة مِنْ ضُيُوفِ المُؤْتَمر.



فرحات حشّاد يَخطُبُ في المؤتمر الرّابع لِلاتِّحاد

وَهكَذَا تزَاوَجَ الكِفَاحُ الاِجْتِمَاعِيُّ وَتَنَاغَمَ مَعَ الكِفَاحِ السِّيَاسِيِّ الوَطَنِيِّ فِي ظُرُوفِ الإِعْدَاد لِلْمَعْرَكَةِ التَّحرِيرِيَّة الحَاسِمَة.

وَيُلِحُّ فَرْحَاتْ حَشَّاد فِي مَقَالاَتِهِ الإِبْدَاعِيَّة الرَّائِعَة - كَمَا يُؤَكِّدُهُ التَّقْرِيرُ الأَدَبِيُّ لِلْمُؤْتَمَر الوَطَنِيّ الرَّابِع - عَلَى ضَرُورَةِ تَآلُف وَتكَامُل ذَيْنِكَ اللَّوْنَيْن مِنَ الكِفَاح، وَاعْتِبَار مَصَالِحِ الشَّغَّالِينَ جُزْءًا لاَ يَتَجَزَّأُ مِنَ المَصَالِحِ الوَطَنِيَّة، وَأَنَّ تَحْقِيقَهَا لاَ يَتِمُّ فِي مَنْأًى عَنْهَا. فَالاِسْتِعْمَارُ، كَمَا جَاءَ فِي التَّقْرِيرِ الأَدَبِيّ لِلْمُؤْتَمرِ الرَّابِعِ، يُوَاجِهُ التُّونُسِيِّين بِنِظَام مُعَاكِسٍ تَمَامًا لِمَصَالِحِهِم الوَطَنِيَّة الاِقْتِصَادِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّة وَالإِدَارِيَّة وَالأَمْنِيَّة وَالسِّيَاسِيَّة، فَمِنَ العَبَثِ انْتِظَارُ تَحْسِينِ الوَضْعِ الاِجْتِمَاعِيّ أَوْ تَغْيِير نِظَامِهِ بِدُونِ تَغْيِيرِ النِّظَامِ الاِسْتِعْمَارِي.

وَهكَذَا أَصبَحَ فَرْحَاتْ حَشَّاد فِي عَلاَقَاتِهِ مَعَ السِّيزِلْ، وَفِي نَفْسِ الوَقْتِ مَعَ المُنَظَّمَتَيْنِ الأَمْرِيكِيَّتَيْن لِلشُّغْل .A.F.L وَ.C.I.O يُولِي الأَوْلَوِيَّة المُطْلَقَة لِلْكِفَاحِ الوَطَنِيّ لِتَخْلِيص شَعْبِهِ مِنْ بَرَاثِنِ الاِحْتِلاَلِ كَمَا تَشْهَدُ بِذَلِكَ مَوَاقِفُهُ وَكِتَابَاتُه.

وَقَدْ بَيَّنْتُ بِالشَّوَاهِدِ -حِينَ حَلَّلْتُ مَقَالاَتِهِ الأَخِيرَة فِي «الرِّسَالَةِ» (Mission) قَبْلَ إِيقَافِهَا فِي أَوَاخِرِ فِيفري 1952 عَلَى إِثْرِ انْدِلاَعِ الثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّة - تَخْطِيطَهُ النِّضَالِيّ وَإِسْترَاتِيجِيَّتَهُ لِبُلُوغ الاِسْتِقْلاَل فِي تَنَاغُمٍ مَعَ الدُّسْتُورِ الجَدِيد، وَكَيْفَ كَانَ يُرَاوِحُ بَيْنَ اللِّين (الدِّيبلُومَاسِيَّة)، وَالشِّدَّة (أَي المُقَاوَمَة التِي لَهُ فِيهَا مَقَالاَت رَائِعَة) فِي «الحُرِّيَّة» و«لِوَاء الحُرِّيَّة». وَلَمْ يَسْتَثْنِ فِيهَا بِالإِشَارَةِ المُقَاوَمَةَ المُسَلَّحَة لِلاحْتِلاَل إِذَا أَخْفَقَتِ المُفَاوَضَات السَّلمِيَّة وَالمَسَاعِي الدِّيبلُومَاسِيَّة. أَلَمْ يُطَمْئِن المُجَاهِد الأَكْبَر - حِينَمَا زَارَهُ صُحْبَةَ الهَادِي نويرَة فِي مَنْفَاهُ بِطَبَرْقَة بُعَيْدَ إِيقَافِهِ مَعَ المُنْجِي سليم وَوَضْعِهِمَا تَحْتَ الإِقَامَةِ الجَبْرِيَّة - بِأَنَّهُ يَتَعَهَّدُ بِالصُّمُودِ وَالمُقَاوَمَة لِمُدَّةٍ قَدْ تَصِلُ إِلَى عَشْر أَوْ عِشْرِينَ سَنَة، وِفْقَ شَهَادَةِ بُورقِيبَة نَفْسِه؟ (راجع القسم الفرنسي)



الحبيب بُورقيبة يَتَوَسَّطُ الصُّورةَ وَعَلَى يَسَارِهِ فرحات حشّاد
وَعَلَى يَمِينِهِ أحمد التليلي في لَقْطَةٍ تِذكاريّة بِميلانُو
بِمُنَاسَبَةِ مؤتمر الكنفيديراليّة العالميّة لِلنّقابات الحرَّة في صائفة 1951.

وَلَمْ يَقَعْ إِيقَافُهُ خِشْيَةً مِنْ رُدُودِ الفِعْلِ العَالَمِيَّة عَبْرَ المُنَظَّمَاتِ النّقَابِيَّة : الكُنْفِيديراليَّةِ العَالَمِيَّةِ للنَّقَاباتِ الحُرَّةِ (C.I.S.L) وَ المَرْكَزِيّتَيْنِ الأَمْرِيكِيَّتَيْنِ لِلشُّغْلِ : .A.F.L وَ.C.I.O لِمَا كَان يحْظَى فِيها من مكانة وتأثير.

وَكَانَ حَشَّاد عَلَى اتِّصَال وَثِيق بالأَمِين العَامّ لِلسِّيزل، فَيُحِيطُهُ عِلْمًا بأَطْوَارِ المُفَاوَضَات التونسية - الفرنسية عَلَى الحُكْمِ الذَّاتِي، وَبِإِرْسَال تَقْرِيرٍ أَنْجَزَهُ وَأَوْصَلَهُ عَبْرَ المُنَاضِلِ البَاهِي الأَدْغَمْ مُدِيرِ المَكْتَبِ الدُّسْتُورِي بنيُورْك إِلَى اللِّجَانِ المُنْبَثِقَةِ عَنْ مُنَظَّمَةِ الأُمَمِ المُتَّحِدَة، الاقْتِصَاديَّة وَالاجْتِمَاعِيَّة، وَحُقُوقِ الإِنْسَان، وَلَجْنَةِ الوِصَايَة، لإِطْلاَعِهَا عَلَى الأَوْضَاعِ المُتَأَزِّمَةِ بالبِلاَد.

وَكَانَت السِّيزِلْ تَضْطَلِعُ زَمَنَئِذٍ بِدَوْرِ مَجْمُوعَةِ ضَغْطٍ فِي ظُرُوفِ طَلاَئِعِ الحَرْبِ البَارِدَة، فَتُقَدِّمُ الدَّعْمَ الفَاعِلَ لِزَعِيمِ الحَرَكَةِ النّقَابِيَّةِ المُدَافِعِ عَنِ القَضِيَّةِ الوَطَنِيَّة.

وَدَعْمُهَا لَهُ هُوَ - بِدُونِ شَكٍّ - دِيبْلُومَاسِيٌّ لَهُ مَرْدُودٌ إِيجَابِيٌّ فِي تَدْوِيلِ القَضِيَّةِ التُّونُسِيَّة، فَتُصْدِرُ البَيَانَات، وَتَبْعَثُ الرَّسَائِلَ إِلَى الدَّوَائِرِ المَسْؤُولَة فِي بَارِيس كَرِسَالَةِ أُولْدَنْبرُوكْ Oldenbroeck إِلَى رُوبارْشُومانْ Robert Schuman فِي غُرَّة فِيفري 1952 يُعْلِمُهُ فِيهَا أَنَّ السِّيزِل مُسْتَمِرَّة فِي الوُقُوفِ إِلَى جَانِبِ الاتِّحَاد فِي سَبِيلِ التَّوَصُّل إِلَى بَرْنَامَجٍ دَقِيقٍ يَضْمَنُ الحُكْمَ الذَّاتِي لِلشَّعْبِ التُّونُسِي. (انظر التفاصيل في القسم الفرنسي)

وَتَعَاقَبَتْ رَسَائِلُ Oldenbroeck إِلَى السُّلَطِ الفِرَنْسِيَّةِ لِحَثِّهَا عَلَى اسْتِئْنَافِ المُفَاوَضَات مَعَ المُمَثِّلِينَ الشَّرْعِيِّين لِلشَّعْبِ التُّونُسِي، كَمَا عَرَضْتُهَا فِي التَّعْرِيفِ بِمَسِيرَةِ فَرْحَاتْ حَشَّاد (القِسْم الفِرَنْسِيّ).

وَاسْتَمَرَّ دَعْمُ Oldenbroeck صَدِيقِ فَرْحَاتْ حَشَّاد الحَمِيمِيّ، لِلْقَضِيَّة الوَطَنِيَّة حَتَّى بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ.

الباب السادس

علاقات حشاد بالمنظمتين الأمريكيتين

A.F.L و C.I.O

هَذَا المَوْضُوعُ يَسْتَحِقُّ تَحْلِيلاً مُعَمَّقًا ضَافِيًا كَمَا أَنْجَزْتُهُ فِي سِيرَةِ حَشَّاد (القِسْم الفِرَنْسِيّ). فَأَكْتَفِي هُنَا بِخُطُوطٍ كُبْرَى.

بَعْدَ أَنْ أَنْجَزَ فَرْحَات مُهِمَّتَهُ فِي مُؤْتَمَر السِّيزلْ بِمِيلاَنُو - وَكَانَ صُحْبَةَ الحبيب بُورقِيبَة كَمَا أَسْلَفْنَا - رَحَلَ بِمُفْرَدِهِ، بَعْدَ تَوَقُّفٍ بِبرُوكسِيل وَبَارِيس، إِلَى الوِلاَيَاتِ المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة لِحُضُورِ مُؤْتَمر فِيدِيرَالِيَّة الشُّغْل الأَمْرِيكِيَّة .A.F.L المُنْعَقِدِ بِسَان فَرَانسِيسْكُو فِي خَرِيف 1951.

هَذِهِ المُهِمَّةُ قَدْ مَكَّنَتْ الحبيب بُورقِيبَة مِنْ تَعْمِيق مَعْرِفَتِهِ بِشَخْصِيَّة فَرْحَاتْ حَشَّاد، وَقَدْ رافقه وعايشه لمدّة شهر وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ خَاضَ مَعَهُ فِي بَعْضِ القَضَايَا الخَطِيرَة فَأَعَانَهُ فَرْحَات عَلَى إِيجَادِ الحُلُول التَّكْتِيكِيَّةِ وَالدِّيبلُومَاسِيَّةِ لَهَا، حَسَبَ قَوْلِه.

وَأَخْطَرُ مُشْكِلٍ وَاجَهَهُ بُورقِيبَة أَثْنَاءَ تَوَاجُدِهِ بِالوِلاَيَاتِ المُتَّحِدَة هُوَ رَدَّةُ الفِعْل الاِحْتِجَاجِيَّةُ الَّتِي أَثَارَهَا مَشْرُوعُ خِطَابٍ كَانَ يَنْوِي إِلْقَاءَهُ بِمِنْبَر مُؤْتَمَر سَانْ فَرَانْسِيسْكُو قَبْلَ مَجِيءِ حَشَّاد. وَقَدْ أَعَدَّهُ بِمَعِيَّة عَابد بُوحَافَة الذِي أَخْرَجَ النَّصّ بِالإِنْكلِيزِيَّة، وَأَحَالَهُ بتَعْلِيمَات بُورقِيبَة إِلَى وَكَالَةِ الأَنْبَاء الفِرَنْسِيَّة يَوْم 22 سبتمبر 1951 بِنيُورْك فِي نَفْس اليَوْم الذِي كَانَ بُورقِيبَة يَتَوَقَّعُ إِلْقَاءَ بَيَانه عَلَى مِنْبَرِ الـA.F.L، فَأَحَالَتْ وكَالَةُ .A.F.P نَصّ مَشْرُوع الخِطَاب لِلصَّحَافَة فَنقلَتْهُ Le Monde، فَأَثَارَ ضَجَّةً كُبْرَى فِي فِرَنْسَا وَرُدُودًا احْتِجَاجِيَّة قَوِيَّة مِنَ الكِي دُورسِي مُوجَّهَة إِلَى وِزَارَة الخَارِجِيَّة الأَمْرِيكِيَّة.

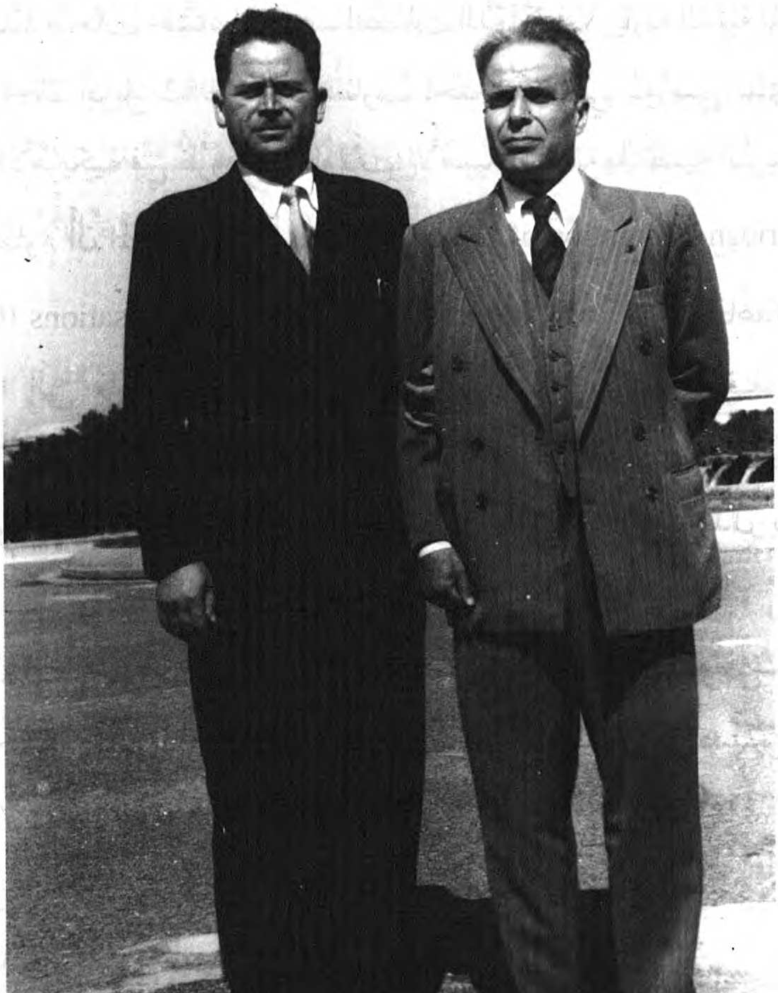
وَكَانَ النَّصُّ مُحْرِقًا (un brûlot) تَضَمَّنَ هُجُومًا عَلَى الشَّعْب الفِرَنْسِي الذِي حُمِّلَ تَبعَات السِّيَاسَةِ الاِسْتِعْمَارِيَّة لِحُكُومَتِهِ. وَيُعْتَبَرُ ذَلِكَ فِي العُرْف الدِّيبْلُومَاسِي «عَثْرَة لِسَان» (une bévue).

وَلَمْ يَتَمَكَّنْ بُورقِيبَة مِنْ إِلْقَاءِ خِطَابِه إِذْ مَاطَلَهُ Oldenbroeck حَتَّى وَصَلَ فَرْحَاتْ حَشَّاد إِلَى الْمُؤْتَمر فَأَنْقَذَ الْمَوْقِفَ بِخِطَابٍ دِيبلُومَاسِي وَلكِنَّهُ صَارِمٌ فِي المَبَادِئ، وَأَوْصَلَ نَفسَ الرِّسَالَة المُنَدِّدَة بالاِسْتِعْمَار بِأُسْلُوب الكِيَاسَة الدِّيبلُومَاسِيَّة، وَاسْتَغَلَّ الصِّرَاعَ القَائِمَ بَيْنَ المُعَسْكَرَيْن الغَرْبِيّ الحُرّ وَالشَّرْقِيّ الشُّيُوعِيّ لِيَدْعُوَ الرَّأْيَ العَامَّ الأَمْرِيكِيَّ وَالعَالَمِيَّ إِلَى تَجَنُّبِ إِحْدَاثِ خَيْبَةِ أَمَلٍ لَدَى الشُّعُوبِ الرَّازِحَة تَحْتَ نَيْر الاِسْتِعْمَار إِذَا وَجَدَتْ نَفْسَهَا مُضْطَرَّةً إِلَى التَّخَلِّي عَن اعْتِقَادِها بِإِمْكَانِيَّةِ التَّخَلُّص مِنَ الاِسْتِعْمَار بِمَنْأًى عَنْ الشُّيُوعِيَّة، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ التَّفَاصِيل التِي قَارَبْتُهَا بِقِرَاءَةٍ جَدِيدَة (فِي القِسْم الفِرَنْسِيّ).

وَقَدْ نَجَحَ فِي مُهِمَّتِه بِسَانْ فرانسِيسْكُو، فَتَمَكَّنَ مِنْ تَمْرِير مَشْرُوع لاَئِحَة ضِمْنَ تَوْصِيَاتِ مُؤْتَمَر الـA.F.L تُدِينُ الإِمْبِرْيَالِيَّة الاِسْتِعْمَارِيَّة.

وَمِثْلُ هَذَا المَوْقِف الضَّاغِطِ هُوَ الذِي أَسْهَمَ فِي تَلْيِين المَوْقِفِ الأَمْرِيكِيّ الرَّسْمِيّ تُجَاهَ تَدْوِيل القَضِيَّة التُّونُسِيَّة وَمُنَاقَشَتِهَا فِي مَجْلِسِ الأَمْن بَعْدَ فَشَلِ المُفَاوَضَات عَلَى الحُكْم الذَّاتِي.

وَلاَ أَدْخُلُ فِي تَفَاصِيل المَسَاعِي التِي قَامَ بِهَا، وَسَاعَدَتْهُ فِيهَا المُنَظَّمَتَان .A.F.L وَ.C.I.O، لَدَى وِزَارَة الخَارِجِيَّة الأَمْرِيكِيَّة وَالأَوْسَاط النَّقَابِيَّة وَالدِّيبلُومَاسِيَّة وَالإِعْلاَمِيَّة وَالفَنِّيَّة كَزِيَارَتِه صُحْبَة بُورقِيبَة Hollywood لِلاِتِّصَال بِالمُخْرِجِين السِّينِمَائِيِّين وَالنَّقَابِيِّين وَالإِعْلاَمِيِّين لِتَحْسِيس الرَّأْي العَامّ وَالأَوْسَاط الثَّقَافِيَّة وَالفَنِّيَّة الأَمْرِيكِيَّة بِالقَضِيَّة التُّونُسِيَّة، وَالْتِقَائِهِمَا بِـFeltone عِضْو لَجْنَة الشُّؤُون الخَارِجِيَّة بِالكُنْغرِسْ وَسِينَاتُور Névada، وَFulcone وَBelton مِنْ لَجْنَة الشُّؤُون الخَارِجِيَّة، وَالْتِقَائِهِمَا بِالمَسْؤُولِين عَنْ وِزَارَة الخَارِجِيَّة فِي حَفْل اسْتِقْبَال نَظَّمَهُ الأَمِير فَيْصَل سَفِير المَمْلَكَة العَرَبِيَّة السَّعُودِيَّة، وَالتِقَائِهِمَا أَيْضًا بِـPaul Fisher مُدِير بَرنَامَج مَارْشَال بِوَاشِنْطُنْ، وَكَذَلِكَ لِقَائِهِمَا بِنيُورك مَعَ Arnold Zenter مُدِير



الزّعيم فرحات حشّاد صُحْبَةَ المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة
على يساره بسانْ فرانسيسْكو (خريف 1951)

الـدِّيـوَان الـدَّولِـي لِـشُـؤُونِ الشُّـغْـل الـتَّابِع لِـمُـنَـظَّـمَـة الأُمَـم المُتَّـحِـدَة، وَArnold Leysmann مُسْتَشَار المُنَظَّمَة الأُمَمِيَّة المُهْتَمَة بِالمُنَظَّمَات النَّقَابيَّة.

وَجدَّدَ فَرْحَاتْ حَشَّاد لِقَاءَاتِهِ بالمُنَظَّمَات الدَّولِيَّة فِي زِيَارَتِهِ الثَّانِيَة لِلْولاَيَات المُتَّحِدَة (4-27 أفْريل 1952)، وَقَدْ أَثَارَتْ احْتِجَاجَ الكِي دُورْسِي لَدَى وزارَة الخَارِجِيَّة الأَمْرِيكِيَّة فِي ظُرُوفِ المُدَاوَلاَتِ الأُمَمِيَّة المُتَعَلِّقَة بِالقَضِيَّةِ التُّونُسِيَّة.

وَالمَعْلُومُ أَنَّ المَرْكَزِيَّتَيْن: L'Américan Federation of Labor (A.F.L.)

وَ(.Congress of Industrial Organisations (C.I.O قَدْ كَانَتَا مُتَبَاعِدَتَيْن مِنْ عَام 1935 إِلَى عَام 1955. فَالأُولَى تَجْمَعُ بِالأَخَصِّ نَقَابَاتِ الحِرَف، وَالثَّانِيَةُ تَجْمَعُ بِالأَخَصِّ نقابَاتِ الصِّنَاعَات. ثُمَّ اتَّحَدَتَا، فَأُطْلِقَ عَلَيْهِمَا مُجْتَمِعَتَيْن اسْمُ مُرَكَّبُ هُوَ: .A.F.L.–C.I.O بُعَيْدَ اغْتِيَال فَرْحَاتْ حَشَّاد الذي بَذَلَ بِكِيَاسَتِهِ وَصَدَاقَتِهِ لِقِيَادَتَيْ المُنَظَّمَتَيْن مَسَاعِيَ حَثِيثَةً أَثْنَاءَ زِيَارَتَيْهِ لِتَوحِيدِهِمَا.

وَتَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ صُورَةٌ نَاطِقَةٌ بِمَلاَمِحِ وَحَرَكَةِ الشُّخُوص جَمَعَتْ فَرْحَاتْ حَشَّاد بِمَسْؤُولَيْن قِيَادِيَيْن لِلْمُنَظَّمَتَيْن الأَمْرِيكِيَّتَيْن المُنْفَصِلَتَيْن وَهُمَا: Mr Green رَئِيس الـA.F.L، وMr Carrey الكَاتِب - أَمِين المَال لِـC.I.O.

وَتُرِيكَ الصُّورَةُ هَذَيْن القِيَادِيَيْن وَقَدْ تَشَابَكَتْ يَدَاهُمَا بِيَدَيْ فَرْحَاتْ حَشَّاد بِمَا يَرْمُزُ إِلَى تَقَارُبِهِمَا فِي اتِّجَاهِ التَّوَحُّد.

وَهَذَا المَوْقِف يَحْتَلُّ فِيهِ حَشَّاد مَوْقِعَ الخَرِيدَةِ مِنَ العِقْدِ (la grosse perle mitoyenne) لِمَا جُبِلَ عَلَيْهِ مِنْ قُدْرَةٍ عَلَى المُصَالَحَةِ وَالتَّوفِيق بَيْنَ النَّاس.(انْظُر الصُّورة فِي القِسْمِ الفِرَنْسِي)

هَكَذَا أَقْرَأُ الصُّورَةَ قِرَاءَةً إِيكُونُوغْرَافِيَّةً (lecture iconographique) كَمَا تَظْهَرُ بِتَعَالِيقَ أَسْفَلَهَا فِي القِسْمِ الفِرَنْسِيِّ مِنَ الكِتَاب. وَالعَيْنُ تُدْرِكُ مَعَانِي الصُّورَةِ أَسْرَعَ وَأَقْوَى مِنْ إِدْرَاكِهَا بِالنَّصِّ المَكْتُوبْ.

رُدُودُ الفعلِ الاستِعمَارِيَّة على فرحات حشَّاد

أَثارَتْ هَذِهِ الزِّيَارَةُ غَضَبَ السُّلُطاتِ الفِرَنْسِيَّةِ، فَلَمَّا عَادَ فَرْحَاتْ حَشَّاد إِلَى تُونِس مِنْ رِحْلَتِهِ الأَمْرِيكِيَّةِ الثَّانِيَةِ سُحِبَ جَوَازُ سَفرِهِ. ثُمَّ اسْتُدْعِيَ إِلَى مَقَرِّ الإِقَامَةِ العَامَّةِ لإِجْرَاءِ مُحَادَثَةٍ. وَخاطَبَهُ المُقِيمُ «دِي هُوتِكْلُوكْ» بلُغَةِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب، فَأَشْعَرَهُ بِأَنَّهُ يَنْوِي تَعْيينَهُ وَزيرًا لِلشُّغْل، بَعْدَ اسْتِتْبابِ الأَمْنِ في البِلادِ ثُمَّ لامَهُ عَلَى نَشَاطِهِ السِّيَاسِيِّ أَثْنَاءَ إِقَامَتِهِ بِالوِلاَيَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ مُعَلِّلاً بِذَلِكَ سَحْبَ جَوَازِ السَّفَرِ مِنْهُ.

وَلَكِنَّ فَرْحَات حَشَّاد قَابَلَ عَرْضَ المُقِيمِ العَامِّ بِابْتِسَامَةٍ سَاخِرَةٍ وَأَجَابَهُ بِأَنَّ نَشَاطَهُ يَدْخُلُ فِي نِطَاقِ عَمَلِهِ النِّقَابِيِّ الذِي تَدْعَمُهُ الكُونْفِيدِيرَالِيَّةُ العَالَمِيَّةُ لِلنِّقَابَاتِ الحُرَّةِ (CISL). وَلاَحَظَ لِمُخَاطِبِهِ أَنَّ القَمْعَ المُسَلَّطَ عَلَى الشَّعْبِ التُّونُسِيِّ لاَ يُؤَدِّي إِلَى الحَلِّ الإِيجَابِيِّ لِلْقَضِيَّةِ الوَطَنِيَّةِ، بَلْ يَزِيدُ فِي تَعْقِيدِهَا. وَنَجِدُ كَشْفًا لِحَشَّاد عَمَّا دَارَ مِنْ حَدِيثٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المُقِيمِ العَامِّ لِفِرَنْسَا بِتُونِس دِي هُوتِكْلُوكْ فِي وَثِيقَةٍ (عدد15) مِنْ مَخْزُونِ «أَرْشِيفِ الإِدَارَةِ الأَمْرِيكِيَّة (NARA)»، أَحَالَهَا القُنْصُلُ العَامُّ الأَمْرِيكِيُّ «لِيبرُوتُون» (Lebreton) إِلَى وِزارَةِ الخَارِجِيَّةِ بِوَاشِنْطُون[1].

فرحات حشّاد في مكتَبِ دِي هُوتكلُوك وِفقَ رِوايَةِ مُحمّد بن رُمضَان

حَدَّثَنِي الأستاذ محمّد ين رُمضان أَنَّ ابْنَ خالَتِهِ وَرَفِيقَ دَرْبِهِ فَرْحَات حشّاد قَدِ اتَّصَلَ بِمُكَالَمَةٍ هَاتِفِيَّةٍ مِنْ رَئِيسِ دِيوانِ المُقِيمِ العَامِّ دِي هُوتِكْلُوكْ لِيُبْلِغَهُ أَنَّ رَئِيسَهُ يُدْعُوهُ لِمُقَابَلَةٍ عَلَى انْفِرَادٍ، فَأَجَابَهُ فَرْحَات حَشّاد بِأَنَّ عَلَى المُقِيمِ

---

[1] راجع فِي هذا الغَرَض مُدَاخَلَة جَمِيلَة حَشَّاد الشّعري في «أعمَال المُؤتمر العلمي حَوْلَ فرحَات حَشَّاد». نَشْر مُؤَسَّسَة التَّمِيمِي بِزَغْوَان – جَانفي 2002، ص53-55.

العَامّ أَنْ يُوجّهَ الدَّعْوَةَ إلى المَكْتَبِ التَّنفيذِيِّ لِلمُنَظَّمَةِ الشَّغيلَةِ لِيُعَيِّنَ مِنْ أَعْضَائِهِ مَنْ يُرَافِقُ الأَمِينَ العَامَّ لِحُضُورِ المُقَابَلَة. وَكَانَ فَرْحَاتْ حَشّادْ يَتَحَاشَى الحُضُورَ في مَكْتَبِ دِي هُوتِكْلُوكْ مُنْفَرِدًا.

فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِ رِفَاقُهُ فِي المَكْتَبِ التَّنْفِيذِيّ أَنْ يَقْبَلَ الدَّعْوَةِ، ذَهَبَ بِمُفْرَدِهِ إلى مُقَابَلَةِ المُقِيمِ العَامِّ.

وَقَدْ أَفَادَنِي مُحمّد بن رُمْضَان أَنَّ فَرْحَاتْ حَشَّاد قالَ لَهُ بالحَرْفِ الوَاحِدِ: «شَعُرْتُ أَثْنَاءَ تَوَاجِدِي بِمَكْتَبِ دِي هُوتِكْلُوكْ كَأَنِي بِمَحْضَرِ كُومِيسَارْ بُولِيسْ لاَ أَمَامَ رَجُلٍ سِيَاسِيٍّ».

فَلَمَّا دَخَلَ فَرْحات إِلَى مَكْتَبِ المُقِيمِ العَامِّ دَوَّى صَوْتُ انْفِجَارٍ هَائِلٍ نَاجِمٍ عَنْ قُنْبُلَةٍ، فَسَأَلَهُ دِي هُوتِكْلُوكْ : «أَتُرْضِيكَ هَذِهِ الأَصْوَات ؟»، فَأَجَابَهُ فَرْحَات بكُلِّ بَدَاهَةٍ وَشَجَاعَةٍ : «إِنَّهَا نَتِيجَةٌ طَبِيعِيَّةٌ لِلسِّيَاسَةِ المُتَوَخَّاةِ فِي البِلاَدِ». وَيَعْنِي بِذَلِكَ سِيَاسَةَ القَمْعِ الاِسْتِعْمَارِيِّ وَغَلْقَ بَابِ الحِوارِ مَعَ القِيَادَةِ الوَطَنِيَّة.

وَأَثْنَاءَ المُقَابَلَةِ، وَدَائِمًا وِفْقَ رِوَايَةِ مُحَدِّثِي الثِّقَةِ الذِي كَانَ يَسْتَقِي هذه الشَّهَادات مُبَاشَرَةً من الزَّعِيمِ النَّقَابِي، لاَحَظَ المُقِيمُ العامُّ أَنَّ القَضِيَّةَ التُّونِسِيَّةَ قَدْ بلَغَتْ دَرَجَةً مِنَ التَّعَفُّنِ لاَ يُمْكِنُهُ تَحَمُّلُ مَسْؤُولِيَّةِ تَبِعَاتِهَا لِوَحْدِهِ، فَأَجَابَ فَرْحَاتْ حشّاد مُخَاطِبَهُ بِأَنَّهُ مَسْؤُولٌ عَنْ قِسْطِهِ مِنْ تَعَفُّنِهَا فِي عَهْدِهِ.

وَاغْتَنَمَ دِي هُوتِكْلُوكْ تِلْكَ الفُرْصَةَ لِلكَشْفِ عَنِ الغَرَضِ الأَصْلِيِّ مِنَ الدَّعْوَةِ المُوَجَّهَةِ إِلى ضَيْفِهِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ تَلْبِيَةَ بَعْضَ المَطَالِبِ الاِجْتِمَاعِيَّة، وَتَعْيِينَ وزير جَدِيدٍ لِلشُّؤُونِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ يَحْظَى بِرِضَا الاِتِّحَادِ العَامِّ التُّونِسِيِّ لِلشُّغْلِ، وَذَلِكَ بِهَدَفِ تَحْقِيقِ الاِنْفِرَاجِ السِّيَاسِيِّ بِالبِلاَدِ.

غَيْرَ أَنَّ فَرْحَاتْ حَشَّاد رَفَضَ العَرْضَ رَفضًا قَطْعِيًّا، وَقَالَ لِمُخَاطِبِهِ : «إِذَا أَرَدْتَ الحُصولَ عَلَى انفِرَاجٍ سِيَاسِيٍّ فَعَلَيْكَ بِالتَفَاوُضِ مَعَ الحَبِيب بُورقِيبَة».

وَحِينَئِذٍ – وِفْقَ رِوَايَةِ مُحمّد بن رَمضان بكُلِّ أَمَانَةِ – اعْتَرَتْ دِي هُوتِكْلُوكْ نَوْبَةٌ عَصَبِيَّةٌ، فَقَامَ بِحَرَكَاتٍ يَدَوِيَّةٍ لاَ شُعُورِيَّةٍ تَسبَّبَتْ فِي خَدْشِ إِحْدَى عَيْنَيْهِ. وَانْتَهَى اللِّقَاءُ فِي جَوٍّ مُتَوَتِّرٍ بِدُونِ اتِّفَاق.

وَلَمْ يَأْلُ حَشَّادُ جُهْدًا لِتَحْسِيسِ الرَّأْيِ العَامّ العَالَمِيّ بِخُطُورَةِ مَا يَحْدُثُ مِنْ قَمْعٍ بِبِلاَدِهِ لِيَتِمَّ الضَّغْطُ عَلَى السُّلَطِ الاسْتِعْمَارِيَّةِ الفِرَنْسِيَّة فَتَخِفَّ المُعَانَاة. وَتَظْهَرُ مَسَاعِيهِ لِهَذَا الغَرَض مَثَلاً فِي خِطَابِهِ عَلَى مِنْبَرِ المُؤْتَمرِ العَالَمِيِّ الثَّانِي لِلسِّيزِلْ المُنْعَقِدِ بِمَدِينَةِ «مِيلاَنُو» الإِيطَالِيَّة (4-12 جويلية 1951) حَيْثُ قَالَ مَا يَلِي:

«لَيْسَتْ فِرَنْسَا – فِي نَظَرِنَا كَأَقْطَار مُسْتَعْمَرَةٍ – هِيَ فِرَنْسَا لِعَام 1789، فَلاَ هِيَ الحُرَّةُ وَلاَ هِيَ الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ كَمَا نَعْرِفُهَا حِينَمَا نَزُورُ تُرَابَهَا الأُمَّ...»[1]. وَقَدِ انْتُخِبَ فَرْحَاتْ حَشَّاد فِي ذَلِكَ المُؤْتَمرِ الثَّانِي لِلسِّيزِلْ نَائِبًا أَوَّلَ فِي المَكْتَبِ التَّنْفِيذِيِّ لِلْمُنَظَّمَةِ العَالَمِيَّةِ لِلنِّقَابَاتِ الحُرَّةِ مُكَلَّفًا بِالقَارَّةِ الإِفْرِيقِيَّة.

وَلَمَّا مُنِعَ مِنْ مُغَادَرَةِ تُونس لِحُضُورِ اجْتِمَاعِ اللَّجْنَةِ التَّنْفِيذِيَّة لِلسِّيزِل بِنيويُورك (1-5 ديسمبر 1952) قُبَيْلَ اغْتِيَالِهِ، بَعَثَ بِمُذَكِّرَةٍ لِصَدِيقِهِ «أُولْدِنْبرُوك» (Oldenbroek) الأَمين العَامِّ لِلسِّيزِلْ مُؤَرَّخَةٍ فِي 21 أكتوبر 1952 يَسْتَعْرِضُ فِيهَا مَا يَحْدُثُ فِي البِلاَدِ مِنْ عَمَلِيَّاتِ قَمْعٍ وَاعْتِقَال، وَيَرْجُوهُ أَنْ يُلْحِقَهَا بِالتَّقْرِير الذِي سَيُقَدِّمُ إِلَى اللَّجْنَةِ التَّنْفِيذِيَّةِ لِلْمُنَظَّمَةِ الشَّغِيلَةِ العَالَمِيَّة، خُصُوصًا أَنَّ ذَلِكَ يُصَادِفُ مُنَاقَشَةَ القَضِيَّةِ التُّونُسِيَّةِ المُسجَّلَةِ فِي جَدْوَلِ أَعْمَال مُنَظَّمَةِ الأُمَم المُتَّحِدَة[2].

---

[1] راجع الوثيقة في «أعمال المؤتمر العالمي حول فرحات حشّاد»، نشر مؤسّسة التّميمي – جانفي 2002– مُداخلة جميلة حشّاد الشّعري، ص. 63.

[2] نفس المرجع، ص. 73-77.

وَقَدْ لَعِبَ حَشَّاد دَوْرًا إِيجَابِيًّا خَدِمَ بِهِ القَضِيَّةَ الوَطَنِيَّةَ التُّونُسِيَّةَ حِينَمَا قامَ بِمَسَاعٍ حَثِيثَةٍ لِرَأْبِ الصَّدْعِ بَيْنَ المُنَظَّمَتَيْنِ الشَّغِيلَتَيْنِ الأَمريكِيَّتَيْن: (American Federation of Labor) (AFL) القَرِيبَة مِنَ الدّيمقراطِيِّين مِنْ جِهَةٍ وَ(Congress of Industrial Organizations) (CIO) القَرِيبَة مِنَ الحزب الجمهوري مِن جهة أُخرى. وَقَدْ تَوحَّدَتَا بَعْدَ وَفَاة حَشَّاد تحت اسم (AFL.CIO).

البَابُ السَّابعُ

المنظُومَة الفِكريَّة السِّياسِيَّة
وَالإجتِماعيَّة والإقتصاديَّة
لِفرحَات حَشَّاد

مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَحْتَلَّ المَسَائِلُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ وَالاِقْتِصَادِيَّةُ - فَضْلاً عَنِ السِّيَاسِيَّةِ - حَيِّزًا كَبِيرًا فِي نِضَالِ فَرْحَاتْ حَشَّادْ، كَمَا تَشْهَدُ بِذَلِكَ حَرَكِيَّتُهُ المَيْدَانِيَّةُ وَكِتَابَاتُهُ التي أَوْرَدْنَا مِنْهَا مُنْتَخَبَاتٍ بِالعَرَبِيَّةِ وَالفِرَنْسِيَّةِ فِي المَلاحِقِ. وَعَنَاوِينُهَا نَاطِقَةٌ بِمَضَامِينِهَا، دَالَّةٌ عَلَى تَوَجُّهِ مُؤَلِّفِهَا الإِصْلاَحِيِّ وَرُؤَاهُ البَعِيدَةِ المَنْشُودَةِ فِي حَاضِرِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ. وَإِنَّهَا لَسَنَدٌ صَحِيحٌ لِبِنَاءِ مُجْتَمَعٍ مَدَنِيٍّ تَنْوِيرِيٍّ، مُتَوَازِنٍ، مُتَضَامِنٍ حَدَاثِيٍّ، مُتَطَوِّرٍ، بِمَعَارِفِهِ التي تَرْفَعُ مِنْ شَأْنِ الإِنْسَانِ التُّونِسِيِّ الحُرِّ بِدُونِ تَمْيِيزٍ فِئَوِيٍّ أَوْ جِهَوِيٍّ، قَوِيٍّ بِاقْتِصَادِيَّاتِهِ التِي تُشِعُّ النَّمَاءَ عَبْرَ البِلاَدِ، فَيَعِمُّ نَفْعُهَا كَمَا تُبَيِّنُهُ كِتَابَاتُ حَشَّادَ فِي المَلاَحِقِ.

وَفِيهَا تَنَاغُمٌ عَجِيبٌ مَعَ مَا كَانَ يَكْتُبُهُ الخَبِيرُ فِي الشُّؤُونِ المَالِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ القِيَادِيُّ الدُّسْتُورِيُّ الهَادِي نويرَة فِي افْتِتَاحِيَّاتِهِ بِجَرِيدَةِ «الرِّسَالَة» (Mission) حَيْثُ كَانَ يَنْشُرُ فَرْحَاتْ حَشّاد العَشَرَاتِ مِنْ مَقَالاتِهِ الرَّائِعَةِ المُوَازِيَةِ بِالصَّفْحَةِ الأُولَى لِتِلْكَ الاِفْتِتَاحِيَّاتِ ذَاتِ الأَبْعَادِ الاِسْتِشْرَافِيَّةِ كَمَا كَانَ يَسْتَشْرِفُهَا أَيْضًا العَقْلُ الكَبِيرُ لِلعِصَامِيِّ المَوْهُوبِ فَرْحَاتْ حَشّاد، فَيَلْتَقِي هَكَذَا القِيَادِيَّانِ بِتَنَاغُمٍ سِيَاسِيٍّ وَاقْتِصَادِيٍّ وَاجْتِمَاعِيٍّ عَجِيبٍ، وَكِلاَهُمَا يَكْتُبُ وِفْقَ اجْتِهَادٍ خَاصٍّ وَمَا يُمْلِيهِ الوَاجِبُ الوَطَنِيّ وَمَا تَطْرَحُهُ أَوْضَاعُ البِيئَةِ التُّونِسِيَّةِ فِي أَوَاخِرِ أَرْبَعِينَاتِ وَأَوَائِلِ خَمْسِينَاتِ القَرْنِ المَاضِي مِنْ تَحَدِّيَاتٍ وَرِهَانَاتْ [1]

وَقَدْ أَشَارَ المؤرّخ لُطْفِي الشّايْبِي أَيْضًا إِلَى هذا التَّقَارُبِ بَيْنَ الاِتِّحَادِ العَامِّ التُّونِسِيّ لِلشُّغْلِ وَالدُّسْتُورِ الجَدِيدِ مِنْ خِلاَلِ التَّقَارُبِ الفِكْرِيِّ بَيْنَ حَشّادٍ وَنويرَة [2].

---

[1] رَاجع ما كَتَبْتُهُ عنِ الصِّلَةِ الوُثْقَى بين فرحات حشّاد والهادي نويرة في كتابي «الهادي نويرَة : مَسيرَةُ مُثقّفٍ مُنَاضِلٍ وَرَجُلِ دَوْلَة» مَنشورات زخارف (بُوبليغراف) – تونس 2006، ص 309 - 312.

[2] رَاجع الحَلْقَة الثّالِثة مِنْ دراسة الأستاذ مُحمّد لُطفي الشّايْبي في جريدة «الشّعْب» 1-7 أفريل 1988.

تَتَجَلَّى المَنْظُومَةُ الفِكْرِيَّةُ السِّيَاسِيَّةُ وَالاقْتِصَادِيَّةُ وَالاجْتِمَاعِيَّةُ لِفَرْحَات حَشَّاد وَمُنَظَّمَتِهِ الاتِّحَادِ العَامِّ التُّونسِي لِلشُّغْل فِي التَّقْرِير الذِي قَدَّمَهُ إِلَى المُؤْتَمَرِ الثَّانِي لِلسِّيزل بِمِيلاَنُو فِي حويلية 1951 حَيْثُ جَهَرَ مَرَّةً أُخْرَى بِتَوَجُّهِهِ المَغَارِبِيّ الوَحْدَوِي، فَدَعَا إِلَى بَعْثِ مَرْكَزِيَّتَيْن نَقَابِيَّتَيْن جَزَائِرِيَّةٍ وَمَغْرِبِيَّةٍ وَتَوْحِيدِهِمَا مَعَ المَرْكَزِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ ضِمْنَ فِيدِيرالِيَّة مَغَارِبِيَّة. وَاعْتَبَرَ أَيْضًا أَنَّ العَمَلَ النَّقَابِيَّ التُّونُسِيّ طَلاَئِعِيٌّ مُتَمَيِّزٌ بِتَلاَزُم تَامٍّ بَيْنَ العَمَل الاجْتِمَاعِيِّ وَالكِفَاح مِنْ أَجْلِ التَّحَرُّر الوَطَنِيّ. وَالرَّأْيُ عِنْدَهُ أَنَّ الهَدَفَ لَيْس تَحْرِير شُعُوبِ شَمَال إِفْرِيقيَا مِنَ النَّيْرِ الاِسْتِعْمَارِيّ لِلزَّجِّ بِهَا فِي نِظَام الحُكْم المُطْلَق كَمَا يُوحِي بِهِ «الكُومِنْفُورْم» Kominform (أَيْ مَكتبُ الأحزاب الشُّيُوعِيَّة المُحدَثُ بِفَرْسُوفيَا عَام 1947). فَبِعَكْس ذَلِكَ يَرَى حَشَّاد أَنَّ التَّحَرُّرَ السِّيَاسِيَّ إِنَّمَا هُوَ مَعْبَرٌ إِلَى التَّحَرُّر الاِجْتِمَاعِيّ الشَّامِل. (راجع القسم الفرنسي)

وَمِنْ ثَوَابِتِ فِكْرِ حَشَّاد رَفْضُهُ -عَلَى غِرَار محمّد علي الحامّي- حَرْبَ الطَّبَقَاتِ وَاقْتِنَاعُهُ بِضَرُورَة تَعَاوُنِ وَتَكَامُلِ الاِسْتِثْمَار المَالِي وَالقُوَى العَامِلَةِ لِتَحْقِيقِ الرَّفَاهِيَّة. وَهوَ يَنْشُدُ بِالخُصُوص تَهْذِيبَ رَأْس المَال لِيَكُونَ «إِنْسَانيًّا لأَقْصَى فَائِدَة الجَمِيع». وَيَحْرِصُ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى عَلَى «تَرْبِيَةِ الطَّبَقَةِ الكَادِحَة، وَحَمْلِهَا عَلَى إِدْرَاكِ صِلَةِ الحُقُوق بِالوَاجِبَات وَمَعْنَى بَذْلِ الجُهْدِ، وَضَرُورَة الاِعْتِمَاد عَلَى النَّفْس... وَهذَا كُلُّهُ فِي نِطَاقِ المَصْلَحَةِ العُلْيَا وَالعَامَّة لِلْبِلاَد».

وَإِنَّكَ لَتَجِدُ فَرْحَاتْ حَشَّاد تَوَّاقًا إِلَى تَنْمِيَةٍ شَامِلَةٍ مُتَوَازِنَةٍ لِمُجْتَمَعِهِ، غَيْر مُقْتَصِرٍ عَلَى العَمَلِ النَّقَابِيّ كَمَا فِي مَقَالِهِ «التَّجْهِيزُ الصِّنَاعِيُّ» (جَرِيدَة الحرّيّة 14 نوفمبر 1948). وَالرَّأْيُ عِنْدَهُ أَنَّ التَّنمِيَةَ الاِقْتِصَادِيَّة شَرْطٌ لِكُلِّ اسْتِقْلاَلٍ حَقِيقِيٍّ[1].

[1] راجع فِي الملاحق مقال «التَّجْهِيزُ الأَسَاسِي» 1948/11/12.



الْتِصَاقُ فَرْحَاتْ حشَّاد بالشَّعْبِ

حِسُّهُ الاجْتِمَاعِيُّ وَغَيْرَتُهُ عَلَى النَّاشِئَةِ

لِفَرْحَاتْ حَشَّاد حِسٌّ اجْتِمَاعِيٌّ مُرْهَفٌ وَغَيْرَةٌ عَلَى النَّاشِئَةِ التُّونُسِيَّةِ قَوِيَّةٌ وَخَاصَّةً عَلَى الطُّفُولَةِ الْمُشَرَّدَةِ التِي يَرَى مِنْ أَوْكَدِ الوَاجِبَاتِ العِنَايَةَ بِهَا لإِعْدَادِ رِجَالِ الْمُسْتَقْبَلِ إِذْ يَقُولُ مَثَلاً فِي مَقَالٍ لَهُ بِعُنْوَان «انتِشَالُ أَطْفَالِنَا أَمْرٌ ضَرُورِي»، صَادِرٍ فِي جَرِيدَةِ «الحُرِّيَّة» (21 ديسمبر 1950) مَا يَلِي:

«إِذَا نَظَرْنَا إِلَى هَذِهِ المَسْأَلَةِ الحَيَوِيَّةِ نَجِدُ أَنْفُسَنَا فِي حَالَةٍ يُؤْسَفُ لَهَا لِمَا نُشَاهِدُهُ مِنْ مَأْسَاةٍ تُدْمِي القُلُوبَ وَلَكِنَّهَا تَسْتَفِزُّ العَوَاطِفَ وَتَبْعَثُ فِي الإِنْسَانِ رُوحَ الحَسْرَةِ وَالضَّجَرِ. كَيْفَ لاَ وَقَدْ امْتَلأَتِ الشَّوَارِعُ بِهَؤُلاَءِ الأَطْفَالِ الشُّرَّدِ العُرَاةِ الجِيَاعِ وَالذِينَ تَتَجَسَّمُ فِي أَشْبَاحِهِم الإِنْسَانِيَّةُ المُعَذَّبَةُ البَائِسَة...»[1]. لَمْ يَكُنْ حَشَّادُ إِذنْ مُجَرَّدَ قَائِدٍ نِقَابِيٍّ مُدَافِعٍ عَنْ مَصَالِحِ الطَّبَقَةِ الشَّغِيلَةِ فَحَسْب، بَلْ كَانَ يَحْمِلُ هُمُومَ شَعْبِهِ كُلِّهَا فِي مَرْحَلَةٍ عَصِيبَةٍ مِنْ تَارِيخِهِ.

اهْتِمَامُهُ بِالطُّفُولَةِ البَائِسَةِ

يَظْهَرُ حِسُّهُ الاجْتِمَاعِيُّ المُرْهَفُ فِي اهْتِمَامِهِ الكَبِيرِ بِمَشَاهِدِ البُؤْسِ البَادِيَةِ خَاصَّةً فِي الطُّفُولَةِ المُشَرَّدَةِ فِي كِتَابَاتٍ وَمَوَاقِفَ أُخْرَى كَمَا فِي مَقَالِهِ «الطُّفُولَةُ البَائِسَةُ» الذِي نَشَرَهُ فِي جَرِيدَةِ «الحُرِّيَّة» (2 جَانفِي 1948) حَيْثُ نَقْرَأُ لَهُ مَثَلاً مَا يَلِي:

«إِنَّهُ لَمِنْ دَوَاعِي الحَسْرَةِ وَاللَّوْعَةِ وَمِنْ أَعْظَمِ النَّكَبَاتِ التِي تُصِيبُنَا فِي صَمِيمِ حَيَاتِنَا وَمُسْتَقْبَلِ بِلاَدِنَا وَكِيَانِنَا القَوْمِيِّ مَا نُشَاهِدُهُ يَوْمِيًّا مِنْ شَرَاذِمِ أَبْنَائِنَا المُتَشَرِّدِينَ وَأَطْفَالِنَا التُّعَسَاءِ الذِينَ يَهِيمُونَ بِشَوَارِعِ البِلاَدِ وَيَجُوبُونَ الطُّرُقَاتِ طُولاً وَعُرْضًا لِلْبَحْثِ عَنْ شَيْءٍ مِنَ القُوتِ يَسُدُّونَ بِهِ الرَّمَقَ أَوْ مَا يَتَّقُونَ بِهِ شِدَّةَ البَرْدِ...

---

(1) رَاجع فِي المَلاَحِقِ النَّصَّ الكَامِلَ لِمَقَال «انتِشَالُ أَطْفَالِنَا أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ» 1950/12/21.

وَلَقَدْ سَبَقَ أَنْ قُلْنَا فِي مُنَاسَبَاتٍ عَدِيدَةٍ أَنَّ اسْتِقَامَةَ الأُمُور لاَ تَحْصُلُ بالتَّذَمُّرِ وَالتَّشَكِّي وَالبُكَاءِ خُصُوصًا أَنَّ الذِي نُوَجِّهُ إِلَيْهِ شَكْوَانَا هُوَ الدَّاءُ نَفْسُهُ الذِي نَشْتَكِي مِنْهُ، وَهُوَ سَبَبُ أَمْرَاضِنَا الفَتَّاكَةِ. وَإِذَا أَرَدْنَا عِلاَجَ أَمْرَاضِنَا فَلْنُبَادِرْ بِالعَمَلِ. وَإِنَّهُ لَفِي اسْتِطَاعَتِنَا وَفِي مَقْدُورنَا وَمُتَنَاوَلِ أَيْدِينَا إِنْقَاذُ شَبَابِنَا وَأَطْفَالِنَا البُؤَسَاءِ مِنْ هُوَّةِ الاضْمِحْلاَلِ مَادِّيًّا وَأَدَبِيًّا...

فَفِي شَعْبِنَا القُوَّةُ الكَافِيَةُ لِتَشْيِيدِ صَرْحِ مُسْتَقْبَلِهِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَعَلَى ثَبَاتِهِ وَعَلَى ثِقَتِهِ فِي مَصِيرِهِ وَفِي سَعَادَةِ وَطَنِهِ. وَلْيُشَمِّرْ عَلَى سَاعِدِ العَمَلِ المُجْدِي. وَلْيَفْتَحْ بِيَدِهِ البَابَ المُغْلَقَ أَمَامَهُ. وَلْيُرَسِّخْ أَقْدَامَهُ وَعَزْمَهُ عَلَى بُلُوغِ غَايَتِهِ. يَجِبُ أَنْ تَتَكَوَّنَ مَئَاوِي لِلطُّفُولَةِ البَائِسَةِ. وَتِلْكَ المَئَاوِي لَيْسَتْ مُعَدَّةً لِلطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ فَقَطْ، بَلْ سَتَكُونُ مَدَارِسَ تَهْذِيبِيَّةً أَخْلاَقِيَّةً صِنَاعِيَّةً يَتَخَرَّجُ مِنْهَا الطِّفْلُ البَائِسُ المُنْحَطُّ وَالذِي هُوَ الآنَ عُرْضَةٌ لِلْفَسَادِ وَالطَّيْشِ وَالدَّنَاءَةِ وَالجَرِيمَةِ، يَتَخَرَّجُ مِنْ مَدَارِسِهِ الشَّعْبِيَّةِ شَابًّا مُهَذَّبًا لَهُ أَخْلاَقٌ وَمَعْلُومَاتٌ لاَئِقَةٌ فِي الفَنِّ الصِّنَاعِيِّ تُؤَهِّلُهُ لِلْقِيَامِ بِأَجَلِّ الأَعْمَالِ لِفَائِدَةِ بِلاَدِهِ الخ...» وَالمَقَالُ رَائِعٌ تَشْخِيصِيٌّ لِمَآسِي الطُّفُولَةِ المُتَشَرِّدَةِ، يَقْتَرِحُ فِيهِ فَرْحَاتْ حَشَّاد وَصْفَةَ العِلاَجِ بِمَجْهُودٍ شَعْبِيٍّ لَمْ يَبْقَ مُجَرَّدَ حُلْمٍ وَهْمِيٍّ فِي المَآوِي وَالمَدَارِسِ الخَيْرِيَّةِ آنَئِذٍ[1].

وَتُذَكِّرُنَا وَصْفَةُ حَشَّادٍ لِمَآسِي الطُّفُولَةِ المُشَرَّدَةِ بِاهْتِمَامَاتِ مَحمّد علي الحَامِّي فِي نَفْسِ المَوْضُوعِ كَمَا رَوَاهَا عَنْهُ الطَّاهِر الحَدَّاد فِي كِتَابِهِ «العُمَّالُ التُّونُسِيُّونَ وَظُهُورُ الحَرَكَةِ النِّقَابِيَّةِ» الصَّادِرِ لأَوَّلِ مَرَّةٍ عَامَ 1927.

فَقَدْ سَجَّلَ الطَّاهِرِ الحَدَّاد : هَذِهِ الشَّهَادَةَ : «إنَّ مَحمّد علي كانَ يَتَأَثَّرُ جِدًّا مِنْ مَنَاظِرِ البُؤْسِ وَالفَاقَةِ ... كَثِيرًا مَا كُنَّا نَتَجَوَّلُ لَيْلاً فِي أَنْحَاءِ العَاصِمَةِ فِي أَيَّامِ

[1] راجع النّصّ الكَامِلَ لِمَقَالِ فرحَاتْ حَشّاد «الطُّفُولَةِ البَائِسَة» جريدة الحُرِّيَّة 2 جانفي 1948 في الملاحق.

الشِّتَاءِ وَالبَرْدِ، فَيَعْتَرِضُنَا النَّائمونَ تَحْتَ الجُدْرَانِ وَحَافَاتِ الطَّرِيقِ، وَكَثِيرًا مَا يَكُونُونَ أَطْفالاً صِغَارًا دُونَ سِنِّ الرُّشْدِ، مُتَسَانِدِينَ فَوْقَ التُّرَابِ تدثِّرُهُمْ السَّمَاءُ بِأَسْحُبِهَا المَاطِرَةِ، فَكَانَ يَقِفُ طَوِيلاً وَهْوَ شَاخِصُ البَصَرِ، مُسْتَبْحِرُ الفِكْرِ، صَامِتٌ كَاللَّيْلِ، ثُمَّ يَقُولُ لِي : «إِنَّ كُبَرَاءَنَا الذِينَ هُمْ قَادَةُ الأُمَّةِ وَأَهْلُ الرَّأْيِ فِيهَا لاَ أَدْرِي إِذَا كَانُوا يُشَاهِدُونَ هذه المَرَائِي المُوجِعَةِ، أَمْ أَنَّهُمُ الآنَ فِي فُرُشِهِم الوَثِيرَةِ مَعَ زَوْجَاتِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ غَارِقُونَ فِي الأَحْلاَمِ، تَارِكُونَ هَؤُلاَءِ لِمَحْكَمَةِ الأَقْدَارِ التِي تَقْضِي وَحْدَهَا فِي هَذَا الأَمْرِ... ؟»[1]

وَالطُّفُولَةُ البَائِسَةُ تَشْغَلُ بَالَ فَرْحَاتْ حَشَّاد وَتُؤَرِّقُهُ، كَمَا أَرَّقَتْ مِن قَبْلُ رَائِدَ الحَرَكَةِ النّقابيَّةِ محمّد علي، فَيُخَصِّصُ لها مُؤَسِّسُ الاتّحادِ العامّ التُونِسِيّ للشّغل العَدِيدَ مِنَ المَقَالاَتِ لِتَحْسِيس الشَّعْبِ بِضَرُورَةِ العِنَايَةِ بِحَلِّ مَشَاكِلِهَا كَمَا فِي مَقَالَةٍ لَهُ بِعُنْوَانِ «انْتِشَالُ أَطْفَالِنَا أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ»[2] حَيْثُ يَكْتُبُ مَثَلاً مَا يَلِي:

«...رِجَالُ الغَدِ الذِينَ سَيُنَاطُ بِعُهْدَتِهِمْ تِلْكَ المُهِمَّةُ العُظْمَى هُمْ شَبَابُ اليَوْمِ، وَهُمْ أَطْفَالُنَا الذِينَ لاَ حَوْلَ لَهُمْ وَلاَ قُوَّةَ. فَمَسْؤُولِيَّتُنَا نَحْنُ هِيَ مَسْؤُولِيَّةٌ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى تَهْيِئَةِ الطَّرِيقِ، بَلْ هِيَ تَشْمَلُ أَيْضًا إِعْدَادَ الرِّجَالِ الذِينَ سَيَقُومُونَ بِإِتْمَامِ المُهِمَّةِ وَإِتْقَانِهَا وَخُصُوصًا السَّهَرَ عَلَى أَنْ لاَ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ مِنْ أَيَّةِ نَاحِيَةٍ كَانَتْ.

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى هَذِهِ المَسْأَلَةِ الحَيَوِيَّةِ نَجِدُ أَنْفُسَنَا فِي حَالَةٍ يُؤْسَفُ لَهَا لِمَا نُشَاهِدُهُ مِنْ مَأْسَاةٍ تُدْمِي القُلُوبَ وَلَكِنَّهَا تَسْتَفِزُّ العَوَاطِفَ وَتَبْعَثُ فِي الإِنْسَانِ رُوحَ الحَسْرَةِ وَالضَّجَرِ.

---

(1) راجع «الأعمال الكاملة» للطّاهر الحدّاد بإشْرَافِ وتقديم أحمد خالد. نشر وزارة الثّقافة / الدّار العربيّة للكتاب. نوفمبر 1999. المجلّد الثّاني ص 163

(2) جريدة الحرّيّة 21 ديسمبر 1950

كَيْفَ لاَ وَقَدِ امْتَلأَتِ الشَّوَارِعُ بِهَؤُلاَءِ الأَطْفَالِ الشُّرَّدِ العُرَاةِ الجِيَاعِ وَالّذِينَ تَتَجَسَّمُ فِي أَشْبَاحِهِم الإِنْسَانِيَّةُ المُعَذَّبَةُ البَائِسَةُ.

وَلَمْ تَكُنِ المَدَاشِرُ وَالقُرَى أَحْسَنَ حَالاً مِنْ تِلْكَ التِي عَلَيْهَا المُدُنُ الكُبْرَى فِي هَذَا المَيْدَانِ، بَلْ عَمَّ المُصَابُ، وَانْتَشَرَ البُؤْسُ، وَأَصْبَحَتِ المَنَاظِرُ المُؤْلِمَةُ تُجْبِرُ الإِنْسَانَ عَلَى أَنْ يُحَوِّلَ اهْتِمَامَهُ إِلَى هَذِهِ القَضِيَّةِ التِي كَادَتْ تَكُونُ لِلشَّعْبِ التُّونُسِيِّ أُولَى عِبْرَةٍ تَتَمَثَّلُ فِيهَا نَتِيجَةُ السِّيَاسَةِ الاِسْتِعْمَارِيَّةِ المَسْلُوكَةِ بِبِلاَدِنَا.

فَنَحْنُ نُحِسُّ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِنَا بِذَلِكَ الوَاجِبِ العَظِيمِ الذِي يَفْرِضُهُ عَلَيْنَا وُجُوبُ العَمَلِ المُجْدِي لإِنْقَاذِ نَاشِئَتِنَا مِنْ مَخَالِبِ الجَهْلِ وَالفَقْرِ وَالتَّعَاسَةِ وَالأَخْلاَقِ الفَاسِدَةِ وَالمُسْتَقْبَلِ المُظْلِمِ...»[1]. فَالطُّفُولَةُ البَائِسَةُ قَدِ احْتَلَّتْ إِذَنْ حَيِّزًا هَامًّا مِن اهْتِمَامَاتِ فَرْحَات حَشَّاد الاِجْتِمَاعِيَّةِ. وَقَدْ أبدع فِي الوصفِ.

عودٌ إلى التّذكير بأهمّية حادثة النّفيضة في الحركة الوطنيّة

فِي يَوْم 21 نوفمبر 1950 اقْتَرَفَ الاِسْتِعْمَارُ مَجْزَرَةً رَهِيبَةً فِي حَقِّ العُمّالِ الفَلاَحِيّينَ المُضْرِبِينَ عَنِ العَمَلِ بِهَنْشِيرِ النَّفِيضَةِ خَمْسَةَ شُهَدَاء مِنْ بَيْنِهِم امْرَأَةٌ حُبْلَى بِتَوْأَمَيْنِ، كَمَا خَلَّفَ الصِّدَامُ عَشَرَاتِ الجَرْحَى وَالمُعْتَقَلِينَ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ.

وَكَانَتِ الحَادِثَةُ بِمَثَابَةِ العَلاَمَةِ الأُولَى المُمَهِّدَةِ لِلثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ. وَاحْتَلَّ يَوْم 21 نُوفمبر 1950 بِمُوَاصَفَاتِهِ الثَّلاَثِ - كَمَا تَبَيَّنَهَا فَرْحَات حَشَّاد فِي مَقَالٍ بِعُنْوَان «الحقّ يُؤْخَذُ إِذَا لَمْ يُعْطَ» («الحُرِّيَّة» 1950/11/26) - مَوْقِعًا مُمَيَّزًا بِسِجِلِّ الأَيَّامِ عَبْرَ مَحَطَّاتِ نِضَالِ الشَّعْبِ التُّونُسِيِّ. فَقَدِ اسْتَشْرَفَ زَعِيمُ الحَرَكَةِ النَّقَابِيَّةِ المُلْتَحِمَةِ بِالكِفَاحِ الوَطَنِيِّ مَقَامًا رَفِيعًا لِحَادِثَةِ هَنْشِيرِ النَّفِيضَةِ الذِي كَانَ رَمْزًا

[1] راجع في الملاحق النّصّ الكامِلَ لِمقَالِ حشَّاد «انْتِشَالُ طُفُولَتِنَا أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ» جريدة الحُرّيّة 21 ديسمبر 1950.

لِلاِسْتِعْمَارِ التَّوْطِينِيّ وَسَبَبًا مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ انْتِصَابِ نِظَامِ الحِمَايَةِ الفِرَنْسِيَّةِ (الاسْتِعْمَار) بالبِلاَدِ التُّونُسِيَّة، فَاعْتَبَرَ فَرْحَات حَشَّاد يَوْمَ الحَادِثَةِ فِي خُطْبَةِ تَأْبِينِ الشُّهَدَاء «يَوْمَ حُزْنٍ وَحِدَادٍ» و«يَوْمَ اتِّحَاد»، بَلِ اعْتَبَرَهُ - تَجَاوُزًا لِلحادِثَةِ وَتفاؤُلاً بالمُسْتَقْبَلِ - «يَوْمَ فَرَح» إِذْ تجَلَّتْ فِيهِ - وِفْقَ تَعْبِير حَشَّادٍ الذِي اسْتَشْرَفَ الثَّوْرَةَ التَّحْرِيرِيَّةَ الحَاسِمَةَ قَبْلَ مَا يَزِيدُ عَنْ سَنَتَيْنِ - «وَحْدَةُ الأُمَّةِ التُّونُسِيَّةِ المُجَاهِدَةِ فِي المِحَنِ وَالتَّضْحِيَة».

نَعَمْ، بَرَزَ فِي مَوْكِبِ جَنَازَةِ شُهَدَاءِ النَّفِيضَة تَضَامُنُ التُّونُسِيِّينَ بِدُونِ تَمْيِيزٍ فِئَوِيٍّ، فَاجْتَمَعَ مُمَثِّلُو السِّيَادَةِ الوَطَنِيَّةِ آنَذَاكَ (الأَمِيرُ وَالوَزِيرُ) إِلَى جَانِبِ القِيَادَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالنِّقَابِيَّة، وَرِجَالِ الأَعْمَالِ، وَالفَلاَّحِين، وَالتُّجَّار، وَالعُمَّال. وَتَرَافَقُوا جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ فِي مَوْكِبِ تَشْيِيعِ الشُّهَدَاء، فَتَحَقَّقَتْ بِتَضْحِيَّاتِهِمْ - وِفْقَ بَيَانِ حَشَّادٍ فِي تَأْبِينِهِم البَلِيغ يَوْم 25 نُوفمبر 1950 فِي الجَامِعِ الكَبِير بِسُوسة- «وَحْدَةُ الحَرَكَةِ النِّقَابِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّة، وَوَحْدَةُ الشُّعُورِ القَوْمِيِّ بَيْنَ كَافَّةِ طَبَقَاتِ الأُمَّة».

حُبُّـهُ العَمِيقُ لِشَعْبِـه

وَبَعْدَ مُضِيِّ شَهْرٍ عَلَى مَجْزَرَةِ هَنْشِير النَّفِيضَة عَادَ فَرْحَات حَشَّاد إِلَى اسْتِخْلاَصِ العِبْرَةِ مَرَّةً أُخْرَى مِنَ الفَاجِعَة فِي فَصْلٍ رَائِعٍ غِنَائِيٍّ مِنْ حَيْثُ أُسْلُوبُهُ عَمِيقِ المَعَانِي بِعُنْوَان «أُحِبُّكَ يَا شَعْبُ» نَشَرَهُ بِجَرِيدَةِ «الحُرِّيَّة» يَوْم 26 ديسمبر 1950 إِذْ تَجَلَّى فِيهِ عِشْقُهُ الفَيَّاضُ لِتُونِسَ وَشَعْبِهَا كَمَا فِي هَذِهِ العَيِّنَاتِ:

«أُحِبُّكَ يَا شَعْبَ تُونِسَ الذِي امْتَحَنَكَ الدَّهْرُ وَامْتَحَنْتَهُ، فَعَرَفَ فِيكَ الشَّجَاعَةَ مَعَ الإِخْلاَص، وَعَرَفَ فِيكَ الصَّبْرَ مَعَ المُثَابَرَة.

أُحِبُّكَ لِمَا فِيكَ مِنْ شُعُورٍ فَيَّاضٍ وَإِحْسَاسٍ نَبِيل، وَلِمَا تُكِنُّهُ مِنْ عَوَاطِفَ عِنْدَ النَّكَبَاتِ وَمِنْ تَئَاخٍ عِنْدَ المِحَن. وَأُحِبُّ فِيكَ الإِقْدَامَ عِنْدَ اقْتِحَامِ الشَّدَائِدِ، وَبَذْلَ الجُهْدِ المُسْتَطَاعِ لانْتِشَالِ الضَّعِيفِ عِنْدَ الحَاجَة.

أُحِبُّكَ فِي وَحْدَتِكَ عِنْدَ المَصَائِبِ، وَتَكَتُّلِكَ أَمَامَ الخَصْمِ، وَصُمُودِكَ أَمَامَ العُدْوَانِ.

أُحِبُّكَ بِمَا اشْتَمَلَ فِيكَ مِنْ خِصَالٍ تُفَاخِرُ بِهَا، وَصِفَاتٍ حَمِيدَةٍ تَرْفَعُ رَأْسَكَ. وَأُحِبُّكَ فِي حُبِّكَ لِلْعَمَلِ، وَاعْتِصَامِكَ بِمَبَادِئِكَ المُقَدَّسَةِ. وَأُحِبُّكَ لِمُشَاطَرَتِكَ أَفْرَاحَ المَظْلُومِ عِنْدَ انْتِصَارِهِ عَلَى الظُّلْمِ، وَمُسَاهَمَتِكَ لأَتْرَاحِ المَغْلُوبِ وَمُسَاعَدَتِهِ. فَإِذَا مَا شَعُرْتَ بِخَطَرٍ يُهَدِّدُ فَرْدًا أَوْ قِسْمًا مِنْ هَيْكَلِكَ دَقَّ قَلْبُكَ دَقَّةً وَاحِدَةً، وَاتَّجَهَتْ مُهْجَتُكَ كُلُّهَا لِدَفْعِ الضَّرَرِ...

فَأُحِبُّكَ حِينَ تَبْحَثُ وَتُكْثِرُ مِنَ البَحْثِ عَنْ مَجْرَى أُمُورِ بِلَادِكَ وَسَيْرِ قَضِيَّتِكَ، وَحِينَ تَنْتَقِدُ، وَحِينَ تَصِيحُ، وَحِينَ تَغْضَبُ، وَحِينَ تُدَبِّرُ. وَأُحِبُّكَ حِينَ تُدَافِعُ عَنْ مُخْتَلَفِ النَّظَرِيَّاتِ التِي تَخْطُرُ بِبَالِكَ فِي سُلُوكِ السِّيَاسَةِ العَامَّةِ، وَحِينَ تَسْتَفْسِرُ وَتَسْتَجْوِبُ، وَحِينَ تُنَاقِشُ وَتُحَاسِبُ. وَلَكِنَّكَ تَتْرُكُ النِّزَاعَاتِ جَانِبًا عِنْدَ الشَّدَائِدِ، وَتَنْسَى التَّشَاكُسَ عِنْدَ العَوَاصِفِ، فَتَهُبُّ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَمَكَانٍ، وَتَتَخَلَّى عَنْ شُغْلِكَ وَمَصْنَعِكَ، وَتَنْدَفِعُ بِكُلِّ قُوَّتِكَ حَيْثُ تَلْتَقِي بِبَعْضِكَ بَعْضًا فِي صَفٍّ وَاحِدٍ، صَفِّ الشَّعْبِ المُوَحَّدِ الهَدَفِ وَالكَلِمَةِ، صَفِّ الأُمَّةِ المُكَافِحَةِ، صَفِّ الحَقِّ المُدَافِعِ عَنْ كِيَانِهِ وَالمُنَاضِلِ فِي سَبِيلِ تَحْرِيرِهِ...»

فَمَا أَجْمَلَ هَذَا السِّيَاقَ وَمَا أَحْلَى نُسْغَهُ وَصَوْغَهُ فِي التَّغَنِّي بِالشَّعْبِ التُّونُسِيِّ الذِي احْتَكَّ بِجَمَاهِيرِهِ العَرِيضَةِ فَرْحَاتْ حَشَّاد فِي كُلِّ بِقَاعِ أَرْضِهِ، وَتَأَمَّلَهُ بِالمُهْجَةِ وَالمُقْلَةِ، وَشَارَكَهُ فِي أَفْرَاحِهِ وَأَتْرَاحِهِ وَاسْتُشْهِدَ مِنْ أَجْلِ فَكِّ الأَغْلَالِ عَنْهُ ! مَا أَرْوَعَ حَشَّاد المُتَأَلِّقَ بِنِضَالِهِ وَفِكْرِهِ وَأَدَبِهِ!

وَفِي نَفْسِ تِلْكَ المَقَالَةِ الرَّائِعَةِ وَصَفَ فَرْحَاتْ حَشَّادْ وَاقِعَةَ النَّفِيضَةِ - فَضْلاً عَنْ كَوْنِهَا عُنْوَانًا لِوَحْدَةِ الصَّفِّ وَيَوْمًا مِنْ أَيَّامِ الفَخْرِ وَالذِّكْرَيَاتِ التِي لاَ تَمَّحِي - بِأَنَّهَا مَحَطَّةٌ تَارِيخِيَّةٌ تَجَاوَزَتِ الإِطَارَ النِّقَابِيَّ، وَعَبَّرَتْ عَنْ تَلاحُمِ

الاتِّحَادِ العَامِّ التُّونُسِيّ لِلشُّغْل مَعَ الحِزْبِ الحُرِّ الدُّسْتُورِيّ فِي خِدْمَةِ القَضِيَّةِ الوَطَنِيَّة، وَكَانَتْ حَدًّا فَاصِلاً بَيْنَ عَصْرَيْن، عَصْر مَا قَبْلَ الوَاقِعَةِ، وَيَعْتَبِرُهُ حَشَّادُ «عَصْرَ أَنَانِيَّةٍ مَقِيتَةٍ» حَيْثُ كَانَ التُّونُسِيُّ «لاَ يُحِسُّ آلاَمَ غَيْرِه، وَلاَ يَهُمُّهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا يَعُودُ عَلَى شَخْصِهِ بِالغَنِيمَةِ مَهْمَا كَانَ مَأْتَاهَا»، وَعَصْر مَا بَعْدَ الحَادِثَةِ - وَهوَ فِي نَظَرِهِ «عَصْرُ التَّضَامُنِ الوَطَنِيّ وَالحَيَاةِ المُشْتَرَكَةِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاء» بَيْنَ جَمِيع فِئَاتِ الشَّعْبِ مِنْ أَجْلِ «المَصْلَحَةِ العُلْيَا» وَ«سَعَادَةِ الجَمِيع» وَ«عِزَّةِ البِلاَدِ» و«كَرَامَةِ الأُمَّةِ وَاحْتِرَام كِيَانِهَا وَسِيَادَتِهَا». وَهَكَذَا تَبْرُزُ شَخْصِيَّةُ فَرْحَات حَشَّاد شَامِخَةً كَزَعِيمٍ سِيَاسِيٍّ فَضْلاً عَنْ كَوْنِهِ زَعِيمًا نقَابِيًّا[1] دَخَلَ التَّارِيخَ مِنَ البَابِ الكَبِير وَهُوَ بِعِصَامِيّتِهِ الرَّاقِيَةِ مِنْ كِبَار حَمَلَةِ الأَقْلاَم.

وَكَأَنِّي بِفَرْحَات حَشَّاد بِفِكْرِهِ الاسْتِشْرَافِيِّ قَدِ شَامَ بِعَيْنِهِ البَاطِنَةِ مَا كَانَتْ تُخَبِّئُهُ الأَيَّامُ مِنْ مُقَاوَمَةٍ حَاسِمَةٍ لِلاِحْتِلاَل بِكُلِّ الوَسَائِل، بِمَا فِي ذلك المُقَاوَمَةُ المُسَلَّحَةُ، مَتَى فَشَلَتِ المُفَاوَضَاتُ الدِّيبْلُومَاسِيَّةُ السِّلْمِيَّةُ، وَذَلِكَ قَبْلَ قَرَابَةِ سَنَتَيْن مِن انْدِلاَعِ الثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ فِي جَانْفِي 1952 بِقِيَادَةِ المُجَاهِدِ الأَكْبَرِ الحَبِيبِ بُورقيبة، كَمَا تُبَيِّنُهُ العَيْنَةُ التَّالِيَةُ مِنْ مَقَالٍ لِحَشَّاد بِعُنْوَان «المُقَاوَمَة» صَادِرٍ فِي جَرِيدَةِ «الحُرِّيَّة» (6 مَارس 1950) حَيْثُ يُرَدِّدُ وَيُحَلِّلُ كَلِمَات «المُقَاوَمَة» و«نُقَاوِمُ» و«يُقَاوِمُ الشَّعْبُ التُّونُسِي»:

«يُقَاوِمُ الشَّعْبُ التُّونُسِيُّ النِّظَامَ الاِسْتِعْمَارِيَّ بِمَا يَحْتَوِي عَلَيهِ مِنْ تَسَيْطُرٍ وَتَفَوّقٍ عُنْصُرِيٍّ وَضَغْطٍ عَلَى الحُرِّيَّاتِ وَهَضْم لِلْحُقُوقِ وَفَرْض إِرَادَةِ القَوِيِّ عَلَى الضَّعِيف... فَنُقَاوِمُ البَرَامِجَ التِي لَمْ تُرَاعَ فِيهَا مَصْلَحَتُنَا وَمَصْلَحَةُ بِلاَدِنَا، وَنُقَاوِمُ النَّوَايَا الخَبِيثَةَ حِينَ تُعَبِّرُ عَن ازْدِهَارِ البِلاَدِ بِمَعْنَى ازْدِهَارِ الاِسْتِعْمَار.

[1] راجع المَقَالَة «أُحِبُّكَ يَا شَعْبُ» فِي المَلاَحِق.

وَنقَاوِمُ التَّيَّارَ الاِسْتِعْمَارِيَّ الذِي يُرِيدُ الاِسْتِحْوَاذَ عَلَى مَا بَقِيَ بِأَيْدِينَا حَتَّى نُصْبِحَ كُلُّنَا فِي حَالَةِ البُؤْسِ نَعِيشُ. وَنُقَاوِمُ الفِكْرَةَ الاِسْتِعْمَارِيَّةَ التِي تَجْعَلُ مِنَّا اليَوْمَ شَعْبًا يَتَقَهْقَرُ اجْتِمَاعِيًّا وَأَدَبِيًّا وَأَخْلاَقِيًّا وَمَادِّيًّا بِفَضْلِ البَرَامِجِ المُحْكَمَةِ التِي تُرِيدُ القَضَاءَ عَلَيْنَا.

وَنُقَاوِمُ فِكْرَةَ التَّفَوُّقِ العُنْصُرِيِّ التِي تُرِيدُ بَقَاءَ حَالَةِ الإِدَارَةِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مَسْلُوبَةً مِنَ المَعْنَى التُّونُسِيِّ وَآلَةً فِي أَيَادِي العَابِثِينْ.

وَنُقَاوِمُ فِكْرَةَ الرُّكُودِ وَالخُمُولِ وَالاِسْتِسْلاَمِ لأَنَّنَا شَعْبٌ نُرِيدُ الاِنْتِصَارَ عَلَى أَعْدَائِنَا الذِينَ يُرِيدُونَ لَنَا حَيَاةَ الذُّلِّ وَالهَوَانْ.

وَنُقَاوِمُ كُلَّ مَنْ يُرِيدُ الاِعْتِدَاءَ عَلَيْنَا فِي حُقُوقِنَا وَسَلْبَنَا كَرَامَتَنَا وَالنَّيْلَ مِنْ قُوَّتِنَا المَعْنَوِيَّةِ التِي هِيَ سِلاَحُنَا العَظِيمُ، وَذَلِكَ بِشَتَّى المُنَاوَرَاتِ وَأَسَالِيبِ التَّهْدِيدِ وَالعِقَابِ وَالزَّجْرِ وَالاِضْطِهَادِ. وَإِذَا نَحْنُ تَلَفَّظْنَا بِهَذِهِ العِبَارَاتِ فَذَلِكَ لِعِلْمِنَا أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يُمْكِنُهُ الاِنْتِصَارُ عَلَى خَصْمِهِ الذِي هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً إِلاَّ بِالمُقَاوَمَةِ... فَلْتَكُنْ كَلِمَةُ الشَّعْبِ التِي تُوَحِّدُ جُهُودَهُ وَتُكْسِبُهُ القُوَّةَ اللاَّزِمَةَ لِلدِّفَاعِ عَنْ كِيَانِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ: المُقَاوَمَة»[1] إِنَّهَا سَنفُونِيَّةُ المُقَاوَمَةِ المَشْرُوعَةِ لِلمُحْتَلِّ.

وَلِفَرْحَات حَشَّاد جُرْأَةٌ قَوِيَّةٌ فِيمَا يَجْهَرُ بِهِ فِي خُطَبِهِ وَمَقَالاَتِهِ مِنْ مُنَاهَضَةٍ لِلْوُجُودِ الاِسْتِعْمَارِيّ المُسَيْطِرِ عَلَى بِلاَدِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ مِنْ مَقَالٍ آخَرٍ لَهُ نَشَرَتْهُ جَرِيدَةُ «الحُرِّيَّة» (29 أكتوبر 1950) :

«إِذَا كَانَ مُمَثِّلُ الحُكُومَةِ الفِرَنْسِيَّةِ (المُقِيمُ العَامُّ) حُرًّا فِيمَا يَخْتَارُهُ لِنَفْسِهِ مِنَ المَنَاهِجِ أَوْ هُوَ مَجْبُورٌ عَلَى تَنْفِيذِ مَا يَتَلَقَّاهُ مِنْ تَعْلِيمَاتِ حُكُومَتِهِ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ الشَّعْبَ التُّونُسِيَّ لَهُ حُقُوقٌ فِي بِلاَدِهِ لاَ يُمْكِنُ لِمُقِيمٍ عَامٍّ وَلاَ لِحُكُومَةٍ مَا أَنْ

[1] راجع النصّ الكامل بِعُنْوَانِ «المقَاوَمَة» في الملاحق.

تَعْبَثُ بِهَا. وَلَيْسَ الشَّعْبُ أُلْعُوبَةً بَيْنَ أَيْدِي الطَّامِعِينَ. وَلَيْسَ هُوَ هَزِيلاً لِدَرَجَةٍ تَسْمَحُ لأَيٍّ كَانَ بِأَنْ يَسْخَرَ مِنْهُ وَأَنْ يُمْلِيَ عَلَيْهِ إِرَادَتَهُ وَهُوَ مُكْرَهٌ. لَقَدْ تَحمَّلْنَا مَا لاَ يُمْكِنُ لأَحَدٍ أَنْ يَتَحَمَّلَهُ مِنْ سِيَاسَةِ المَكْرِ وَالخِدَاعِ، وَقَاسَيْنَا وَيْلاَتِ الظُّلْمِ وَالإِرْهَاقِ، وَصَبَرْنَا عَلَى المَكَارِهِ لأَنَّنَا نَعْلَمُ عِلْمَ اليَقِينِ أَنَّ طَرِيقَ كِفَاحِنَا سَيُوصِلُنَا إِلَى تَحْقِيقِ هَدَفِنَا طَالَ الزَّمَانُ أَوْ قَصُرَ...» فَهَذَا الخِطَابُ لاَ يَصْدُرُ إِلاَّ عَنْ زَعِيمٍ سِيَاسِيٍّ يَتَجَاوَزُ المَطْلَبِيَّةَ النّقَابِيَّةَ[1] فَيُنَاضِلُ بِالأَسَاسِ مِنْ أَجْلِ تَحْرِيرِ شَعْبِهِ.

وَجَاءَتِ القَطِيعَةُ بِصُدُورِ مُذَكِّرَةِ رَئِيسِ الحُكُومَةِ الفِرَنْسِيَّةِ رُوبَارْ شُومَان إِلَى مَلِكِ تُونِس الأَمِين بَاي بِتَارِيخ 15 دِيسمبر 1951، وَهِيَ مُذَكِّرَةٌ تُعَبِّرُ عَنْ رَفْضِ المَطَالِبِ الوَطَنِيَّةِ وَتُكَرِّسُ نِظَامَ الحِمَايَةِ وَالسِّيَادَةِ المُزْدوجَةِ الفِرَنْسِيَّةِ التُّونُسِيَّةِ.

وَكَانَ رَدُّ فِعْلِ فَرْحَاتْ حَشَّاد مُتَنَاغِمًا مَعَ مَوْقِفِ الحِزْبِ الحُرِّ الدُّسْتُورِيّ الجَدِيد فِي قَرَارِ شَنِّ الإِضْرَابِ العَامّ مِنْ 21 إِلَى 23 دِيسمبر 1951. وَسَانَدَ الإِضْرَابَ العَامَّ الحِزْبُ الدُّسْتُورِيُّ التُّونُسِيُّ (القَدِيم) وَالحِزْبُ الشُّيُوعِيُّ التُّونُسِيُّ وَالاتِّحَادُ النِّقَابِيُّ لِلْعُمَّال بِتُونِس (U.S.T.T.) كَجَوَابٍ حَرَكِيٍّ عَلَى مُذَكِّرَةِ رُوبَارْ شُومَانْ. وَهَكَذَا دَخَلَتِ البِلاَدُ فِي دَوَّامَةٍ مِنَ المُظَاهَرَاتِ وَالمُصَادَمَاتِ الدَّامِيَةِ فِي شَهْرِ جَانْفِي 1952 فِي ظُرُوفِ اعْتِقَالِ الزَّعِيم الحَبِيب بُورقِيبَة، وَتَدْوِيلِ القَضِيَّةِ التُّونُسِيَّةِ.

انْدِلاَعُ الثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ

لَمَّا انْدَلَعَتِ الثَّوْرَةُ التَّحْرِيرِيَّة (جَانفي 1952) طَالَبَ المَجْلِسُ التَّنْفِيذِيّ لِلفِيديرالِيّةِ الأَمريكيّة لِلشُّغل (AFL) بِالاِسْتِقْلاَل الدّاخلِيّ الفَوْرِيّ لِتُونس وَبِإِجْرَاءِ مُحَادَثَات مَعَ القُوَى الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ المُمَثَّلَةِ فِي قِيَادَات الحزب الوطني

[1] راجع مقال «فَلْتَسْقُطْ سِيَاسَةُ الرُّكُود» الصَّادِر بِجَرِيدَة الحُرِّيَّة – 29 أكتوبر 1950 فِي نَصِّهِ الكَامل بِالمَلاَحِق.



الزَّعيمان الحبيب بورقيبة وفرْحات حشّاد في استقبالٍ شَعْبِيٍّ
بَعْدَ عَوْدَةِ زعيمِ الحزب الحُرِّ الدُّسْتُورِيّ (الجديد) مِنْ رِحْلَتِه الدِّعَائِيَّةِ بِالمَشْرِقِ
العَرَبِيِّ (8 سبتمبر 1949)

(الدّستور الجديد) لِتَهْيِئَةِ الظُّرُوف المُلائِمَة لِنَيْلِ الاِسْتِقْلاَلَ التَامّ. وَجَاءَ ذلك المَوْقِفُ بِتَأْثِير مِنْ فرحات حشّاد.

قَدْ بَدَأَ الوَضْعُ السِّيَاسِيُّ يَتَأَزَّمُ قُبَيْلَ الاِنْتِفَاضَةِ التَّحَرُّرِيَّة بَعْدَ أَنْ قَطع Robert Shuman المُفَاوَضَات التِي بَدَأَتْهَا حُكُومَتُهُ مَعَ القِيَادَة الوَطَنِيَّة عَبْرَ حُكُومَةِ مَحمّد شنيق مُذْ إِعْلاَنِ «تِيُونْفِيلْ» (Déclaration de Thionville) في 10 جوان 1950، وَهوَ إِعْلاَنٌ يُقِرُّ مَبْدَئِيًّا بِحَقِّ تُونس فِي تَقْرِيرِ مَصِيرِهَا. وَأَشْعَلَتِ القَطِيعَةُ فَتِيلَ الاِنْتِفَاضَةِ العَارِمَة بِالبِلاَدِ التُّونِسِيَّة.

وَفِي الظُّرُوفِ المُمَهِّدَةِ لِتِلْكَ الاِنْتِفَاضَةِ صَعَّدَ فَرْحَات حَشَّاد مِنْ لَهْجَتِهِ السِّيَاسِيَّةَ فِي خُطَبِهِ وَكِتَابَاتِهِ المُتَحَدِّيَةِ لِلْجِهَازِ الاِسْتِعْمَارِيّ كَمَا فِي قَوْلِهِ مِنْ خِطَابِهِ فِي غُرَّةِ مَايْ 1951[1]:

«الشَّعْبُ التُّونُسِيُّ قَدْ عَقدَ العَزْمَ عَلَى افْتِكَاكِ حُقُوقِهِ إِذْ لاَ حُرِّيَّةَ لِلشَّعْبِ وَلاَ ضَمَانَ لِلشَّغَّالِينَ مَا دَامَتِ الحِمَايَةُ الأَجْنَبِيَّةُ [قَائِمَة], وَمَا دَامَ زِمَامُ الحُكْمِ خَارِجًا عَنْ أَيْدِينَا، وَالحُكُومَةُ لَيْسَتْ مَسْؤُولَةً أَمَامَ بَرْلَمَانس إِلَى أَنْ يَقُولَ:

«عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَعِدَّ لِتَدْمِيرِ مَعَاقِلِ الاِسْتِعْمَارِ تَدْمِيرًا إِذْ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَعِيشَ التُّونُسِيُّ مَحْرُومًا مِنْ حُرِّيَّاتِهِ.»[2] وَفِي ذَاكَ التَّصْعِيدِ تَهْدِيدٌ لِلْكِيَانِ الاِسْتِعْمَارِيّ مُزْعِجٌ لِلإِقَامَةِ العَامَّةِ وَلِغُلاَةِ المُعَمِّرِين.

بَعْدَ فَشَلِ المُفَاوَضَات وظهورِ بَوَادِرِ المَعْرَكَةِ التَّحريرِيَّةِ الحَاسِمَةِ قَدِمَ إِلَى تُونس المُقِيمُ العَامُّ الجَدِيدُ الكُونت «دِي هُوتِكْلُوكْ» (De Hautecloque) عَلَى ظَهْرِ بَارِجَةٍ حَرْبِيَّةٍ فِي 14 جَانفي 1952. وَمِنَ الغَدِ اقْتَحَمَ القَصْرَ المَلَكِيَّ لِحَمْلِ البَايْ بِالقُوَّةِ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ حُكُومَةِ مَحمّد شنيـق الوَطَنِيَّـةِ، وَبالخُصُوص مِن

[1] جريدة الصّباح، 3 ماي 1951.

[2] راجع النصّ الكامل في الملاحق.



مِنَ اليمِينِ إلى اليسار:
فرحات حشّاد، الحبيب بورقيبة وفِي يَسَار الصورة صالح بن يوسف

صَالح بن يوسف وَمُحمّد بَدْرَة اللّذَيْنِ الْتحَقَا ببَارِيس لِرَفْع شَكْوَى تُونُسِيَّة ضِدّ فِرَنْسَا وَالمُطَالَبَة بِإِدْرَاج القَضِيَّةِ التُّونسِيَّةِ فِي جَدْوَل أَعْمَال مُنَظَّمَة الأُمَم المُتَّحِدَة التِي عَقَدَتْ جَلْسَتهَا العَامَّة بقَصر شَايُو ببَارِيس. ثُمَّ غَادَرَ الوَزِيرَان العَاصِمَة الفرنسيّة إِلَى القَاهِرَة لِلْقِيَام بحَمْلَةٍ تَحْسِيسِيَّةٍ لِفَائِدَةِ القَضِيَّةِ التُّونُسِيَّةِ فِي جَامِعَة الدُّول العَرَبِيَّة وَالدُّول غَيْرِ المُنْحَازة.

وَفِي 18 جَانفي 1952 أَوْقَفَتْ سُلُطَاتُ الحِمَايَة زَعِيمَ الحِزْب الحُرّ الدُّسْتُورِيّ التُّونُسِيّ الحبيب بورقيبة وَمُدِيرَ الحِزْبِ المُنْجِي سليم وَوَضَعَتْهُمَا تَحْتَ الإِقَامَةِ الجَبْرِيَّةِ بطبَرْقَة. وَنزَلَ القَمْعُ أَشَدَّ مَا يَكُونُ عَلَى التُّونُسِيِّينَ فِي شَتَّى أَنْحَاءِ البِلاَد، وَأُعْلِنَتْ حَالَةُ الحِصَار، وَعُطِّلَتِ الصُّحُفُ الوَطَنِيَّةُ، وَتوالَتْ عَمَلِيَّاتُ التَّمْشِيطِ العَسْكَرِيّ بقِيَادَة الجِنِيرَال Garbey، وَنُفِّذَ العَدِيدُ مِنَ الأَحْكَام بالإِعْدَام وَالنَّفْي وَالتَّغْرِيم المَالِي عَلَى المُنَاضِلِين. وَكَثُرَ الهَيجَانُ فِي المُدُنِ وَالقُرَى وَالأَرْيَافِ، وَسَالَ الدَّمُ حَتَّى بَلَغَ عَدَدُ الضَّحَايَا أكثر مِنْ 5000 بَيْنَ قَتِيلٍ وَجَرِيح وَ12000 مُعْتَقَلٍ. وَتَصَاعَدَتْ أَعْمَالُ المُقَاوَمَةِ وَرُدُود الفِعْلِ.

علاقةُ فرحات حشّاد بالحزب الحرّ الدّستوري التّونسيّ الجديد وزعيمه

بَيَّنْتُ تِلك العَلاَقَة بتفاصيلَ ضَافِيَةٍ فِي القِسم الفِرَنْسِيّ مِنَ الدّرَاسَة. وَأُضِيفُ هُنَا مَعْلُومَاتٍ أَفَادَنِي بهَا أبنُ خَالَةِ فَرْحات حشّاد وَرَفِيقُ دَرْبِهِ مُحمّد بن رُمضان. حَدَّثَنِي فقال : في ظُروفِ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الثّانية (عام 1942) زَارَنَا بقِرْقنة الزَّعِيمُ الهادي شاكِر وَأَسَّسَ شُعْبَةً بالعَبَاسِيَّة. وَلَمْ يَكُنْ فرحات عِضْوًا مُبَاشِرًا في هَيْئَتِهَا وَإِنَّمَا كانَ مِنَ مُؤَيّدِيهَا، مَيَالاً إلى الدُّسْتُور الجديد باعْتِبَارِه مُمَثِّلاً لِلقُوَّةِ النَّشِيطَةِ في تَحْرِيرِ البلاد. ثُمَّ أَصْبَحَ أَبْرَزَ قِيَادِيٍّ للحَرَكَةِ الوَطَنِيَّةِ وَالمقَاوَمَة بَعْدَ اعْتِقَالِ الحبيب بورقيبة، وَبِدُونِ صِفَةٍ عَلَنِيَّةٍ ضِمْنَ القيادةِ السِّرِّيَّةِ لِلدِّيوانِ السّياسِيّ.

ولم يُنَاصِبِ فَرْحَات حَشّاد العِدَاءَ لِأَحَدٍ مِنَ المُنْتَمِينَ إِلَى الأَحْزَابِ الأُخْرَى، بل كان يُشَجّعُ وَيُؤيّدُ كُلَّ مَنْ كان يَعْمَلُ لِنصْرَةِ القَضِيَّةِ الوَطَنِيَّةِ. وكان يَسْعَى في ظُرُوفِ نَشَاطِ لَجْنَةِ الأَرْبَعِين في صَائِفَةِ 1952 إلى ضَبْطِ حَدٍّ أَدْنَى مِنَ المَطَالِبِ الوَطَنِيَّةِ التي تَنَالُ رِضَا جَمِيع الأَحْزَابِ وَالتَيَّارَاتِ السِّيَاسِيَّةِ مِنْ أَجْلِ وِفَاقٍ وَطَنِيٍّ عُرِفَ بِالوحدة الوطنيّة، وَهِي عبارةٌ رَدَّدَهَا حَشَّاد.

بَعْثُهُ لَجنَةَ الضَّمَانَاتِ الدُّستُورِيَّةِ وَالتمثِيلِ الشَّعْبِيِّ

أَسَسَّ فرحات حشّاد «اللَّجْنَةَ الوَطَنِيَّةِ لِلضّمانَاتِ الدّسْتُورِيَّةِ وَالتَّمْثِيلِ الشَّعْبِيِّ» في اجْتِمَاعٍ عَقَدَهُ بِمَقَرِّ الاتِّحَادِ العَامِّ التُّونِسِيِّ لِلشُّغْلِ يوم 12 ماي 1951، وَزرَعَ خَلايَاهَا عَبْرَ البِلادِ في جَوْلاَتٍ عَرَضْتُهَا مُفَصَّلَةً في القِسْمِ الفِرَنْسِيّ مِنْ كِتَابِي.

جَمَعَتْ تلك اللَّجْنَةِ كُلَّ القُوى السِّيَاسيّة الوَطَنِيَّة وَفِي مُقَدِّمَتِهَا الحِزْبُ الحُرُّ الدُّسْتُورِيُّ الجديدُ، ثُمَّ الاتِحادُ التُونسِيُّ لِلصّناعات التَّقْلِيديَّة والتّجارة (UTAC) والشُبّان المُسْلِمُونَ، وَالصّحافِيّون، والمُحامُون والأَطِبّاء وَالصَّيادِلَةُ، وَجَمْعِيَّةُ قُدَمَاءِ المُحَارِبين، مَاعَدَا الحِزْبَ الدُّسْتُورِيَّ القَدِيم لِأَنَّ قَادَتَهُ اعْتَبَرُوا فرحات حشّاد مُنْحَازًا لِخُصُومِهم الدُّسْتُورِيّين الجُدُد. وَالوَاقِعُ أَنَّهُ – رَغْمَ تَعَاطُفِهِ مَعَ الدُّسْتُور الجديد – قَد كانَ يُؤْمِنُ بِحُرِيَّةِ الفِكرِ وَالانْتِمَاءِ السّيَاسِي. وَالدَّلِيلُ على ذلك أنَّ الاتِّحاد العامَّ التُونِسِيَّ لِلشُّغلِ قَدْ تَجمَّعَتْ في قِيَادَتِهِ نُخَبٌ لَهَا مُيُولاَتٌ سِيَاسِيَّةٌ مُخْتَلِفَةٌ، فَمِنْهُمْ دُسْتُوريُّونَ قُدَامَى كَالصَّحْبِي فَرْحات وَمُحمّد بن عبد القادر إلى جَانب دُسْتوريّين جُدُدٍ كالحبيب عاشُور وأحمد التليلي وَشُيُوعِيّين وَمُسْتَقِلّين. وَيَبْرُزُ أَنَّ الهَدَفَ مِنْ بَعْثِ اللَّجْنَةِ الوَطَنِيَّةِ لِلضَّمَانَاتِ الدُّسْتُورِيَّةِ وَالتَّمْثِيل الشَّعْبِيِّ أَنْ تَكُونَ المُعَبِّرَةَ عَنْ إِجْماع الشَّعْبِ بِجَمِيع فِئَاتِهِ وَتَيَّارَاتِهِ عَلَى الحَدِّ الأَدْنَى مِنْ طُمُوحَاتِهِ التي لا يُمْكِنُ التَّنَازُلُ عَنْهَا.

وَيُشِيرُ المُؤَرِّخُ مُحمّد لُطْفِي الشَّابِيي إلى التَّوافُق التَّامّ بين فَرْحَاتْ حَشّاد والهادي نويرَة في المُبادَرَة إلى فِكْرَةِ بَعْثِ لَجْنَةِ الضَّمَانَاتِ الدُّسْتُورِيَّةِ وَالتَّمْثِيلِ الشَّعْبِي بِغَرَض تَمْكِينِ الأُمَّةِ التُّونُسِيَّةِ «مِنْ حَقِّهَا فِي تَسْيِير شُؤُونِهَا بِوَاسِطَةِ المَجَالِس النِّيَابِيَّةِ المرْتكِزَة عَلَى ضَمَانَاتٍ دُسْتُورِيّة، فَلاَ تعْترَفُ لِأَيِّ كَانَ بأَنْ يَحْرِمها مِنْهَا ...» وفْقَ مَا ذكَرَهُ صَدِيقِي الباحِثُ مُعْتَمِدًا في ذلك على مَا نقَلَتْهُ جريدَةُ «الصَّبَاح» بتاريخ 30 جوان 1951 حوْل المُحاضرة التي ألقاها الهادي نويرَة في نفس المَوْضُوع بعُنْوَانِ «الحُرّياتِ الدُّستوريّة»[1]

وَتَدُلُّ تَرْكِيبَةُ «لَجْنَةِ الضَّمَانَاتِ الدُّستورِيَّةِ وَالتَّمْثِيل الشَّعْبِيّ» عَلَى تَنَاغُمٍ وَطَنِيٍّ شَامِلٍ (وَحْدَةٍ وَطَنيَّة) قُبَيْلَ وَغدَاةَ اندِلاَعِ الثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ الحَاسِمَةِ في جَانْفِي 1952.

وَتَشَكَّلَ مَكْتَبُهَا التَّنْفِيذِيُّ مِنَ الهادي نويرة (عَنِ الدّستور الجديد)، والفَرْجانِي بلحاج عمّار (عن اتّحاد الصّناعة والتّجارة)، وإبراهيم عَبْدَاللّه (عَنِ الاِتّحادِ التّونُسِي للفِلاحَة)، والشَّيخِ محمّد صالَح النّيفَر (عَنْ جمعيَّةِ الشُّبانِ المسلمين)[2]

وَقامَ فرحات حشّاد بالدّوْر الرَّئِيسِيِّ العَمَلِيِّ عَبْرَ هياكِلِ الاِتِّحَادِ لِتَرْكِيز مَكَاتِب وَخلايَا لَجْنَةِ الضَّمانات الدُّستوريَّةِ والتَّمْثِيل الشَّعبيّ التي سَانَدَتِ نِضَالَ الدُّسْتُور الجديد وَغطَّتِ مَاأَحْدَثَهُ القَمْعُ الاِسْتِعماريُّ المُسَلَّطُ عَلَى شَعْبِهِ مِنْ فَجْوَاتٍ وَأَحْيَانًا مِنْ فَرَاغ، كَمَا بيَّنْتُهُ في القِسْمِ الفِرَنْسِيّ بالاِعْتِمَادِ على رُزْنَامَةِ فرحات حشّاد وِفْقَ الوَثِيقَتَينِ اللّتَيْنِ أَنْجَزَهُمَا نَجْلُهُ الأستاذُ نور الدّين حشّاد، وَمَا سَجَّلَتْهُ المُخابراتُ الفرنسيّة.

---

[1] راجع محمّد لطفي الشّايبي : الحلقة الرّابعة من دراسته «أضواء جديدة على اغتيال الزّعيم فرحات حشّاد» جريدة «الشعب» 8-14 أفريل 1988

[2] نفس المرجع.



فرحات حشّاد في لِقَاء شَعْبِيّ

عَلاَقَتُهُ بِلَجْنَةِ مُقَاوَمَةِ الاحْتِشَادِ

قَامَتْ تلك اللَّجْنَةُ بتَحْقِيقَاتٍ حَوْلَ ظُرُوفِ إِقَامَةِ المُعْتَقَلِينَ الوَطَنِيّينَ في المُحْتَشَدَاتِ. وَكَانَ فَرْحات حَشَّاد على صِلَةٍ وَثِيقَةٍ بالقَائِمِينَ على تلك اللَّجْنَةِ التي كانَ يُشْرِفُ عليها دَافِيدْ رُوسّي، فَيَمُدُّهُمْ بالمَعْلومات لِيَسْعَوْا لَدَى السُّلُطِ الفِرَنْسِيَّةِ إلى تَحْسِينِ ظُرُوفِ إِقَامَةِ المَسَاجِينَ وَالمُعْتَقِلِينَ الوَطَنِيِّينَ. (القسم الفرنسي)

عَلاَقَتُهُ بالطَّلَبَةِ التّونِسِيّين

أَوْرَدْتُ في القِسْمِ الفِرَنْسِيّ مُعْطَيَاتٍ هامَّةً غَيْرَ مَعْهُودَةٍ مِنْ قَبْلُ بِخُصُوصِ الدَّوْرِ الذي قَامَ بِهِ فَرْحَات حَشّاد في قِيادَةِ المُقَاوَمَةِ المُسَلَّحَةِ وَتَنْشِيطِهَا وَتَمْوِيلِهَا. وَأُضِيفُ هُنَا مَعْلُومَةً أُخْرَى أَفَادَنِي بِهَا الأستاذ مُحمّد بن رُمضان ابنُ خَالَةِ فَرْحَاتْ وَرَفِيقُ دَرْبِهِ. قال لِي: لَمْ يَكُنْ دَوْرُ فرحات مُقْتَصِرًا على الجَانِبِ القِياديّ التَّنْظِيرِيِّ وَالاجْتماعيّ النِّقَابِيّ الصِّرْفِ بَلْ كانَ الزّعيم النّقابيّ أَيْضًا حَرَكِيًّا لَهُ صَوْلاَتٌ وَجَوْلاَتٌ نِضَالِيَّةٌ وَمِنْهَا دَوْرُهُ القِيَادِيُّ في المُقَاوَمَةِ المُسَلّحَةِ إِبَّانَ انْطِلاَقِ الثَّوْرةِ التَّحَرِيرِيَّةِ الحَاسِمَة.

وَكَانَ يَتَعَاوَنُ خاصَّةً مَعَ مُهَنْدِسٍ فِلاَحِيٍّ خَبِيرٍ في صُنْعِ المَفَرْقعاتِ اسْمُهُ الحبيب مَعْزُون مِنْ مَوَالِيدِ صفاقس. عَرَفَهُ فرحات حِينَما كان ذلك المُهَنْدِسُ يَقُومُ بِأَشْغَالِ التَّنْقِيبِ عَنِ الماءِ الصّالحِ لِلشُّرْبِ في جُزُرِ قَرْقَنَة، فَجَمَعَتْهُ بِهِ صَدَاقَةٌ مَتِينَةٌ، وَقَدْ أَسْهَمَ الحبيب مَعْزون بِإِشَارَةٍ مِنْ فرحات في صُنْعِ القنابل، فَحَارَتْ فِي أَمْرِهِ السُّلَطُ الفِرَنْسِيَّةُ، وَكَانَتْ عُيُونُهَا تُلاحِقُهُ. وَلَمَّا قَرَّرَتِ التَّخَلُّصَ مِنْهُ دَبَّرَتْ اغْتِيالَهُ في حادثٍ ظَاهِرُهُ حادثُ مُرُورٍ وَهُوَ في الحَقِيقَةِ اغْتِيَالٌ مَقْصُودٌ إذْ دَاسَتْهُ شَاحِنَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ وهو يَسُوقُ سَيّارَتَهُ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ بَيْتِهِ في بابِ سيدي قاسِم بالعَاصِمَة، فارْتَمَتِ الشَّاحِنَةُ عليه وَعَجَنَتْهُ في سيّارَتِهِ.»

رَوَى لِي محمّد بن رُمضان نَقْلاً عَنْ فَرْحَات حشّاد قَوْلَهُ أنّ ذلك الحادِثَ اغْتِيَالٌ مُقَنَّعٌ بِحادِثِ مُرور. وَلَمَّا سَأَلَهُ مُحمّد بن رُمضان عَنْ أَكْبَرِ حُزْنٍ عَاشَهُ فِي حَيَاتِهِ أَجَابَهُ فرحات بِأَنَّ يَوْمَ اغْتيالِ الحبيب مَعزُونْ هُوَ أَشَدُّ يوم حُزْنٍ في حيَاتِهِ، وَقَابَلَهُ بِأَحْسَنِ يوم فَرْحَةٍ فِي حَيَاتِهِ حِينَمَا أَمْضَى العَقْدَ المُشْتَرَكَ الذي يَنُصُّ على تَسَاوِي الأُجُورِ بِتَسَاوِي العَمَلِ بَيْنَ التّونِسِيّين وَالأَجَانب.

علاقته بالطَّلَبة التونسيين

لِلدُّكْتور عادِل بن يُوسف مَقَالٌ هامٌّ بِعُنْوان «حَوْلَ عَلاَقَةِ الطَّلَبَةِ التُونِسِيّين بالزَّعِيم فَرْحَات حشّاد وَالمُنَظَّمَةِ الشَّغِيلَة فيما بَيْنَ 1946 و 1957 : طَلَبَةُ الجَامِعَاتِ الفِرَنْسِيَّة أُنْمُوذَجًا»، سَلَّطَ بِهِ الأَضْوَاءَ على بَعْضِ الجَوَانِبِ الغَامِضَةِ مِنْ تِلْكَ العَلاَقَةِ بَيْنَ زَعِيمِ المُنَظَّمَةِ الشّغِيلَةِ وَأُولَئِكَ الشَّبابِ مِمَّنْ اضْطَلَعُوا بِدَوْرٍ هَامٍّ في الحَرَكَةِ الوَطَنِيَّة، فَعَرَّفَ هذا البَاحِثُ الخَبِيرُ في اسْتِجْلاَءِ مِلَفَّاتِ الطَّلَبَةِ التُّونُسِيّين في الجَامِعَاتِ الفِرَنْسِيَّةِ [1] بِأَوَّلِ لِقَاءٍ جَمَعَ فرحاتْ حشّاد بِهَؤُلاءِ إِثْرَ دَعْوَةٍ وَجَّهَتْهَا إِلَيْه جَمْعِيَّةُ طَلَبَةِ شَمال إِفْرِيقْيَا المُسْلِمِينَ (A.E.M.N.A) التِي تَأَسَّسَتْ بباريس عامَ 1927 لِتَضُمَّ في صُفوفِهَا طَلَبَةَ أَقْطَارِ المَغْرِبِ العَرَبِيِّ الثَّلاَثَةِ (تونس والجزائر والمغرب الأقصى)، وَتُدَافِعَ عَنْ مَطَالِبِهم، وَتَرْعَاهُمْ، وَتَسْتَقْطِبُهُمْ فِي أَنْشِطَةٍ تَثْقِيفِيَّةٍ، وَتُسْهِمَ في خِدْمَةِ قَضَايَا شُعُوبِهم وَمُسَانَدَةِ نِضَالِهَا ضِدَّ الاِسْتِعْمَارِ الفِرَنْسِيِّ.

وَأَلْقَى حشّاد في تلك المُنَاسَبَةِ يوم 20 ديسمبر 1946 بنادي الجَمْعِيّة (115 شارع سانْ مِيشال) مُحاضرةً بِعُنْوَان «الحركةُ النّقابيّةُ التُّونسيَّةُ وَنِضالُ الاِتّحاد

---

[1] راجع أُطروحتَهُ لِنَيْلِ رجَةِ دكتورا الدَّوْلَة بعُنوان «الطَّلبةُ التّونُسيّون بالجَامِعات الفرنسيّة (1880–1956)» جامعة تونسُ الأولى (3 أجزاء مرقونةً طُبِعَتْ مِنْ بَعْدُ في منشورات كليّة الآداب بسوسة 2006).

العامّ التُّونُسِيّ لِلشُّغْل فِي الميدانِ النّقابيّ»[1] اسْتَعْرَضَ فيها جُذُورَ الحَرَكَةِ النَّقَابيّةِ مُنْذُ نَشْأَتِهَا الأُولَى مَعَ مَحمّد علي الحَامّي ثُمَّ فِي طَوْرِ إِحْيَائِهَا مَعَ بلقاسم القناوي وَمِنْ بَعْدِهِ الهادي نويرة وَوُصُولاً إلى ظُروفِ انْبِعَاثِ الاتحادِ العامِّ التُّونُسِيِّ لِلشُّغْلِ، وَبَيَانِ أَهْدَافِهِ، وَمَا وَاجَهَهُ مِنْ صُعُوباتٍ، وَآفَاقِ عَمَلِهِ المُسْتَقْبَلِيِّ، وَمِنْهُ بالخُصُوصِ سَعْيُ الاتّحادِ النَّاشِئُ إلى تَفَادِي العُزْلَةِ بِطَلَبِ الانْخِراطِ فِي الجَامِعَةِ النَّقَابِيَّةِ العَالَمِيَّةِ (F.S.M)، وَتَصَوُّرُ حَشَّاد الرِّيادِيُّ لِمَشْرُوعِ جَامِعَةٍ نَقَابِيَّةٍ شمالِ إفْرِيقِيَّةٍ، وَإِشَارَتُهُ إِلَى ضَرُورَةِ تَكَامُلِ العَمَلَيْنِ النّقابيِّ الاجْتِمَاعِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ الوَطَنِيِّ.

بَعْدَ هَذِهِ الزِّيَارَةِ الأُولَى عَبَّرَ فرْحَاتْ حَشَّاد - فِي العديدِ مِنَ المُنَاسَبَاتِ اللاَّحِقَةِ وَمِنْهَا حَدِيثٌ صُحُفِيٌّ أَجْرَتْهُ مَعَهُ بَعْدَ عَوْدَتِهِ إلى تونس جَرِيدَةُ «الزُّهْرة» (14 جانفي 1947) - عَنْ تَعَاطُفِهِ مَعَ الطَّلَبَةِ التُّونسِيِّينَ بِفرَنْسَا، وَتَأَثُّرِهِ بِمَا لاَحَظَهُ مِنْ مُعَانَاةِ بَعْضِهِم نَظَرًا لِتَرَدِّي أَوْضَاعِهِمْ المَادِيَّةِ، فَحَثَّ التُّونسِيّين على مَدِّ يَدِ المُسَاعَدَةِ إليهم، وَبَادَرَ بِجَمْعِ التَّبَرُّعاتِ الماليَّةِ التي جَادَ بِهَا العُمَّالُ المُنْخَرِطُونَ فِي الاتّحَادِ لِفَائِدَةِ أُولَئِكَ الطَّلَبَةِ المُحْتَاجِينَ المُغْتَرِبينَ لِطَلَبِ العِلْمِ وَالتَّهَيء لِلنُّهُوضِ بِشَعْبِهِم.[2]

ظَلَّتْ تلك العَلاَقَةُ مَوْصولَةً على مَدَى الأَعْوَام بَيْنَ فرحات حشّاد والطَّلَبَةِ إلى حين وَفَاتِهِ، مُكَرِّسَةً «مَبْدَأَ التَّشْجيع عَلَى التَّعَلُّمِ وَالمَعْرِفَةِ» كَمَا يَرُومُهُ زَعِيمُ

---

[1] راجع النصّ الكامل لهذه المُحاضرة في مَلاحق الدّراسةِ بالعربيّة.

[2] راجع عادِل بن يوسف، مقال بعنوان «حَوْلَ علاقةِ الطّلبةِ التّونسيّين بالزَّعِيم فرحات حشّاد وَالمُنظَّمةِ الشّغِيلة فيما بين 1946 وَ 1957 : طلبة الجامعات الفرنسيّة نموذجا» - مِنْ كتاب «أَعمال المؤتمر العالميّ الأوّل حول فرحات حشّاد - الحركة النّقابيّة وَالنّضال الوطني.» منشورات مُؤسّسة التّميمي للبحث العلمي والمعلومات - تونس، جانفي 2002 ص 23-25

الاتِّحَادِ الحَرِيصُ عَلَى «مَدِّ قَنَواتِ الاتِصَال بَيْنَ العَامِلِينَ بالفِكْرِ وَالسَّاعِدِ لِخَلْقِ وَحْدَةٍ بَيْنَهُمْ بالإِمْكَانِ تَوْظِيفُهَا في التَّصَدِّي لِلاِسْتِعمار».[1]

وَيُسْتَفَادُ مِنْ مَقال عادِلِ بن يوسف أَنَّ فرحات حشّاد لَعِبَ دَوْرًا هامًّا في أَفريل 1950 لإِقْنَاعِ طَلَبَةِ «مَجْمُوعَةِ باريس» بِأَهَمِّيَةِ تَجربَةِ الحِوَارِ بَيْنَ حُكُومَةِ محمّد شنيق التَّفَاوُضِيَّةِ وَمِنْ وَرائِهَا الحِزْبُ الحُرُّ الدُّستوريُّ الجديدُ، وَحُكُومَةِ رُوبار شُومان حَوْلَ الحُكْمِ الذَاتِي. وَكَانَتْ «جَمَاعَةُ بَارِيس» قَبْلَ اتِّصَالِ حشّادِ بِهَا رَافِضَةً لِسِيَاسَةِ اللِّينِ المُتَّبَعَةِ مِنْ قِبلِ الزَّعِيم الحبيب بورقيبة، مُشَكِّكَةً في جِدِّيّةِ الطَّرَفِ الفِرَنْسِيِّ.[2]

فَهَذَا الجَانِبُ مِنْ شَخْصِيَّةِ فرحات حشّاد وَنَشَاطِهِ ما يَزَالُ مَغْمُورًا وَيَحْتَاجُ إلى مَزِيدٍ مِنَ الكَشْفِ عَنْهُ وَالإِضَافَةِ إِلَيْهِ. وَيَذْكُرُ أَبْنَاءُ جِيلي، مِمَّنْ عَاشُوا الأَحْدَاثَ وَامْتُحِنُوا، الدَّوْرَ الهامَّ الذي لَعِبَهُ الاتِّحَادُ العَامُّ التُّونِسِيُّ لِلشُّغْلِ لاِسْتِقْطَابِ تلاَمِيذِ المعاهِدِ الثَّانَوِيَّةِ فَضْلاً عَن الطَّلَبَةِ المُغْتَرِبِينَ بفَرَنْسَا في ظُرُوفِ انْدِلاَعِ الثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ الحَاسِمَةِ بَدْءًا مِنْ جَانْفِي 1952 وَنَشْأَةِ الاتِّحَادِ العَامِّ لِطَلَبَةِ تونس (U.G.E.T) بَعْدَ ذلك.

فَلَمَّا انْتَفَضَ تَلاَمِيذُ المَعَاهِدِ الثَّانَوِيَّةِ في الصّادِقِيَّةِ وَالعَلَوِيَّةِ بالعاصمةِ، وَفِي الكُولِيج كلاسيكْ بسوسة، وَالمَعْهد الثَّانَوِيّ بصفاقس، مُتَلاَحِمِينَ مَعَ الثَّوْرَةِ التَحريريّة، رَعاهُمُ الاتِحَادُ العامُّ التُّونِسِيُّ للشُّغْلِ، وَفَتَحَ نَوَادِيَه لِنَشَاطِهِم، وَدَافَعَ عَنِ المُضْطَهَدِينَ وَالمَحْبُوسِينَ مِنهُمْ. وَأَذْكُرُ أَنَّ فَرْحَاتْ حَشَّادَ قَدَّمَ بِاسْمِ مُنَظَّمَتِهِ بالتَّعَاوُنِ مَعَ أحمد بن صالح كِتَابًا أَبْيَضَ للكُنْفِيديراليّةِ العَالَمِيَّةِ - لِلنَّقَابَاتِ الحُرَّةِ دِفَاعًا عَنْهُمْ وَتَعْرِيفًا بظُرُوفِ الانْتِفَاضَةِ التِّلميذِيّة وَنَتَائِجِهَا وَمَا تَبِعَهَا مِنْ اعْتِقَال

---

[1] عادِل يوسف، المرجع السّابق ص 25

[2] نفسِ المرجع ص 26.

وَتعَسُّفٍ وَتَعْذِيبٍ بشتَّى الوَسَائِلِ كَإِطْلاَقِ الكِلاَبِ النَّاهِشَةِ على الأَحْدَاثِ، وَكُنْتُ أَحَدَهم، ثُمَّ تقديمهم للمحَاكِمِ، وَالزَّجِّ بِهِمْ في السُّجُون، وَتغْرِيمهم مَالِيًّا، وَحِرْمَانِ الكَثِيرين مِنْ مُواصَلَةِ الدّراسَة، كَمَا حَدَثَ في انْتِفَاضَةِ تلاَمِيذِ كُوليج سُوسة في 26 أفريل 1952 [1].

وَقَدْ فَتَحَ لَنَا المَرْحُومُ محمّد قطاط الكاتِبُ العامُّ الجِهَوِيُّ بِسُوسة مَقَرَّ الاتِّحاد، وَمكَّنَنَا مِنْ مَكْتَبٍ وَوفَّرَ لَنَا الرَّاقِنَةَ وَآلَتَيْ الرَّقْنِ وَالسَّحْبِ، وَكَانَ لَنَا الأَخَ العَطُوفَ في أَيَّامِ المِحْنَة. (رَاجع مزيد الإضافات في القسم الفرنسيّ)

بَعْدَ فَشَلِ الحِوَارِ السِّيَاسِيِّ بَيْنَ حُكُومَةِ مَحمّد شنِيق التَّفَاوُضِيَّةِ وَالحُكُومَة الفِرَنْسِيَّة (مُذكّرَة 1951/12/15) وَاعْتِقَال الزَّعِيم الحبِيب بُورقِيبَة، وَاصَلَ فَرْحَات حَشَّاد الكِفَاحَ الوَطَنِيَّ المُتَجَاوِزَ لِنِضَالِهِ النّقَابِيِّ العَلَنِيّ، إِلَى جَانِبِ مَنْ تَبَقّى طَلِيقًا مِنْ رِفَاقه فِي تَرْكِيبَةِ الدِّيوَان السِّيَاسِيِّ لِلْحِزْب الحُرّ الدُّسْتُورِيّ الجَدِيد المُنْبَثِقَةِ عَنْ مُؤْتَمر سِيدِي مِحْرِز فِي جَانفِي 1952.

وَقَدْ عَرَضَ فَرْحَات حَشَّاد عَلَى الدِّيوَان السِّيَاسِيِّ السِّرِّي الذِي تَرَأَّسَهُ الهَادِي نوِيرَة بَرْنَامجَهُ المُتَعَلِّقَ بِاشْتِرَاكِ النّقَابِيِّينَ فِي المُقَاوِمَةِ بَعْدَ انْقِطَاعِ الحِوَارِ بِصِفَتِهِم الوَطَنِيَّة، وَكَانَتْ مُسَاهَمَتُهُمْ نَاجِعَةً فِي الكِفَاحِ التَّحْرِيرِيّ. وَهَكَذَا جَعَلَ فَرْحَاتْ حَشَّاد الاتِّحَادَ العَامَّ التُّونُسِيَّ لِلشُّغْلِ سَنَدًا لِلْحِزْب الوَطَنِيّ فِي كِفَاحِهِ، فَأَصْبَحَتْ مَقَرَّاتُهُ مَلاَجِئَ يَأْوِي إِلَيْهَا المُنَاضِلُونَ، وَيُنَظِّمُونَ فِيهَا اجْتِمَاعَاتِهِم وَتحَرُّكَاتِهِم، وَسُخِّرَتْ لِلطَّلَبَةِ الدُّسْتُورِيِّينَ كَمَا عَهِدْنَا ذَلِكَ فِي شَبَابِنَا.

---

[1] راجع مُسْتَخرج المحَاكمَة :
Extrait des minutes du Greffe des Tribunal de Première Instance de Sousse - Instruction du 9 Mai 1952- N° d'ordre 207 - N° du Parquet 615 - N° de l'Instruction 1781.



مُحمّد قطاط الكاتِب العامّ للاِتِّحَادِ الجهوي بسوسة يَخْطُبُ في جمْعٍ مِنَ المسؤولين.
وَيُرَى وراءَهُ أحمد بن حميدة الكاتب العامّ الجهويّ لِمدينةِ فيريفيل
(منــزل بورقيبة الآن)، ومحمد بن رمضان الثّاني على يسارِ الخَطِيب.

فِي تِلْكَ الأَثْنَاء ظَلَّ مُؤَسِّسُ المُنَظَّمَةِ الشَّغِيلَةِ أَبْرَزَ قِيَادِيٍّ سَلِمَ مِنَ الإِيقَافِ لأَنَّ إِدَارَةَ الحِمَايَة كَانَتْ تَخْشَى مَا قَدْ يَجُرُّهُ إِيقَافُهُ مِنْ رُدُودِ فِعْل لاَ يُمْكِنُ تَقْدِيرُ مَدَى خُطُورَتِهَا لاَ فَقَطْ فِي صُفُوفِ الجَمَاهِير الشَّعْبِيَّة، بَلْ وَكَذَلِكَ فِي الأَوْسَاطِ العَالَمِيَّة وَبالخُصُوص مِنْ جَانب مُنَظَّمَةِ السّيزل (CISL) ذَاتِ النُّفُوذِ القَويّ الفَاعل آنَذَاكَ. وَكَانت الصَّحَافَةُ الاسْتِعْمَارِيَّة تُسَمِّي الزَّعِيم النّقَابِيَّ «حَشَّاد الأمريكي» رَهْبَةً مِنْهُ وَأَيْضًا تَشْوِيهًا لِصُورَتِهِ الوَطَنِيَّة.

وَإِذْ حَمَلَ فرحات حَشَّاد مِشْعَلَ القِيَادَةِ الوَطَنِيَّةِ فِي غِيَابِ الزَّعِيم الحبيب بورقيبة ورفَاقه المُعْتَقَلِينَ، فَقَدْ أَصْبَح لاَ يَعْرِفُ طَعْم الرَّاحةِ، فَفَتَحَ دُورَ الاتِّحَاد لِلْعَمَلِ السِّيَاسِيّ الوَطَنِيّ وَللتَّخْطِيطِ الفِدَائِيّ. وَكَثُرَتْ تَنَقُّلاَتُهُ دَاخِلَ البلاَد وَخَارِجَهَا. وَقَضَّى بِالوِلاَيَات المُتَّحِدَة الأمريكيّة في سبتمبر - أكتوبر 1951 قُبَيْلَ اندِلاَع الثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ ثمّ في أفريل 1952 وَفِي دَوَائِر مُنَظَّمَة الأُمَم المُتَّحِدَة، عِدَّةَ أَسَابيعَ لإِجْرَاءِ الاتِّصالاَتِ وَخِدْمَةِ القضِيَّةِ الوَطَنِيَّة. فَأَصَابَ إِدَارَةَ الحِمَايَة وَغلاَةَ المُعَمِّرين خَوْفٌ شَدِيدٌ مِنْ تَحركَاتِهِ وَتَأْثِيرِهِ عَلَى الرَّأْيِ العَامّ العَالَمِيّ، وَعَلَى المُنَاضِلِين وَالجَمَاهِير الشَّعْبِيَّة، وَعَلَى مَلِكِ البلاَدِ نَفْسِهِ مُحَمَّد الأَمِين بَايْ الذِي رَفَضَ الانقياد لأَوامر المقيم العامّ دي هوتكلوك تَحْتَ تَأْثِير حَشَّاد.

اغْتِيَالُ فَرْحَاتَ حَشَّاد

ثُمَّ كَانَ يومُ الحُزْنِ الكَبِير 5 ديسمبر 1952 فَامْتَدَّتْ يَدُ الغَدْرِ إِلَى فَرْحاتْ حَشَّاد بِتَوَاطُؤِ المُقِيمِ العَامّ دي هُوتِكْلُوك مَعَ عِصَابَةِ اليَدِ الحَمْرَاء الاِسْتِعْمَارِيَّة، فَاغْتَالَتْهُ غَدْرًا. رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةَ الشُّهَدَاء الأَبْرَارِ. (راجع تفاصيلَ مِلَفّ الاغْتِيال في القسم الفرنْسِي مِن الدِّرَاسَة الباب 12).

«رُوجِي سيدُو» و«أنطوان ميليرُو» يكشفان عن قتلة فرحات حشّاد

فِي مَقَال بِعُنْوَان «حَقَائِقُ حَوْلَ اسْتِشْهَادِ فَرْحَات حَشَّاد» صَادِرٍ بِمَجَلَّةِ الصَّادِقِيَّة[1]، أَفَادَنَا المُؤَرِّخُ المَرْحُومُ حَمَّادِي السَّاحِلِي بِمُعْطَيَاتٍ جِدُّ هَامَّةٍ عَنْ مُلاَبَسَاتِ الجَرِيمَةِ الشَّنْعَاءِ، نَقلَهَا إِلَى العَرَبِيَّةِ مِنْ كِتَابٍ بِالفِرَنْسِيَّةِ بِعُنْوَانِ «اليَدُ الحَمْرَاءُ: جَيْشُ الجُمْهُورِيَّةِ السِّرِّيُّ». وَقَدْ أَلَّفَهُ أَحَدُ كِبَارِ رُمُوزِ تِلْكَ المُنَظَّمَةِ الإِرْهَابِيَّةِ المَدْعُوُّ «أَنْطَوانْ مِيلِيرُو»[2] وكانَ ضَابِطَ شُرْطَةٍ مُقَرَّبًا مِنَ النَّقِيبِ فِيَّات (رَاجع تَفَاصِيلَ بِخُصُوصِهِ فِي القِسْمِ الفِرَنْسِي - البَاب 12).

وَوفْقَ شَهَادَةِ ذَلِكَ الحَرَكِيِّ فَإِنَّ المُنَظَّمَةَ الإِرْهَابِيَّةَ «اليَدَ الحَمْرَاء» الَّتِي أَنْشَأَتْهَا بِتُونِس مَصْلَحَةُ التَّوْثِيقِ الخَارِجِيِّ - الجَوْسَسَةِ المُضَادَّةِ الفِرَنْسِيَّة - قَدْ كَانَتْ تَخْضَعُ لِلسُّلْطَةِ المُبَاشِرَةِ لِرَئِيسِ مَجْلِسِ الوُزَرَاءِ عَهْدَئِذٍ «أَنْطَوانْ بِينَايْ» (Antoine Pinay)، وَيُدِيرُهَا النَّقِيبُ «فِيَّاتْ» (Capitaine Fillette) وَالعَقِيدُ «مَرْسِيي» (Colonel Mercier)، وَيُنْتَدَبُ أَعْضَاؤُهَا مِنْ قُدَمَاءِ المُحَارِبِينَ الفِرَنْسِيِّين، فَيَنْتَظِمُونَ فِي خَلاَيَا إِرْهَابِيَّةٍ عُنْقُودِيَّةٍ صَغِيرَةٍ.

وَبِخُصُوص الكَشْفِ عَنْ هُوِيَّاتِ المُتَّهَمِينَ بِقَتْلِ فَرْحَات حَشَّاد، وَتَوَرُّطِ «اليَدِ الحَمْرَاء» فِي عَمَلِيَّةِ اغْتِيَالِهِ، أَوْرَدَ أَنْطَوانْ مِيلِيرُو وَثِيقَةً أَسَاسِيَّةً هِيَ رِسَالَةٌ بَرْقِيَّةٌ مُؤَرَّخَةٌ فِي 22 سبتمبر 1956 بِإِمْضَاءِ «رُوجِي سَيْدُو» (Roger Seydoux) سَفِير فِرَنْسَا بِتُونس آنَئِذٍ، وَهِيَ مُوَجَّهَةٌ إِلَى كَاتِبِ الدَّوْلَةِ لِلشُّؤُونِ الخَارِجِيَّةِ المُكَلَّف بِالشُّؤُونِ المَغْرِبِيَّةِ وَالتُّونُسِيَّةِ عَلَى إِثْرِ إِلْقَاءِ السُّلَطِ التُّونُسِيَّةِ القَبْضَ - بُعَيْدَ الاِسْتِقْلاَلِ - فِي مَاي 1956 عَلَى بَعْضِ أَعْضَاءِ المُنَظَّمَةِ الإِرْهَابِيَّةِ «اليَدِ الحَمْرَاء».

---

[1] مَجَلَّةُ الصَّادقِيَّة، عدد أكتوبر 2002. مَقَال للأستَاذ حَمَّادِي السَّاحِلِي بعنوان «حَقَائِقُ حَوْلَ اسْتِشْهَاد فَرْحَات حَشَّاد»، ص. 51-53.

(2) Antoine Méléro «La Main Rouge : L'Armée Secrète de la République », Editions du Rocher, Monaco, 1997.

وَيُشِيرُ السَّفِيرُ سَيْدُو إِلَى المَوْقُوفِينَ الذِينَ لاَحَقَتْهُمُ العَدَالَةُ التُّونُسِيَّةُ لاتِّهَامِهِمْ بِالتَّوَرُّطِ فِي اغْتِيَال فَرْحَات حَشَّاد، وَيَذْكُرُ تَدَخُّلَهُ لِتَطْوِيقِ القَضِيَّةِ رَغْمَ اسْتِنْكَارِهِ الـمُمَارَسَاتِ الإِجْرَامِيَّةَ البَغِيضَةَ لِلْيَدِ الحَمْرَاءِ كَمَا كَانَتْ تَحْدُثُ مِن قَبْلُ، يَعْنِي فِي آخِرِ عَهْدِ الاِسْتِعْمَارِ وَانْطِلاَقِ الثَّوْرَة التَّحْرِيرِيَّة بتُونس وَتَوَاصُلاً إِلَى فَجْرِ الاِسْتِقْلاَلِ حَسَبَ مَا جَاءَ بِالخُصُوصِ فِي قَوْلِهِ، وِفْقَ مَا نَقَلَ نَصَّهُ مِنَ الفِرَنْسِيَّةِ إِلَى العَرَبِيَّةِ المُؤَرِّخُ المَرْحُوم الأُسْتَاذُ حَمَّادِي السَّاحِلِي: «أُعْلِمُكُمْ ضِمْنَ بَرْقِيَّةٍ بِأَهَمِّ العَنَاصِرِ التِي مَيَّزَتِ القَضِيَّةَ المَعْرُوفَةَ بِقَضِيَّةِ اليَد الحَمْرَاء. وَأَظُنُّ أَنَّ الوَقْتَ قَدْ حَانَ لِتَحْدِيدِ وَضْعِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ.

فَقَدْ أُلْقِيَ القَبْضُ عَلَى عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الأَشْخَاصِ، وَتَمَّ اسْتِنْطَاقُهُمْ، ثُمَّ أُفْرِجَ عَنْهُمْ بَعْدَ بِضْعِ سَاعَات. أَمَّا الأَفْرَادُ الذِينَ ظَلُّوا رَهْنَ الاِعْتِقَالِ فَقَدْ أُطْلِقَ سَرَاحُهُمْ جَمِيعًا أَوْ وُضِعُوا فِي حَالَةِ سَرَاحٍ وَقْتِيٍّ مَا عَدَا ثَلاَثَةَ أَشْخَاصٍ، وَهُمْ: رُوفِّنْيَـاكْ (Rouffignac) وَرُوِيـزِي (Ruisi) أَوِيزِيرَاتْ (Aouizerat) المُشْتَبَهُ فِي كَوْنِهِمْ شَارَكُوا فِي عَمَلِيَّةِ اغْتِيَالِ فَرْحَات حَشَّاد. وَأَخِيرًا صَدَرَتْ أَوَامِرُ بِالقَبْضِ عَلَى سِتَّةِ أَشْخَاصٍ فِي حَالَةِ فِرَار.

وَبِقَدْرِ مَا تَسْمَحُ لِي بِالعَمَلِ اسْتِقْلاَلِيَّةُ القُضَاةِ التِي أَخَذْتُ عَلَى عَاتِقِي احْتِرَامَهَا بِكُلِّ دِقَّةٍ، تَابَعْتُ هَذِهِ القَضِيَّةَ - أَنَا وَأَعْضَادِي - سَاعَةً بِسَاعَةٍ أَحْيَانًا، مَعَ الحِرْصِ دَوْمًا وَأَبَدًا عَلَى أَخْذِ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ فِي الاِعْتِبَار:

1) إِنَّ التَّصَرُّفَاتِ المُؤَاخَذ عَلَيْهَا المَعْنِيُّونَ بِالأَمْر تُمَثِّلُ آثَارَ أَسَالِيبَ مَكْرُوهَةٍ كَانَتْ مُسْتَعْمَلَةً فِي المَاضِي. وَلاَ أَنْوِي أَبَدًا تَبْرِيرَ أَنْشِطَةٍ أَسْتَنْكِرُهَا. إِلاَّ أَنَّ المُتَّهَمِينَ فِرَنْسِيُّونَ، فَيَجِبُ إِحَالَتُهُمْ عَلَى حَاكِمِهِم الطَّبِيعِيِّ، أَي المَحَاكِمِ الفِرَنْسِيَّة، حَسَبَ الاتِّفَاقِيَّاتِ الجَارِي بِهَا العَمَل.

2) أَمَّا حِرْصِي الثَّانِي، فَيَتَمَثَّلُ فِي المُحَافَظَةِ عَلَى هَيْبَةِ القَضَاءِ الفِرَنْسِيِّ حَتَّى لاَ تُعَرِّضَ مُسْتَقْبلاً الجَالِيَةُ الفِرَنْسِيَّةُ ذَاتُهَا لِلْخَطَرِ. وَلِذَلِكَ قَبِلْتُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ أَنْ يَقُومَ بِالتَّحْقِيقِ - بالاِشْتِرَاكِ فِيمَا بَيْنَهُمْ - أَعْوَانُ شُرْطَةٍ تُونِسِيُّونَ وَأَعْوَانُ شُرْطَةٍ فِرَنْسِيُّونَ، وَأَنْ يَتِمَّ تَشْرِيكُ التُّونُسِيِّينَ - بِقَدْرِ المُسْتَطَاعِ - فِي سَيْرِ الإِجْرَاءَاتِ احْتِرَامًا لاِسْتِقْلاَلِيَّةِ قَاضِي التَّحْقِيقِ.» وَيَخْتِمُ السَّفِيرُ رُوجِي سَيْدُو رِسَالَتَهُ بِقَوْلِهِ: «وَفِي الجُمْلَةِ فَإِنَّ هَذِهِ القَضِيَّةَ التِي كَانَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ تَكُونَ تَطَوُّرَاتُهَا رَهِيبَةً جِدًّا، لَمْ تُسْفِرْ إِلَى حَدِّ الآنَ عَنْ عَوَاقِبَ وَخِيمَةٍ أَكْثَرَ مِنَ اللُّزُومِ.»[1]

وَيَبْدُو مِنْ نَصِّ رِسَالَةِ السَّفِير الفِرَنْسِيِّ وَمِنْ تَصَوُّرِهِ لِكَيْفِيَّةِ إِجْرَاءِ التَّحْقِيقِ فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّ اغْتِيَالَ فَرحات حَشَّاد جَرِيمَةٌ اقْتُرِفَتْ بِعِلْمٍ مُسْبَقٍ لِبَعْضِ الدَّوَائِرِ العُلْيَا الفِرَنْسِيَّةِ التِي غَطَّتِ القَتَلَةَ، كَمَا بَيَّنْتُ ذَلِكَ فِي القِسْمِ الفِرَنْسِيِّ (الباب الثَّانِي عَشَر)، وَكَمَا تُفِيدُ بِهِ إِشَارَاتٌ نَقَلَهَا حَمَّادِي السَّاحِلِي مِنْ شَهَادَةِ الحَرَكِيِّ أَنْطَوان مِيلِيرُو فِي كِتَابِهِ «اليَدُ الحَمْرَاء: جَيْشُ الجُمْهُورِيَّة السِّرِّيّ». وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ الجَرِيمَةَ قَدْ مَضَى عَلَى اقْتِرَافِهَا زَمَنٌ طَوِيلٌ قَبْلَ مَجِيءِ رُوجِي سَيْدُو إِلَى تُونس كَسَفِيرٍ (مَنْدُوبٍ سَام) لِبِلاَدِهِ.

وَيُقَدِّمُ الشَّاهِدُ الحَرَكِيُّ الذِي اعْتَمَدَ مَصْدَرَهُ المُؤَرِّخُ حَمَّادِي السَّاحِلِي مَعْلُومَاتٍ أُخْرَى دَقِيقَةً عَنْ مُلاَبَسَاتِ اغْتِيَالِ فَرْحَات حَشَّاد، وَمِنْهَا تَغَيُّرُ أُسْلُوبِ مُلاَحَقَتِهِ مِنْ قِبَلِ عِصَابَاتِ اليَدِ الحَمْرَاءِ يَوْمَ الاغْتِيَالِ إِذْ كَانَتْ مِنْ قَبْلُ تَرْصُدُهُ عَلَنًا مُنْذُ اللَّحَظَاتِ الأُولَى لِمُغَادَرَتِهِ بَيْتَهُ بِرَادس، فَاسْتَبْدَلَتِ السَّيَّارَةَ المُعْتَادَةَ بِأُخْرَى أَمْرِيكِيَّةٍ فَخْمَةٍ لَمْ تَظْهَرْ لِمُلاَحَقَتِهِ فِي صَبِيحَةِ ذَلِكَ اليَوْمِ الأَسْوَدِ إِلاَّ بَعْدَ

---

[1] مَجَلَّةُ الصَّادِقِيَّة، عدد أكتوبر 2002. مقَال للأستَاذ حَمَّادِي السَّاحِلِي بعنوان «حقَائِقُ حوْلَ استِشْهَاد فرْحَات حَشَّاد»، ص. 51-52.

أَنْ قَطعَ مَسَافَةً أَقَلَّ مِنْ كِيلُومِتْرَيْن فِي اتِّجَاهِ العَاصِمَةِ، فَلَمْ يَعْبَأْ بِهَا لأَنَّهُ لَمْ يَأْلَفْهَا مِنْ قَبْلُ.

وَمِنْ تِلْكَ العَرَبَةِ الفَخْمَةِ الَّتِي كَانَ يَمْتَطِيهَا أَرْبَعَةُ أَشْخَاص أُمْطِرَتْ سَيَّارَتُهُ الصَّغِيرَةُ مِنْ نَوْع «سِيمْكَا» سَوْدَاء اللَّوْنِ بِوَابِلٍ مِنْ مُسَدَّس رَشَّاش، فَجُرِحَ فَرْحَات حَشَّاد فِي كَتِفِهِ وَوِركِهِ، فَتَظَاهَرَ بِأَنَّهُ أُصِيبَ بِطَلَقَاتٍ قَاتِلَةٍ، وَتَرَكَ عَرَبَتَهُ تَتَعَرَّجُ فِي قَارِعَةِ الطَّرِيق. وَلَمَّا فَاتَتْهُ سَيَّارَةُ المُعْتَدِينَ تَوَقَّفَ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عَرَبَتِهِ وَدَمُهُ يَنْزِفُ، طَالِبًا النَّجْدَةَ مِنْ رَاكِبِي سَيَّارَةٍ أُخْرَى آتِيَةٍ فِي اتِّجَاهِ تُونس، وَهِيَ أَيْضًا مِن نَوْع «سِيمْكَا» ذَات لَوْنٍ أَحْمَرَ رُمَّانِي، فَتَظَاهَرَ رُكَّابُهَا الثَّلاثَةُ بِقَبُولِ مُرَافَقَتِهِ إِلَى المُسْتَشْفَى، وَكَانُوا هُمْ أَيْضًا مِنْ عِصَابَةِ اليَدِ الحَمْرَاء، فَأَجْهَزُوا عَلَيْهِ. وَبَعْدَ قَلِيلٍ عُثِرَ عَلَى جُثَّةِ الزَّعِيمِ النِّقَابِيِّ مُلْقَاةً فِي خَنْدَق[1].

وَتَرِدُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَقَال الأُسْتَاذ حَمَّادِي السَّاحِلِي، نَقْلاً عَنْ كِتَاب «اليَد الحَمْرَاء: جَيْشُ الجُمْهُورِيَّة السِّرِّيّ»، مُعْطَيَاتٌ دَقِيقَةٌ عَن اكْتِشَافِ المُتَّهَمِينَ بِقَتْلِ فَرْحَات حَشَّاد بَعْدَ انْقِضَاءِ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ عَلَى اغْتِيَالِهِ. وَقَدِ افْتَضَحَ أَمْرُهُمْ بِإِذَاعَةِ سِرِّهِمْ فِي جَلْسَةٍ خَمْرِيَّةٍ بِحَانَةِ «الشَّارَنْتِي» (Bar Le Charentais) فِي شَارِع بَارِيس بِمَدِينَةِ تُونس فِي سبتمبر 1956، وَكَانَ القَتَلَةُ الأَرْبَعَةُ نُدَمَاءَ بِتِلْكَ الحَانَة يَتَرَدَّدُونَ عَلَيْهَا.

وَكَانَ أَحَدُهُمْ، المَدْعُوّ «جَانْ هُونُورِي أَنْدرِيي» (Jean Honoré Andréï)، لاَ «جَان لُوسيَانِي» (Jean Luciani) كَمَا فِي رِوَايَةِ أَنْطوَانْ مِيلِيرُو»[2]، وِفْقَ مَا بَيَّنْتُهُ فِي القِسْمِ الفِرَنْسِيّ، قَدْ لَقِيَ حَتْفَهُ حِينَمَا كَانَ مَعَ أَفْرَادِ عِصَابَتِهِ يُطْلِقُ النَّارَ عَلَى

---

[1] نفس المرجع، ص. 52-53 نقلاً عَنْ كِتَاب:
«La Main Rouge : L'Armée Secrète de la République », Ed. du Rocher Monaco, 1997.

[2] Antoine Méléro «La Main Rouge», Ed. du Rocher, Monaco, 1997, p. 51.

مقَرّ شُعْبَةٍ تَابعَةٍ لِلْحِزْب الحُرِّ الدُّسْتُورِيِّ الجَدِيدِ بِبنْ عرُوس فِي الضَّاحِيَةِ الجَنُوبيَّةِ لِلْعَاصِمَة، فَعَاجَلَهُ قَنَّاصٌ كَامِنٌ فِي سَطْحِ مَبْنَى الشُّعْبَةِ بِطَلْقَةِ نَارٍ فَأَرْدَاهُ قَتِيـلاً، فَنَقَلَهُ رِفَاقُه عَلَى جَنَاحِ السُّرْعَةِ إِلَى عِيَادَةِ طَبِيبٍ مُتَوَاطِئٍ مَعَ العِصَابَةِ، فَسَلَّمَهُمْ شَهَادَةَ وَفَاةٍ مُزَوَّرَةٍ مُعَلِّلاً سَبَبَ الوَفَاةِ بِسُقُوطٍ مِنْ أَعْلَى دَرَجٍ.

وَسُرْعَانَ مَا اكْتَشَفَتِ الشُّرْطَةُ التُّونُسِيَّةُ الخِدْعَةَ بِتَحَرِّيَّاتِهَا فِي الهُجُومِ عَلَى مَقَرِّ الشُّعْبَةِ. وَلَمَّا تَأَكَّدَتْ - بَعْدَ اسْتِخْرَاجِ جُثَّةِ أَنْدرِيي وَتَشْرِيحِهَا - مِنَ السَّبَبِ الحَقِيقِيِّ لِوَفَاةِ الهَالِكِ، أَلْقَتِ القَبْضَ عَلَى الطَّبِيبِ المُتَوَاطِئِ. وَأُحِيلَتِ القَضِيَّةُ إِلَـى قَـاضِـي التَّحْقِيقِ الفِرَنْسِيِّ بِتُونس «رِيجِيس سُولِي» (Régis Soulet). وَأَفْضَى البَحْثُ إِلَى إِلْقَاءِ القَبْضِ عَلَى شُرَكَاءِ الهَالِكِ الثَّلاَثَةِ المُتَّهَمِينَ أَيْضًا بِالمُشَارَكَةِ فِي اغْتِيَالِ حَشَّاد، وَهُمْ رُوفِينْيَاك (Rouffignac) وَرويزِي (Ruisi) وَأويزِيرَاتْ (Aouizerat)، الأَشْخَاصُ الثَّلاثَةُ الذِينَ أَشَارَ إِلَيْهِم رُوجِي سَيْدُو، سَفِيرُ فِرَنْسَا بِتُونس. وَقَدْ تَمَكَّنَ السَّفِيرُ مِنْ إِطْلاَقِ سَرَاحِهِمْ.

وَيَظْهَرُ أَنَّ الغِطَاءَ جَاءَهُمْ مِنْ وَزِيرِ العَدْلِ الفِرَنْسِيِّ آنَئِذٍ، «فَرَانْسوا مِيتَّرَانْ» (François Mitterand)، فَتَمَكَّنَ الأَشْخَاصُ الثَّلاَثَةُ بِفَضْلِ تَدَخُّلِه، وَكَذَلِكَ أَعْضَاءُ مُنَظَّمَةِ اليَدِ الحَمْرَاء الآخَرُونَ، فِي كَنَفِ السِّرِّيَّةِ التَّامَّةِ، مِن امْتِطَاءِ طَائِرَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ أَقَلَّتْهُمْ مِنْ بنْزَرْتَ إِلَى مَطَارِ مَارِينْيَانْ (بِمَرْسِيلْيَا)...»[1] وَهَكَذَا كُبِتَتِ القَضِيَّةُ. وَلِمَزِيدِ التَّدْقِيقِ فِي المُعْطيَاتِ المُسْتَقَاةِ مِنَ المَصْدَرِ الأَصْلِيِّ بِالفِرَنْسِيَّةِ لِلْحَرَكِيِّ مِنَ اليَدِ الحَمْرَاء «أَنْطوان مِيلِيرُو» وَتَفَاصِيلَ أخرى يُرْجَى الرُّجُوعُ إِلَى البَابِ الثَّانِي عَشر فِي القِسْمِ الفِرَنْسِيِّ مِنْ كِتَابِي هَذَا.

---

[1] مَجَلَّةُ الصَّادقِيَّة، عدد أكتوبر 2002. مَقَال للأستَاذ حَمَّادِي السَّاحِلِي «حَقَائِقٌ حَوْلَ اسْتِشْهَاد فَرْحَات حَشَّاد»، ص. 53 نَقْلاً عَنْ أَنْطوَان مِيلِيرُو.



صورةٌ مِنَ القَمْعِ الاِسْتِعْمَارِيّ

وقْعُ نعي فرحات في نفس زوجته

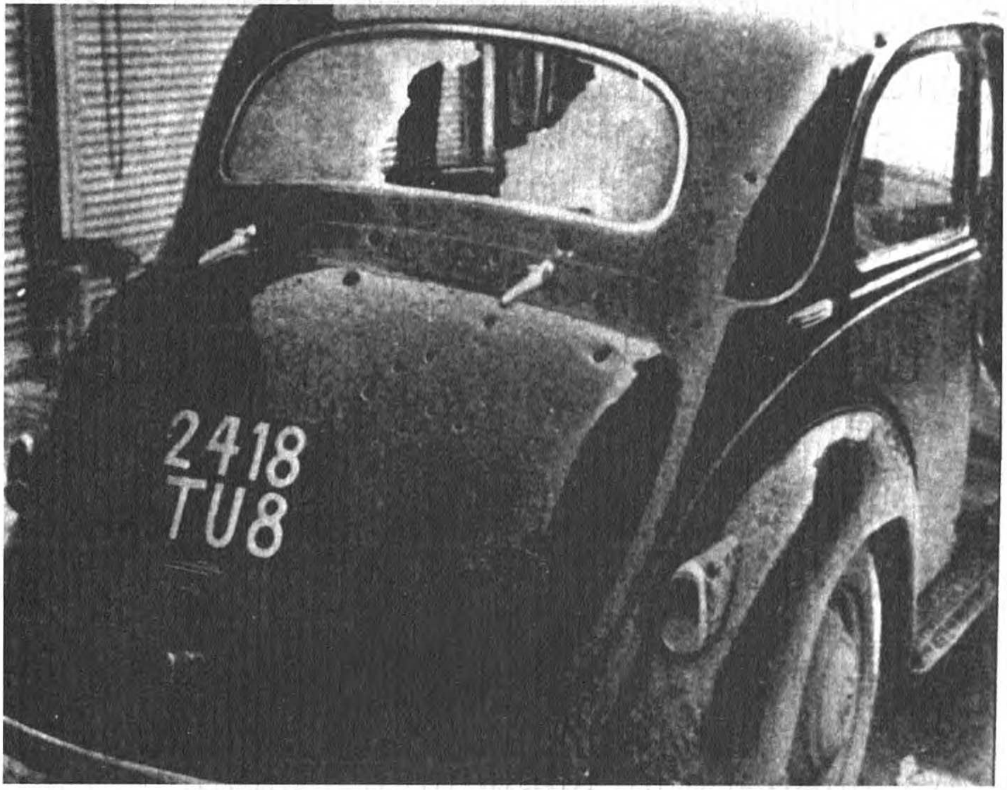
وَعَنْ وَقْع هٰذهِ الفَاجِعَةِ وَمَا سَبِقَهَا وَلَحِقَهَا تَقُولُ أُمُّ الخير مُسْتَرْجِعَةً بِأَلَمٍ وَصَبْرٍ جَميل ذِكْرَيات مَرَّ عَلَيْهَا أَكْثَرُ مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ :

«... قد كانَ المَرْحُومُ قَلِقًا مُتَوَتِّرًا جِدًّا في الأَيَّامِ الخَمْسَةِ التِي سَبقتِ الحادِثَة، حَيْثُ كَانَتْ سَيارَةٌ سَوْدَاء تُرَاقِبُ تحرّكَاتهِ عِنْدَ الخُرُوجِ وَالدُّخُول مِنْ مَقَرِّ سُكْناهُ بِرادِسْ لَيْلاً وَنَهارًا.

فَقدْ عَرَضَ عَلَيَّ السَّفَرَ إلى صَفَاقُس لِزيارَةِ أَهْلِي، فاسْتَغْرَبْتُ الأَمْرَ، وَتَوَجَّسْتُ خِيفَةً زقلب المُؤمِنْ دليلهُ». وَفِي الوَاقِعِ فِي البِدايَةِ رَفَضْتُ الذّهَابَ إِلاَّ أَنَّهُ عادَ يَعْرِضُ عَلَيَّ السَّفَرَ إلى سوسَة عِنْدَ خَالِهِ، فَانزَعَجْتُ وَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ أُسَافِرُ وَأَتْرُكُكَ وَحْدَك، وَأَتْرُكُ ابْنِي نُور الدّين البالِغ مِنَ العُمُرِ آنَذاكَ سَبْعَ سَنَوات والذي يُزَاولُ دِراسَتَهُ الابْتِدَائِيَّةَ بِرادِسْ ! فَحَاوَلَ المَرْحُوم أنْ يُطَمْئِنَنِي عَنْ ابْنِي الذي أَبْقَيْنَاهُ لَدَى عائِلَةِ صَدِيقِنَا الحَمِيمِ الأُسْتاذ مُصطفى الفِيلالِي.

وَأَلَحَّ عَلَيَّ مِنْ جَدِيدٍ السَّفَرَ مُتَعَلِّلاً بِكَثْرَةِ أَشْغالِهِ. وَمَا كَانَ لِي إلاّ النُّزُولُ مُكْرَهَةً عِنْدَ رَغْبَتِهِ، فَسَافَرْتُ يومَ 1 ديسمبر 1952، وَوَصَلْتُ إلى سُوسَة، وَعَبَّرْتُ لِخَالِهِ عَنْ قَلَقِي واسْتِغْرَابِي مِنْ هَذِهِ الزِّيَارَة.

وَفي لَيْلَةِ الرَّابِعِ مِنْ ديسمبر رَأَيْتُ في المَنام ما أَرْعَبَنِي، وَبَقِيتُ أَبْكِي طُولَ النَّهَارِ. وَفِي يوم 5 ديسمبر صَبَاحًا دَخَلَ ابْنُ خَالِهِ يَصِيحُ وَيَقُولُ :«عَمِّي فَرْحَاتْ قَتْلُوهْ». وَبَقِيَ الخَبَرُ فِي الشَّكِّ وَنَحْنُ في سُوسَة. وَإِثْرَ ذَلِكَ غادَرْنا سُوسَة، وَعُدْتُ مَعَ خَالَهِ وَأَبْنَائِي الصِّغَارِ الثّلاثَةِ إلى رادِسْ، وَذَهَبْنَا مُبَاشَرَةً إلى دار سِي مُصطفى الفيلالِي نَسْتَطْلِعُ الخَبَرَ حَتَّى تَأَكَّدْنَا مِن اغْتِيال فَرْحات.



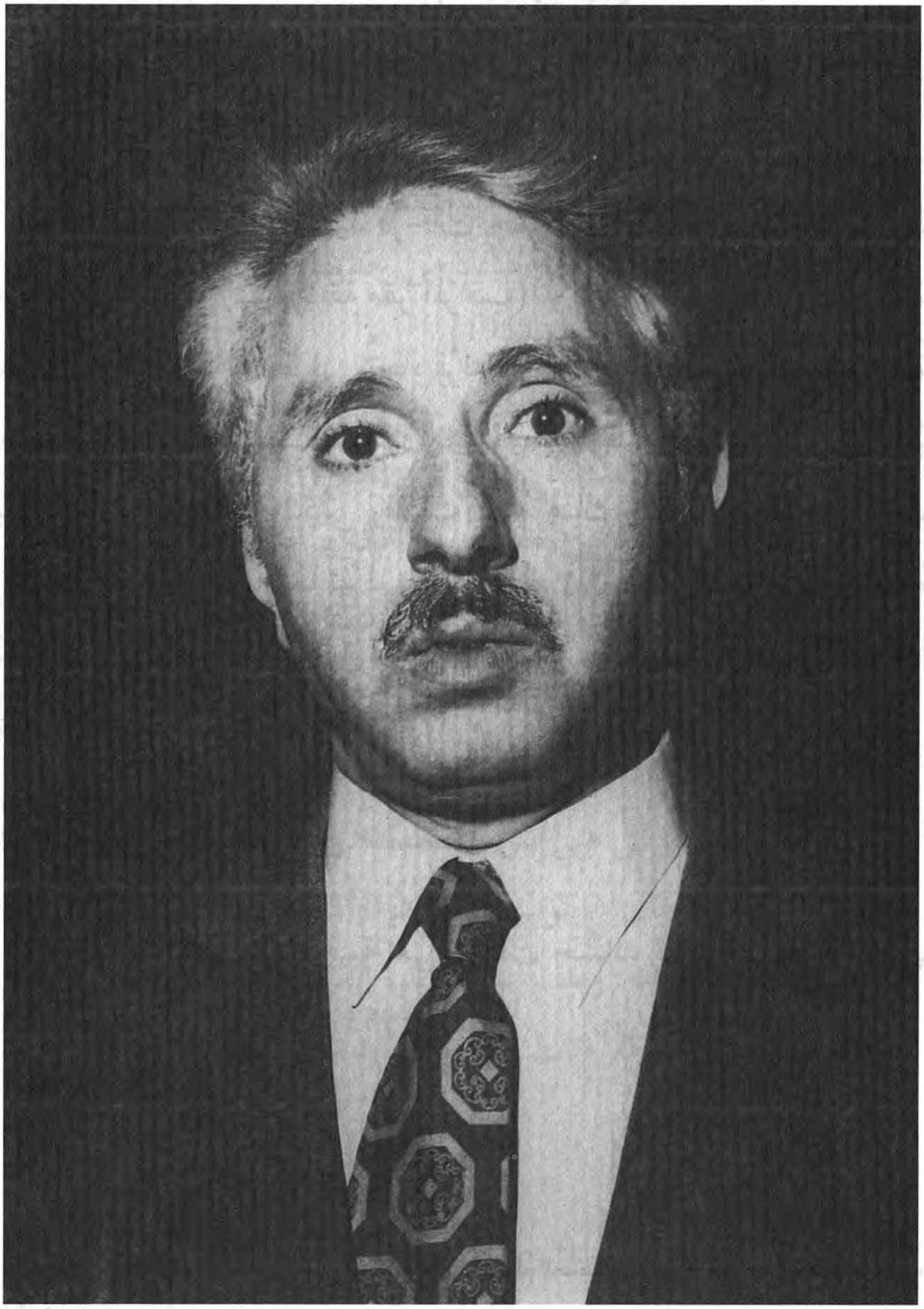
آثار الرَّصاص على سَيَّارَةِ الشَّهيدِ فرحات حشّاد



الشَّهِيدُ فرْحات حشّاد



فرحات حشّاد يُوارَى التُّرابَ في حديقة بَيْتِهِ بقرقنة



الأستاذ المناضل مصطفى الفيلالي

وَحزنًّا وَحزنتْ تُونِسُ وَشَعْبُهَا بِدُونِ اسْتِثْنَاء. وَمِنَ الغَدِ جَاءَنَا تَرْخِيصُ المُقِيم العامّ لِلسَّفَرِ إلى صَفَاقُس. وَنَزَلْنَا في مَنْزِلِ المَرْحُومِ الحبيب عاشُور الذي تَرْبطُنِي بِهِ عَلاَقَةُ قَرابَةٍ عائِلِيَّةٍ، وَهوَ بِدَوْرِهِ كان في المَنْفى.

وَفِي اليَوْمِ المُوالِي أَخذَتْنَا سَيَّارَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ وَوَضَعَتْنَا أَمَامَ مَقَرِّ المُرَاقِبِ بِصفاقُس، بعد أنْ تَقَرَّرَ دَفْنُ فرحات في جَزِيرَةِ قِرْقنة »[1]

وَعَنْ ظُرُوفِ دَفْنِ الشَّهِيد فَرْحَاتْ حَشّاد تَقُولُ أُمُّ الخَيرِ :« جَلَسْنَا على كُرْسِيٍّ مِنْ اِسمنتٍ (في حديقَةِ مَقَرِّ المُرَاقِب)، وكانَ الفَصْلُ شِتَاءً وَالبَرْدُ قارسًا وَالمَطَرُ نَازلاً. ثُمَّ رَكِبْنَا البَحْرَ فِي اتِّجَاهِ قِرْقنة، وَرَأَيْنَا بَاخِرَةً عَسْكَرِيَّةً صَغِيرَةً تَنْقُلُ جُثْمانَ فَرْحَاتْ. وَسَلّمُونَا الصَّنْدُوقَ في البَحْرِ. وَقَدْ أَحْضَرُوا قَبْرًا في مَقْبَرَةِ العَبَاسِيَّةِ دُونَ مُوَافَقَتِنَا، وَلَكِنِّي رَفَضْتُ دَفْنَهُ هُنَاكَ حَتَّى أَتعَرَّفَ على وَجْهِهِ، وَأَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّةِ الخَبَرِ. وَلَمَّا تَمَّ لِي ذلك دَفَنَّاهُ في جِنَانِ والِدِهِ المَرْحُوم «مُحمَّد حشّاد» أي في بَيْتِنَا بالعَبَّاسِيَّةِ بِقرقنة بَعْدَ أنْ رَأَيْتُهُ مُبْتَسِمًا كَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ... دَفنّاهُ مِثْلَمَا أَرَدْنَا تَحِدِّيًا لِلمُسْتَعْمِرِ وَقراراتِهِ وأوامِرِهِ وَكَسْرًا لِشَوْكَتِهِ »[2]

كَيفَ تقَبلَّ بُورقيبَة نعي حَشّاد؟

وَلَمَّا بَلَغَ إِلَى عِلْمِ بُورقِيبَة نَعْيُ فَرْحَات حَشَّاد، كَتَبَ مِنْ مُعْتَقَلِهِ بِجَزِيرَةِ جَالْطَة بِإِمْضَائِهِ يَوم 28 جَانفِي 1953 مَا يَلِي:

---

[1] راجع مجلّة «حقَائِق» (8-14 ديسمبر 2005) حَديثٌ أجراهُ المُنصِف بن فرج مَعَ السيّدَة أمّ الخير، أرْملة فرحات حشّاد، ص 12.

[2] نفس المرجع ص 12.

«بَلَغنِي خَبَرُ اسْتِشْهَادِ الرَّفِيقِ فَرْحَات حَشَّاد فِي سَاحَةِ الشَّرَف، فَاهْتَزَّتْ لَهُ مَشَاعِرِي، وَبَلَغَ مِنِّي الحُزْنُ وَالأَسَى مُنْتَهَاهُمَا، فَتَرَحَّمْتُ عَلَى الفَقِيدِ العَظِيمِ، وَابْتَهَلْتُ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعَوِّضَ الأُمَّةَ خَيْرًا، وَنَحْنُ قَوْمٌ:

«إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ سَيِّدٌ * قَؤُولٌ لِمَا قَالَ الكِرَامُ فَعُولٌ»[1]

وَبَعْدَ إِمْضَاءِ اتِّفَاقِيَّاتِ الحُكْم الذَّاتِي وَعَوْدَةِ المُجَاهِدِ الأَكْبَرِ الحبيب بورقيبة مِنَ الإِقَامَةِ الجَبْرِيَّةِ بِضَوَاحِي بَارِيس إِلى تُونس (غُرّة جوان 1955)، وَقَعَ التَّفْكِيرُ فِي نَقْلِ رُفَاتِ الزَّعِيمِ فرحات حَشَّاد مِنْ حَدِيقَةِ بَيْتِهِ بِقَرْيَةِ العَبَّاسِيَّةِ إِلى سَاحَةِ القَصْبَة بالعَاصِمَةِ (4 ديسمبر 1955).

وَفِي خَرِيفِ سنة 1955 أَدَّى المُجاهِدُ الأَكْبَرُ زِيَارَةً إِلى جَزِيرَةِ قرقنة لِتِلاَوَةِ الفَاتِحَةِ عَلى ضَرِيحِ الشَّهِيدِ رَفِيقِهِ فِي الكِفَاحِ الوَطَنِيِّ، كَمَا أَخْبَرَنِي بِذَلك صَدِيقِي المُنَاضِلُ مُحمَّد بن رُمضان ابْنُ خالَةِ فَرْحَات حَشَّاد وَرَفِيقُ دَرْبِهِ.

وَقَدْ أَمَدَّنِي بِصُورَتَيْن تِذْكَارِيَّتَيْن الْتُقِطَتَا لِرَئِيسِ الحِزْبِ الحُرِّ الدُّسْتُورِيِّ (الجديد) أَمَامَ بَيْتِ آلِ حَشَّاد بِالعَبَاسِيَّةِ حَيْثُ وُلِدَ فَرْحَات حَشَّاد وَدُفِنَ بَعْدَ اغْتِيَالِهِ.

فَالصُّورَةُ الأُولَى هِيَ مِنْ رَصِيدِ الطَّاهِرِ حَشَّاد نَجْلِ العَيَّادِي حَشّاد الشَّقِيقِ الأَكْبرِ لِفَرْحَات. وَيَتَوَسَّطُ المُجَاهِدُ الأَكبرُ هَذِهِ الصُّورَةَ مُرْتَدِيًا الكَدْرُونَ التَّقْلِيدِيَّ لِسُكّانِ قَرْقَنة. وَيَقِفُ على يَسَارِهِ العَيَّادِي حَشَّاد، وَعَلَى يَمِينِهِ حَسَن حَشَّاد الشَّقِيقُ الآخَرُ لِفَرْحَات (انْظُر الصّورةَ).

[1] نُشِرَ النَّصّ فِي مَجلَّة الصَّادقيَّة (عدد أكتوبر 2002)، ص. 38.



المجاهد الأكبر يتوسّط العيّادي حشّاد على يساره وحسن حشّاد على يمينه
في بيت آل حشّاد بقرقنة

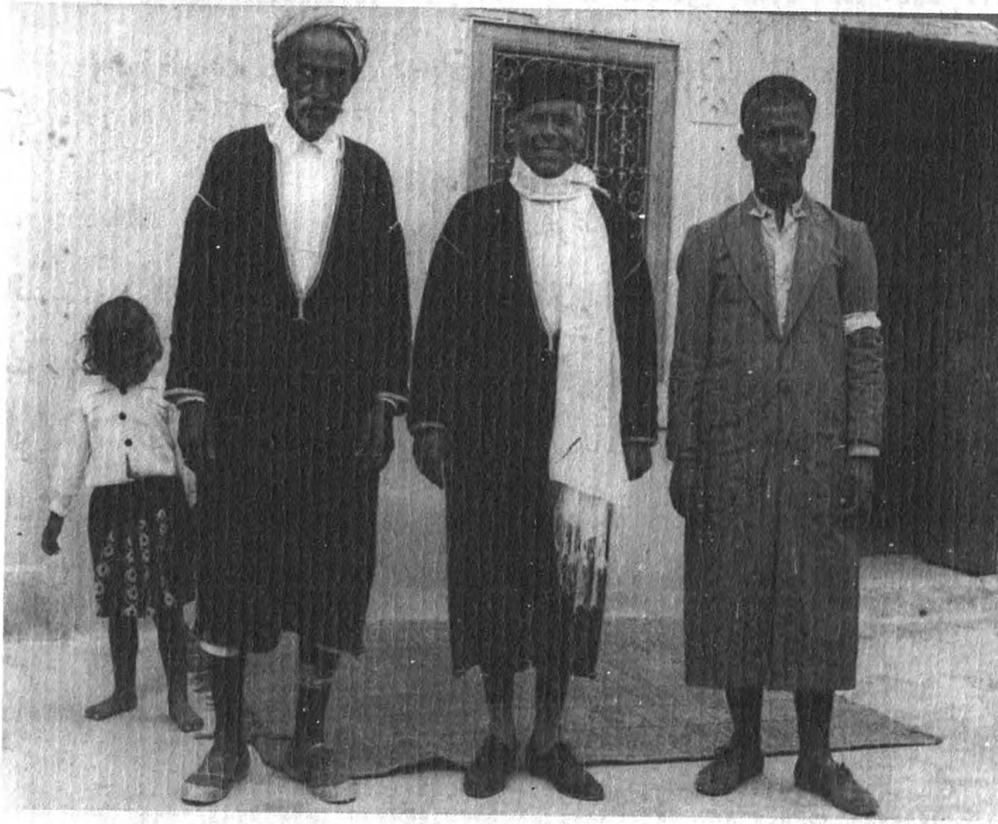
وَفِي الصُّورَةُ الثَّانِيَةُ يَظْهَرُ الحبيب بورقِيبَة في نَفْس المَكَانِ وَالمَناسَبة، وَعَلى يَسَارِهِ مُحمّد العُون الذي مَهَّدَ لِهِجْرَتِهِ خِفْيَةً إلى المَشْرِقِ العَرَبيّ عَبْرَ قَرْقنة في عام 1945، وَعَلى يَمِينِهِ يَقِفُ علي الزَّاهِي الذي عَبَرَ بِهِ البَحْرَ باللُّودِ إلى طَرَابُلس.

وَتَظْهَرُ في أَقْصَى الصُّورَةِ البُنَيَّةُ هَنَاء بِنْتُ العَيّادِي حَشّاد (انْظُر الصّورة).

وَعَنْ ظُرُوفِ نَقْلِ رُفاتِ فرحات حشّاد إلى العاصِمَةِ (4 ديسمبر 1955) تَقُولُ أُمُّ الخير :

«نُقِلَتْ رُفَاتُهُ إلى تُونِس بِقَرارٍ مِنَ الزَّعَماءِ وَتَلْبِيَةً لِرَغْبَةِ الشَّغَّالِينَ (في الذِّكْرى الثَّالِثة لِاسْتِشْهَادِهِ). وَدُفِنَ في المَكَانِ المَوْجُودِ بِهِ حَالِيًّا شارع باب بنات بتونس العاصِمة، وهو المَكَانُ الذي كانَ يَجْتَمِعُ فيهِ بالنّقابيّين يَوْمَ عِيدِ الشُّغْل، أيْ أمامَ مَدْرَسَةِ الصَّادِقِيَّة. وَمِنَ العَجِيبِ أنَّ المَسْؤُولِينَ حِينَ كَشَفُوا عَلَيْهِ في المَقْبَرَةِ لِلاِسْتِعْدَادِ لِنَقْلِه إلى تُونِس بَعْدَ ثَلاثِ سَنَوَاتٍ مِن اغْتِيَالِهِ، وَجَدُوهُ على حَالِهِ مُبْتَسِمًا. وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا عِنْدَمَا مَرَّ جُثْمانُهُ الطَّاهِرُ في مَوَاكِبَ شَعْبِيَّةٍ طَوالَ الطَّرِيق مِنْ مَدِينَةِ صَفَاقُس إلى كُلِّ قُرى السَّاحِلِ، وَمِنَ الوَطَنِ القِبْلِي وُصُولاً إلى بَيْتِهِ بِرادِس. وَكَانَ اليَوْمُ المُوالِي يَوْمَ كَرَّمَ الشَّعْبُ فَرْحاتْ حشّاد بِمَوْكِبٍ شَعْبِيٍّ وَوَطَنِيٍّ حِينَمَا كَانَتِ البِلادُ تَحْتَ الحُكْمِ العَسْكَرِيِّ وَالاِسْتِعْمَارِيِّ، فَنَزَلَ مِئَاتُ الآلافِ مِنْ أَبْنَاءِ الشَّعْبِ لِلتَّرَحُّمِ عَلَى الفَقِيدِ وَاعْتِرَافًا لَهُ بِالجَمِيلِ لِأَنَّهُ خَدِمَ هَذَا الوَطَنَ وَأَحَبَّ الشَّعْبَ» [1]

[1] نفس المرجع ص 12-13



الحبيب بورقيبة في البيت الذي ولد به فرحات حشّاد وعلى يساره محمّد العون
وعلى يمينه علي الزّاهي وهناء بنت العيّادي حشّاد

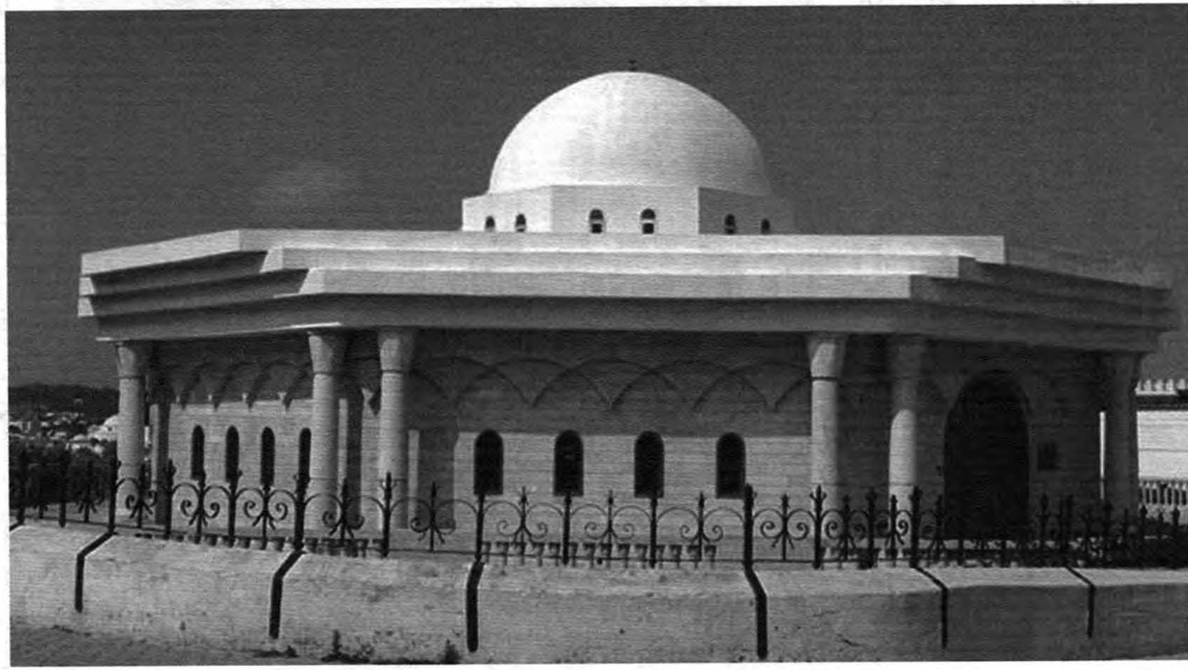
وَفِي حَدِيثِهَا إلى الصُّحُفِيّ المُنْصُف بن فرج بِمَجَلَّةِ «حَقائق» تَوَجَّهَتْ السيّدة أُمُّ الخير بالشّكْرِ لِرَئِيس الدَّوْلَة زَيْن العابدين بن علي الذي أَذِنَ بـ«تجْدِيدِ مَقَام ضَرِيحِ المَرْحُوم فرحات حشّاد بِحَيْثُ أَصْبَحَ مَقامًا لائِقًا بِعَظَمَةِ هذا الزَّعِيم وَمِنْ خَلْفِهِ نِضَالُ النَّقَابِيّينَ وَالشَّغَّالِينَ وَهَذَا ما كانَ يُطَالِبُ بِهِ الشَّعْبُ التُّونِسِيُّ مُنْذُ سَنَوَاتٍ»[1].

غَادَرَ فَرْحَات حشّاد هذه الدُّنْيَا وَلَمْ يَتْرُكْ بِهَا مالاً وَلاَ مَتَاعًا إلاَّ ذِكْرًا حَسَنًا وَبَصَمَاتِ أَعْمَالٍ تَنفَعُ النَّاسَ وَتَمْكُثُ فِي الأَرْضِ. وَصَابَرَتْ أَرْمَلَتُهُ المُنَاضِلَةُ أُمُّ الخَير، وَهِيَ فِي عِزِّ الشَّبَابِ (22 سَنَة) وَفَاءً لِفَرْحَات، وَمَحَبَّةً لِزَوْجٍ أَلُوفٍ عَطُوفِ عاشَرَتْهُ لِمُدَّةٍ تَزِيدُ قَلِيلاً عَنْ تِسْعِ سَنَوَاتٍ. وَظَلَّتْ رَاعِيَةً لِأَطْفَالِهَا حَتَّى مَكَّنَتْهُمْ مِنَ النَّجَاحِ.

وَلَمَّا سَأَلَهَا الصُّحُفِيُّ المُنْصُف بن فرج عَنْ ظُرُوفِ عَيْشِهَا وَمَوَارِدِ رِزْقِهَا بَعْدَ وَفَاةِ، ابْتَسَمَتْ أُمُّ الخَير وَقَالَتْ:

«فَرْحَات - رَحِمَهُ اللّه - مات وَلاَ يَمْلِكُ شَيْئًا. وَأَسْتَسْمِحُكُمْ أنْ أَتَحَدَّثَ عَنْ فَتْرَتَيْن، فَتْرَةٍ وَنَحْنُ مَازِلْنَا تَحْتَ الاِسْتِعْمار مِنْ 1952 إلى 1956، فَلَمْ يَكُنْ لِي مَوْرِدُ رِزْقٍ قَارٍّ إلى سنةِ 1954، وَكَانَتْ جُلُّ قِيَادَاتِ الاِتِّحَادِ العامِّ التُّونِسِيِّ لِلشُّغْلِ فِي السُّجونِ والمَنْفَى وَالمُحْتَشَدَات، فَتَطَوَّعَ البَعْضُ لِجَمْعِ مَا يَمْكِنُ جَمْعُهُ شَهْرِيًّا وَمَا يَصِلُنِي مِنْ بَعْضِهِمْ لأَتَمَكَّنَ مِنَ القِيَام بِما هُوَ مُمْكِنٌ. لَقَدْ مَنَحَنَا بايُ تُونِس الأَمين باي إلى سنة 1957 (أيْ قَبْلَ عَزْلِهِ) وَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَوَادَّ غِذَائِيَّةً اسْتِهْلاَكِيَّةً يَدْفَعُهَا مِنْ أَمْوَالِهِ الخَاصَّة، فَأَلْتَجِئُ إلى بَيْعِ البَعْضِ مِنْهَا لِضَمَانِ بَعْضِ النُّقُودِ اللاَّزِمَة.

[1] نفس المرجع ص 13.



صورة خارجيّة للمعلم الجديد لضريح الشّهيد فرحات حشّاد كما أذن رئيس الجمهوريّة **زين العابدين بن علي** بإقامته وتحسينه بما يليق بنضال الشّهيد وتضحيّاته (2002/12/5)



الرَّئيس **زين العابدين بن علي** يتلو الفاتحة على ضريح الشّهيد فرحات حشّاد بمناسبة تدشين المعلم الجديد الذي أذن سيادته بإقامته وتحسينه بما يليق بمقام الشّهيد وتضحياته. ويقف بجانب رئيس الجمهوريّة على يمينه أمّ الخير ونور الدّين حشّاد، وعلى يساره عبد السّلام جراد الأمين العامّ للإتّحاد، والنّاصر حشّاد. (2002/12/5)

وَمعَ قِيَام دَوْلَةِ الاِسْتِقْلاَل 1956، قَرَّرَتِ الحُكُومَةُ مَنْح رَاتِبٍ شَهْرِيّ قِيمَتُهُ سِتُّونَ دِينَارًا تَأْتِينِي مِنْ رِئَاسَةِ الحُكُومَة بالنِّسْبَةِ إلى حَقِّهِ مِنَ التَّقَاعُدِ. وَبَعْدَ دِرَاسَةٍ قَانُونِيَّةٍ دَامَتِ الأَشْهُرَ مِنْ قِبَلِ المَصَالِحِ المُخْتَصَّةِ، أَصْبَحَتْ تُعْطَى لِي عِشْرُونَ دِينَارًا شَهْرِيًّا عَلَى غِرَارِ كُلِّ المُتَقَاعِدِينَ فِي ذلك الوَقْتِ. وَتَطَوَّرَتِ الحَالَةُ طَوالَ كُلِّ هذه السِّنِين بالنِّسْبَةِ لِلمُتَقَاعِدِينَ وَالأَرَامِلِ فِي تُونس.

وَرَغْم أَنَّ الاِقْتِرَاحاتِ كَانَتْ عَدِيدَةً مِنْ أَجْلِ التَّمَلُّكِ بِالأَرَاضِي أَوْ بالرُّخَصِ التي كَانَتْ تُوَزَّعُ مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ، إلاَّ أَنَّنَا اخْتَرْنَا أنْ نكُونَ رَافِضِينَ لِذَلِكَ مُعْتَبِرِينَ اسْتِشْهَادَ فَرْحَاتْ حشّاد لَمْ يَكُنْ مِنْ أَجْلِ أَيِّ كَسْبٍ مَهْما كانَ لِأَنَّهُ لاَ ثَمَنَ لِرَجُلٍ سَيَبْقَى دَمُهُ مِنْ أَجْلِ وَطَنِهِ.

لِذَا فَأَنَا مُعْتَزَّةٌ، وَبَعْدَ مَا يَزِيدُ عن 50 سنةً اليَوْمَ، أَنَّ هذِهِ العَائِلَةَ كَما أَرَادَهَا فَرْحاتْ عاشَتْ مِثْلَ الشَّعْبِ لاَ أَقَلَّ وَلاَ أَحْسَنَ مِنْهُ، مُلْتَصِقَةً بِهِ فِي أَحْضَانِهِ. وَهذَا هُوَ الشَّيْءُ الوَحِيدُ الذي أَعْطَانِي القُوَّةَ الكافِيَةَ لِمَا كانَ مَطْلُوبًا مِنِّي كَزَوْجَةِ زَعِيمٍ وَشَهِيدٍ فِي تُونس الحَبِيبَة» [1].

حَدَّثَنِي الأستاذ محمّد بن رمضان ابنُ خالةِ فَرْحات حشّاد وَرَفِيقُ دَرْبِهِ فقال: تَلَقَّيْتُ خَبَرَ نَعْيِهِ وَأَنَا مُقِيمٌ بِمُحْتَشَدِ رَمَادَة، فَجَاءَنَا وَفْدٌ يوم 7 ديسمبر 1952 مِنْ بَيْنِهِم المُنَاضِلُ عَبْدُاللّه فَرْحات، وَالوَطَنِيُّ الغَيُورُ الأستاذ الطيّب الميلادي، فَسَأَلْتُهُ: أَيْنَ فَرْحات؟ فقال لِي: سَأُخْبِرُكَ بَعْدَ حِينٍ، فَفَهِمْتُ أَنَّهُ أُغْتِيلَ.

[1] نفس المرجع ص 13.

وَقَدْ تَهيَّأَ فرحات للمَوْتِ، وَكَانَ يَشْعُرُ بأنَّ أَجَلَهُ قَرِيبٌ إِذْ كان يَتَلَقَّى رِسائِلَ تَهديد مِنَ المُنَظَّمَةِ الإِرْهابيَّةِ الفِرَنْسِيَّةِ المُسَمَّاةِ «اليدَ الحَمْرَاء»، فَنَقَلَ زَوْجَتَهُ أُمَّ الخير وَصِغَارَهَا إلى سُوسة، وَلَمْ يَتْرُكْ إلاَ ابْنَهُ الأكبر نُور الدّين في بَيْتِ صديقهِ الأستاذ مُصطَفَى الفيلالي بِرَادِس حَتَّى لاَ يَقْطَعَ دِرَاسَتَهُ.

وَحَدَّثَنِي الأستاذ محمّد بن رُمضان عَنْ ظُرُوفِ دَفْن فرحات حشّاد فقال: كانَ المُقَرَّرُ أَنْ يُدْفَنَ حِذْوَ بَيْتِ عَائِلَتِهِ بقَرْيَةِ العَبَّاسِيَّةِ في مكانٍ عَيَّنَهُ شَيْخُ القَرْيَةِ مُحمّد شعور، وَكَان مِنَ المُقَرَّبِينَ إلى السُّلَطِ الفِرَنْسِيَّةِ، فَهَرَعَ العَيَّادِي الشَّقِيقُ الأَكْبَرُ لِفرحَات (توفي في ربيع 2007، رحمه اللّه) ، فَأَبْعَدَ القَبَّارَ عَنِ المَكَانِ الأَوَّلِ وَعَيَّنَ لَهُ مَكَانا ثَانِيًا بِحَدِيقَةِ بَيْتِهِمْ.

وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ سَبَبَ تَدَخُّلِ العَيَّادِي وُجُودُ مَخْبَإٍ لِلأَسْلِحَةِ بكَمِّيَّةٍ كَبِيرَةٍ جَلَبَهَا شَقِيقُ فَرْحات وابنُ عَمِّهِ مِنَ البَوَاخِرِ الإيطَالِيَّةِ الغَارِقَةِ قُرْبَ جُزُر قرقنة أَثْنَاءَ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الثَّانية. وَلَوْلاَ تَدَخُّلُ العَيَّادِي لِتَغْيِير مَكَانِ القَبرِ لَحَدَثَتْ كَارِثَةٌ أُخْرَى.

وَفِي حَدِيثٍ لِنُور الدِّين حَشَّاد نَجْلِ الزَّعِيم الشَّهِيدِ أَجْرَتْهُ مَعَهُ جَرِيدَةُ «الصَّبَاح» (4 ديسمبر 2005) إِفَادَةٌ بِأَنَّ رَئِيسَ الجُمْهُورِيَّةِ التُّونُسِيَّةِ زين العَابِدِين بن علِي بَادَرَ لأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي 5 ديسمبر 2002 بِمُخَاطَبَةِ زَمِيلِهِ الفِرَنْسِيِّ جَاك شِيرَاك فِي مِلَفِّ اغْتِيَالِ الزَّعِيمِ حَشَّاد مِنْ أَجْلِ الإِعَانَةِ عَلَى التَّوَصُّلِ إِلَى مَعْرِفَةِ خَفَايَا الجَرِيمَةِ التِي تَسَتَّرَتِ السُّلُطَاتُ الفِرَنْسِيَّةُ عَنْ كَشْفِ مُلاَبَسَاتِهَا وَمُنَفِّذِيهَا طَوَالَ نِصْفِ قَرْنٍ.

وَيَنْتَظِرُ البَاحِثُونَ رَفْعَ التَّعْتِيمِ عَنْ مُلاَبَسَاتِ اغْتِيَالِ الشَّهِيدِ فَرْحَاتْ حَشَّادْ بِفَتْحِ الأَرْشِيفِ المُتَعَلِّقِ بِهَذِهِ القَضِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ بِجَمِيعِ مُعْطَيَاتِهِ وَبِلاَ مُوَارَبَةٍ. وَيَجِدُ القَارِئُ فِي القِسْمِ الآخِرِ مِنْ كِتَابِي بِاللُّغَةِ الفِرَنْسِيَّةِ مَعْلُومَات

وَتحَالِيلَ جِدُّ هَامَّة عَنْ مُلاَبَسَاتُ اغْتِيَال فرْحَات حشّاد واعْتِرَافَاتٍ مُذْهِلَةً عَن الجِهَاتِ المُتَّهَمَةِ باغْتِيَالِه، وذلِكَ بالاعْتِمَادِ عَلَى رِسَالَةٍ لِصُحُفِيٍّ فِرَنْسِيٍّ كانَ مُتَوَاجِدًا قَبْلَ الاِغْتِيَال وبَعْدَهُ، «دَانْيَالْ قِيرَانْ Danial Guerin»، وَشَهَادَاتِ شَخْصِيَّاتٍ سِيَاسِيّةٍ فِرَنسِيَّةٍ أُخْرَى، وَوَدَائِعَ أخرَى في الأَرْشِيف الوَطَنِيِّ التّونِسِيِّ وَمَتْحَف جَيْش البَرِّ بِفانْسَانْ وَغَيْرِها مِنَ الوثائق. (1) (رَاجعها)

الشَّهِيدُ فرحات حشّاد في منظورِ الأدباء

نَحْنُ مَدينُونَ لِلدُّكتور جُمْعة شيخَة في جَمْعِهِ مَادَّةً شِعْرِيَّةً ثَرِيَّةً تَتَكَوَّنُ مِنْ سَبْعَ عَشَرَةَ مَرْثِيَّةً جُلُّهَا قَصَائِدُ عَمُودِيَّةٌ وَقَلِيلُهَا مِنَ الشِّعْرِ الحُرِّ بالإِضَافَةِ إِلى عَشَرَةِ أَزْجَال شَعْبِيَّةٍ لِفُحُول الشِّعْرِ الملحونِ وَنَمُوذَجَيْنِ مُنْتَخَبَيْنِ مِنْ مَسْرَحِيَّتَيْن تُقارِبانِ النَّظْمَ (2).

وَقَدْ قِيلَتْ مُوَزَّعَةً على مَدَى أَرْبَعِينَ عَامًا بَدْءًا مِنْ ديسمبر 1952 إلى ديسمبر 1992 تَجْدِيدًا لِعَهْدِ فَرْحَات حَشَّادْ وَتَخْلِيدًا لِذِكْرَاهُ.

وَضَمَّ جُمْعة شِيخَة هذه المَجْمُوعَةَ إلى كتابِهِ بِعُنْوانِ «قرقنة مِنْ خِلال كُتُبِ الرَّحلاتِ، وَفَرْحَات حَشَّاد مِنْ خِلاَلِ الإِبْدَاع» فِي الشَّطْرِ الثَّانِي مِنَ التَّأليفِ (112 صفحَة مِنْ مَجْمُوع 224) مِنَ القَطْعِ الصَّغِير. (3)

وَهَذِهِ القَصَائِدُ وَالأَزْجَالُ هِيَ مِنْ تَأْلِيفِ شُعراء وَزَجّالِينَ جُلُّهُمْ مِنْ مَشَاهِير الشُّعراء التّونِسِيِّين المعاصرين وَهُمْ - حَسَبَ تواريخ قَصائِدهم - مُنَوَّر صمادح،

---

(1) Archives Nationales - Série E Carton 8, dossier 4.

(2) راجع جمعة شيخة «قرقنة الأرخبيل السّاحر مِنْ خِلالِ كُتُبِ الرّحلات، وَفرحات مِنْ خِلالِ الإبْدَاع» ط.تونس 2005.

(3) راجع قصائدهم في نفس المرجع ص 150-192.

وَالشّادلي خزندارْ، ومُحسِن بن حميدة، وأحمد المختار الوزير، وَمُحمّد الهاشمي زين العابِدين، وَجَعْفر ماجِدْ، والحبيب جاء وَحْدُو، وعبد المجيد بن جِدُّو، وَمُحمّد النّاصِر صَدَّامْ، وعبد السّلام لِصيلَعْ، والشّادلي عطاء اللّه، وأحمد صِنْديدْ، وَمُحمَّدْ السويسي، وأحمد خير الدّين. وَيَنْضافُ إليْهم شَاعِرَانِ مِنَ العِراقِ هُمَا علي الحِلّي وَمُصطفَى البحري، وَشَاعِرٌ سُورِيٌّ هو علي صِدْقِي عبد القادِرْ.

أَمَّا الأَزْجالُ العَشَرَةُ فَجُلُّهَا لِفُحُول شُعَرَاءِ المَلْحونِ التّونسِيّين وَهُمْ مُحمّد الوحيشي، والهادي بن جاء بَاللّه، وَعُثْمَان العُثْماني، وَعَبَادَة السَّعْدِي، وَمُحمّد الطويل المرزوقِي، وَمُحمّد الفَرجَانِي، وَزينَة خلف اللّه، وَالمُولْدِي العَجَّال، وامْرَأَة أُمِّيّة لَمْ يُذْكَرْ اسْمُهَا [1]

وَأَمَّا المَسْرَحِيّتَانِ الشِّعْرِيَّتَانِ اللَّتَانِ سَاقَ مِنْهُمَا د. جمعة شيخة بَعْضَ النَّمَاذجِ فالأُولَى بعُنْوَانِ «حَشّاد» مِنْ تأليف هارون هاشِمْ رَشِيد، وَالثَّانِيَّةُ بِعُنْوَانِ «أُحِبُّك يا شَعْبُ» مِنْ تأليفِ عمّار شعابنيّة [2] وَهذِهِ النُّصُوصُ كُلُّهَا فِي تِعْدَادِ مَناقِبِ الشَّهِيدِ وَبُطولاَتِهِ فِي سَبيلِ تَحْرِيرِ تُونسَ وَتَرْقِيَّةِ شَعْبِهَا الكَادِحِ.

وَمِنْ أَرْوَع القَصَائِدِ فِي رِثَاءِ الشَّهِيد فَرْحَات حَشَّاد مَرْثِيَّةٌ لأَمِيرِ الشُّعَرَاءِ محمّد الشَّاذلِي خَزْنَدَار:

حَسْبَ الزَّعَامَةِ إِمَّا قُلْت حَشَّادُ
وَحُسْنُ صُنْعِكَ فِي الأَعْمَالِ خَلاَّدُ
الشَّعْبُ كُلُّهُ هَتَّافٌ لِصَوْلَتِهِ
لَكِنَّمَا الدَّهْرُ خَوَّانٌ وَجَلاَّدُ
لَمْ تَبْكِهِ قبلَ أَخْذِ الثَّأْرِ أُمَّتُهُ
فِي القَبْرِ هَامَتُهُ وَالصَّوْتُ غَرَّادُ

---

[1] راجع هذه الأزجال في كتاب د. جمعة شيخة المشار إليه مِنْ قَبْلُ ص 194-208

[2] نفس المرجع ص 210- 220.

خضْـرَاءُ فَرْحَاتِنَا خَنْسَاءُ مَوْجُوعَةٌ
مِنْ كُلِّ قَلْبٍ لَهَا فِي النَّاس إِيقَـادُ
وَحسْبكُـمْ آيَـةُ المِرْصَادِ مُعْجِزَةٌ
وَمَـا يُـرَوِّضُـهُ الـديَّـانُ يَنْقَـادُ

وَمِنْ رَوَائِعِ مَا قِيلَ أَيضًا في رِثاءِ فَرْحَات «حشّاد» مُطَوَّلَةٌ للشّاعر مُحمّد الهاشْمِي زين العابدين قَالَهَا في 25 دِيسمبر 1960، ومنها هذه الأبياتُ مِنَ البَحْرِ الطَويل:

«أَبَى الخُلْـدُ إِلاَّ مَـا تَـرُومُ وَتَسْـأَلُ * طَرِيقُ الوَرَى شَتَّـى وَنَهْجُكَ أَمْثَـلُ»
«سَخِرْتَ مِنَ الأَحْدَاثِ حَتَّى مِنَ الرَّدَى * لَكَ المَثَلُ الأَعْلَى الذِي كُنْتَ تَحْمِلُ»
«فَهَانَتْ عَلَيْكَ النَفسُ فِي نَيْـلِ غَايَـةٍ * بِهَا يُكْرَمُ الشَّعْبُ الكَسِيرُ وَيَنْبُـلُ»

وَمِنْهَا أَيْضًا رَائِعَةٌ للشّاعِرِ الفَحْلِ جعفر ماجِدْ بعنوان «من وَحْيِ الذِّكْرَى العَاشِرَةِ» حَيْثُ يَقُولُ فِي مُقْتَطَفَاتٍ مِنْهَا في بَحْرِ الكَامِلِ:

«اليَـوْمَ عِيـدُكَ أَيُّهَـا الخَـدَّامُ * فَالشَّمْسُ تَاهَتْ حَيْثُ أَنْتَ تَنَامُ»
«دَمُـكَ المُرَاقُ على الطَّرِيقِ عَبَّدْتَـهُ * وَالشَّعْـبُ حَوْلَـكَ دَامِـعُ بَسَّـامُ»
«بِكَ أَنْتَ يا ابنَ الشَّعْبِ تُرْفَعُ هَامَةٌ * وَبِمِثْلِ شَعْبِكَ لَيْسَ تُحْنَـى الهَـامُ»
«اللّهُ أَكْبَـرُ أَنْتَ فِينَـا خَالِـدٌ * يَا مَنْ بَعُدْتَ، لَكَ العُيُـونُ مَقَـامُ»

وَمِنْ رَوَائِعِ الأَزْجَال التي قِيلَتْ في رِثاءِ حشّاد زَجَلٌ للشّاعِرِ الشَّعْبِيِّ المَوْهُوبِ عُثْمَان العُثْمَانِي بِعُنْوَانِ «مَجْد فَرْحات»، مَطْلَعُهُ:

«تُونِسْ تَتْشَكَّى مَقْهُورَةْ * مِنْ فِعْلٍ مَنْكُـورْ»
«وعاقِبْةِ الظَّالِمْ مَحْسُورةْ * وَقْتِ الدَّهْرِ يَـدُور»

الباب الثامن

مقالات فرحات حشاد
في جريدة الرسالة *(Mission)*

(القيادي المفكر المبدع)

مِنَ المُفِيد التَّعْرِيفُ بِجَانِبٍ هَامٍّ مِنْ كِتَابَاتِ فرحات حشّاد فِي جريدة «الرِّسَالَة» (Mission) النَّاطِقَة بِلِسَانِ الحِزْبِ الحُرّ الدُّسْتُورِيّ التُّونُسِيّ (الجَدِيد). فَقَدْ تَمَيَّزَتْ كِتَابَاتُهُ بِعُمْقِهَا وَمُسْتَوَاهَا الرَّاقِي باللُّغَةِ الفرنْسِيَّة فَضْلاً عَمَّا كَانَ يَكْتُبُهُ بِمُسْتَوًى لاَ يَقِلُّ عَنْهَا قِيمَةً وَرَوْعَةً باللُّغَة العربيّة فِي جَرِيدَة «الحُرِّيَّة» وَمَجَلَّة «النَّدْوَة» وَغَيْرِهِمَا.

وَقَدْ تَزَامَنَتْ مَقَالاَتُ فرحات حشّاد فِي (Mission) مَعَ افتتاحيّات القِيَادِيِّ الدُّسْتُورِيِّ المُحَامِي الهادي نويرة الذِي كَانَ يَكْتُبُ بِانْتِظَامٍ شِبْهِ تَامٍّ الافْتِتَاحِيَّاتِ الرَّائِعَةَ فِي نَفْس تلك الجَرِيدَةِ الأُسْبُوعِيَّة «الرِّسَالَة».[1]

وَكَانَ الرَّجُلاَنِ يَخُوضَانِ نَفْسَ المعرَكَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ. وَكَانَ فَرْحَات حشَّاد يَكْتُبُ مَقَالاَتَهِ فِي (Mission) بِنَسَقٍ يَكَادُ يَكُونُ مُنْتَظِمًا أَيْضًا، فَيُجَوِّدُ لُغَتَهَا وَأُسْلُوبَهَا - وَهو عِصَامِيٌّ لَمْ يَتَجَاوَزْ فِي تَكْوِينِهِ القَاعِدِيِّ مُسْتَوَى الشَّهَادَةِ الابْتِدَائِيَّة - وَلَكِنَّ ذَلِكَ الدِّيبْلُوم المُقَيَّمَ لإِنْهَاءِ المُتَحصِّل عَلَيْهِ مَرْحَلَةَ التَّعْلِيم الابْتِدَائِي يَشْهَدُ لِلْفَائِزِينَ، وَخُصُوصًا المُتَفَوِّقِينَ، بِقُدْرَتِهِم عَلَى امْتِلاَكِ آلَةِ الكِتَابَةِ وَالتَّعْبِيرِ الصَّحِيحَيْن بالفرنْسِيَّة. وَقَدْ نَمَّى فرحات حشّاد الأَلْمَعِيُّ زَادَهُ المَعْرِفِيَّ بِتَجَارِبِهِ المَيْدَانِيَّة وَاتِّصَالاَتِهِ المُكَثَّفَةِ بالقِيَادَاتِ النَّقَابِيَّةِ الحُرَّةِ عَلَى المُسْتَوَى العَالَمِيّ وَمُطَالَعَاتِهِ الوَاسِعَة كَمَا يَظْهَرُ مِنْ عُمْقِ مَا كَتَبَهُ وَمِنْ أُسْلُوبِهِ الجَذَّابِ المُقْنِعِ الفَاعِلِ فِي مُعَالَجَةِ القَضَايَا النِّقَابِيَّة وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّة وَالسِّيَاسِيَّةِ الهَامَّة، بَلِ المَصِيرِيَّة بالنِّسْبَةِ لِشَعْبِهِ الذِي أَحَبَّهُ حشّاد حُبًّا فَيَّاضًا، وَوَهَبَهُ رُوحَهُ.

بَدَأَ فرحات حشّاد يَنْشُرُ المَقَالاَتِ فِي جريدة (Mission) فِي 24 مارس 1949، أيْ بَعْدَ مُرُورِ أحدَ عشرَ شَهْرًا عَلَى ظُهُورِهَا الأَوَّل. وَتَمَادَى يَكْتُبُ فِيهَا إِلَى آخِرِ عَدَدٍ (15 فيفري 1952) قَبْلَ إِيقَافِهَا فِي فَجْرِ المَعْرَكَةِ التَّحْرِيرِيَّة.

[1] راجع أحمد خالد «الهادي نويرة - مسيرةُ مُثقَّفٍ مُنَاضِلٍ وَرَجُلِ الدَّوْلة» منشورات «زخارف» شركة بوبليغراف - تونس 2006.

وَقَدْ أَحْصَيْتُ لَهُ مائَةً وَاثْنَتَيْن وَأَرْبَعينَ مَقَالَةً فِي شَتَّى المَوَاضِيع وَمِنْهَا «شَهَادَةُ الفَقْرِ وَالقَبُول فِي المُسْتَشْفَيَات»، و«الضَّمَانُ الاِجْتِمَاعِي»، و«الطَّرْدُ التَّعَسُّفِيُّ»، و«مُشْكِلُ الأَسْعَار وَالأُجُور»، و«العُقُودُ المُشْتَرَكَة»، و«صَوْتُ المُوَظِّفِين»، و«صَوتُ الكَادِحِين»، و«فِيمَ تُصْرَفُ الأَمْوَالُ العُمُومِيَّة بِالبَلَدِيَّات؟» و«شَذْبُ التَّبْذِير وَالإِسْرَاف»، و«العَمَلُ النَّقَابِي»، وَ«إِحْيَاءُ عِيد الشُّغْل»، و«السِّيَاسَةُ المَائِيَّة بِتُونس»، وَ«القَضِيَّةُ الوَطَنِيَّة كَأَسَاس عَبْرَ المَطَالب النَّقَابِيَّة وَطَرْحُهَا عَلَى الضَّمِير العَالَمِي»، و«صَيْحَةُ الفَزَع ضِدَّ القَمْع»، و«المُجَاهَرَةُ بِعَدَم الاِسْتِسْلاَم للاِسْتِعْمَار القَهْرِي»، و«الإِشَادَةُ بِالشُّهَدَاء الأَبْرَار»، و«مُنَاشَدَةُ العَقْل وَلُغَةُ الفِعْل»، وَ«النِّضَالُ مِنْ أَجْل الدِّفَاع عَن الحُرِّيَّات الدِّيمقراطيّة»، و«المَجلسُ الكبيرُ فِي احْتِضَار - يَحْيَا الشَّعْب»، و«الكَلِمَةُ لِلشَّعب»، و«العَمَلُ النَّقَابِيُّ وَالاِسْتِعمَار»، و«الحُكْمُ تَكَهّنٌ (تَوَقُّع وَاسْتِشْرَاف)»، و«إِلَى الأَمَام»، و«التَّرَاخِي أَصلُ العدوان»، وَ«مِنْ أَجْل الحُرِيَّة المُنْتَصِرَة» وَغَيْرِهَا. وَهِيَ عَنَاوِينُ تَدُلُّ عَلَى ثَرَاءِ اهْتِمَامَاتِهِ وَشُمُولِهَا [1].

وَلاَ يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِمَّا يَحْدُثُ بِبِلاَدِهِ. حَتَّى اتِّفَاقِيَّاتُ التَّنْقِيبِ عَن البِتْرُول وَمَا يَرْتَبِطُ بِهَا مِنْ شُرُوطٍ لاِنْتِدَابِ اليَدِ العَامِلَةِ الأَجْنَبِيَّةِ وَالمَحَلِّيَّةِ وَتَنْظِيمِ تَرَبُّصَاتِ التَّكْوين المِهَنِيِّ فَإِنَّهَا تَحْظَى بِاهْتِمَامِهِ الكَبير، فَيَتَعَمَّقُ فِي تَحْلِيل وَنَقدِ بُنُودِهَا، كَمَا يُبَيِّنُهُ مَقَالُهُ فِي «الرِّسَالَة». وَلاَ يَفُوتُهُ أَنْ يُلاَحِظَ لِلْمُسْتَعْمِرِ تَلاَعُبَهُ بِثَرْوَةِ البِلاَدِ لِفَائِدَةِ امْتِيَازَاتِ شَرِكَاتِ التَّنْقِيبِ [2].

---

[1] راجع القِسْمَ الفِرَنْسِيِّ لِهذا الكتاب

[2] Voir «Mission» du 17/3/1950 - La politique des concessions - par Farhat Hached (in Florilège). On y lit : «La concession des richesses que renferme notre sous-sol continue d'être ainsi faite à des sociétés capitalistes qui s'installent, se développent, prospèrent et se fortifient à notre détriment... » (voir texte entier dans florilège).

وَالْمُدْهِشُ حقًّا زَخَارَةُ وَثَرَاءُ وَتَنَوُّعُ مَا كَتَبَ هَذَا العَلَمُ الشَّامِخُ، وَهوَ يُبْدِعُ بِاللُّغَتَيْنِ. فَكَيْفَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْتَطِعَ مَا يكْفِي مِنَ الوَقْتِ لِتَدْبِيجِ مَا حَرَّرَهُ بِذَاكَ المُسْتَوَى الرَّفِيعِ الذِي يُضَاهِي بِهِ أَبْرزَ الأَقْلاَمِ الفرنسيّةِ المُتَفرّغَةِ، بَلْ يَفُوقُهَا، وَهوَ لاَ يَكَادُ يَعْرِفُ طَعْمَ الرَّاحَةِ فِي أَحْلَكِ الظُّرُوفِ وَأَرْهَقِ المَسْؤُولِيَّات؟

إنَّهُ الجِهَادُ الفَاعِلُ وَالإِيمَانُ القَوِيُّ المُحرّكَانِ لِنَبْضِ التَّفَانِي فِي حُبِّ الوَطَنِ وَالإِبْدَاعِ القِمَمِيِّ فِي الكِتَابَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ. فَحشَّادُ - فَضْلاً عَنْ نِضَالِهِ المَيْدَانِيِّ حَتَّى مُنْتَهَى التَّضْحِيَةِ بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ لِتَحْيَى تُونسُ حُرَّةً كَرِيمَةً - قَدْ تَرَكَ فِي جَرِيدَةِ (Mission) بِالخُصُوصِ وَفِي غَيْرِهَا مِنْ صُحُفِنَا السَيَّارَةِ آثَارًا فَنيَّةً رَائِعَةً بِاللُّغَتَيْنِ العَرَبِيَّةِ وَالفِرَنْسِيَّةِ، بَاقِيَةً خَالِدَةً عَلَى مَدَى الأَزْمَانِ، وَمَرَاجِعَ مَعَالِمَ، وَنَمَاذِجَ رَاقِيَةً تُكْتَبُ بِمَاءِ الذَّهَبِ وَيَنْبَغِي تَدْرِيسُهَا كَنَفَائِسَ لِلأَجْيَالِ التُّونُسِيَّةِ حَاضِرًا وَمُسْتَقْبَلاً[1].

وَيُبْدِعُ فَرْحَات حَشَّادْ فِي الكِتَابَةِ بِاللُّغَةِ الفِرَنْسِيَّةِ، وَيَتَفَنَّنُ وَيَتَأَلَّقُ فِي صِيَاغَةِ الأَسَالِيبِ المُنَاسِبَةِ لِلْمَقَامِ كَمَا فِي مَقَالِهِ «خَطَرٌ عُمُومِيٌّ» (Un danger public) حَيْثُ يَسْتَخْدِمُ الأُسْلُوبَ السَّاخِرَ الهَازِلَ لِلذَّمِّ بِمَا يُشْبِهُ المَدْحَ فِي تَصْوِيرِ مُدِيرِ صُنْدُوقِ الضَّمَانِ الاجْتِمَاعِيِّ لِعُمَّالِ مَنَاجِمِ المِتْلَوِّي المُسَمَّى نَاسِّفِي(Nassivet)، وَهوَ قَائِدٌ سَابِقٌ لِلْجَنْدَرْمَةِ، يَخُوضُ حَرْبًا فِي جَبْهَةٍ مَكَانُهَا المَنَاجِمُ وَعُمَّالُهَا أَعْدَاؤُه[2]. وَقَدْ تَسبَّبَ مَوْقِفُهُ هَذَا فِي إِحَالَتِهِ عَلَى المَحْكَمَةِ بِتُهْمَةِ ثَلْبِ الصُّنْدُوقِ، وَحُكِمَ عَلَيْهِ بِالسِّجْنِ، وَلَكِنَّ الحُكْمَ ظَلَّ مَرْفُوعًا كَالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ، وَلَمْ يُنَفَّذ. (راجع المعطيات في القسم الفرنسي)

---

(1) رَاجِع زَهرَاتٍ مِنْ رَوَائِعِ فَرْحَاتْ حَشَّاد فِي المَلاَحِقِ بِالعَرَبِيَّةِ وَالفِرَنْسِيَّةِ.

(2) Voir dans le florilège en annexe le texte entier «Un danger public» par Farhat Hached - Mission 1/9/1949 dont les eextraits suivants : «L'ex-Commandant Nassivet aime à faire parler de lui. Il ne veut pas se faire oublier. Ce brillant ex-officier de gendarmerie s'était particulièrement distingué lors des opérations de mai/août 1937, au front de mine où il décima la grève des mineurs du Sfax-Gafsa. Il trouve que sa gloire n'a pas été suffisamment louée. Il entend multiplier les actes de bravoure, toujours sur le front des ouvriers mineurs...»

وَيُصْغِي فَرْحَاتْ حَشَّادْ بِانْتِبَاهٍ كَبِيرٍ فِي مَقَالاتِهِ بِجَرِيدَةِ «الرِّسَالَة» (Mission) إِلَى كُلِّ مَا يَحْدُثُ عَلَى السَّاحَةِ السِّيَاسَةِ، فَيُجِيدُ الدِّفَاعَ عَنِ القَضِيَّةِ الوَطَنِيَّةِ فِي تِلْكَ المَقَالاتِ التِي تُعْتَبَرُ نَمَاذِجَ رَفِيعَةً تَسْتَحِقُّ الإِدْرَاجَ بِكُلِّ فَخْرٍ فِي مَنْظُومَةِ التَّكْوِينِ السِّيَاسِيِّ وَالإِعْلامِيِّ كَمَقَالِهِ بِالفِرَنْسِيَّةِ بِعُنْوَان «فِي أَيَّةِ جِهَةٍ يَتَوَاجَدُ المُشَاغِبُونَ؟» حَيْثُ يَسْتَعْرِضُ بِإِيجَازٍ بَلِيغٍ مَلامِحَ سِيَاسَاتِ المُقِيمِينَ العَامِّينَ لِفِرَنْسَا المُتَعَاقِبِينَ بِتُونِس عَلَى مَدَى عُقُودٍ، وَهُمْ «قِيُون» (Guillon)، وَ«بِيرُوتُون» (Peyrouthon)، وَ«مُونْس» (Mons)، وَ«بِيرِيِّي» (Périlier). وَيُؤَاخِذُهُمْ فَرْحَاتْ حَشَّادْ بِالانْصِيَاعِ لإِرَادَةِ أَقَلِّيَّةٍ اسْتِعْمَارِيَّةٍ مِنْ دُعَاةِ التَّفَوُّقِ وَالهَيْمَنَةِ عَلَى الشَّعْبِ التُّونُسِيِّ، كَمَا يَلُومُهُمْ بِالسَّعْيِ فِي فَرْضِ السِّيَادَةِ المُزْدَوِجَةِ « co-souveraineté » التِي تَرْفُضُهَا القِيَادَةُ الوَطَنِيَّةُ(1).

وَيُخَاطِبُ فَرْحَاتْ حَشَّادْ هَؤُلاَءِ المُسْتَكْبِرِينَ بِلُغَةِ التَّحَدِّي كَمَا يَلِي: «بِدَوْرِنَا نَقُول بِمَزِيدٍ مِنَ القُوَّةِ مَرَّةً أُخْرَى أَنَّ هَؤُلاَءِ المُسْتَعْمِرِينَ المُعَانِدِينَ المَغْرُورِينَ مَا هُمْ إِلاَّ غُرَبَاءٌ عَلَى أَرْض بِلادِنَا. فَبِوَاسِطَةِ لُعْبَةِ التَّسَلُّلِ المُفْرِطَةِ وَاللاَّمَشْرُوعَةِ المُدْعَمَةِ بِالقُوَّةِ العَسْكَرِيَّةِ اغْتَصَبُوا حُقُوقًا لاَ صِلَةَ لَهَا بِالمَصَالِحِ التِي يُمْكِنُ أَنْ تُقَرِّبَنَا مِنْ هَؤُلاَءِ وَأَنْ تُؤَسِّسَ لأَرْضِيَّةِ الصَّدَاقَةِ الآمِنَةِ الدَّائِمَةِ...»(2)

وَيُدْرِكُ البَاحِثُ مِنْ خِلاَلِ كِتَابَاتِ فَرْحَاتْ حَشَّادْ أَنَّهُ أَثْرَى تَكْوِينَهُ القَاعِدِيَّ المُتَفَوِّقَ بِعِصَامِيَّةٍ جَادَّةٍ، فَتَمَدْرَسَ وَتَمَرَّسَ فِي مَيْدَانِ النِّضَالِ الاِجْتِمَاعِيِّ المُرْتَبِطِ بِالمَيْدَانِ الاقْتِصَادِيِّ، وَكَذَلِكَ فِي المَيْدَانِ السِّيَاسِيِّ فِي

---

(1) Mission 21/7/1950 - De quel côté se trouvent les agitateurs - par Farhat Hached.

(2) «A notre tour, nous dirons, avec plus de force encore, que ces colonialistes, incorrigibles et prétentieux, ne sont que des étrangers sur le sol de notre pays. C'est par le jeu de l'intrusion abusive et illégale, appuyée sur la force armée, qu'ils se sont arrogés des droits qui n'ont rien de commun avec les intérêts qui peuvent nous rapprocher d'eux et constituer les bases d'une amitié confiante et durable.» In «Mission» 21/7/1950 - De quel côté se trouvent les agitateurs - par Farhat Hached.

المَدْرَسَةِ الاشْتِرَاكِيَّةِ الفِرَنْسِيَّةِ بتُونس عَبْرَ الحِزْبِ الاشْتِرَاكِيِّ وَجَرِيدَةِ «تُونِيسْ سُوسيالِيسْت» قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ تَجْرِبَتَهُ الخَاصَّةَ. وَوَسَّعَ آفَاقَهُ المَعْرِفِيَّةَ بالمُطَالَعَةِ التِي تَظْهَرُ آثَارُهَا فِي مَقَالاَتِهِ بجَرِيدَةِ «الرِّسَالَةِ» (Mission) وَغَيْرِهَا، كَمَا طَوَّرَ زَادَهُ المَعْرِفِيَّ بالاحْتِكَاكِ بِكِبَارِ القِيَادِيِّينَ النِّقَابِيِّينَ وَالسِّيَاسِيِّينَ كَالكَاتِبِ العَامِّ لِلْفَرْعِ التُّونُسِيِّ لاتِّحَادِ النِّقَابَاتِ الفِرَنْسِيَّةِ (C.G.T.) أَلْبِيرْ بُوزَنْكِي (Albert Bouzanquet) المَعْرُوفِ فِي الأَوْسَاطِ السِّيَاسِيَّةِ كَقِيَادِيٍّ اشْتِرَاكِيٍّ مَرْمُوقٍ وَخَصْمٍ لِلشُّيُوعِيِّينَ، وَهوَ صَدِيقٌ حَمِيمٌ لِلْمُفَكِّرِ وَالكَاتِبِ الشَّهِيرِ وَالزَّعِيمِ النِّقَابِيِّ لِيُونْ جُوهُو (Léon Jouhaux).

وَكَانَ فَرْحَاتْ حَشَّادْ ذَا صِلَةٍ وُثْقَى بِالقِيَادِيِّ إِيرْفِينْك بْرَاوْن (Irving Brown) مُمَثِّلِ الفِيدِيرَالِيَّةِ الأَمْرِيكِيَّةِ لِلشُّغْلِ (A.F.L.)، وَكَذَلِكَ بأُولْدِنبرُوكْ (Oldenbrock) مُمَثِّلِ الكُونْفِيدِيرَالِيَّةِ العَالَمِيَّةِ لِلنِّقَابَاتِ الحُرَّةِ (C.I.S.L.) وَغَيْرهما مِنَ القِيَادِيِّينَ ذَوِي الشُّهْرَةِ العَالَمِيَّةِ، فَيَفْرِضُ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ بِنَبَاهَتِهِ وَمُسْتَوَاهُ الرَّفِيعُ وَإِشْعَاعِهِ مَحَلِّيًّا وَجِهَوِيًّا وَعَالَمِيًّا.

وَقَدْ تَمَيَّزَ فَرْحَاتْ حَشَّادْ بِفِكْرٍ مُذْهِلٍ بِعُمْقِهِ السِّيَاسِيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ وَالاقْتِصَادِيِّ. وَكَانَ مِثَالاً لِلْقِيَادِيِّ المُثَقَّفِ بِجُهْدِهِ الخَاصِّ المُتَوَاصِلِ، فَارِسًا مِنْ فُرْسَانِ الخَطَابَةِ وَالقَلَمِ وَقُطْبًا مِنْ أَقْطَابِ قَادَةِ الفِكْرِ التُّونُسِيِّينَ المُنَاضِلِينَ فِي جِيلِهِ. وَهَؤُلاَءِ كَثِيرًا مَا كَانُوا يَلْتَقُونَ عَلَى أَعْمِدَةِ الصَّحِيفَةِ الوَاحِدَةِ كَجَرِيدَةِ «الرِّسَالَةِ» (Mission) وَ «تُونس الفَتِيَّةِ» (La Jeune Tunisie)، فَنَقْرَأُ لَهُمُ المَقَالاَتِ الرَّائِعَةَ المُلْتَزِمَةَ، وَمِنْهُمْ الهَادِي نويرَة فِي افْتِتَاحِيَّاتِه (Editoriaux)، وَعلِي البَلْهَوان فِي خَوَاطِرِهِ (Réflexions) وَغَيْرُهُما كَثِيرُون.

عَرَفْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ خِلاَلِ عَيِّنَاتٍ مِنْ كِتَابَاتِ فَرْحَاتْ حَشَّادْ بِرَفْضِهِ القَاطِعِ لِمَقُولَةِ الصِّرَاعِ الطَّبَقِيِّ كَمَا نَظَّرَتْهُ الإِيدْيُولُوجْيَا المَارْكسِيَّةُ، وَاطَّلَعْنَا أَيْضا

عَلَى تَعْلِيلِه لِذَلِكَ الرَّفْض بِضَرُورَةِ تَكَامُلِ القُوَّةِ العَامِلَةِ وَالمُسْتَثْمِرِينَ بِأَمْوَالِهِمْ فِي المَشَارِيعِ المُحَرِّكَةِ لِلدَّوَالِيبِ الاقْتِصَادِيَّةِ وَالصَّانِعَةِ لِمَوَاطِنِ الرِّزْقِ، عَلَى أَنْ يَتِمَّ ذَلِكَ التَّكَامُلُ فِي جَوٍّ ضَامِنٍ لِلْعَدَالَةِ وَالسِّلْمِ الاجْتِمَاعِيَّيْنِ.

وَمِنْ أَفْكَارِهِ الأَسَاسِيَّةِ أَيْضًا فِيمَا كَتَبَهُ وَنَشَرَهُ خَاصَّةً فِي الدَّوْرِيَّةِ الوَطَنِيَّةِ الأُسْبُوعِيَّةِ «الرِّسَالَة» (Mission) إِقْرَارُهُ بِأَنَّ «الرُّقِيَّ الذِي لاَ يَعْبَأُ إِلاَّ بِتَنْمِيَةِ مَرَابِيحِ الرَّأْسمَالِيِّينَ بِدُونِ اكْتِرَاثٍ بِمَصِيرِ البَشَرِ لَيْسَ بِرُقِيٍّ»[1] حَقٌّ. وَفِي نَفْسِ السِّيَاقِ يَقُولُ فَرْحَات حَشَّاد: «إِنَّ الرُّقِيَّ الذِي لاَ يَصْحَبُهُ رَخَاءٌ جَمَاهِيرِيٌّ لاَ يُعْتَبَرُ رُقِيًّا»[2].

وَفَرْحَاتْ حَشَّادْ دَاعِيَةُ سَلاَمٍ يُؤْمِنُ بِأَنَّ السِّلْمَ (وَمِنْهُ السِّلْمُ الاجْتِمَاعِيُّ) هُوَ «فِي جَوْهَرِهِ عُنْصُرُ رُقِيٍّ، وَرَخَاءٍ، وَحُرِّيَّةٍ، وَتَأَلُّقٍ لِلشُّعُوبِ» وِفْقَ صَرِيحِ تَعْبِيرِهِ[3].

وَلِذَا تَجِدُهُ يُنَادِي فِي مَقَالٍ مِنَ «الرِّسَالَة» بِالعُدُولِ عَنْ إِنْتَاجِ السِّلاَحِ إِلَى مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فِي جَمِيعِ بِقَاعِ الدُّنْيَا[4].

---

(1) رَاجِع فِي المَلاَحِق مَقَال حَشَّاد فِي «الرِّسَالَة» بِالفِرَنْسِيَّة بِعُنْوَان «مِنْ أَجْلِ سِيَاسَةِ تَشْغِيلٍ تَام».

«Et nous avons toujours soutenu que le progrès qui ne tienne conte que de l'accroissement des profits des capitalistes sans se soucier du devenir humain n'en est pas un» (Mission du 25/8/1950 - Pour une politique de plein emploi- par Farhat Hached.

(2) «Le progrès qui n'est pas accompagné par la prospérité des masses n'est pas un progrès» (Ibid).

(3) رَاجِعْ فِي المَلاَحِقِ مَقَال فَرْحَات حَشَّاد «فِي كُلِّ مَوْقِعٍ مِنْ جَبْهَةِ الشُّغْلِ هَزِيمَةُ الرَّجْعِيَّة».

- Voir «Mission» du 17/2/1950 : Partout sur le front du travail échec à la réaction - par Farhat Hached. On y lit : «Ce n'est pas d'ailleurs sans appréhension que les affairistes de tout poil ont vu pointer les lueurs de la paix revenue [celle de la seconde guerre mondiale]. Car, la paix est par essence un facteur de progrès, de prospérité, de liberté et d'épanouissement des peuples.»

(4) Voir «Mission» du 10/3/1950 - «Le chômage grand fléau social» - par Farhat Hached. On y lit : «La production de guerre doit partout faire place aux activités profitables aux hommes. Assez d'énergies dépensées pour le mal, l'humanité a besoin de s'épanouir dans la paix, dans la justice, dans la prospérité».

وَمِنْ مُنْطَلَق تَعَلُّقِهِ بالسِّلْمِ تَرَاهُ مُنَدِّدًا بِالقَمْعِ الاِسْتِعْمَارِيِّ وَكُلِّ وَسَائِلِ العُنْفِ المُخِلَّةِ بِحُقُوقِ الإِنْسَانِ فِي المُسْتَعْمَرَاتِ كَمَا فِي حَالَةِ احْتِلَالِ بِلَادِهِ. وَمِثَالُ ذَلِكَ فِي شَذْبِهِ لِلْقُوَّةِ المُسْتَبِدَّةِ مَا صَوَّرَهُ فِي مَقَالِهِ بِعُنْوَانِ «دَوِيُّ الجَزْمَاتِ» (Bruits de bottes)[1].

وَمِنْ ثَوَابِتِهِ أَيْضًا فِي «الرِّسَالَةِ» (Mission) شَفَقَتُهُ عَلَى البَائِسِينَ، وَالجِيَاعِ، وَالعَاطِلِينَ عَنِ الشُّغْلِ، وَالطُّفُولَةِ المُشَرَّدَةِ وَالمُسْتَغَلَّةِ وَاهْتِمَامُهُ الفَائِقُ بِتَصْوِيرِ مُعَانَاةِ الفِئَاتِ الضَّعِيفَةِ فِي شَعْبِهِ. (رَاجع مَثَلاً مَقَالَهُ «البِطَالَةُ آفَةُ اجْتِمَاعِيَّةٌ كُبْرَى»)[2].

وَمِنْ ثَوَابِتِ فِكْرِهِ الاِجْتِمَاعِيِّ مَا يُرَدِّدُهُ دَائِمًا - فَضْلاً عَنْ تَحْسِينِ القُدْرَةِ الشِّرَائِيَّةِ لِلشَّغَّالِينَ - مِنْ ضَرُورَةِ تَوْفِيرِ الضَّمَانِ الاِجْتِمَاعِيِّ وَإِمْضَاءِ العُقُودِ المُشْتَرَكَةِ، وَتَمْكِينِ أَهْلِ البِلَادِ مِنَ التَّمَتُّعِ بِحَقِّهِمْ فِي الحُرِّيَّاتِ العَامَّةِ كَكُلِّ الأَحْرَارِ فِي العَالَمِ[3]، وَاعْتِبَارِ الوَظِيفَةِ العُمُومِيَّةِ مِنْ حَقِّ التُّونِسِيِّينَ وَحْدَهُمْ[4]،

---

(1) Voir «Mission» du 31/3/1950 - «Bruits de Bottes» par Farhat Hached. On y lit : « Depuis que notre sol a cessé le théâtre de la guerre anti-fasciste, jamais nous n'avons assisté à un déploiement de forces policières aussi intense qu'en cette période trouble ou l'événement des colonialistes se traduit par des actes répressifs répétés...» (Voir texte in florilège).

(2) Voir dans florilège en annexe l'article «Le chômage grand fléau social» - par Farhat Hached, in «Mission» du 10/3/1950. On y lit Notamment : «De quelque côté qu'on parcourt le pays, la mendicité bat son plein. D'aucuns crient à l'exploitation de l'enfance et appellent la foudre sur le parents. indignes. Les rafles se poursuivent, mais elles ne parviennent pas à vider les villes des milliers d'hommes, de femmes et d'enfants qui y vivent en tendant la main. Les villes ne sont d'ailleurs pas seules à voir s'étaler pareille misère humaine. Les compagnes offrent le même spectacle de désolation. Je n'ai jamais vu autant de mendiants que dans les petites villes et les centres agricoles du Nord qui regorgent de blé...» (Voir texte entier).

(3) Voir par exemple «Mission» du 31/3/1950 - Bruits de bottes - par Farhat Hached.On y lit ceci : «Et la revendication du peuple tout entier, quand il réclame la jouissance des droits de tout homme libre, est du domaine des chimères, il lui faudra attendre, pour que cette «évolution» puisse se faire que le pays soit, sans doute, complétement aux mains des trusts...».

(4) Voir «Mission» du 11/4/1950 - Regain d'activité - par Farhat Hached. On y lit : «la fonction publique doit revenir aux seuls tunisiens...»

وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ المَوَاقِفِ وَالمَطَالِبِ المُزْعِجَةِ لِنِظَامِ الحِمَايَةِ. فَتَرَى فَرْحَات لاَ يَتَرَدَّدُ عَن الجَهْرِ بِمِثْلِ قَوْلِهِ المُتَحَدِّي لِلْكِيَانِ الاِسْتِعْمَارِيِّ: «إِنَّ احْتِرَامَ الشَّخْصِيَّةِ التُّونُسِيَّةِ وَالسِّيَادَةِ الوَطَنِيَّةِ لاَ يَتَّفِقَانِ أَبَدًا مَعَ التَّجَاوُزَاتِ المَفْضُوحَةِ وَالفَضَائِحِ المُرْتَكَبَةِ التِي تُتَّخَذُ هُنَا مَبَادِئَ وَطُرُقَ عَمَلٍ لِلْحُكْمِ.»[1]

وَلاَ يَتَصَوَّرُ فَرْحَاتْ حَشَّادْ تَحَرُّرًا وَاسْتِقْلاَلاً لاَ يُؤَسِّسَانِ لِنِظَامٍ دِيمُقْرَاطِيٍّ نَابِعٍ مِنَ الإِرَادَةِ الشَّعْبِيَّةِ بِتَوَافُقِ جَمِيعِ فِئَاتِ الشَّعْبِ وَمُحَقِّقٍ لِلْعَدَالَةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالرَّفَاهِ العَامِّ، فَلاَ يُفَرِّقُ حَشَّاد بَيْنَ النِّضَالِ النِّقَابِيِّ وَالنِّضَالِ الوَطَنِيِّ، وَيَجْهَرُ بِذَلِكَ فِي العَدِيدِ مِنْ مَقَالاَتِهِ كَمَا فِي الاِحْتِفَالِ بِعِيدِ الشُّغْلِ وِفْقَ مَقَالٍ لَهُ فِي «الرِّسَالَةِ»(**Mission**) بِتَارِيخ **28** أفريل **1950**.[2]

---

[1] Voir «Mission» du 11/4/1950 - Regain d'activité - par Farhat Hached. On y lit : «Le respect de la personnalité tunisienne et de la souveraineté nationale ne se concilient jamais avec les atteintes flagrantes, les abus scandaleux dont on fait ici des principes et des méthodes de gouvernement».

[1]Voir en annexe «Anniversaire du 1er mai» - par Farhat Hached, in «Mission» 28/4/1950. On y lit notamment : «Elle (la Tunisie) ne peut entrevoir sa libération sans l'instauration d'un régime démocratique axé sur la volonté populaire et la prospérité des masses, guidées par leurs organisations progressives dont le mouvement syndical s'honore d'être au premier rang.

Oui, la Tunisie qui regarde vers son avenir veut b,tir cet avenir sur les bases de la justice sociale et la coopération féconde de toutes les couches populaires. C'est pourquoi la classe ouvrière tunisienne n'a jamais séparé la lutte qu'elle mène sur le plan social de celle qu'elle développe sur le plan national...» (voir texte entier).



فرحات حشّاد (الرّابع من اليمين) في استعراضِ غُرّة ماي
مُرورًا أمام المدرسةِ الصّادقيّة.

وَتَبْرُزُ صُورَةُ فَرْحَاتْ حَشَّادْ فِي جُرْأَتِهِ القَوِيَّةِ عَلَى مُوَاجَهَةِ المَجْلِسِ الكَبِيرِ كَرَمْزٍ لِلْحُكْمِ الاِسْتِعْمَارِيِّ وَازْدِوَاجِ السِّيَادَةِ، وَكَذَلِكَ مُوَاجَهَةِ دُعَاةِ التَّفَوُّقِ عَلَى أَهْلِ البِلاَدِ وَرُمُوزِ الاِسْتِعْمَارِ الاِسْتِيطَانِي غُلاَةِ المُعَمِّرِينَ كَمَا يُبَيِّنُهُ مَقَالُهُ فِي «الرِّسَالَة» بِعُنْوَان «ثَائِرُونَ حَتَّى لَحَظَاتِ المَوت»[1].

وَمِنْ أَهَمِّ مَشَاغِلِ فَرْحَاتْ حَشَّادْ سَنُّ نِظَامٍ قَانُونِيٍّ لِلْعَمَلِ الفِلاَحِيِّ يَضْمَنُ حُقُوقَ العَمَلَةِ كَالأَجْرِ الأدنى الفلاحي (SMAG)، كَمَا أَفَادَنَا بِذَلِكَ فِي العَدِيدِ مِنْ كِتَابَاتِهِ وَخَاصَّةً فِي مَقَالِهِ الرَّائِعِ بِاللُّغَةِ الفِرَنْسِيَّةِ فِي «الرِّسَالَةِ» (Mission) بِتَارِيخ 7 جويلية 1950 حَيْثُ صَوَّرَ وَضْعَهُمُ المُتَرَدِّي فِي مَوْسِمِ الحَصَادِ وَوَفْرَةَ الصَّابَةِ وَرَخَاءِ المُعَمِّرِينَ المُنْتَصِبِينَ فِي أَغْنَى الضَّيْعَاتِ تَرْعَاهُمْ إِدَارَةُ الحِمَايَةِ وَمَنْ وَالاَهَا مِنْ أَمْثَالِ وَزِيرِ الفِلاَحَةِ السَّيِّد بِلْخُوجَة[2].

وَفِي مَقَالٍ آخَرَ لاَ يَقِلُّ رَوْعَةً عَنِ السَّابِقِ يُخَاطِبُ فَرْحَاتْ حَشَّادْ العَامِلَ الفِرَنْسِيَّ المُسْتَقِرَّ فِي البِلاَدِ التُّونُسِيَّةِ لاَفِتًا نَظَرَهُ فِي مُوَازَنَةٍ بَيْنَ وَضْعِيَّتِهِ المُصَانَةِ وَوَضْعِيَّةِ العَامِلِ التُّونُسِيِّ المَسْحُوقِ، مُحَذِّرًا إِيَّاهُ مِنْ مَغَبَّةِ الاِنْسِيَاقِ فِي تَيَّارِ الصَّلَفِ وَالهَيْمَنَةِ كَمَا يُنَظِّرُهَا دُعَاةُ التَّفَوُّقِ عَلَى أَهْلِ البِلاَدِ، مُلاَحِظًا لَهُ أَنَّ تِلْكَ

[1] Voir in Florilège « Mission» 30/6/1950 - Réfractaires jusqu'à l'agonie - par Farhat Hached. On y lit : « Ils (les prépondérants) ont été de tout temps les ennemis du peuple sur le sol duquel ils vivent et prospèrent. Ils deviendront au besoin les ennemis de leur propre patrie d'origine si celle-ci s'avisait de les persuader de leur grave erreur. Ils classeront dans la liste des antifrançais tous les ministres membres du Gouvernement français qui oseront leur parler le langage de la raison... » (Voir l'éloquente description de ces prépondérants dans tout le texte).

[2] Voir en annexe « Mission» du 7/7/1950 - Il est grand temps de doter les ouvriers agricoles d'un statut - par Farhat Hached. On y lit notamment : « Dans ses trop nombreuses visites aux gros domaines, S.E. Belkhodja s'intéresse certainement aux belles espèces qui emplissent les vertes prairies. Ils contemple les étendues sans fin admirant les belles cultures, annonciatrices de moissons abondantes et fructueuses. Il visite les silos, s'inquiète de leur capacité de stockage, il inspecte les étables et les écuries, s'inquiète de la bonne santé des cochons et des lapins, il ne néglige aucun détail de tout ce qui constitue le patrimoine seigneurial dont notre grande colonisation est si fière !
Mais il n'aura garde de s'aventurer, non loin de là, dans les trous où demeurent les hommes et les femmes dont les bras ont été les artisans véritables de cette œuvre... " (voir dans Florilège, en annexe, ce très beau texte dans son ensemble).

الحَالَةِ لَنْ تدُومَ كَمَا لَمْ تدُمْ فِي سُوريَا، وَهِيَ بِصَدَدِ التَّرَاجُعِ فِي الهِنْدِ الصِّينِيَّةِ، وَأَنَّ تُونِسَ سَائِرَةٌ فِي طَرِيقِ التَّحَرُّرِ مِنْ كَابُوسِ الاِسْتِعْمَارِ[1]. وَتَجِدُهُ فِي مَقَالاَتِهِ فِي «الرِّسَالَةِ» مُدَافِعًا عَنْ حَقِّ العَمَلِ وَالإِضْرَابِ[2] وَمُنَدِّدًا بِالطَّرْدِ التَّعَسُّفِيِّ[3]، وَبِاضْطِهَادِ العُمَّالِ بِالقُوَّةِ العَامَّةِ[4].

وَتَتَجَلَّى الثَّقَافَةُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ وَالاِقْتِصَادِيَّةُ وَالسِّيَاسِيَّةُ العَمِيقَةُ لِفَرْحَاتْ حَشَّادْ إِلَى جَانِبِ امْتِلاَكِهِ التَّعْبِيرَ البَلِيغَ عَنْهَا فِي مَقَالاَتِهِ الأُنْمُوذَجِيَّةِ فِي جَرِيدَةِ «الرِّسَالَةِ» (Mission)[5].

هَكَذَا يَكْتُبُ فَرْحَاتْ حَشَّادْ سِلْسِلَةَ مَقَالاَتِهِ فِي «الرِّسَالَةِ» (Mission) مُتَنَقِّلاً مِنْ غَرَضٍ إِلَى غَرَضٍ آخَرَ اجْتِمَاعِيٍّ وَسِيَاسِيٍّ فِي تَلاَزُمٍ وَتَرَابُطٍ، وَبِأَجْمَلِ أُسْلُوبٍ وَأَدَقِّ عِبَارَةٍ وَأَنْفَذِهَا فِي نُفُوسِ القُرَّاءِ، مُسْتَعْمِلاً، بِبَرَاعَةٍ تَفُوقُ بَرَاعَةَ الأَقْلاَمِ الأُخْرَى بِاللُّغَةِ الفِرَنْسِيَّةِ فِي بِيئَتِهِ، لُغَةَ الخَصْمِ آنَئِذٍ، فَيَكْتُبُ مَثَلاً مَا تَرْجَمَتُهُ كَالآتِي: «فِي بِلاَدٍ تَنْتَظِرُ مِنْ حِينٍ لآخَرَ أَنْ تَسْتَعِيدَ حُرِّيَّتَهَا، وَحَيْثُ بَلَغَتِ الطَّبَقَةُ العَامِلَةُ هَذِهِ الدَّرَجَةَ العَالِيَةَ مِنَ الوَعْيِ وَالنُّضْجِ الاِجْتِمَاعِيِّ، يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَنْ يَلْعَبُ بِالنَّارِ سَيُفْضِي بِهِ الأَمْرُ عَلَى الأَقَلِّ إِلَى حَرْقِ أَصَابِعِهِ...»[6]

---

(1) Voir en annexe «Mission» du 14/7/1950 - A mon camarade travailleur français en Tunisie - par Farhat Hached.

(2) Voir en annexe «Mission» du 6/10/1950 - Victoire de la lutte ouvrière. Tournons la page - par Farhat Hached.

(3) Voir en annexe «Mission» du 20/10/1950 - Encore les licenciements - par Farhat Hached.

(4) Voir en annexe :

a- «Mission» du 3/11/1950 - La grève des ouvriers agricoles. Soyez bons pour les animaux - par Farhat Hached.

b- «Mission» du 10/11/1950 - Une fois de plus la répression s'abat sur les travailleurs. Il faut mettre fin à la politique d'erreurs et d'irresponsabilité - par Farhat Hached.

(5) Voir, par exemple, en annexe «Mission» du 17/11/1950 - Parviendra-t-on à dEnouer la crise sociale dans le respect des droits de la classe ouvriEre ? - par Farhat Hached.

(6) Voir en annexe «Mission» du 23/11/1950 - Ces messieurs sont servis - par Farhat Hached. On y lit : « Dans un pays qui attend d'un moment à l'autre de retrouver sa liberté, dans un pays où la classe ouvrière a atteint ce haut degré de conscience et de maturité sociale, il faut qu'on sache qu'en jouant avec le feu, on finit au moins par se brûler les doigts...»

ثُمَّ يَخْتِمُ مَقَالَهُ، وَكَأَنَّهُ فِي مُخَاطَبَةِ رُفَقَائِهِ مِنَ الشُّهَدَاءِ يُخَاطِبُ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: «يَا رِفَاقِي، أَنْتُمْ جَمِيعًا مَنْ سَقَطْتُمْ ضَحَايَا رَمْيًا بِالرَّصَاصِ، تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَنَامُوا فِي أَمَانٍ لِأَنَّكُمْ عَلَى يَقِينٍ تَامٍّ بِأَنَّ جِهَادَكُمْ سَيَتَوَاصَلُ وَأَنَّ مَآلَهُ فِي نِهَايَةِ الأَمْرِ هُوَ النَّصْرُ.»(1) ذَاكَ هُوَ صَوْتُ الزَّعِيمِ الشَّهِيدِ فَرْحَاتْ حَشَّادْ الذِي شَامَتْ عَيْنُهُ الكَاشِفَةُ مَا كَانَتْ تُخَبِّئُهُ الأَيَّامُ لِشَعْبِهِ مِنْ فَجْرٍ تَحْرِيرِيٍّ جَدِيدٍ، فَجْرِ الاِسْتِقْلَالِ.

وَفِي مَقَالٍ بِعُنْوَانِ «المَجْلِسُ الكَبِيرُ يَحْتَضِرُ، يَحْيَا الشَّعْبُ» يَجْهَرُ فَرْحَاتْ حَشَّادْ بِنَقْمَتِهِ عَلَى تِلْكَ المُؤَسَّسَةِ التَّشْرِيعِيَّةِ، فَيَرَاهَا رَمْزًا لِلْهَيْمَنَةِ الاِسْتِعْمَارِيَّةِ عَلَى البِلَادِ، وَيَعْتَبِرُ نِهَايَةَ نِيَابَتِهَا فِي 12 مَاي 1951 مُؤَشِّرًا لِقُرْبِ نِهَايَةِ النِّظَامِ الاِسْتِعْمَارِيِّ المُحْتَضِرِ مِثْلَهَا بَعْدَ مُرُورِ سَبْعِينَ عَامًا عَلَى انْتِصَابِهِ بِتُونِس (12 مَاي 1881)(2). وَفِي نَفْسِ المَقَالِ يُنَادِي بِتَأْسِيسِ مَجْلِسٍ نِيَابِيٍّ وَطَنِيٍّ مُنْتَخَبٍ دِيمُقْرَاطِيًّا لِيَقُومَ بِوَظِيفَتِهِ عَلَى الوَجْهِ الأَمْثَلِ، وَيَرْفُضُ رَفْضًا قَاطِعًا مَبْدَأَ «ازْدِوَاجِيَّةِ السِّيَادَةِ» (co-souveraineté)، وَيُعْلِنُ اسْتِعْدَادَ الشَّعْبِ التُّونِسِيِّ لِخَوْضِ المَعْرَكَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ. وَكَأَنَّ فَرْحَات حَشَّادْ يَسْتَشْرِفُهَا حِينَمَا كَانَ يَكْتُبُ مَقَالَهُ فِي الذِّكْرَى السَّبْعِينَ لِانْتِصَابِ الحِمَايَةِ بِتُونِس، فَيُشِيرُ إِلَى بَرْنَامَجٍ نِضَالِيٍّ مُهَيَّءٍ(3).

(1) Ibid. «Camarades, vous tous qui êtes tombés victimes des balles, vous pouvez dormir en paix, parce que vous avez la pleine certitude que votre combat continue, et qu'il sera, en fin de compte, victorieux!»

(2) «Le Grand Conseil se meurt. Vive le peuple " par Farhat Hached, in «Mission» du 12/05/1951. On y lit notamment : «Au moment où paraîtront ces lignes, la vaste entreprise d'escroquerie morale et de dilapidation du patrimoine national appelée «Grand Conseil» sera à la veille de rendre le dernier soupir...
La mort du Grand Conseil coïncide en effet avec l'anniversaire de l'avènement du régime qui l'a enfanté et qui aura marqué de son empreinte l'histoire de notre pays.
Le 12 mai 1881, la Tunisie perdait son indépendance. Le 12 mai 1881 commençait la sombre histoire d'un protectorat qui lui aussi, agonisant disparaîtra un jour prochain comme disparaît aujourd'hui le Grand Conseil...»

(3) Ibid. On y lit : «Le système de la soi-disant co-souveraineté est brisé, le peuple réagira comme il convient devant toute atteinte à ses droits et à la souveraineté de son pays.
Il est prêt à engager le bon combat, en participant avec toutes ses organisations nationales et démocratiques à la campagne qu'entreprend dès maintenant l'UGTT pour asseoir un système représentatif véritable, conforme aux intérêts de nos masses laborieuses et de notre peuple et digne d'un pays souverain.»

وَقَدْ تَوَالَتْ رَشَقَاتُ فَرْحَات حَشَّادْ لِلنِّظَامِ الاِسْتِعْمَارِيِّ الجَاثِمِ عَلَى البِلاَدِ وَالعِبَادِ كَمَا فِي هَذِهِ العَيِّنَةِ مِنْ مَقَال بِعُنْوَانِ: «حَالَةُ قَلَقٍ فِي الجَبْهَةِ الاِجْتِمَاعِيَّة» (الرِّسَالَة 25 مَاي 1951).

«حِينَمَا كُنَّا نَقُولُ إِنَّ نِظَامَ الحِمَايَةِ قَدْ أَصْبَحَ المِعْوَلَ الوَحِيدَ لِلتَّقَهْقُرِ، وَالعَائِقَ الوَحِيدَ لِلرُّقِيِّ التُّونُسِيِّ فِي جَمِيعِ المَيَادِينِ، فَلَمْ نَكُنْ مُخْطِئِينَ...»[1].

وَلِذَا نَجِدُهُ جَامِعًا بَيْنَ الكِفَاحِ الوَطَنِيِّ وَالنِّضَالِ مِنْ أَجْلِ الرُّقِيِّ الاِجْتِمَاعِيِّ[2] مُتَحَدِّيًا إِدَارَةَ الحِمَايَةِ بِمِثْلِ قَوْلِهِ:

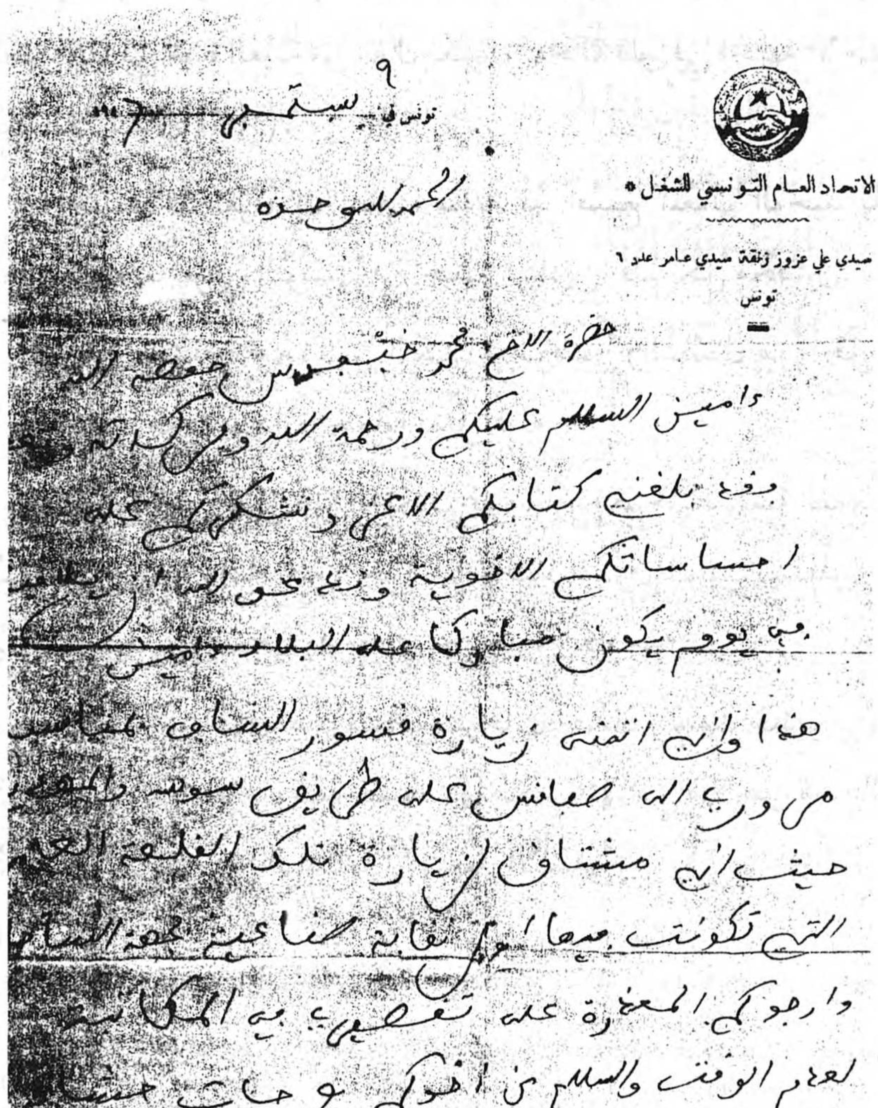
«لاَ نَقْبَلُ وَلَنْ نَقْبَلَ أَبَدًا أَنْ نَكُونَ عَلَى الدَّوَامِ ضَحَايَا سِيَاسَةِ القَمْعِ المُسَلَّطِ بِاسْمِ سَلاَمٍ وَأَمْنٍ وَنِظَامِ فِئَةٍ وَاحِدَةٍ هُمْ: أَدْعِيَاءُ التَّفَوُّقِ الذِينَ يَسْتَغِلُّونَ البِلاَدَ، وَيَبْتَزُّونَ الشَّعْبَ، وَيَسْتَعْبِدُونَ بِخِزْيٍ جَمَاهِيرَهُ الكَادِحَة»[3].

وَيَطُولُ هُنَا اسْتِعْرَاضُ مَشَاغِلِ فَرْحَاتْ حَشَّادْ وَثَوَابِتِ فِكْرِهِ مِنْ خِلاَلِ كِتَابَاتِهِ فِي «الرِّسَالَةِ»، وَكَمَا تَضَمَّنَتْهَا مُخْتَارَاتُهَا فِي مَلاَحِقِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ التَّأْلِيفِيَّةِ لِلتَّعْرِيفِ بِهَذَا المُنَاضِلِ الشَّهِيدِ الأَلْمَعِيِّ.

(1) «Malaise sur le front social» par Farhat Hached, in «Mission» du 25/05/1951. On y lit : «Quand nous disions que le Régime du Protectorat est devenu le seul instrument de régression, la seule entrave à l'évolution tunisienne dans tous les domaines, nous ne nous trompions pas...»

(2) Ibid :«C'est une lutte qui se complète, la classe ouvrière tunisienne n'ayant jamais conçu une libération nationale sans progrès social. "

(3) «Au nom de l'Ordre Public» par farhat Hached, in «Mission» du 20/8/1951. On y lit : «...nous n'acceptons pas, nous n'accepterons jamais d'être les éternelles victimes d'une politique de répression faite au nom de la seule paix, de la seule sécurité et du seul ordre de la poignée de prépondérants qui exploitent le pays et grugent son peuple et asservissent honteusement ses masses laborieuses.»



الاتحاد العام التونسي للشغل

سيدي علي عزوز زنقة سيدي عامر عدد ٦

تونس

تونس في ٩ سبتمبر ٤٧

الحمد لله وحده

حضرة الاخ محمد خنفوس حفظه الله دامين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد بلغني كتابكم الاعز ونشكركم على احساساتكم الاخوية ونرجو الله ان يتلاقى في يوم يكون مباركا على البلاد امين

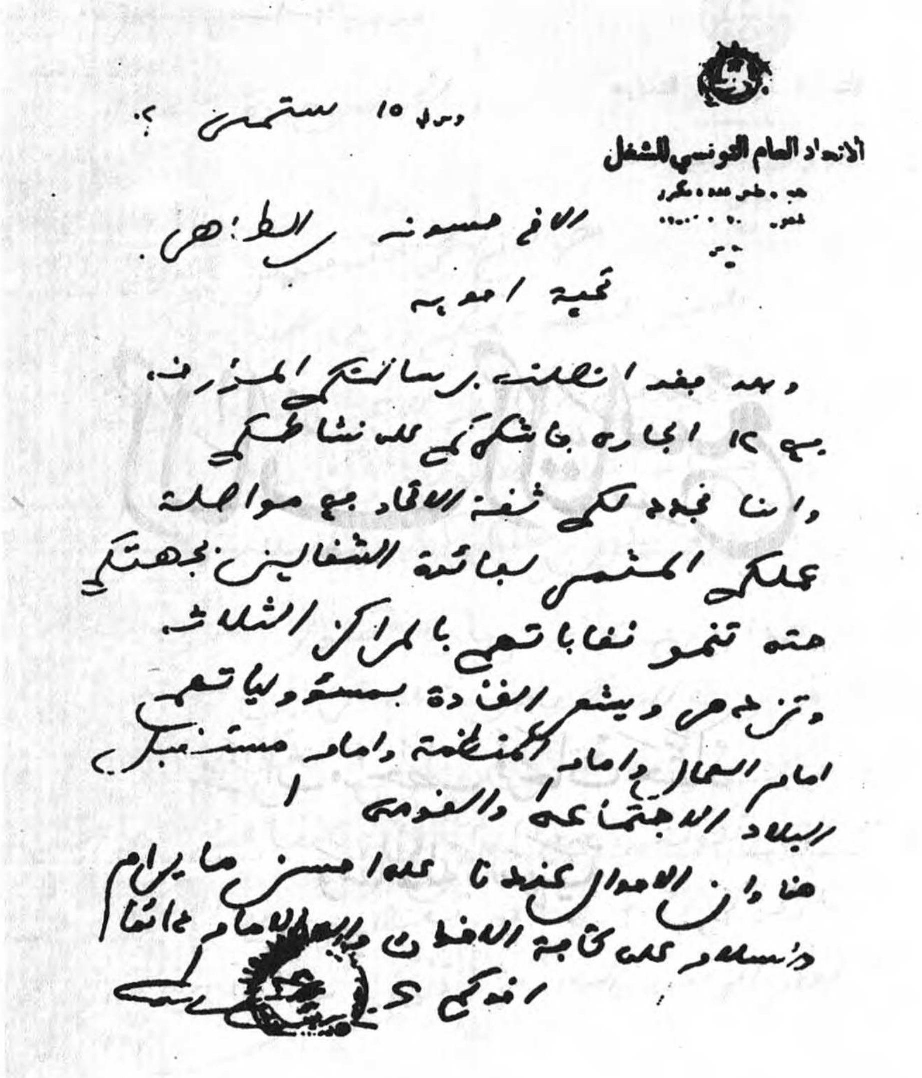
هذا واني انتهز زيارة قصور الساف بمناسبة مروري الى صفاقس على طريق سوسة والمهدية حيث اني مشتاق لزيارة تلك القلعة العمالية التي تكونت فيها اول نقابة صناعية بجهة الساحل

وارجو لكم المعذرة على تقصيري في المكاتبة لعدم الوقت والسلام من اخوكم فرحات حشاد

نموذج من خطّ فرحات حشاد في رسالة موجّهة بتاريخ 9 سبتمبر 1947 إلى محمد خنفوس مؤسس أولى نقابة صناعيّة في السّاحل الكبير بقصور السّاف. ويعبّر الزّعيم النّقابي عن رغبته في آداء زيارة لتلك البلدة بمناسبة مروره إلى صفاقس عبر سوسة والمهديّة.

البَابُ التَّاسِع

مختارات من خطب فرحات حشّاد
ومقالاته بالعربيّة



الاتحاد العام التونسي للشغل

تونس في 15 سبتمبر

الاخ حسونة بن الطاهر

تحية اخوية

وبعد فقد اتصلت برسالتكم المؤرخة في 12 الجاري فاشكركم على نشاطكم وانا نجدد لكم ثقة الاتحاد في مواصلة عملكم المثمر لفائدة الشغالين بجهتكم حتى تنمو نقاباتهم بالمراكز الثلاث وتزدهر ويشعر القادة بمسؤولياتهم امام العمال وامام المنظمة وامام مستقبل البلاد الاجتماعية والقومية

هذا وان الاحوال عندنا على احسن ما يرام والسلام على كافة الاخوان والى الامام دائما

اخوكم ح

رِسَالَةٌ بِخَطِّ فَرْحاتْ حَشّاد إِلَى حَسُونة بن الطَّاهر، وهو مناضِلٌ نَقَابِيّ مِنْ عمّالِ مَنَاجِمِ الرديِّف البارِزين. وَالمَناطِقُ المَنْجَمِيَّةُ الثَّلاَثُ التي يُشِيرُ إِلَيها حشّاد في الرّسالةهي الرديّف والمِتْلوِّي وَأُمّ العرايس. وقد أدْرَك حسونة بن الطّاهر عهد الاستقلال وانْتُخِبَ عِضْوًا بِالمَجْلَس القَوْميّ التّأْسِيسِيّ.

مُحاضرةُ فرحات حشّاد الكاتب العام لِلاتّحاد التّونسي للشّغل في جمعيّة طلبةِ شمال إفريقيا المسلمين (AEMNA) بباريس (20-12-1946)

(فرحات حشّاد يُعرّفُ بمُنظّمَتِه)

إنّهُ لَشَرَفٌ لِي عظيمٌ حقّا أنْ أتناولَ اليوم الكلمةَ باسم الاِتّحاد العامّ التّونسي للشّغل، وإنّي لأشكرُ كافّةَ أعضاء الهيئة المديرة لجمعيةِ طلبة شمال إفْريقيا المسلمين وخاصّة رئيسها الشّابَّ النشيط للحفاوةِ التي خصّوني بها وللفُرصة التي أتاحوها لي لِأُحدّثكم هذا المساء عن منظّمتنا النّقابيّة العتيدةِ وعن الدّوْرِ الذي تقوم به منذ تأسيسِها في الحركة النّقابيّة التّونسيّة.

حقًّا إنّ الشّؤونَ النّقابيةَ بالنّسبة لِلكثيرينَ منكم ما تَزالُ مجهولَةً لأنّها تتعلّقُ بمَيْدَانٍ غير معهودٍ لَدَيْكُمْ هو مَيْدَانُ العملِ الفكريِّ واليدويِّ، وَأَعْنِي ميدانَ الأجْرِ. وَلَكنَّ الشّؤونَ النّقابيّة هذه تتطلّع لِتكون إحدى الدّعائمِ الأَصيلة التي تَرْتَكِزُ عليها حياة الشّعوب الاِجتماعيّة.

وفعلا فإنّ ميدانَ النّشاطِ النّقابيّ بعد الاِنْتفاضاتِ التي عَرَفَتْها الحركةُ النّقابيّةُ من يوم أنْ برزتْ للوجود وخِلالَ مُدّةِ الكفاح الطويلةِ الحافلةِ بشديد الحوادثِ وداميها التي اصطبغَ بها انْتشارُها، يتطلّعْ إلى مزيدٍ من الشّمول والتّغَلْغُلِ في حياة البلدان المتمتّعة بثمار التّقدُّم والرُّقيّ.

فالحركةُ النّقابيّةُ العالميّةُ، بعد ما طَبَعَتْ بطابعها حياةَ الشّعوبِ الاِجتماعيّة في كلّ مكان وَتمكّنت من وُلوجه، تَتَقَدَّمُ بخُطًى شاسِعَةٍ. فهي تُواجهُ المَيْدَانَ الاِقْتصاديَّ، وتُحاولُ فَكَّ الشّعوب من رِبْقةِ التّجَمُّعاتِ الكَبيرةِ المُحْتَكِرَةِ

للاقْتِصَادِ العالَمِيّ. وَسَيكونُ الكفاحُ في هذا الميدانِ أشَدَّ. وَإِنَّ الحركةَ النّقابيَّةَ سَتَخرُجُ منهُ مُنْتَصِرَةً لا مَحَالة.

وَمهما كانت سَعةُ مَيْدَاني الاقْتصادِ والاِجتماع، وَمَهْمَا تَشَعَّبَتْ مَشَاكِلُهما وَتَعَدَّدَتِ الصُّعوباتُ النّاتِجَةُ عنهما لا يَصِلانِ إلى شُغْلِ كامل انْتباهِ الحركةِ النّقابيّة التي تَزْدادُ حَيوِيَّتُهَا بِسُرْعَةٍ والتي قد يُخرِجُ انْدِفاعُهَا السَّيْلَ مِنْ مَجْراه.

فالحركةُ النّقابيّةُ في أيِّ بلادِ العالَم وفي أيِّ مكانٍ تَمَكَّنَتْ منه، تَهتَمُ اهْتِمامًا مُتزايدًا بكلِّ ما له علاقةٌ بالتَّقَدُّمِ الاِجْتماعيّ، والنَّمُوِّ الطَّبيعيِّ للأُسرةِ، وصِحَّةِ ومُستقبَلِ الشَّبابِ، وَتربيةِ الطَّبقاتِ الشَّعْبيَّةِ في جميعِ الميادين. وَبِعِبارَةٍ أُخْرَى تُعيرُ كُلَّ الشَّكَاوي أُذْنًا صاغِيَةً، وَتُعَبِّرُ عن كُلِّ غَضَبٍ، وهيَ المُعبِّرُ الصَّادِقُ عن رَغائِبِ الطَّبقاتِ الكادحةِ الحيَّةِ في البلاد، تَسْهَرُ على مصالحها الحاضِرةِ وتُهيِّئُ لها المستقبل.

فالحركةُ النّقابيّةُ اليومَ لم تَعُدْ مُقْتَصِرَةً حِينئذٍ على تلك المُطالبةِ بتحقيق الرَّغائِبِ التي أَخذَتْ على نفسها القِيامَ بها أَوّلَ الأَمْرِ وحينَ كانَ عليها أَنْ تَتَسَرَّبَ بِبُطْءٍ وِفْقَ خطّةٍ مُنْظَّمةٍ، بلْ إنَّ تَمَكُّنَ جُذورِها يَجْعلُها قادِرةً على القيامِ بكامِلِ دَوْرِهَا فِي سَبيل خَيْرِ المُجْتمع وَرفاهيَّتِهِ.

وَمِنْ أَجْلِ هذا تَرَوْن النّقابيّينَ فِي كُلِّ البُلدان يَتَبَوَّؤُونَ مَقاعِدَهمْ فِي طَليعةِ كُلِّ حَرَكَةٍ تَقَدُّميَّةٍ، وهي فِي مُقَدِّمَةِ كُلِّ عَمَلٍ يَهْدِفُ إلى ضَمَان الاِستقلال الوَطَنِيِّ وَالحريَّةِ لِبلادِهم. ومن أَجْلِ هذا تَأَلَّبَ النِّقابيُّونَ في العالم للتَّشْهير أَوّلاً ولِلإِطاحةِ ثانيًا بكُلِّ أنواعِ الدِّيكتاتوريَّةِ والاِسْتِبْدادِ وبكُلِّ أَلْوانِ وأَشْكالِ الاِسْتعمارِ التي قامتْ أوْ مَا تزَالُ قائِمَةً في بعض بلاد الدُّنيا.

إنَّ النَّدْوةَ النّقابيّةَ العالميّة الواقعة في لُنْدُنْ في 6 فيفري 1945 قَطعتْ على نفْسِهَا عَهْدًا إزاءَ هذا بأَنْ تُكافِحَ وتُقاوِمَ لإبادةِ واسْتِئْصَال نَزْعَةِ اسْتِعْبَادِ البَشَرِيَّة.

وَمِنْ أَجْلِ هذا، يا إخواني الأَعِزَّاء، لا يُمْكِنُ أَنْ تبقى الحركةُ النّقابيّةُ حركةً غَرِيبَةً عنكم، وَمِنْ أَجْلِ هذا يَجبُ أن تُعْتَبَرَ حَرَكَتُنَا النّقابيّةُ التُّونسيَّةُ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ تَفاؤُلِ بِلادِنَا. وَمُسَاهمةُ اتِّحادِنَا الفِعْلِيَّةُ في الإِضْرَابِ العامّ الواقع في 30 أوت الأخيرِ عُنوانٌ له مَعْنَاهُ في تحقيق تلك الرِّسالة.

وإنِّي أَخْشَى إنْ أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَعرِضَ لكم هُنا تاريخَ الحركةِ النّقابيّةِ التّونسيّةِ أَنْ يكونَ في رَغْبَتِي هذه استغلالٌ لِأَوْقاتِكم الثَّمينةِ بَيْنَمَا تُمَثِّلُ بعضُ السّاعاتِ التي يُنْفِقُها مُعظَمُكُمْ فِي العملِ قِيمَةً لا تُقَدَّرُ بالنِّسْبةِ لِلمُسْتقبَل، ذلك المُسْتَقْبَلِ نَفْسِهِ الذي يقوم على ثَمْرَةِ هذه السَّاعاتِ منَ العملِ التي تَحتاجُ إليها بِلادُكم أَيَّمَا احْتِياجٍ. وَعَلَى هذا سأَسْتَعْرِضُ الماضي بِسُرْعَةٍ، وَإِنْ كُنْتُ لا أَسْتَطيعُ أنْ أَغْفُلَ عَنْ ذِكرِ أَبِي الحَرَكةِ النّقابيّةِ التّونسيّة وَمَنْ زرَعَ البذْرَةَ الأُولى لهذه الحرَكَةِ التي نَمَتْ وكَبُرَتْ إذْ كان غَرْسُهَا بِيَدِ حَكِيم، بَلْ كَيفَ يُمْكِنُ أَنْ لاَ أُثِيرَ عَمَلَ المرحوم مَحمَّد علي الجريءَ وَتَضْحِيَتَهُ الكاملةَ مَقْرُونًا بما نَدِينُ به لَهُ من خالِصِ وعَمِيقِ اعْتِرافِنا بالجَمِيل. أَجَلْ إِنَّهُ، بدون شَكٍّ، لَوَاجِبٌ أَكِيدٌ على الكاتب العامِّ لِلاتِّحادِ العامّ التّونسيِّ للشُّغل أَنْ يُمَجِّدَ حيَاةَ مَنْ كانَ مُنْشِئَ الحَرَكَةِ النّقابيّةِ بالبلاد التّونسيّةِ وَمن كافَحَ من أَجْلِ مَثَلِهِ الأَعْلَى بعقيدةٍ لا تَتَزَعْزَعُ وَدافِعَ عن القَضيَّةِ النّقابيّةِ حتَّى التَّضحيةِ العُظْمَى. وإِنَّ اتِّحادَنَا العامّ الذي له أَسْمَى الشَّرَف بأنْ كَانَ وَرِيثَ المُنظَّمةِ التي أَسَّسها المرحوم مَحمَّد علي سَيُبَرْهِنُ كَيفَ كان جديرًا بهذا التُّراث. لقد أَنْشَأَ مَحمَّد علي الجامعةَ العامّةَ للعُمّال التُّونسيّين سنة 1924 رَغْمَ مُعارَضَةِ لِيونْ جُوهُو الكاتبِ العامِّ للجامعة المَرْكزيّةِ الفرنسيَّةِ، فَجابَهَ الأَخْطَارَ بِتَنْظِيمِ الجَوْلاتِ النّقابيّةِ وَعَقْدِ الاِجْتماعاتِ

العديدةِ على الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ مَشْرُوعِيَّتِهَا إِذْ لَمْ تَحْظَ البلاَدُ التُونِسِيَّةُ رَسْمِيًّا بِحُرِّيَةِ العَمَلِ وَالتَّمَتُّع بالحَقِّ النّقابِيّ إِلاَّ عِنْدَ بُروزِ الأَمْرِ المُؤرَّخ في 1 نوفمبر 1932، ولكنْ سُرْعَانَ ما تَسَلَّطَتْ الاِضْطِهادَاتُ وَالتَّضْييقاتُ على مَحمَّد علي ورِفاقِهِ.

فَأَمَّا مَحمَّد علي فقد نُفِي خارجَ البِلادِ التُّونسيّة وتُوفي بَعيدًا عن أَهْلِهِ في الحِجازِ سنةَ 1928. وأَمَّا مُنَظَّمَتُهُ فقدْ وَقعَ حَلُّها.

وَعِندما صارَ النَّشاطُ النّقابِيُّ حقًّا مَشْرُوعًا سنة 1932 كان بِإِمْكَانِ فَرْعِ الجامعةِ الفرنْسيّة بِتونس وحدهُ أَنْ يُنَظِّمَ النّقابات، وَيعقدَ المؤتمرات، إِذْ كانت البِلادُ التّونسيّةُ في الميدان النّقابيِّ مُعْتَبَرَةً تَمامًا كَمُقَاطعةٍ فِرَنْسِيةٍ، فَلَمْ يَتزَعَّمِ المكافِحونَ التّونسيُّونَ آنذاكَ حركةً نقابيّةً قَوْميَّةً خِشْيَةً مِنْ أنْ يُصيبَهُمْ ما أَصَابَ المرحومَ مَحمَّد علي. واسْتمرَّتِ الحالةُ غامضةً إِلى جوان من سنة 1936.

وَفِي ظِلِّ الوَاجِهةِ الشَّعبيَّةِ عَرفَتِ الحركةُ النّقابيّةُ في فرنسا نَهْضَةً جديدةً كان لها أَثَرٌ في تَوْسِيعِ نِطَاقِ الحركةِ النّقابيّةِ الجهويّةِ بتونس. وفي ظِلِّ الانْفِرَاجِ الحاصِلِ أَيْضًا بفَضْلِ وُجُودِ المُقِيم العامّ (أَرْمانْ قِيونْ) بعد العاصِفَةِ التِي أَثارها سَلَفُهُ (بيرُطونْ) حَقَّقَ النَّقابِيُّونَ التّونسيونَ أُمْنِيَتَهُمُ الغاليَةَ التي حافظوا عليها والمُتَمثِّلَةَ في إِحْياء الجامعةِ العامّةِ للعمَّالِ التّونسيّينَ التي حَطَّمَها الاِسْتِعمارُ سنة 1924، فَعاشتْ فترةً مِنَ الاِزْدهارِ جَعَلتْ نَفْسَ وُجُودِ (س.ج.ت.) بتونس في خَطر.لكنْ لمْ تَستطِعْ الجامعةُ القوميّةُ، بِكلِّ الأَسَفِ، أنْ تَثْبُتَ في وجْهِ القَمْعِ الوَحْشِيِّ الذي قامتْ به السُّلطُ الاِسْتِعماريَّةُ في 9 أفريل 1938 مِمَّا اضْطَرَّ مُنَظَّمَتَنَا النّقابيّةَ القوميّةَ إلى تَوْقِيفِ نَشَاطِهَا للمَرَّةِ الثّانيةِ بَيْنَمَا أُودِعَ السِّجنَ أَبْرَزُ مُسَيِّريها.

وَنَقُولُ فِي هذه النُّقطةِ بالذَّاتِ مِنْ تَاريخِ حَرَكَتِنَا القومِيَّةِ أَنَّ م. أَرْمَانْ قِيونْ بالرَّغْمِ من تَبَوُّئِهِ مَنْصِبَ الإِقَامَةِ العامّةِ بتونس في عهدِ الواجهةِ الشَّعْبيّة

(Front Populaire) لَمْ يَكُنْ بِأَقَلَّ مِنْ سَلَفِهِ بِيرُطونْ في انصِياعِهِ إِلَى اتِّخاذِ نَفْسِ التَّدابيرِ الزَّجْرِيَّةِ الوَحْشِيَّةِ التي شاهَدَتْهَا البلادُ التّونسيّة سنة 1934.

وَهَذَا يَجْعَلُنَا نَسْتَنْتِجُ فقط أنَّ المُقيمَيْنِ العامَّيْنِ المتعاقِبَيْنِ على البلاد التّونسيّةِ لا يَتَّبِعَانِ سياسةً شخصيّةً أو سياسةَ حكومتهمَا المركزيّة بباريس، وإِنَّمَا يَسْلُكَانِ السّياسةَ المُمْلاةَ عليْهِما مِنْ طَرَفِ أَكابر المُعَمِّرِينَ الذين يَمْلِكونَ في الواقعِ جميعَ السُّلَطِ في بلادِنا.

وَنَتِيجَةً لهذا القَمْعِ وانْحلال جَامِعتِنا طَبَّلَ الفرْعُ النّقابيّ الجهويُّ الفرنسيُّ بتونس وَزمَّرَ فرَحًا بِتَقلُّصِ ظِلِّ الجامعةِ التّونسيّةِ لِلعُمَّال التّونسيّين، وَجعلَ يُواصِلُ حِيَاتَه الآمِنَةَ بدونِ مُزاحِمٍ، واستمرَّ على ذلك حَتَّى الحرْبِ الأخيرةِ، ثُمَّ حَتَّى الهُدْنة. ثُمَّ عادتِ الجامعةُ الجهويّةُ الفرنسيّةُ بتونس إلى سابقِ حياتِها بِمُجَرَّدِ انْتِهاءِ الحربِ في تونس، إِذْ كانتْ في عهد فِيشِي مُنْحَلَّةً، وتمكَّنَتْ من تَنْظيمِ أَوَّلِ مؤتمرٍ لها بعد التَّحرير في مارس 1944 .

وفي هذا المؤتمرِ بالذّاتِ بَدَأَ عَزْمُ بعضِ المُكافحينَ النّقابيّينَ التّونسيّين الرّاسِخُ على العمل لِإِحْياءِ الجامعةِ التّونسيّة للعمّال التّونسيّين للمرّةِ الثّالثةِ وَالوصول إلى تحقيق الهَدَفِ الذي رَمَى إليه المرحوم مَحمَّد علي والمُتمثّل في - أَوَّلاً : إيجادِ مُنَظَّمةٍ قَوْميّةٍ مُسْتَقِلّةٍ عن كُلِّ مُنَظَّمةٍ غيرِ تونسيّةٍ، ثُمّ -ثانِيًا تحقيق انْخِرَاطِ مُنَظَّمتِنا في الجامعةِ النّقابية العالميّة.

وفي الأَشْهُرِ الأَخيرةِ منْ سنةِ 1944 بمدينةِ صَفاقس تَمَّ تَكْوينُ النّقاباتِ الأُولَى والاتِّحادِ الأَوَّلِ لِلنّقاباتِ المُستقِلّة وَبَعْدَ بِضْعَةِ أَشْهُرٍ أُنْشِئَ اتِّحَادُ الشَّمالِ بتونس. وَمكَّنَتْنَا المُقابَلَةُ التي تَمَّتْ بيْننا وبين مُسَيِّرِي الجامعةِ العامّةِ للمُتوظّفينَ مِنْ عَقْدِ العَزْمِ على التَّوحيدِ في جميعِ الميادين بين مُنَظَّماتِ العملةِ والمتوظّفينَ التّونسيين بَعْدَ إِدْرَاكٍ وَاتّحادٍ في وُجهةِ نَظَرِنا، فَعزَمْنَا على الاتِّحاد. وَتَمَّ هذا

الاتّحادُ بين نَقَابَاتِ العُمَّال فِي الشّمال والجنوبِ التّونُسِيِّين ونقابات المتوظّفين يوم 20 جانفي 1946. وَتَمَّ انْدِماجُ النّقاباتِ المُستَقلّةِ في المؤتمر التّأسِيسيِّ بالخَلْدُونِيَّةِ. وهكذا برَزَ الاتّحادُ العامُّ التّونسيُّ للشّغْلِ إلى الوجُودِ، فكانَ المُواصِلَ لِحَرَكةِ المرحوم محمَّد علي النّقابيَّةِ وَالرَّامي إلى نفس أَهْدافِها. وأوّلُها قد تَحقَّقَ بتأسيس الاتّحاد العامّ التّونسي للشّغل نفسه.

فكانَ علينا أنْ نُجابهَ في آنٍ واحدٍ جُمْلَةً من الأعمال تُحتِّمُ صِبْغَتُها الاِسْتِعجاليَّةُ على القادةِ مُنْتَهى الحَذَرِ وَاليَقْظَةِ. وهذه الأَعْمالُ هي :

أَوَّلاً – كان علينا بادِئَ ذي بَدْءٍ أَنْ نُكوِّنَ لِحركتنا مذهبًا. وَحَرَكَتُنَا النّقابيّةُ لا يمكن أَنْ ترمي إلى القضاءِ على رَأْسِ المال مُطْلَقًا لِأَنّنا نُقَدِّرُ حاجةَ كُلٍّ مِنْ رَأْسِ المال وَالعَمَلِ إِلَى صَاحِبِهِ وضرورَتَهُما لحياة البلاد. فكان حَتْمًا علَيْنا إيجادُ طَرِيقةٍ يتكافَلُ بها العُنْصُرانِ : رَأْسُ المال وَالعَمَلَةُ عِوَضَ أَنْ يَكُونا مُتَنَافِرَيْنِ مُتَبَاغِضَيْنِ، وَذلكَ بِأَنْ لاَ يَتَضَخَّمَ رَأْسُ المَالِ على حسابِ العَمَلِ تَضخُّمًا لاَ حَدَّ لَهُ إِذْ مَهْمَا كَانَ العَمَلُ يَجِبُ أَنْ يَلْقَى مِنَ الأَجرِ العاديِّ ما يَكْفِي وَيَضْمَنُ للعامل حياةً كَرِيمةً تَسْمَحُ له بالاِسْتِفَادَةِ بِكُلِّ خَيْرَاتِ الرُّقِيِّ. فاشْتِرَاكُ رَأْسِ المالِ وَالعَمَلِ يَضْمَنْ إِذَنْ ازدِهَارَ المشاريعِ والأعمال بِأَقْصَى فائدةٍ لِلجَميع.

ثانِيًا – إِنجازُ التَّنْظِيمِ العامِّ وَكَانَ يَقْتَضِي الوَسَائِلَ المَادِيَّةَ العَظِيمَةَ وَالقِيامَ بجَوْلاَتٍ وَعقْدَ اجْتِمَاعَاتٍ للدِّعَايَةِ في كامل المراكزِ وَتَكْوينَ النّقاباتِ فِي كُلِّ فُرُوعِ النّشاطِ. وقدْ قُمْنَا بهذا العمل الجَبَّار بالرَّغْمِ منَ الصُّعُوباتِ المُتَنَوِّعَةِ. وقد تجَاوزتْ نتائجُ جُهُودِنَا المُتواصلةِ ما كُنّا نَأْمَلُهُ بكثير. وفِعْلاً فقد تمكّنّا من تَنْظِيمِ شَبَكَةٍ من الاتّحاداتِ الجهويَّةِ والمَحليَّةِ تَكْتَنِفُ البلادَ التّونسيّةِ يُعَزِّزُهَا في كُلِّ مكانٍ مُكافِحُونَ من الموظّفينَ التّابعين لجامعتنا العامَّةِ التّونسيّة والمُوزَّعِينَ في فروعٍ جامعيَّةٍ فِي كُلِّ مَرْكَزٍ له أَهَمِّيتُهُ.

إنَّ مُنَظَّمَتَنَا في الوقتِ الحاضِرِ تَعُدُّ ما يَزيدُ على خَمسةٍ وثمانينَ أَلفِ مُشْتَرِكٍ. وهذا عددٌ لم يُتِحْ لِأَيِّ مُنَظَّمَةٍ نقابيّة بالبلاد التّونسيّة أَنْ تَفْخَرَ به وَتَجْمَعَهُ تَحْتَ لِوائِها.

وَمُؤْتَمَرُنَا المُقْبِلُ المَنَوِيُّ عَقْدُهُ في 25 جانفي 1947 سَيَضُمُّ مِنَ النُّوَّابِ عددا لم تَجْمَعْ مِثْلَهُ الحركةُ النّقابيّة التّونسيّة لِحَدّ الآن.

ثالِثًا - دِراسةُ الحالةِ العامّةِ في الوقت الحاضِرِ من حَيْثُ ظروفُ عَيْشِ العُمَّال وَعَمَلُهُمْ وَمِنْ حَيْثُ الأُجُورُ والبِطالَةُ، وَعَلائِقُ الأجراءِ وَمُسْتأجِرِيهِمْ والمِنَحُ العائِليَّةُ الــــخ...

رابعا - تَرْبيَةُ الطَّبَقَةِ الكادحةِ وَحَمْلُهَا على إدْراكِ مَدى صِلَةِ الحقُوقِ بالواجبات، وَمَعْنَى بَذْلِ الجُهْدِ وضرورةِ الاعْتِمَادِ على قِيادةِ الحَرَكَةِ النّقابيّة على حَسَبِ ما تَقْتَضِيهِ الظُّرُوفُ وحاجياتُ الطَّبقةِ العُمَّالِيَّة. وهذا كُلُّهُ في نِطَاقِ المَصْلَحَةِ العُلْيَا والعامَّةِ للبلادِ - أَيْ تَرْبيَةُ الطَّبقةِ العَاملةِ على التَّعاوُنِ والتَّسانُدِ بإنْشاءِ صَنَاديقَ لِلإسْعافِ المُتبادَلِ، التَّفْكيرُ في إعْدَادِ نِظَام اجْتِمَاعِيٍّ يَرْفَعُ مُسْتَوَى عَيْشِ العُمّال المَادِيِّ وَالأَدَبِيِّ - غَيْر مُسْتَوْحًى ضَرورةً مِمَّا وَقَعَ إِنْجازُهُ لِحَدّ الآن في بعض البلاد، وإِنَّمَا يكون مُسْتَمَدًّا مِنَ القانونِ الاجْتِمَاعِيّ الإسلاميّ كما بَيَّنَّا آنِفًا وَهو المبدأُ الذي جاء به القرآن.

إِنَّهُ لَعَمَلٌ واسِعُ المجَال حَقًّا، وَلَكِنَّهُ أَعظَمُ بفائدتِهِ. وَسَنُنْجِزُهُ إِلَى نِهايَتِهِ السَّارَّةِ بالمُثَابَرَةِ وَالإِخْلاَص للقَضِيَّةِ العُمَّالية. وهو عَمَلٌ مُرْهِقٌ ولكنْ سَيَتَحَمَّلُهُ جميعُ النَّقابيّين في بلاَدِنَا بِصَدْرٍ رَحْبٍ إِذْ يَعْلَمُونَ أَنَّهمْ حِينَ يَعْمَلُونَ لِفَائِدَةِ الطَّبَقَةِ الشَّغيلَةِ في الأَوْقَاتِ الحَاضِرَةِ، يَقومونَ بكفاحٍ مُزْدَوجٍ ضِدَّ رَأْسِ المالِ المُسْتَثْمِرِ وَضِدَّ الاسْتعمارِ الغاشِمِ. لِذلك عَلَيْنَا أَنْ يَمُدَّ العامِلُ التُّونسِيُّ يَدَ الأُخُوّةِ إِلى كافّةِ الطَّبقةِ العُمّالِيَّةِ المُنظَّمَةِ في العالَمِ فَطالَبْنَا بالانْخِرَاطِ في الجامعة العُمَّالِيَّةِ العالميّة.

لَكِنَّ الصُّعُوبَاتِ والمشاكلَ كانتْ تَقُومُ في وَجْهِنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مُنْذُ الأَشْهُرِ الأُولَى لِوُجُودِنَا كاتّحادٍ. فَحُكُومَةُ الحِمَايَةِ بالرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ تَمَكُّنِهَا من عَرْقَلَةِ تَنْظِيمِ صُفوفنَا، تَتجَاهَلُ وُجُودَنا، وَاتّحادَنا العامَّ، وَجامِعَتَنَا العامَّةَ للمُتَوظِّفين. وَاتِّحاداتُنا الجِهَوِيَّةُ وَالمَحلِيَّةُ لاَ تَمْثِيلَ لها في المؤسّساتِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ. ولا أحد مِن نُوَابنَا يُمَثّلُ جُموعَ مُنْخرِطينا في المناقشاتِ التي تَهُمُّ مَصِيرَ عُمّالنا. وَظَلَّتْ تقاريرُنَا العديدةُ الموجَّهةُ إلى الإدارةِ بِدون جوابٍ.

فَوجَبَ علينا وَالحالةُ تلك، أَنْ نَلْجَأَ إلى الإضرابِ العامِّ في 18 جوان بصفاقس والقيام بِمظاهراتٍ جَبَّارَةٍ فِي كاملِ المدن الكَبيرة بالبلاد التّونسيّة لِحَمْلِ السُّلَطِ على تَمْكِينِ إِخْوَانِنا مِنَ المُشاركةِ في لِجانِ الأُجور. وَلَقَدْ قُمْنَا بِكُلِّ هذا حَتَّى تُقَرِّرَ السُّلَطُ في النّهاية وتَعْترفَ بأنّنا مَوْجودون، وبأَنَّنا قُوّة.

وَمِنْ ذَلِكَ الحِينِ فُتِحَتْ أَمَامَ مُمَثِّلِينَا أَبْوابُ جميعِ اللّجانِ المختصَّةِ التي يَرْجعُ إِلَيْهَا أمرُ النَّظَرِ في الشّؤون الاِجْتِمَاعِيَّةِ والاِقْتِصَادِيَّةِ المتعلِّقة بالعُمَّال. واضْطَرَّتْ مُنَظَّمَةُ الفرع الجِهَويّ الفِرَنْسِيّ بتونس نَفْسُها - إِذْ أَدْرَكَتْ عُقْمَ الدِّعَايَةِ التِي تقومُ بها ضِدَّنَا وَعَدَمَ جَدْوَاهَا - أَنْ تَمُدَّ يدَهَا إِلَيْنَا إِثْرَ تقريرِ الاِنْسِلاخِ عن المُنَظّمة الفرنسيّة المركزّية مُعْتَنِقَةً بذلك نَفْسَ عَقيدتِنَا التي طالما بالغَتْ في مُقاوَمَتِهَا مُقَاوَمَةً لاَ مَثِيلَ لها.

وَشَرَعْنَا فِعْلاً فِي تَنْظِيمِ مُحَادَثات تَهْدفُ إلى تَوحيدِ المُنَظَّمَتَيْن تَوْحِيدًا نِظَامِيًّا حَتَّى وَصَلَتْ هذه المُحادثاتُ إلى نُقْطَةٍ لا يُمْكِنُ لِهَيْئَتِنَا العُلْيَا أَنْ تتنازَلَ فيها. وَهذه النُّقْطَةُ تتمثّلُ في أن يَقْبَلَ الاِتّحادُ النّقابيّ لِعملةِ القُطْر التّونسي (وَرِيثُ الفَرْعِ الجهويّ بتونس) مبدأَ إدارةِ التّشكيلاتِ النّقابيّة المُختلفة للمُنَظّمة المركزيّة النّقابيّة الوحيدة من طرف التّونسيّين فقط كما هو الشَّأْنُ في جميع البلادِ الأُخرى، كما طلبنا أيضا اعْتبارَ اللُّغةِ العَرَبيَّةِ اللّغةَ الرَّسْمِيَّةَ لِلحركة

العُمَّالية التّونسيّة، وأخيرًا الاعترافَ بُوجُودِ اتِّحادِنا العامّ المُقام على مَبْدَإِ الاِسْتقلالِ النّقابيّ مثلما أَيَّدَهُ مؤتمرُ الاتّحاد النّقابي لِعملةِ القُطْرِ التّونسيّ عندما قَرَّرَ الخُروجَ من المُنظَّمةِ الفرنسيّة المركزّية (س. ج. ت.)

وَلَمَّا عُرِضَتْ مَسْأَلَةُ انْخِراطِنا في الجامعةِ العالميّة النّقابيّة بصورةٍ حاسِمةٍ كانت المُحادثات بَيْننا وَبين الاِتّحاد النّقابيّ الذي ظَلَّ مُتَرَدِّدًا قد بَلَغَتْ هذا الحدَّ.

وقد نظرتِ اللّجنةُ التّنفيذيّةُ للجامعةِ النّقابية العالميّة لِلمرَّةِ الثّالثةِ في مَطلب انْخِراطِنا في 5 فيفري1946، واعتبرتْ أنَّ الاِتّحادَ النّقابيّ المنخرطَ مِنْ قَبْلُ في المنظّمةِ النّقابيّة العالميّة على طريقِ المنظّمةِ المركزّية الفرنسيّة لا يجوزُ رَفْضُهُ من أَجْلِ بُرُوزِهِ في ثَوْبِ مُنَظّمة مركزّية مستقلّة.

أَمَّا فيمَا يتعلّقُ بمطلب انخِراطِنا كاتّحادٍ عامٍّ تونسيٍّ للشّغل فقد رَأَت اللّجنةُ التنفيذيّةُ للجامعةِ النّقابيّة العالميّة إِرْجاءَ البتّ فيه رَيْثَما يَتِمُّ اسْتنفادُ جميعِ مُحاولاتِ التّوفيقِ بين وُجْهات نظر كُلٍّ من مُنظّمتِنا والاتّحادِ النّقابيّ الرّامية إلى تحقيق الوحدة.

وفي انْتظارِ ذلك تَدْعونا الجامعةُ النّقابيّةُ العالميّة لِلمُشاركةِ في النّدوةِ النّقابيّةِ العالميّة بِداكَارْ في غُرَّةِ فيفري 1947 وَحُضورِ المجلسِ العامّ للجامعة النّقابيّة العالميّة الذي سَيَنْعَقِدُ في جوان 1947 ببراغْ.

وَبِدُونِ أَنْ نُعَلِّقَ على مِثْلِ هذا القرار، نقولُ أَنَّ تونسَ لم يَسْبقْ لها أَنْ شارَكَتْ لِحَدِّ الآنَ في أَيِّ مُنَظَّمَةٍ نقابيّة أُمَمِيَّةٍ، وَأَنَّ مُنظَّمتَها النّقابيّة الوحيدةَ القَوْمِيَّةَ الحقيقيّة والتي بَرَزَتْ منذُ جانفي 1946 هيَ اتّحادُنا العامُّ السائرُ على خَطَى حركةِ 1924 النّقابيةِ والذي لَهُ وَحْدَهُ على هذا الأساسِ أَنْ يُمَثّلَ بِحَقٍّ وَعنْ جدَارَةٍ البلادَ التّونسيّةَ في الخارج.

وعلى هذا فَنَحْنُ لاَ نَعْتَبِرُ أَنْفُسَنا قد خِبْنَا في مَطْلَبِ انْخِرَاطِنَا في المنظّمةِ النّقابيّةِ. وَسَنَسْتَأْنِفُ مُطَالَبَتَنَا به في الجلسةِ العامّة للجامعةِ النّقابيّةِ العالميّةِ إِذْ لم تُقَرِّرْ اللَّجْنَةُ التَّنْفِيذِيَّةُ في الأَثْنَاءِ قُبُولَنَا. وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ الأَمْرِ فَإِنَّنَا لَنَشْعُرُ بالارْتِياحِ العَظِيمِ لما حَقَّقْنَاهُ لِبلادِنَا بِتَكْوِينِ مُنَظَّمةٍ جَدِيرةٍ بِطَبَقَتِنَا العُمّاليّة مُبَرْهِنِينَ بذلك على قُدْرَةِ التّونسيِّ في التَّنْظِيمِ ومُواجهةِ الوَاجباتِ وَالتّكاليفِ المنْجرَّةِ عَنْ مُشَارَكَتِهِ الفِعْلِيَّةِ في حياةِ بلادِه.

لقد فكَّرْنَا مَلِيًّا في مقالٍ لِلزَّعِيمِ الاشْتِراكِيِّ دِيرَانْ أَنْقلِيفْيال (Duran-Angliviel) جاءَ فيه قَوْلُهُ باختصار. «إِنَّهُ لا يُمْكِنُ التَّفْكِيرُ في تَرْكِ الحُرِّيَّةِ لِلبلاد التّونسيّة في إدارةِ شُؤونِهَا ما لَمْ تُسَيِّرْ الطَّبَقَةُ العُمّاليّةُ التّونسيّة إدارةَ شُؤونِها بِنَفْسِهَا والدِّفاعَ عنها ضِدَّ مُسْتَثْمِرِيهَا.»

فالطَّبَقَةُ العُمَالِيَّةُ التّونسيّةُ أَقامَتِ اليومَ أَحْسَنَ بُرْهَانٍ على نُضْجِها وعلى عَزْمِهَا على الدِّفاعِ عنْ نَفْسِهَا ضِدَّ مُسْتَغِلِّيها. فهي تَمْلِكُ الآنَ مُنَظَّمةً نقابيّة تُدِيرُها بِنَفْسِها بِوثوقٍ وَعَزْمٍ يُشَرِّفانِ الحركةَ النّقابيّة العالميّة. وَمِسْيُو دِيرَانْ أَنقلِيفْيال يَسْتَطِيعُ حِينئذٍ أنْ يَطْمَئِنَّ مِنْ هذه النَّاحية، فالطّبقةُ الشَّغِيلَةُ التّونسيّة لَنْ يُقْضَى عَليها أبَدًا.

لَقَدْ حَقَّقْنَا أُمْنِيةَ مَحمَّد علي بِأَبْدَعِ طَرِيقَةٍ أَدَّتْ بالمُنَظّمةِ الفرنسيّةِ الجهويّة بتونس نفسِها آخِرَ الأَمْرِ إِلَى قَبولِ وُجْهَةِ نَظَرِنا واعْتِناقِ فِكْرَتِنَا التي دَافَعْنَا عنها دائِمًا. وانْفِصالُهَا عن المنظّمة المركزيّة الفرنسيّة لِتَكونَ هيَ بِدَوْرِهَا مُنَظَّمةً نقابيّةً تونسيّةً يُعْتَبَرُ أَبْهَرَ تَقديرٍ لِحَرَكَتِنَا. وَمِنْ أَجْلِ هذا اعْتَبَرْنَا هذا الحدَثَ نَصْرًا لِقَضِيَّتِنَا.

هَذَا وَإِنَّ حَرَكَتَنَا العُمَّالِيَّةَ لا يُمْكِنُ أَنْ تَبْقَى مُنْكَمِشَةً داخِلَ الحُدودِ التّونسيّةِ. وانْخراطُنا في الجامعة النّقابيّة العالميّة سَيَضْمَنُ لِتونسَ مَقْعَدَهَا بَيْنَ

الأمَمِ الأُخْرَى لِلعمل على تَحقيقِ الحياةِ الكريمةِ العامّة لِلطَّبقَةِ العُمّاليّةِ في العالم. غيْرَ أَنَّ العملَ اليوميَّ لمنظمةٍ نقابيّةٍ في النّطاقِ المَحَليِّ مُحْتاجٌ أَيْضًا إلى الاعْتِمَادِ على وَحدة عَمَلِ جَميعِ مُنَظّماتِ البلاد ذات الخُطوط المشترَكة في ميادينِ الحياةِ الأخرى. وَأَعْنِي بذلك توحيدَ الحركةِ النّقابيّة بشمال إفريقيا وهو مَشْرُوعٌ عزيزٌ علينا طالما حَلُمْنَا به، وَسَوْفَ لا نَأْلُو جُهْدًا في سَبيلِ تَحقيقه. ولا مَجَالَ لِلشّكِّ، يا إخواني، في أنَّ حَظَّ بلدان شمال إفريقيا الثّلاثَةِ مُشْتَرَكٌ وَوَثِيقُ الارْتِباطِ وَقَضِيّتُهَا واحدةٌ على وَجْهِ الإطْلاَقِ. وَعَلَى هذا يَجِبُ إِحْكَامُ عَقْدِ الرِّبَاطِ الأَخَوِيِّ المَتينِ الذي يَرْبُطُ بين الطبقة العُمّاليّة في الأقطارِ الثّلاثةِ في نِطاقِ جامعةٍ نقابيّةٍ شَمَال إِفْرِيقيّةٍ.

فالحركةُ النّقابيّةُ القَوِيَّةُ بَعْدُ بالجَزائرِ عليها أن تتدبَّر ظروفَ تَكوينِها في نطاق جَزائِرِيٍّ صرف. أَمّا في المغرب فإنَّ النّشاطَ النّقابيَّ لَمْ يُتَحْ له لحدّ الآن أنْ يَنْمُوَ بِصِفةٍ طبيعية بِسببِ العَراقيلِ والمَنْعِ المَضْروبِ على الحُرّيةِ النّقابيّة. غير أنَّ هذه الحرّيةَ هي على وَشَكِ الاعتراف بِها لإخواننا بالمَغْرِبِ ورجاؤنا أنْ تَزْدَهِرَ الحركةُ النقابيَّة بالمغرب على أَسَاسِ الاِسْتِقلال النّقابيِّ المَغْرِبيّ.

وهكذا يُمكِننا تَنْظِيمُ جامعةٍ نقابيّةٍ شَمال إِفريقيّة قادرةٍ على الدِّفاعِ بصفةٍ ناجعةٍ عن مَصالح الطّبقةِ العُمّاليّة في الأقطار الثّلاثةِ ذاتِ المصيرِ المُشترك. وَسَوْفَ لاَ نأْلُو جهدًا في سبيلِ تحقيقِ هذه الجامعة العَزيزة علينا بصفة خاصّة.

إنَّ الطَّبَقَةَ العُمَّاليَّةَ بشمالِ إِفْرِيقيا المنظَّمةَ في جامعةٍ نقابيّةٍ عَتيدةٍ تَستطيعُ إِعْدَادَ مُسْتَقبلٍ أَفْضَلَ بِمُسَاهَمَتِهَا مُساهمةً ناجِعة في إقامة نِظامٍ اجْتِماعيٍّ يُحَقِّقُ حَاجيات الطَّبَقة الكادحة.

وَبِقَدْرِ ما نَسْتَطِيعُ قِيَادَةَ عُمَّالنا في طريقِ الرَّفَاهِيَّةِ وَالرُّقِيِّ، وبقدرِ مَا نفْرِضُ احترامَ حقُوقنا وَنعرفُ انْتِهاجَ وَاتّباعَ الطّريقِ الموصلةِ إلى تحقيق مَطَامِح ورَغباتِ

طبقةٍ عُمَّاليَّةٍ شاعرةٍ بِحُقوقِها وواجباتِها، نَكونُ جَديرينَ بالثِّقَةِ التي مَنَحَتْهَا إيانا هذه الطّبقةُ العاملة.

نَحْنُ نُؤمِنُ حقًّا بأَنَّنا نَخْدِمُ قَضِيَّةَ الحركةِ النَّقابيّةِ العالميّةِ بِتَنظيم صُفوفِ عَمَلَةِ بِلادِنا تَنْظِيمًا مُحْكَمًا وإِقناعِهم بروحِ الكِفاح لِيقعَ تقديرُ العملِ التّقديرَ الحق وحتى يكون له مكانتُهُ الكامِلةُ في حياة المجتمع. وهكذا نُعَبِّرُ عن حَيَويّةِ طبقتنا العُمّاليةِ وَنُضْجِهَا وعن إِرادتِها لأن يكون لها نَصيبُها العمليُّ الفَعَّالُ في الثَّورةِ الاِجْتِماعِيّةِ ببلادنا. ولنا اليقينُ بأنّنا نُساهم هكذا في تَوْفيرِ السَّعادةِ لشعبنا بانسجامٍ كامل مع الطبقة العُمَّاليَّةِ في العالم قاطبة. وإِنَّ الكفاحَ الموحَّدَ الذي يقوم به عُمَّالُ العالَم والرَّامي إلى الرَّفاهةِ العامّةِ وانتصارِ الطّبقة الكادحة في ميدانيْ الاِجتماع والاقتصاد والهادف إلى إقرار الحريّة التي ما انْفَكَ أَهْلُ الأرض يُضَحُّونَ في سبيلها بحياتهم، كلُّ ذلك يُمَثّلُ خَيْرَ ضَمانٍ لِديمقراطيّةٍ عالميّةٍ حقيقيّة في عالَم مُبَرَّإٍ من بُذُورِ الحَرْبِ، تَسُودُهُ دائما العدالةُ الاجتماعيّةُ، ويكون فيه للعملِ حُرْمَتُهُ والحظُّ الذي يَسْتحقُّه.

وعِندئذٍ يُمكن لنا أَنْ نَنْعَمَ بِسِلْمٍ نهائيّةٍ في كَنَفِ أَكْمَلِ احْتِرَامٍ للذّاتِ البشرّية، وتَتَوَقَّفُ فيها المصلحة الخاصّة أو مجموعات المصالح الخاصة على اعتبارِ الصّالح العامّ.

الطُّفولةُ البائِسَةُ

نُشِرَ بجَرِيدة «الحُرِّيّة» بِعَدَدِ 39 (2 جانفي 1948)

إِنَّهُ لَمِنْ دَواعي الحَسْرَةِ وَاللَّوْعَةِ وَمَنْ أَعْظَمِ النَّكباتِ التي تُصيبُنا في صَميم حياتِنا ومُستقبَل بِلاَدِنَا وكِيانِنا القَوميّ ما نُشاهِدُهُ يوميًّا من شراذِمِ أَبنائِنَا المُتشَرِّدِينَ وأَطْفَالِنَا التُّعَساءِ الذين يَهيمون بِشوارعِ البلادِ ويَجوبون الطُّرُقاتِ طُولاً وَعُرْضًا لِلبَحْثِ عن شَيْءٍ من القُوتِ يَسدُّون به الرَّمَقَ أو ما يَتَّقُونَ به شِدَّةَ البَرْدِ.

فَتَرَاهُمْ زُرافاتٍ وَوحْدانًا لا مَقَرَّ لهم وَلاَ مَأْوى، يَعيشونَ عِيشَةَ الحَيوانِ السَّائح في الصَّحْراءِ يَلْتَقِطُونَ الفَواضِلَ وَيَلْتَمِسُونَ الرَّحْمَةَ مِنْ ذَوي القُلُوبِ الشَّفوقَةِ، ويُلاقونَ أَنْواعَ الإِهاناتِ، يُقاسونَ المَذَلَّةَ، لاَ مُرْشِدَ لهمْ ولا مُساعِدَ وَلاَ نَصِير.

يَتَصَادَمُونَ مع صعُوبَةِ الحياةِ فَهُمْ مَدْفوعُونَ في غِمارِ المعارِكِ، ويَذْهبونَ ضَحِيَّةَ الإِهْمال، نَصِيبُهُمُ السِّجْنُ لِبَعْضِ ما ارْتَكَبُوا مِنَ الهَفَواتِ في سَبِيلِ الدِّفاعِ عنْ أَنْفُسِهم مِنْ شَرِّ الجُوعِ والاِحْتِياجِ، ومَصِيرُهُمْ إِلى الشَّقاءِ فالفَناء.

وَهَؤُلاءِ الأَطفالُ الذينَ لا ذَنْبَ لهم سِوى أَنَّهُمْ وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ في هَذِهِ الدُّنيا لا أَوْلياءَ لهم ولا مَنْ يَسْهَرُ على مصيرِهم، فهم غيرُ مسؤولين عن الحالةِ التي يَتَخَبَّطون فيها، وَرُبَّمَا أَحْوَجَتْهُمُ الضَّرُورَةُ إِلى الاِعْتِداءاتِ على غَيْرِهِمْ فيكونونَ بذلك خَطَرًا على المُجْتَمَع. وَهَلْ مِنْ ذَنْبٍ على مَنْ يَبْحَثُ عمَا يَقْتَاتُهُ وَيَسُدُّ بِهِ الرَّمَقَ عِنْدَمَا يُشْرِفُ على الهَلاَكِ بِسَبَبِ الجُوعِ والفاقة.

قُلْنَا إِنَّ العَدَدَ الوَافِرَ مِنْ هَؤُلاَءِ الأطفال يِمْلَؤُونَ الشَّوارِعَ وَالحارَاتِ بِجَميعِ المُدُنِ وَالبَوَادِي. فَمِنْهُمْ مَنْ يَعِيشُ بالتَّسَوُّل، وَمِنْهُمْ مَنْ يُزَاحِمُ الكَلْبَ وَالقِطَّ في تَفتِيش القَاذورات لِلبَحْثِ عن بَقايا المَوائِدِ والمَطابِخ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْتَرِفُ تلْميعَ الأَحْذِيَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيءٍ من ذلك. تَرَاهُمْ عُرَاةً حُفَاةً كأَسْرَابِ الوُحوشِ الشَّارِدَةِ يُقاسون عَذَابَ البَرْدِ مِمَّا تَتَفطَّرُ لَهُ الأَكْبَادُ وَتَقْشَعِرُّ منه الجُلود.

وَلَكِنْ لاَ نُرِيدُ بهذا المَقال إِثَارَةَ العَوَاطِفِ وَالحَنَانِ وَالشَّفَقَةِ، ذَلكَ أَنَّ المَشَارِيعَ في إِنْقَاذِ البُؤَساء وَدَفْع الخَصَاصَةِ عَن الكَثِيرِ مِنْهُمْ إِنَّمَا هِيَ قَائِمَةٌ بِالوَاجِبِ الخَيْرِيِّ الذي يُلاَقِي مِنْ شَعْبنا الكَرِيم كُلَّ عِنايَةٍ وَكُلَّ اهْتِمام. وهذا العَمَلُ الإِسْعافِيُّ لا غَايَةَ له ولا يَرْمِي إِلاَّ لِوِقايَةِ البَعْضِ مِن المُعْوزِينَ مِنْ شَرِّ الفَقْرِ، فَهِي تَأْوِي الفُقَراءَ وَتُطْعِمُهُمْ رِجالاً ونِساءً وَأَطْفَالاً وَتقومُ بتَعْليم العَدَدِ الوافِرِ مِنْ هؤلاء التُّعَسَاءِ.

فَلاَ يَسَعُنَا إِذَنْ إِلاَّ أَنْ نُثْنِي على المُحْسِنينَ وَأَنْ نَشْكُرَ سَعْيَهُمَ المحمودَ. وَلَكِنْ هَلْ يَقُومُ الشَّعْبُ بِكُلِّ وَاجِبَاتِهِ نَحْوَ الطُّفُولَةِ البَائِسَةِ! وَهَلْ يَشْعُرُ بِتَقْصِيرٍ عَظِيمٍ في هذا المِضْمار! إِنَّ المشاريعَ الإِسْعَافِيَّةَ التي تَبْذُلُ الجُهْدَ في إِطْعَامِ الجِيَاعِ لَأَمْرٌ ضَرُورِيٌّ يَتَطَلَّبُ مَجْهُودًا كبيرًا خُصُوصًا إِذَا اِعْتَبَرْنَا الطَّبَقَةَ الشَّعْبِيَّةَ الهائِلَةَ التي لاَ يُمْكِنُهَا مَعَ الأَسَفِ المُشاركةُ الفِعليّةُ في هذا الميدانِ لِمَا تُلاَقِيهِ هيَ أَيْضا مِن عَقَباتٍ في حَياتِها نَظَرًا لِصعوبةِ الحالةِ الرَّاهِنةِ.

وَلَكِنَّ إِطْعَامَ المَساكِينَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بابِ الإِسْعافِ الإِنْسانِيّ والحَنَانِ الأَخَوِيِّ الذي تَفْرِضُهُ الإِنْسَانِيَّةُ وَيُحَتِّمُهُ الوَاجِبُ القَوْمِيُّ على كُلِّ مَن اسْتَطاعَ. وَهَذَا لاَ يَكْفِينا اليومَ وَنَحْنُ أَمَامَ مُشْكِلٍ لَيْسَ مِنَ المشاكِلِ النَّاشِئَةِ عَنْ وُجُوبِ الإِسْعافِ فَحَسْبُ بَلْ نَحْنُ اليومَ أَمام خَطَرٍ جَسِيمٍ يُهَدِّدُ كِيانَنا وَيُنْذِرُ بالوَيْلِ مَصِيرَ بِلاَدِنَا ومُسْتَقْبَلَنا الذي لا يُمْكِنُ فَصْلُهُ عَنْ مُسْتَقْبَلِ أَبْنَائِنَا الذينَ سَيُقام

على كَاهِلِهِمْ غدًا مُسْتَقْبَلُ الوَطَن نَفْسِهِ. أَفَهَلْ يَجوزُ لَنَا أَنْ نَتْرُكَ عَشرات الآلاَفِ يَخُوضونَ بَحْرَ الزَّوابِعِ التي تُحِيطُ بهم مِنْ كُلِّ جانبٍ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهم خَاسِرون لاَ مَحالة ؟

وَهَلْ يَجْدُرُ بنَا أَنْ نَتْرُكَهُمْ وَشَأْنَهُمْ بعد ما تَرَكَهُمُ الاِسْتِعمارُ بِدُونِ تَعْليمٍ ولا تَرْبيَةٍ وَلاَ وَسائِلَ تُمَكِّنُهُمْ مِنَ الحَياة ؟

وَهَلْ نَظُنُّ لَحْظَةً واحدةً أَنَّنَا نُحَقِّقُ لِبلادِنَا السَّعَادةَ قَبْلَ التَّحْرِيرِ أَوْ بَعْدَهُ مَا دامَ الجَيْشُ الجَرَّارُ من أَبْنَائِنَا مَنْبُوذًا وخارِجًا عن حَظِيرَةِ الجِهَازِ القَوْمِيِّ الذي لاَ نَظُنّ أَحَدَنَا يُؤْمِنُ بالنَّصْرِ وَيَعْتَقِدُ فَوْزَ قَضِيَّتِنَا ما دامَ غير مُقْتَنِعٍ بِوُجُوبِ إِنْقَاذِ النَّاشِئَةِ البَائِسَةِ من الهلاك، إِذْ أَنَّ نَاشِئَةَ اليوم تَكُونُ لنا رِجالَ الغدِ والأغلبيةُ السَّاحِقَةُ مِنْ نَاشِئَتِنا مُهَدَّدةٌ الآنَ بالفناء والدَّمار ؟

فَحينئذٍ يَتَّضِحُ لَنا الطَّرِيقُ الذي يَجِبُ أن نَسْلُكَهُ إِذا أَرَدْنَا تَدارُكَ الأَمْرِ قَبْلَ الفَوات. قُلْنَا إِنَّ المَسْأَلَةَ لَيْسَتْ مسألةَ إِثَارَةِ عَاطفةٍ أَوْ حَنانٍ بَلْ هِيَ قَضِيَّةٌ مِنَ القَضايا التي تَتَحَتَّمُ عَلَيْنَا مُعالَجَتُها مُعالَجَةً ناجعةً سَرِيعةً لِما فيها مِنْ خَطَرٍ عَلَى مُسْتَقْبَلِنا فَضْلاً عَنِ الوَصْمَةِ السَّوْدَاءِ التي تُلَطِّخُ جَبِينَنا ما دُمْنَا رَاضِينَ عَنِ الحالةِ الرَّاهِنة.

وَلَقَدْ سَبَقَ أَنْ قُلْنَا في مُنَاسَباتٍ عَديدةٍ أَنَّ اسْتِقَامَةَ الأُمُورِ لا تَحْصُلُ بالتَّذَمُّرِ والتَّشَكِّي والبُكاءِ خصوصًا أَنَّ الذي نُوَجِّهُ إليه شَكْوَانا هو الدَّاءُ نَفْسُهُ الذي نشْتَكِي منه، وَهُوَ سَبَبُ أَمْرَاضِنَا الفَتَّاكَةِ. وَإِذَا أَرَدْنَا عِلاَجَ أَمْراضِنَا فَلْنُبادِرْ بِالعَمَلِ. وَإِنَّهُ لَفِي اسْتِطاعَتِنا وفي مَقْدُورِنَا وَمُتَناوَلِ أَيْدِينا إِنْقاذُ شَبَابِنا وَأَطْفالِنَا البُؤَسَاءِ من هُوَّةِ الاضْمِحْلاَلِ مَادِّيًّا وأَدَبِيًّا.

نَعَمْ يَجِبُ أَنْ نَكُفَّ عن المُطالَبَةِ فَقَطْ بتَكْوِينِ المَدَارِسِ لاَ لِكَوْنِنَا غير مُقْتَنِعِينَ بِمَشْرُوعِيَّةِ هذا الطَّلَبِ ولكنْ لِعِلْمِنَا أَنَّ مَطْلَبَنَا هذا تَضْرِبُ بِهِ الإِدارة

عَرْضَ الحَائِطِ. وَالسَّنَواتُ تَتعاقَبُ وَالوَقْتُ ثَمِينٌ نُضَيِّعُهُ فِي المُطالَبَةِ الفارِغة بَيْنَمَا الخُصُومُ يُثَبِّتُون أَقْدَامُهُمْ كُلَّ يَوْمٍ وَيَصْعَبُ عَلَيْنَا مُقَاوَمَتُهم مَا دُمْنَا هَكذَا على هاتِهِ الصِّفَةِ. فَلْنُشَيِّدْ بِأَنْفُسِنَا مَدَارِسَنا القَوْمِيَّةَ الشَّعْبِيَّةَ.

فَفِي شَعْبِنَا القُوَّةُ الكَافِيَةُ لِتَشييدِ صَرْحِ مُسْتَقْبَلِه بِيدِهِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى ثَبَاتِهِ وَعَلَى ثِقَتِهِ فِي مَصِيرِهِ وَفِي سَعَادَةِ وَطَنِهِ. وَلْيُشَمِّرْ عَلَى سَاعِدِ العَمَلِ المُجْدِي وَلْيَفْتَحْ بِيَدِهِ البابَ المُغْلَقَ أَمَامَهُ. وَلْيُرَسِّخْ أَقْدَامُهُ وَعَزْمَهُ على بُلوغِ غَايَتِهِ. يَجِبُ أَنْ تَتَكَوَّنَ مَثَاوِي لِلطُّفُولَةِ البَائِسَةِ. وَتِلْكَ المَثَاوِي لَيْسَتْ مُعَدَّةً لِلطَّعام واللِّباسِ فَقَطْ، بَلْ سَتَكُون مَدارِسَ تَهْذِيبِيَّةً أَخْلاقِيَّةً صِنَاعِيَّةً يَتَخَرَّجُ مِنها الطِّفْلُ البائِسُ المُنْحَطُّ والذي هُوَ الآنَ عُرْضَةٌ لِلفَسَادِ وَالطَّيْشِ والدَّنَاءةِ وَالجريمَةِ، يَتَخَرَّجُ مِنْ مَدَارِسِهِ الشَّعْبِيَّةِ شَابًّا مُهَذَّبًا له أَخلاقٌ طَيِّبَةٌ وَمَعْلُومَاتٌ لائِقَةٌ فِي الفنِّ الصِّناعيِّ تُؤَهِّلُهُ لِلقيامِ بِأَجَلِّ الأَعْمَالِ لِفَائِدَةِ بِلادِهِ المُحْتَاجَةِ كُلَّ الاِحْتِيَاجِ إلى اليدِ العَامِلَةِ الاِخْتِصَاصِيَّةِ لِتَجْهِيزِها الصِّنَاعِيِّ العَصْرِيِّ وَوِقَايَتِهَا مِنْ اسْتِجلاب جُيُوشِ العُمَّالِ الأَجَانِبِ الذين يَزِيدُونَ فِي مِحْنَتِهَا وَيُكْثِرُونَ البِطَالَةَ فِي صُفوفِ أبناءِ البلادِ.

تلك هِيَ الغايَةُ التي يَجِبُ أَنْ يَلْتَفِتَ إليها الجميعُ وأنْ يَهْتَمَّ بِها كافَّةُ الشَّعْبِ لأَنَّ فِي نَجَاحِها فَوْزَ الجَميعِ وَفِي إهمالِها خيبةَ المَسْعَى.

فَرْحَات حشّاد



السبت ٢٥ ربيع الثاني ١٣٦٧ الموافق ٦ مارس ١٩٤٨ — العدد ٢ — ثمن النسخة : ٨ فرنكات

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا (عمر بن الخطاب)

الحرّية

جريدة اسبوعية سياسية حرّة

الشعب التونسي يموت جوعا

(بقية ما بالعدد الماضي)

والآن فبعد ان انتزعت معظم موارد الثروة، الفلاحة. التجارة. الصناعة. من التونسيين، فاصبح معظمهم عملة بأجر زهيد. فقد بقيت ناحية اخرى هامة تعد من اعظم العوامل والاسباب في فقر التونسيين [illegible] الى الاجانب وهي « الجباية » [illegible] في وضعها الى مكامن الثروة [illegible] الاموال بل ينظر الى ناحية تعداد الناس. فشركة مثل شركة صفاقس قفصه التي تعد من اعظم الشركات واغناها واربحها والتي تسيطر على مساحة كبيرة من اراضي الجنوب التونسي ولها خط حديدي من قفصه الى صفاقس وتشغل معظم مناجم الفسفاط تكاد تعفى من الضرائب وكذلك معظم الشركات الاخرى بل ان بعضها ياخذ اعانات كبرى من الميزانية التونسية تبلغ مئات الملايين، في حين ان توظف الضرائب الباهضة على مواد الاستهلاك الضرورية لعيش السواد الاعظم من التونسيين الفقراء المحاويج كالملح والتبغ والشاي والسكر ومعاليم التسجيل وغيرها مما يتناول رؤوس الناس الذين اكثريتهم الساحقة من التونسيين، ثم من الجهة الاخرى فان معظم المجتمع من هذه الضرائب لا يصرف في مصالح البلاد العامة كتحسين الجهاز الاقتصادي لتوفير الانتاج وتيسير المواصلات، او نشر التعليم وتيسير سبل الثقافة، او العناية بالصحة العامة والوقاية من الامراض ومقاومة المتوطن منها بالخصوص كحمى المستنقعات والرمد. فهذه الامور الهامة والتي هي من الوظائف الرئيسية للحكومات ليس لحكومة الحماية الفرنسية اي اهتمام بها واذا عملت شيئا من ذلك كمد بعض السكك الحديدية وتعبيد بعض الطرقات او فتح بعض مدارس وبعض مستشفيات، فلا يكون ذلك في الغالب إلا لاغراض سياسية استعمارية بحتة، فمد الطرقات مثلا واقامة مراكز البريد لا ينظر فيه اصالة إلا لمصلحة المعمرين

(البقية على الصفحة ٤)

بين « الحرية » و « لابتاي »

بورقيبه هو بورقيبه

نشرت جريدة « لابتاي » المعروفة بنزعتها الاستعمارية فصلا تحت عنوان مستقبل مراكش. اقتطفنا منه ما يلي :

« ان الوطنيين الافارقة يعدون العدة لتهيئة جو جديد للمطالبة باستقلالهم التام. وهذا الاستقلال سيكون المغاربة هم اول ضحاياه تمهيد هذيان طويل في شان مكتوب السلطان وموقف الجنرال جوان منه قالت « ان ارتباك الحالة بشمال افريقيا يرجع الى ضعف فرنسا وانقسام شعبها وتكاثر الاضرابات فيها اذ الحالة في افريقيا مرتبطة بالحالة في فرنسا وكلما استقر الامر بام الوطن ضعف تاثير هؤلاء الوطنيين وقد صارحنا احد المسلمين بان السلطان عندهم هو الملك والقوة. نعم نعم المال والقوة لا يقهران حقا ولكن وآسفاه فقد خسرناهما معا في علاقاتنا الدولية وان كنا قد احتفظنا بقوتنا بالنسبة للمشكلة العربية — ان الحجاج الذين نقلتهم

(البقية على الصفحة ٢)

ترومن بين امرين

اما خسارة الحكم او ضياع البترول العربي

لقد علمت امريكا الآن وبعد ان سبق السيف العذل انها قد اخطأت في سياستها عندما صوتت لتقسيم فلسطين وانها إن تمادت في سياستها هذه فستخسر البترول العربي

اذن فماذا تستعمل الآن وقد تفاقم امر هذا المشكل وبات رجال السياسة والحرب في قلق كبير. اتتراجع وتعادي اليهود ام تتمادى في منهاجها الاول ؟ هذا هو المشكل. لكن علينا ان نعلم ان ترومن ليس هو الشعب الامريكي وما اليهود إلا اقلية ضئيلة لا تتجاوز خمسة ملايين من مجموع سكان الولايات المتحدة وقد اصبحوا الآن غير محبوبين عند هؤلاء. اذ قد دلت الاستجوابات التي وقعت في الجيش الامريكي بالمانيا على ان ٢٢ في المائة من رجال الجيش يرون ان هتلر كان محقا في استئصاله اليهود وفي امريكا نفسها يمنع اليهود من الدخول الى اهم دور اللهو والنزهة من ذلك معهد « ميامي » وتستعمل النوادي الكبرى كل الحيل لابعادهم من حظيرتها

وكذلك فلا صحة لما يقال من ان اليهود يسيطرون على الدولة بصحافتهم واموالهم وصناعتهم وبصفة عامة بالذهب — حيث ان (الدايلي تلغراف) وهي اكبر جريدة في العالم ليست بايديهم وكذلك « شان » و « ناسيونال » و « هيباراست » و « هوماد » و « سليف » و « سائبواردي »

قرب تحول المعارك

في فلسطين

الى حرب دولية بين العرب واليهود

توطيد الكتلات الدولية

[illegible]ـدادا للحرب الثالثة... — من تشيكوسلوفاكيا... الى الارجنتين...

ومن فلسطين... الى اندونسيا...

ينهمك اليوم المعسكران، الروس والانكلوسكون في تدعيم كتلاتهم الدولية التي يسيطرون عليها وتوطيدها استعدادا لليوم العظيم الذي اصبح لا مفر منه، يوم الاصطدام الرهيب، يوم الحرب العالمية الثالثة...

انقلاب تشيكوسلوفاكيا

صورةٌ لجريدة «الحرّية»

التَّجْهِيزُ الصِّنَاعِيُّ

نشر بجريدة «الحريّة» بعَدَدِ 33 (14 نوفمبر 1948)

التَّجْهِيزُ الصِّنَاعِيُّ بَابٌ مِنْ أَبْوابِ الازْدِهَارِ لِكُلِّ بِلادٍ من بُلْدَانِ العالَم وَوَسِيلَةٌ مِنْ الوَسَائِلِ الرَّئِيسِيَّةِ لِلتَّقَدُّمِ الاجْتِمَاعِيِّ.

وَالتَّجْهِيزُ الصِّنَاعِيُّ هو الذي يُمَكِّنُ الأَقْطَارَ التي لها مَوَادُّهَا الأَوَّلِيَّةُ من الاِسْتغناءِ عن الالْتِجاءِ إلى الأَقْطَارِ الأُخْرَى لِتَوْرِيدِ البَضَائِعِ وَالآلاَتِ اللاَّزِمَةِ لحياتِهَا.

والتَّجْهِيزُ الصِّنَاعِيُّ هو الذِي يَجْعَلُ اليَدَ العَامِلَةَ تَتَمَتَّعُ بِالتَّفَنُّنِ الصِّنَاعِيِّ حَسَبَ حاجياتِ البلادِ وما تَتَطَلَّبُهُ مِنْ نَشَاطٍ في جَمِيعِ الميادين. وَالتَّجْهِيزُ الصِّنَاعِيُّ هو الذِي يُمَكِّنُ البلادَ مِنْ اسْتِقْلالِهَا الاقْتِصَادِيِّ الذي هو الشَّرْطُ لِكُلِّ اسْتِقْلالٍ حَقِيقِيٍّ.

وَلِأَجْلِ ذَلِكَ نَرَى النِّظَامَ الاِسْتِعمارِيَّ يَحولُ دُونَ تَحْقِيقِ هَذِهِ الرَّغْبَةِ الطَّبِيعِيَّةِ التي طَالَمَا عَبَّرْنَا في مُخْتلَفِ المُنَاسبَاتِ عَنْ تَعلُّقِنَا بها لما لها مِنَ الأَهَمِّيَّةِ الكُبْرَى بِالنِّسْبَةِ لِلأُمُورِ الأَصْلِيَّةِ التي يَتَوَقَّفُ عليها مَصِيرُنَا.

فَنُشَاهِدُ اليَوْمَ - وَقَدْ مَضَتْ على بلادنا عَشَرَاتُ السنِينَ وهي خَاضِعَةٌ لِنِظَامِ الاِسْتِعْمَارِ الرَّأْسمالي - أَنَّ مَوَادَّنَا الأَوَّلِيَّةَ سَواءٌ كانت مَعْدَنِيَّةً أَوْ غَيْرَهَا تُبَاعُ في الخارجِ على حَالَتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ لِفَائِدَةِ أُولَئِكَ الذينَ يَسْتَثْمِرونَ اسْتِخْرَاجَهَا وَنَحْنُ مُحْتَاجُونَ إلى غَالِبِ الأَشْيَاءِ التي تُصْنَعُ بِوَاسِطَةِ تلك المَوَادِّ.

فَنَحْنُ نُصَدِّرُ إلى الخارج مَعْدَنَ الحَديدِ، ثُمَّ نَشْتَرِي مِنَ البُلْدَانِ الأَجْنَبِيَّةِ جَمِيعِ ما نَحْتَاجُ إليهِ من الموادِّ الحَدِيدِيّة. وَنحْنُ نُصَدِّرُ الحَلْفاءَ إلى الخارِجِ بيْنَمَا نَحْنُ في حاجَةٍ أَكِيدَةٍ إلى مادَّةِ الوَرقَ.

كَما نَحْنُ نُصَدِّرُ الرَّصَاصَ وَالقَصْدِيرَ وَغَيْرَ ذلك وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَسْتَعْمِلَ إلاَّ البضائِعَ المَصْنُوعَةَ بالخارج لِقضاء شُؤونِنَا الاعْتِيادِيَّة.

وَمعَ ذلك فَإِنَّ شَبَابَنَا يَتَسَكَّعُ في الطُّرُقَاتِ بِدُونَ. شُغْلٍ ولا تَعْلِيمٍ صِنَاعِيٍّ وَلاَ عَمَلٍ صَالِحٍ لِفَائِدَةِ تَجْهِيزِ بلاَدِهِ.

أَمَّا الشَّرِكَاتُ الأَجْنَبِيَّةُ التي انْتَصَبَتْ لاِسْتِغلاَلِ مَوادِّنَا الأَوَّلِيَّة فَإِنَّهَا تَسْتَخْدِمُ عادةً اليدَ العامِلَةَ غَيْرَ التُونِسِيَّةِ ما عدَا العُمَّال البُسطاء لِحَمْلِ الأَثْقَالِ.

وَنُلاحظُ أَنَّ الدُّوَلَ التي تَرْمِي إلى إِسْدال نُفوذِهَا السّياسيّ على الأَقْطَارِ الأُخْرَى تُبَادِرُ بِجَعْلِ تلك الأقطار مَدينةً لها في شُؤونِها الاِقْتِصاديّة الحيويّة إذ بالتَّسَيْطُرِ على النّاحيةِ الاقْتِصَادِيَّةِ يُمَهِّدُ الطَّرِيقُ لِلاسْتِحْوَاذِ على النُّفُوذِ في بقيّة الميادين، وأَوَّلُها الميدانُ السّياسيُّ.

وهذا هو السَّبَبُ الذي جَعَلَ الشُّعُوبَ وَالدُّوَلَ الأُورُوبيّةَ الغَرْبِيَّةَ تَتَطَاحَنُ وَتَتَشَاجَرُ في شَأْنِ مشروعِ مَرْشَالْ لما فيه من خَطَرٍ على السِّيادة القوميّةِ بالنِّسبة للبلدان التي يَشْمَلُهَا هذا المشروعُ.

ثم إِنَّنَا نُلاَحِظُ أَيْضًا أَنَّ الدُّوَلَ التي تُرِيدُ امْتِلاَكَ الأقطار الأُخرى لا تَسْمَحُ لِتلكم الأَقاليم بِإِعْدَادِ بَرَامِجَ لِتَجْهِيزها الصّناعِيّ خَوْفًا مِنْ مُقَاوِمَتِها لها من ناحيةِ تَرْوِيجِ المَصْنُوعَاتِ إِذْ أَنَّ الأقطارَ المَغْلُوبَةَ على أَمْرِهَا إِنَّمَا هي في غالبِ الأَحْيَانِ عِبارةٌ عنْ أَسْوَاقٍ مَفْتُوحَةٍ لِبضائعِ المُسْتَعْمِرِينَ وَمَتَابِعَ للمَوادّ الأَوَّلِيَّة.

فَمَا بَالُنَا لا نَهْتَمُّ بِهذه النّاحِيَةِ العَظِيمَةِ مَن الأُمُورِ الحيويَّة ونَتْرُكُهَا لِلغيْر يُدِيرُهَا حَسَبَ مَصْلَحَتِهِ وَيُضَيِّقُ بها على حُرِّياتنا الاقتصاديّة التي هي بابٌ من أبواب الاِستقامةِ القومِيَّةِ وَالتَّقدُّم الحَقِيقيّ وَالرُّقِيِّ الفعَّالِ.

وما بالُنا نَنْظُرُ بعَيْنِ المُتفَرِّجِ إلى الآلات المِيكانيكيّة تأْخذُ مكَان العُمَّال بالفِلاَحَةِ وَغيرها وَتزيدُ في بُؤْسِنَا وَتَعَاسَتِنَا بَيْنَمَا لم تُصْنَعْ تلك الآلاتُ في بلادنا ولم تَسْتَعْمِلْ يَدَنا العامِلَة.

وما بالُنَا نَتَغَافَلُ عَنْ مسْتَقْبَلِنَا الصِّنَاعِيّ فلا نَتَّجِهُ بِبرْنَامج كاملٍ لِلقَضاءِ على هذا الضُّعْفِ المَلْمُوسِ الذي قَدْ يُمَكِّنُ خُصُومَنَا مِنْ خَنْق طُرُقِ الحياة في وجهنا حتّى لا يَبْقَى لنا أيُّ سِلاَحٍ نَخُوضُ به مَعْمَعَةَ الكِفاحِ الاقْتِصَاديّ ونأخذُ به نَصِيبَنَا في هذه المعركة الحاسِمة.

وَهَلْ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نتَغَافَلَ عَمَّا يُحاكُ حَوْلَنَا من الأَدْوَارِ المُخْتَلِفَةِ التي تُعَطِّلُ نشاطَنا الاقْتِصادِيَّ وَالصِّناعيَّ حَتَّى نَجِدَ أَنْفُسَنَا أمامَ الأَمْرِ المَقْضِيّ مَكْتُوفِي الأيَادي مُجَرَّدِينَ مِنْ ثَرْوَاتِنَا وَأَرَاضِينا وَمَعَامِلِنَا وَمَنَاجِمِنَا وَكافَّةِ أسبابِ عَيْشِنَا.

يَجِبُ أنْ نَفْهَمَ مَعْنَى الازْدِهارِ الحَقِيقيّ الذي لا يَقْتَصِرُ على تَوْفِيرِ الإِنْتَاجِ، لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يكونَ الازدهارُ شَامِلاً لكافَّةِ طَبقات الشَّعْبِ وَخاصَّة الطبقة العاملة التي هِيَ السَّوَادُ الأَعْظَمُ من الأُمّة.

وَكَيْفَ نَصِلُ إلى ذلك الازْدِهَارِ مادُمْنَا مُعْتَبرينَ ببلادنا كالغُرَباء لاَحَظّ لَنا ولا حَقَّ في تدبير شُؤوننا الحَيَوِيَّةِ! وإذا كانتِ الحُكُومةُ تُضَيِّقُ علينا الخِناقَ فَهَلْ منَ المَعقُولِ أَنْ نَقْبَلَ الحالةَ التي يُرِيدُونَ فَرْضَها علينا! وَهَلْ يَتَقَدَّمُ شَعْبُنَا في ميادين نَشَاطِهِ إلاّ بالكِفاحِ وَافْتِكاكِ حقوقِهِ المُغْتَصَبَة!

وخلاصةُ القَوْلِ إِنَّنَا نُؤَكِّدُ أنَّ تَجهِيزَ بِلاَدِنا الاِقتصاديَّ هو الذي يَضْمَنُ لِلشَّعْبِ حياةً سَعِيدةً فَيَجْعَلُنَا نُنْتِجُ مَوَادَّنَا وَنَسْتَخْدِمُهَا حَسَبَ حاجِياتِنا القوميّةِ،

وذلك بِجُهود عُمَّالِنا وَفَنِّيِّينَا وَمَعامِلِنَا. وَبذلكَ نَكُونُ قد حَرَّرْنَا نَفْسَنَا من قُيُودِ الاِسْتعمارِ اقتصاديًّا لِنُحَطِّمَ بذلك أَعْظَمَ رُكْنٍ من أَرْكَانِ الإِمْبراطُورِيّة التي نُقَاسِي مرارةَ سَيْطَرَتِهَا.

فَرْحَات حشّاد

لِماذا نُقاومُ الاسْتعمار؟

نشر بجريدة «الحرِّيّة» بِعَدَدِ 37 ـ في 19 ديسمبر 1948

تَعَوَّدَ النَّاسُ بلَفْظَة «الاسْتِعْمار» فَيَنْعَتُهُ البَعْضُ بالغاشِمِ وَالبَعْضُ الآخَرُ بالمَقُوتِ. وَيَكْفِينَا نحْنُ أَنْ نَسمِّيه باسْمِهِ وَفِي ذلكَ كِفَايَةٌ لِلسُّخْطِ وَالاسْتِنْكَارِ. فَالبَشَرِّيَّةُ تُقَاومُ الاسْتِعْمَارَ، وَالشُّعُوبُ الحُرَّةُ تُقاومُ الاستِعْمارَ، وَكُلُّ رَجُلٍ مُتَشَبِّعٍ بالإيمَانِ وَالمبادئِ الإنْسانِيَّةِ لاَ يَقْبلُ وَلَنْ يَقبلَ أَبَدًا وَلاَيَرضَى مُطْلَقًا بوجُودِ الاسْتِعْمَارِ بأَيٍّ قُطْرٍ من أقطارِ العالَم. وَنُقاوِمُ نَحْنُ الاسْتِعْمَارَ ببلادِنا وَنَقِفُ إلى جانِبِ كافَّةِ الشُّعُوبِ التي تُحارِبُهُ وَتَعْمَلُ لِقَطْعِ دَابِرِهِ، نُؤَيِّدُ كُلَّ مَنْ يَقُومُ بكِفاحٍ مَا فِي سَبيلِ تَحْطِيمِهِ وَسَحْقِهِ.

إنَّ الاسْتِعْمَارَ لَهُ أَنْواعٌ مُخْتَلِفَةٌ وَأَلْوَانٌ مُتَعَدِّدَةٌ. وَنَحْنُ نَشْهُرُ عَلَيْهِ سِلاَحَ العُدْوَانِ مَهْمَا كانتِ الصِّفَةُ التي يَظْهَرُ عليها وَمَهْمَا كانَتِ الطُّرُقُ المُزَيَّفَةُ التي يُحَاوِلُ بها البَقَاءَ بَيْنَ ظَهْرَانِينا.

فَالاسْتِعْمَارُ - وَهو ذلك الدَّاءُ الفَتَّاكُ الذي جعَلَ الملايينَ مِنْ عبادِ اللَّهِ تَخْضَعُ لِحُكْمِ الأَفْرَادِ بوَاسِطَةِ القُوَّةِ المادِّية الغاشِمَةِ التي لاَ تَرْتَكِزُ إلاَّ على الظُّلْمِ وَالاستِبداد - هوَ ذلك المَرَضُ الذي ابْتُلِيَتْ بهِ شُعُوبٌ مُتَعَدِّدَةٌ فَأَصْبَحَتْ بذلك تَئِنُّ تَحْتَ السَّيْطَرَةِ لاَحَقَّ لَهَا في الحَيَاةِ إلاَّ حياةَ المَذَلَّةِ وَالهَوان.

وَالاسْتِعْمَارُ يَعْمَدُ فِي المَيْدَانِ السّياسيّ إلى القُوَّةِ المُسَلَّحَةِ لِفَرْضِ إرادَتِهِ، وَيَعْمَدُ أَيْضًا إلى الزُّورِ وَالمكْرِ وَالخِدَاعِ لِيُظْهِرَ لِلعالَمِ حَسْنَ نِيَّتِهِ وَاسْتِعْدَادَهُ لِلنُّهُوضِ بِالبلادِ التي اسْتَحْوَذَ عليها إلى المُسْتَوَى الذي تَفْرِضُهُ الإنْسَانِيَّة.

فِي المَيْدَانِ الاقْتِصَادِيِّ يَقُومُ الاسْتِعْمَارُ بِعَمَلِيَّاتٍ مُدَبَّرَةٍ تَرْمِي إِلى انْتِزَاعِ كُلِّ ما كَسَبَتْ يَدَا الشَّعْبِ المُسْتَعْمَرِ حَتّى يُصْبِحَ فَقِيرًا جائِعًا لا حَظَّ له في خيرات بِلاَدِهِ التي يَتَّخِذُهَا المُسْتَعمِرون كَمَنْبَعٍ لِلمَوَّادِ الأَوَّلِيَّةِ وَيَسْتَعْمِلُونَهَا كَسوقٍ لاِسْتهلاك البَضَائِعِ المَصْنُوعَة.

وَفِي المَيْدَانِ الثَقَافِيِّ نَرَى الجَهْلَ يَعُمُّ البِلاَدَ تَحْتَ سِتَارِ المُحَافَظَةِ على التَّقَالِيدِ وَالعَادَاتِ. وَنَرى لُغَةَ البِلاَدِ تَتَقَهْقَرُ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يُصْبِحَ الشَّعبُ فاقِدًا لِذَاتِيَّتِهِ وَشَخْصِيَّتِهِ مُحْتَقِرًا لِمَاضِيه، غيرَ آمِنٍ على مُسْتَقْبَلِه.

وأما في الميدان الاجتماعيّ فالاِسْتِعْمَارُ يَظْهَرُ بِكَامِلِ الأَنْوَاعِ الخَبِيثَةِ فَيَذْهَبُ بِهِ حُبُّ المالِ وَوَفْرَةُ الأَرْبَاحِ إِلى التَّسَرُّعِ في الإِصْدَاعِ بسوءِ نِيَّتِهِ وبما يَكِنُّهُ مِنْ شَرٍّ لِأُولئك الذينَ يَسْتَخْدِمُهُمْ كَالدَّوابِّ، لاَ يَمْنَحُهُمْ إِلاَّ بقدر ما يَرُدُّونَ به شَبَحَ الموتِ لِيُوَاصِلُوا العَمَلَ إلى اليوم الذي تَذْهَبُ فيه قُواهُمْ وَتَنْحُلُ أَجْسَامُهم فَيُتْرَكُونَ في الصَّحْرَاءِ يَنْتَظِرُونَ أَجَلَهُمْ المَحْتُومَ.

وَالاسْتعمارُ تَمْتَدُّ فُرُوعُهُ بِكامِلِ أَنْحَاءِ العالَم. فَهْوَ يَتَسَرَّبُ في العُقول عِنْدَ أُولَئِكَ الذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ خُلِقُوا في هَذِهِ الدُّنْيَا لِيَكُونُوا هُمُ السَّادَةُ المُسَيْطِرُونَ وَعَلَى النَّاسِ الطَّاعَةُ العَمياءُ وَالخُضوع.

وَهؤُلاَءِ المُسْتَعْمِرُونَ لَهُمْ مِنَ الأَمْوَالِ الكَافِيَةِ ما يُمَكِّنُهُمْ مِنَ الاِسْتِحْوَاذِ على البُنُوكِ يَتَسَلَّطونَ بِهَا على الحكُوماتِ بَعْدَ إِعْدَادِ البَرَامِجِ المُدَبَّرَةِ لِتَجْوِيعِ الشُّعوبِ فَيَحْمِلُونَهَا على الحُروب وافْتِكاكِ النُّفُوذِ واغْتِصابِ الحُقُوقِ الطَّبِيعِيَّةِ التي يَتَمَتَّعُ بها البَشَرُ.

وَلِأَجْلِ ذلك تَرَى الشُّعوبَ المَغْلُوبَةَ على أَمْرِهَا تُحاول بجميعِ الوَسَائِلِ اسْتِرْجَاعَ حُرِّيَّاتِها لِتُصْبِحَ مُتَصَرِّفَةً وَحْدَهَا في شُؤونِها السِّياسيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّة داخلَ البِلاد وخارجهَا.

فَتَنْجَرُّ عَنْ تلكَ المُحَاوَلاَتِ حُرُوبٌ أُخرى نَراها اليومَ تَمْتَدُّ بِنَواحِي المَعْمُورَةِ لأَنَّ البَشَرَ يُفضِّلُ المَوتَ الشَّرِيفَ على حياةِ العُبُودِيَّة وَالخِذْلاَنِ.

أَمَّا الطَّبَقَاتُ العَامِلَةُ فَهْيَ التِي أَعْلَنَـتِ الحَرْبَ ضِدَّ الاِسْتِعْمَارِ لما فيه من خَطَرٍ على تَقَدُّمِ الشُّعوبِ ولما فيه من إِرْهَاقٍ لِلعُمَّالِ وَالبَشَرِيَّةِ جمعاء.

وَالحَرَكَةُ النّقابيّةُ التي أُسِّسَتْ لِتنظيم صُفوفِ العُمَّالِ إِنَّمَا هي حركةٌ تَرمِي لِتحرير الطَّبَقاتِ العاملة من بَرَاثِينِ الاِسْتِعْمَارِ حتَّى يعيش العَامِلُ في رَفاهِيَّةٍ وَاطْمئنانٍ يَتمَتَّعُ بما يُنْتِجُهُ بِكَدِّ يَمينه وبِمَا يُفِيدُ به المجتمعَ بواسطةِ شُغْلِهِ المُجْدِي.

إِذَنْ فَإِنَّنَا نُقَاوِمُ الاِسْتِعْمَارَ لِأَنَّهُ عَدُوُّنَا الأَلَدُّ وَلِأَنَّهُ عَدُوُّ كُلِّ حَرَكَةٍ تَقَدُّمِيَّةٍ وَكلِّ عَمَلٍ يَرْمِي إِلَى إِحْيَاءِ الشُّعُورِ وَكَرَامَةِ البشَرِ. فَهْوَ عَدُوُّ الإِنْسَانِيَّةِ لاَ يَنْمُو إِلاَّ فِي ظِلِّ الجَهَالَةِ وَالفقرِ وَالخَوْفِ وَإِذْلاَلِ النَّفْسِ وَالوَهْمِ وَمَا إِلى ذلك من المَآسِي التِي يَسُوءُ البَشَرِيَّةَ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهَا بِحال مِن الأَحْوَالِ.

فَكَيْفَ يَرُوقُ لَنا العَيْشُ مَعْشَرَ الإِخْوَانِ مَادُمْنَا لم نَتَغَلَّبْ على الاِسْتِعْمَارِ!

وَكَيْفَ نَرْكَنُ إِلى الرَّاحَةِ مَا دُمْنَا نَرْزَحُ تَحْتَ سَيْطَرَةِ الاسْتِعْمَارِ !

وَهَلْ يَرْضَى أَحَدُنَا أَنْ نَتْرُكَ بِلاَدُنَا تَحْتَ الأَغْلاَلِ وَهو مَعَ ذلك يَنْخَدِعُ لِزِينَةِ الدُّنْيَا وَلَهْوِهَا وَيَصْرِفُ الثَّمِينَ من أَوْقَاتِهِ فِي اللَّعْبِ كَأَنَّهُ لا فَرْضَ عليه ولا وَاجِبَ يؤدِّيهِ ؟

نَتَوجَّهُ بِصَرَخَاتِنَا إلى الحُكُومة وَنُوَجِّهُ اللَّوْمَ كَأَنَّنَا غيرُ مُقْتَنِعِينَ بِأَنَّ الحكومة هي نفسُها المُتَسَبِّبَةُ في شَقَائِنَا خَادِمَةٌ لِلِاسْتِعْمَارِ.

انْظُرُوا إِلَى مَا حَوْلَكم تَجِدُوا أَيَادِي الاِسْتِعمارِ وراءَ كُلِّ نَكْبَةٍ من نَكَبَاتِنَا، واعْلموا أَنْ لاَ خَلاَصَ مِنَ الأَثْقَال إِلاَّ بِإِجْهَادِ النَّفْسِ وَالثَّبَاتِ.

إنَّ الطَّبَقَةَ التُّونُسِيَّةِ التِي أَحَسَّتْ بالخَطَرِ قبل غيرها من طَبقاتِ الشَّعْبِ لم تَتْرُكْ أَيَّةَ فُرْصَةٍ تَمُرُّ دون أَنْ تُعَبِّرَ بصفةٍ فِعْلِيَّةٍ عَنْ إرادتِها للتَّخَلُّص من القُيود الحَدِيدِيَّةِ. وَمَتَى اسْتَكْمَلَتْ وَحْدَتَهَا وَجَمَعَتْ كَلمَتها وَقُوَّاهَا وَنظَّمَتْ صُفوفَهَا تَنْظِيمًا مُحْكَمًا كانَ النَّصْرُ لِجَانِبِهَا وَحَليفَ كِفاحِها.

وَهَذا هُو السَّببُ الذي يَجْعَلُنَا نَتَأَلَّمُ لِكُلِّ حادثٍ صَغير أو كبير منْ شأْنِهِ أنْ يُصَدِّعَ وَحْدتَنا وَيُضْعِفَ جُهُودَنا. وهذا هو السَّببُ الذي يَفْرِضُ علينا تَحَمُّلَ بَعْضِ المشاقّ في سَبيلِ وَحْدَةِ صُفوفِنا التي هي الضَّمان الأَصْليُّ لِوَحْدَتِنَا القَوْمِيَّة.

وَإِذَا أَرادَ جَمِيعُنَا مُقَاوَمَةَ الاِسْتِعْمَارِ فَكلٌّ في ناحِيتِهِ يَتحَتَّمُ عليه الكِفاحُ. وَمَجْمُوعُ كفاحِنا يُعَجِّلُ لنا اليومَ الذي نَكُونُ قد وَصَلْنَا فيه إلى غايَتِنَا السَّامية.

فَرْحَاتْ حَشَّاد



فَرْحات حشّاد في اجْتِماعٍ شَعْبِيٍّ وَوَرَاءَهُ رَايَةُ تُونس تُغَطّي الجدارَ، وَبِجَانِبِهِ (الثّاني على يَسارِهِ) بُوجُمْعَة الغَرْبِي بِلِباسِهِ الجَزَائِرِيّ، وهو مُناضِلٌ كانَ مُلاَحَقًا مِنْ قِبَل السُّلْطَة الاستعماريَّة. وَكَثِيرًا ما يظهرُ في اجْتِماعات الزَّعِيم النّقابيّ.

الحَرَكَةُ النَّقَابِيَّةُ تَنهَضُ بِالشَّعْبِ

نُشر بجريدة «الحُرِّيَّة» السنة 2 عدد 78 ـ في 12 أكتوبر 1949

إِنَّهُ لَمِنْ دَوَاعِي الغِبْطَةِ وَالابْتِهَاجِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الشَّعْبُ التُّونُسِيُّ العامِلُ مِنْ نُضْجٍ وَرُشْدٍ وَحَيَوِيَّة.

كُنْتَ تَمُرُّ بالمُدُنِ وَالقُرَى فَتَجِدُ شَعْبًا مُسْتَسْلِمًا غَافِلاً رَاضِخًا لِلقُوَّةِ الاِسْتِعْمَارِيَّةِ وهو يَسْبَحُ فِي بَحْرِ الأَوْهَامِ سَاخِرًا بِكُلِّ مَنْ يُنَادِيهِ إِلَى اليَقْظَةِ وَالانْتِبَاه.

وَكُنْتَ تَرَى الأَفْرَادَ وَالجَمَاهِيرَ فِي تَعَاسَتِهِمْ غَيْرَ مُلْتَفِتِينَ إِلَى وَسَائِلِ العِلاَجِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَعْمَدُونَ إِلَى النَّمِيمَةِ لِيُضِرَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مُتَسَابِقِينَ بذلك إِلَى التَّقَرُّبِ مِنْ أَسَاطِينِ الاِسْتِعمارِ حَتَّى فَتَكَ بِهِمْ وَكَادَ يَقْضِي عليهم القَضَاءَ المُبْرَمَ.

وَسَاعَدَتْهُمْ على ذلك الحَالَةُ السِّيَاسِيَّةُ التِي فَرَضَتْهَا الحِمَايَةُ على الشَّعْبِ فَرْضًا بِتَحْجِيرِها الاِجْتماعاتِ العامّةِ وَمَنْعِهَا الأُمَّةَ التُّونِسِيَّةَ مِنَ التَّمَتُّعِ بحُرِّيَّاتِها الطَّبِيعِيَّةِ، حُرِّيَّةِ الفِكْرِ وَالتَّعْبِيرِ وَحُرِيَّةِ الاِجْتِماعِ فِي تَشْكِيلاتِهَا السِّياسيّةِ القَوْمِيَّةِ المِلّيّةِ.

وَسَاعَدَهُمْ على ذلك أَذْنَابُ الاِستعمار باسْتِعْمَالِهِمْ جَمِيعَ وَسَائِلِ الإِرْهَاقِ وَالطُّغْيَانِ حَتَّى انْهَزَمَ العَدْلُ وَسَادَ الظُّلْمُ وَأَصْبَحَ الشَّعْبُ الضَّعِيفُ يَرْزَحُ تَحْتَ أَنْوَاعِ الاِسْتِبْدَادِ سَائِرًا فِي طَرِيقِ الفَنَاءِ لاَ مَحَالَةَ.

هكذا كانَ يَتحَسَّرُ الإنسانُ، وَهُوَ يَمُرُّ ببعضِ الجِهاتِ بالقُطْرِ التُّونُسي وَخاصّةً منها الأماكن التي اخْتارَهَا الاسْتِعمارُ كَمَعْقَلٍ له. وَقَدْ كان مِنْ بين تِلكُمُ المَعَاقِلِ جِهَةُ بَاجَةَ كُلُّهَا بِما شَمِلَتْهُ مِنْ أَرَاضٍ خِصْبَةٍ شَاسِعَةٍ وَجِبَالٍ كُلُّهَا تَتَدَفَّقُ خَيْرَاتٍ وَجَمَالاً وَأَصْبَحَتْ تلك الجِهةُ تَتَخَبَّطُ في بَحْرِ الجَهْلِ وَالخِذْلاَنِ.

هَذَا وَإِنَّنا لاَ نُنْكِرُ الجُهُودَ التِي ما انفَكَّ يَبْذُلُها رِجالُ الحَزْمِ وَالعَمَلِ لِلدِّفَاعِ عن مَصالِحِ الأُمَّةِ هُناكَ. وَلَكِنْ تَغَلَّبَتْ قُوَّاتُ الظُّلْمِ على أَنْصارِ الحَقِّ وَالعَدْلِ حَتَّى جاءتِ الحَرَكَةُ النَّقَابِيَّةُ القَوْمِيَّةُ مُعَزِّزَةً لِلكفاحِ القَوْمِيِّ وَمُدَعِّمَةً لِجُيُوشِهِ البَوَاسِلِ.

فَفُتِحَتِ النَوادِي، وَتَكَاثَرَتْ الاجْتِمَاعَاتُ العَامَّةُ، وَتَعَدَّدَتِ الجَوْلاَتُ بِجَمِيعِ المَرَاكِزِ، وَتحَرَّكَ الإِحْسَاسُ، وَانْبَعَثَتِ الرُوحُ في الشَّعْبِ مِنْ جَدِيدٍ، وَتَجَاوَبَتِ الأَصْواتُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ مُنَادِيةً بِالنُّهُوضِ وَرَفْعِ الكابوس.

فَهَا هِيَ مَدِينَةُ باجَةَ تُنَظِّمُ الصُّفُوفَ وَتَسْهَرُ بِكُلِّ حِذْقٍ وَمَهَارَةٍ على ازدِهَارِ الحَرَكَةِ بكاملِ الجِهةِ بِفَضْلِ جُهُودِ أَشْبَالِهَا العامِلين. وَهاهُوَ سُوقُ الإِرْبعَاءِ يَلْتَحِقُ بالقَافِلَةِ فَيَسْتَنْهِضُ الهِمَمَ وَيُحَرِّضُ الجماهيرَ على السَّيْرِ الحَثِيثِ بَعْدَ الخُمُولِ وَالخِذْلاَنِ. وَهَاهُوَ سُوقُ الخَمِيسِ يَبْعَثُ الحَيَاةَ فِي أَوْسَاطِ العُمَّالِ الفِلاَحِيِّينَ المُسْتَثْمَرِينَ (بالفَتح) وهاهِيَ عينُ دَراهِم وغارُ الدِّماء يُناديانِ في القَوْمِ أَنِ انْتَبِهُوا من غَفْلَتِكُمْ فَإِنَّ الخَصْمَ قد فَتَكَ بِكُمْ. وَهَاهِيَ مَرَاكِزُ المناجِم بِوادِي المَعدَنِ وَجَبَلِ الحَلُّوفِ تَلْتَحِقُ بِصُفوفِ الاِتِّحَادِ بَعد ما عَبَثَتْ بها أَيْدِي العابِثِينَ فَتُظْهِرُ العَجَبَ في تَعَلُّقِها بِحَرَكَتِهَا القَوْمِيَّةِ العَتِيدَةِ.

وهاهُوَ أَخِيرًا المعقلُ المنيعُ يُفْتَحُ في وَجْهِ قادةِ الاِتِّحَادِ أَعْنِي بذلك سُدَّ وَادِي اللَّيل الذي لم يُفَكَّ مِنْ حالةِ الحِصارِ إِلاَّ بِفَضْلِ الجُهُودِ الصَّادِقَةِ المُتَتَابِعَةِ.

وَأَصْبَحَتْ جِهَةُ بَاجَةَ بِفَضْلِ تِلْكُمْ المَجْهُودَاتِ فِي تَقَدُّمٍ مَحْسُوسٍ وَجَمَاهِيرُهَا العاملَةُ تُوَاصِلُ السَّيْرَ وَرَاءَ قادتِهَا المُخْلِصِينَ. وَأَصْبَحَ النَّاسُ يُنَادُونَ باتِّحادِهم العامّ التُّونِسِي للشّغل كَحَرَكَةٍ إِنْقَاذِيَّةٍ جَاءَتْ لِتُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ.

وَأَخَذَ الاِسْتِعْمَارُ فِي التَّقَهْقُرِ وَأَصْبَحَ يَشْعُرُ بِالقُوَّةِ المُقَابِلَةِ وهي القُوَّةُ الشَّعْبِيَّةُ المُنَظَّمَةُ. وَمَهْمَا حَاوَلَ إِنْسَانٌ عَرْقَلَةَ سَيْرِ هذه القُوَّةِ مِثل جنابِ مُدِيرِ مَنْجَم جَبَلِ الحَلُّوفِ فَلاَ يَصِلُ إِلَى مُبْتَغَاهُ لِأَنَّ تَيَّارَ التَّقَدُّمِ الاِجْتِمَاعِيّ لاَ يُمْكِنُ لِأَحدَ أنْ يَقِفَ أَمَامَهُ.

فَلْنُهَنِئْ طَبَقَتَنَا العَامِلَةَ بهذا الفَوْزِ وَلْنُحَرِّضْهَا على مُضَاعَفَةِ العَمَلِ الجِدِّيّ وَلْنهِبَّ بها حَتَّى تَلْتَفَّ حَوْلَ مُنَظَّمَتِهَا العَظِيمَةِ تَدْعَمُ هَيْكَلَهَا وَتُقَوّي دَائِمًا صُفُوفَهَا وَتَجْعَلُ من صُفوفِها المُتَرَاصَّةِ حِصْنًا مَنِيعًا ضِدَّ هُجُوماتِ الاِسْتِعْمَارِ المُسْتَثْمِرِ حَتَّى يَعودَ على أَعْقابِهِ مُنْهَزِمًا فَتُحقِّقَ بذلك أُمْنِيَّةَ الشَّعْبِ وَتَفُوزَ بِقَصَبَةِ السِّبَاقِ فِي مَيْدَانِ الكِفَاحِ القَوْمِيّ الشَّرِيفِ وتَقُومَ بِالوَاجِبِ المفروضِ وَتَجْعَلَ بِلاَدَنَا التُّونِسِيَّةَ فِي مُقَدِّمَةِ الأَقْطَارِ العَرَبِيَّةِ فِي المَيْدَانِ الاِجْتِمَاعِيّ.

فَرْحَاتْ حَشَّاد

الاتّحادُ قُوَّةٌ

نشر بجريدة «الحُرِّيّة» عَدَد 80 (16 أكتوبر 1949)

كُلَّمَا تَجَوَّلْنَا بِأَنْحَاءِ القُطْرِ التُّونُسي وَكُلَّمَا اتَّصَلْنَا بِجَمَاهِيرِ العُمَّالِ بِمُخْتَلَفِ المَنَاطِقِ ازدَادَ اعْتِقَادُنَا في قُوَّةِ اتِّحَادِنا وَتَضَاعَفَ إِيمَانُنَا بِنَجَاحِهِ.

ذَلِكَ أَنَّ حَرَكَتَنَا المُبَارَكَةَ أَخَذَتْ تَتَغَلْغَلُ في النُّفُوسِ وَتَسْتَنْهِضُ الهِمَمَ وَتُنَادِي إِلَى العَمَلِ وإِلى النُّهُوضِ وَإِلَى التَحَرُّرِ مِنَ المَذَلَّةِ والكَسَلِ وَالاِسْتِسْلاَمِ.

لَقَدْ تَحَدَّثْنَا في عَدَدٍ مَضَى مِنْ هذه الجَرِيدَةِ عَنْ تَقَدُّمِ الحَرَكَةِ وَازدِهَارِهَا في جهة باجَة كُلِّها وَبَيَّنَا كَيْفَ أَصْبحَتِ الأَوْسَاطُ الشَّعْبيَّةُ تَتَّقِدُ حَمَاسًا وَكَوَّنتْ مِنْ ضُعْفِهَا قُوَّةً وهي سَائِرَةٌ في طَرِيقِ النُّهُوضِ بعد أَنْ كَادَ يَقْضِي عليها الخُمُولُ الاِسْتِعْمَارِيُّ وَالوَهْمُ الذي يَسْتَعْمِلُهُ أَقْطَابُ الأَنَانِيَّةِ لِتَسْخِيرِ البَشَرِيَّةِ لِخِدْمَةِ مَصَالِحِهم. وَقُلْنَا في شَيْءٍ من الإِطْنَابِ ما نُؤَمِّلُهُ مِنْ وَرَاءِ تلك العَزِيمَةِ الوَثَّابَةِ التي تُحَرِّكُ النُّفُوسَ وتُكَتِّلُ الصُّفُوفَ.

وَهذا الأَمَلُ وَهَذَا الاِعْتِقَادُ وهذا الإيمانُ يَزْدَادُ رُسُوخًا حينَ نَلْتَقِي بِأَفْوَاجِ الشَّغَالِينَ الذينَ مَنَحُوا اتِّحادَهم العامَّ ثِقَتَهُمُ الكامِلَةَ مِنْ يَوْم تَأْسِيسِهِ فأصبحوا هم العِمادَ الذي يُقَامُ عليه المُسْتَقْبَلُ الاِجْتِمَاعِيُّ الذي نُرِيدُهُ لِشَعْبِنَا.

فَلقدْ رَجَعْنَا مِنْ رِحْلَتِنَا الأَخِيرَةِ بِجِهَةِ الكاف وَالسُّرُورُ يَمْلَأُ القَلْبَ وَالضَّمِيرُ مُرْتَاحٌ لِما بَلَغَتْهُ طَبَقَتُنَا العَامِلَةُ من نُضْجٍ وَلِمَا يَمْتَازُ به اتِّحَادُنَا العَتِيدُ مِنْ مَكَانَةٍ في نفوسِ أُولَئِكَ العُمَّالِ البَواسِلِ الذينَ يُنَاضِلُونَ لَيْلاً وَنَهَارًا في سَبيلِ العِزَّةِ وَالكَرَامَةِ وَالرَّفَاهِيَّةِ وَفِي سَبِيلِ التَّخَلُّصِ مِنْ براثِنِ الاِسْتِعْمَارِ وَالتَّغَلُّبِ عَلَى الخَصْمِ الرَّأْسمالي الطَّاغِي.

وَلَمْ يَقِلَّ سُرُورُنَا حِينَ نُشَاهِدُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ رِجالُ العَمَلِ وَالحَزْمِ أُولَئِكَ المَسْؤولون عنْ الحَرَكَةِ مِنْ جَدارَةٍ في التَّسْيير وَحِذْقٍ في التَّدْبير وَمهارَةٍ في التَّعْبير وَخِبْرَةٍ وَإِمْعَانٍ فِي التَّفْكير وَإِخْلاص فِي أَدَاءِ الوَاجِبِ. حَقًّا إِنَّ اتِّحَادَنا كَوَّنَ الرِّجَالَ وَأَصَابَ في بَناءِ الهَيَاكِلِ المَتِينَةِ على أَسَاسٍ لاَ يَتزَعْزَعُ لِما احْتَوى عليه مِنْ دِقَّةٍ في تَسْطِير البَرامِجِ وَبُعْدٍ في النَّظَرِ.

كَيْفَ لاَ وَنَحْنُ نَعْتَمِدُ على أَنْفُسِنَا في نِضالنا مُخْلِصينَ لِمَشْرُوعِنَا الجَليل، وَمُنْقِذينَ بِلاَدَنا مِنْ هُوَّةِ الفقرِ وَالجَهْلِ وَفَسَادِ الأَخْلاقِ، وَشاهِرِينَ سِلاَحَ المُقَاوَمَةِ لِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ يُحَاوِلُ تَدْعِيمَ نِظَامِ السَيْطَرَةِ وَالامْتِيَازاتِ وَنُفُوذِ البَاطِلِ على الحَقِّ وَنَصْرَةِ الظَّالِمِ على المَظْلُوم وَالقَوِيّ على الضَّعِيفِ، وَمَعَوِّلِينَ في كِفاحِنَا هذا على ما تَنْطَوِي عليه صُفُوفُنَا المُتَرَاصَّةُ مِنْ قُوَّةٍ مَعْنَوِيَّةٍ وَمَادِيَّةٍ وَإِيمَانٍ وَثَبَاتٍ وَاسْتِعدادٍ لِلتَّضْحِيَةِ التي هي شَرْطُ كُلِّ نَجاحٍ.

أَيْنَ نَحْنُ مِنْ ذَلِكَ العَصْرِ التَّعِسِ الذي تُنادِي فيه بِأَعْلَى صَوْتِكَ حَيَّ على العَمَلِ فَلاَ مُبَالِيَ وَلاَ مُجِيبَ! وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ تِلْكُمُ الجَمَاهِيرِ التي تُسَاقُ كَمَا تُساقُ الأَغْنَامُ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ الرَّاعِي! وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ الجُمُودِ الذِي سَادَ بَوَادِينَا وَكُلَّ القُرَى حَتَّى اسْتَقَرَّ بها الطُّغْيانُ وَصارتِ الإِنْسانِيَّةُ تَنْدُبُ فيه حَظَّهَا!

فَاليَوْمَ أَصْبَحَتْ قُوَةٌ جَبَّارَةٌ بِأَتَمِّ مَعناها عَارِفَةً ما لها وَمَا عَلَيْهَا، تَفْرِضُ إِرَادَتَهَا عِنْدَ الدِّفَاعِ عَنْ حَقِّهَا في الحياةِ، وَتَسْلُكُ الطَّريقَ الرَّشِيدَ في سَيْرِهَا الحَثِيثِ مُنْقَادَةً انْقِيَادَ المُطْمَئِنِّ المُرْتَاحِ لِمنظَّمَتِنا الكَفِيلَةِ بِتَوْجِيهِهَا حَسَبَ المَصْلَحَةِ والجَديرةِ بالسَّهَرِ على مَصِيرِهَا. فالعُمَّالُ اليوم يَقْتَبِلُونَ قادتَهم في حُلَّةٍ مِنَ الفَرَحِ وَالابْتِهَاجِ، وَيَعْتَبِرُونَ اجْتِماعاتِهم النَّقابِيّة كالأَعْيادِ يُقِيمُونَ بِمُنَاسَبَتِهَا المِهْرَجَانَاتِ وَالأَفْرَاحَ، وَيَتَبَاهَوْنَ، وَيُفَاخِرُونَ بِخِصَالِه وَيَصْدَعُونَ بِإِخْلاَصِهِمْ نَحْوَهُ، يَفْدُونَهُ بِأَرْوَاحِهِم وبِمَا لَدَيْهِمْ من عَزيزٍ وَغَالٍ.

ذَلِكَ هُوَ الاتِّحَادُ الذي نَادَى في صُفُوفِ العُمَّال، فَتَجَاوَبَتْ أَصْوَاتُهُمْ من الجِبالِ وَالفيَافِي مُلَبِّيَّةً النِّدَاءَ، اتّحادٌ جَاءَ بالحَقِّ خَادِمًا لِمَصْلَحَةِ البِلاَدِ العُلْيَا وَمُنْقِذًا لِلبَشَرِيَّةِ المُعَذَّبَةِ المسْتَثْمَرَة.

إنَّهُ لَمِنْ المَظَاهِرِ المُؤَثِّرَةِ أُولَئِكُمْ العُمَّالُ الذينَ بَلَغَ عُمُرُهُمْ السَّبْعِينَ وَالذِينَ يَحْتَلُونَ أَوَائِلَ الصُّفُوفِ في الاجْتِمَاعَاتِ، فَيُنْصِتُونَ إلى الخَطِيبِ وَالدَّمْعُ يُمْطِرُ الخُدُودَ وَوُجُوهُهُمْ مُسْتَبْشِرَةٌ حينَ يَلْتَفِتُونَ إلى الشَّبِيبَةِ التي تُحِيطُ بهمْ وَثَّابَةً كَأَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الاطْمَئْنَانِ حَيْثُ لَمْ يَتْرُكُوا لَهُمْ مِيراثَ التَّعَاسَةِ وَالشَّقَاءِ، بَلْ قد تَفَطَّنُوا وَاتَّحَدُوا لِرَفْعِ المَذَلَّةِ وَالعَار.

وَمِنَ العُمَّال مَنْ لاَ يَتَجَاوزُ عُمُرُهُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ يَشْتَغِلُونَ بالمَنَاجِم، وَيَتَهَافَتُونَ على الاِجْتِمَاعِ يُصْغُونَ إِلَى القَوْلِ بِكُلِّ مُهَجِهِمْ وَاجْتِهَادِهِم الفِطْرِيِّ وَكَأَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى الشُيُوخِ يُسَلُّونَهُمْ : أَلاَ إِنَّنَا سَوْفَ لاَ نَتْرُكُ المَجَالَ لِلمُسْتَثْمِرِ الحَقُودِ أَنْ يَعْبَثَ بِنَا كما عَبَثَ بِكُمْ، فَكُونُوا مُوقِنِينَ بِأَنَّ النَّصْرَ سَيَكُون حَلِيفَنَا.

والاتِّحَادُ يُرْشِدُ الجَمِيعَ إلى الخَيْرِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ وَالمُثَابَرَةِ وَالوَحْدَةِ التَّامَّةِ وَإِزَالَةِ التَّنَافُرِ وَمُحَارَبَةِ التَّبَاغُضِ ومُقَاوَمَةِ الخُمُولِ وَالكَسَلِ حَتَّى تَتِمَّ وَحْدَةُ القُلُوبِ بَعْدَ وَحْدَةِ الصُّفُوفِ، وَتُصْبِحَ عَائِلَةُ الاتِّحَادِ مُتَمَاسِكَةَ الأَطْرَافِ بِكَامِلِ أَنْحَاءِ القُطْرِ العَزِيز.

إنَّ مِثْلَ هَذِهِ المَظَاهِرِ لَعَمْرِي تُشَجِّعُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الكِفَاح، وَتُزِيلُ الأَتْعَابَ، وَتَشْرَحُ الصُّدور. وَاتِّحَادُنَا قُوَّةٌ لاَ يُمْكِنُ لِمُتَعَنِّتٍ أَنْ يَتَجَاهَلَهَا مَهْمَا بَلَغَ به الحُمْقُ وَالتَّنَطُّعُ. وَإِذَا أَصَرَّتِ الحُكُومَةُ عَلَى عَدَمِ إِرْضَاءِ رَغَائِبِ العُمَّالِ الشَّرْعِيَّةِ فَلاَ بُدَّ أَنْ تَتَحَرَّكَ تلك القُوَّةُ لِأَخْذِ حُقُوقِهَا بِنَفْسِهَا. وَإِذَا اجْتَمَعَ، كَامِلَ هذَا اليوم، المَجْلِسُ القَوْمِيُّ لِلاتِحَادِ العامّ فَهو مَسْؤولٌ على تَوْجِيهِ العَمَلِ الذي سَيُحَقِّقُ ما تَصْبُو إِلَيْهِ طَبَقَتُنَا العَامِلَةُ مِنْ رَفاهِيَةٍ وَازدِهَارٍ. وَإِذَا كَانَ تَصْرِيحُ الغَيْرِ بِأَنّ القُوَّات

العَسْكَرِيَّةَ البرِّيَّةَ وَالبَحْرِيَّةَ كَفِيلَةٌ بِقَمْعِ الحَرَكَاتِ التِي تُعَكِّرُ رَاحَةَ المُسْتَثْمِرِينَ، فَجَوَابُنَا على ذلك أَنَّ قُوَّةَ العُمَّالِ المُنَظَّمَةَ لاَ تَخْشَى النَّارَ وَالحَدِيدَ مَادَامَتْ تَعْمَلُ على افْتِكَاكِ حُقُوقِهَا، وَهْيَ عَازِمَةٌ كُلَّ العَزْمِ على تَحْرِيرِها مِن اسْتِثْمَارِ الغَاصِبِين حَبَّ مَنْ حَبَّ وَكَرِهَ مَنْ كَرِه.

فَرْحَاتْ حَشَّاد



فرحات حشّاد في جَمْعٍ مِنَ العُمّال

لِنُقَاوِمِ العُنْفَ

نشر بجريدة «الحُرِّيَّة» عَدَد 87 (4 ديسمبر 1949)

ظَنَّ أَصْحَابُ الجَاهِ بهذه البلاَدِ أَنَّ سِيَاسَةَ القَمْعِ والزَّجْرِ تكْفِي وَحْدَهَا لإِخْفَاتِ صَوْتِ الحَقِّ والوُقُوفِ أَمَامَ تَيَّارِ النُّهُوض الذي أَصْبَحَ يَسْرِي فِي النُّفُوس، وَيُحَرِّكُ الجمَاهِيرَ، وَيَدْفَعُهَا كالسَّيْل المُتَدَفِّق إِلَى حَيْثُ العِزَّةُ والكَرَامَةُ. واسْتُعْمِلَتْ تلك السِّياسَةُ فِي مُخْتَلَفِ المُناسبات. وَكَانَتِ القُوَّةُ الغَاشِمَةُ تَحُلُّ مَحَلَّ المُفَاهَمَةِ حَيْثُ يُحَاوِلُ المُغْرضونَ بوَاسِطَتِهَا قَتْلَ الشُّعور وَالحَطَّ مِنَ المَعْنَوِيَّاتِ وَإِرْغَامَ النَّاسِ على الرُّضُوخ إِلَى حَيَاةِ الذِّلَّةِ والتَّعاسَةِ. وَلَطَالَمَا أَعْطَتْهُمُ التَّجَارِبُ دُرُوسًا مُرَّةً في هَذَا المِضْمَار، وَأَظْهَرَتْ لَهم عَكْسَ ما يَرْمُونَ إِليه، وذلك لِأَنَّ سِيَاسَةَ القمْع والعُنْفِ لاَ تَنْجَرُّ عَنْهَا إِلاَّ خَيْبَةُ أَصْحَابِهَا، لِأَنَّ النُّفُوسَ البَشَرِيَّةَ لا تَرْضَخُ وَلَنْ تَرْضَخَ إِلاَّ لِلحَقِّ والعَدْل. وَلاَ فَائِدَةَ هُنَا بِذِكْرِ المُنَاسَبَاتِ المُتَعَدِّدَةِ وَالظُّرُوفِ المُتَنَوِّعَةِ التي أَقَامَتِ الدَّلِيلَ على أَنَّ إرادةَ الشُّعُوبِ وَعزِيمَةِ الرِّجَال لاَ تُقْهَرُ وَلاَ تُذَلُّ بِمَحْض اسْتعمال القُوَّةِ الماديَّةِ الغاشِمَة بَلْ تُقَوِّيها وتُغَذِّيهَا ما دَامَتِ الرُّوحُ لَمْ تُفَارِقِ الجِسْمَ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كذلك لَمَا نَجحَتِ الأَعْمَالُ التَّارِيخِيَّةُ العَظِيمَةُ التي حَوَّلَتْ مَجْرَى الأُمُور، وَلَمَا تَقَدَّمَتْ فِكْرَةُ التَّقَدُّم الاِجْتِمَاعِيّ، وَلَما نَهَضَتِ الأُمَمُ مِنْ كَبْوَتِهَا.

وَهَا نحْنُ اليَوْمَ نُجَابهُ نَفْسَ القُوَّةِ المُسَيْطَرَةِ التي تُرِيدُ إِخْضَاعَ نُفُوسِنَا، فَتَأْبَى الخُضُوعَ، وَتُرِيدُ تَحْطِيمَ عَزِيمَتِنَا فَتَتَضَاعَفُ، وَتُرِيدُ الْفَتَّ فِي ساعِدِنَا فإِذَا بالصُّفُوفِ الشَّغِيلَةِ المنظَّمَةِ تَزْدَادُ ثباتًا أَمام العُنْفِ، وَتَظْهَرُ العَجَبَ العُجَابَ الذي يَنْدَهِشُ له الخَصْمُ انْدِهاشا.

مُنْذُ ثلاثَةِ أَسَابيعَ وَالعَمَلَةُ الفِلاَحِيُّون أُولائِكُمُ العُمَّالُ الذين لاَزَمَتْهُمْ الخَصَاصَةُ وَالإِهَانَةُ، وَتَجَرَّعُوا كُؤُوسَ البُؤْسِ وَالحِرْمَانِ أَلْوَانًا. قُلْنَا مُنْذُ أَربعةٍ وَعِشْرِينَ يَوْما يُقَابِلُ أُولَئِكُم العُمَّالُ البَوَاسِلُ هُجُوماتِ أَعوانِ الجَنْدَرْمَةِ والبُولِيس وَغَيْرهم مِنْ حُفَّاظِ الأَمْنِ، وَيَتَحَمَّلُونَ الضَّرْبَ وَالسِّجْنَ وَالآلاَمَ الجِسْمِيَّةَ وَالأَدَبِيَّةَ، وَلَمْ يَرْجِعوا عَنْ مَوْقِفِهم الشَّرِيفِ الذي اهْتَزَّتْ له الأُمَّةُ بأَجْمَعِهَا ابْتِهاجًا بِما أَظْهَرُوهُ مِنْ ثَباتٍ ومن إيمانٍ في أَحَقِّيَةِ قَضِيَّتِهِمْ التي لاَبُدَّ لها مِنْ فَوز.

دَخَلَ عُمَّالُ الفِلاَحَةِ الإِضْرَابَ بِالرَّغْمِ عَنِ التَّهْدِيدِ وَالوَعِيدِ وهاهُمْ يُوَاصِلُونَهُ بِكُلِّ عَزِيمَةٍ وَثَبَاتٍ رَغْمَ التَّعَدِّياتِ الوَحْشِيَّةِ التي ظَنَّ الاسْتِعْمَارُ الغَشُومُ أَنَّهُ بِوَاسِطَةِ العُنْفِ وَالزَّجْرِ يُمْكِنُهُ القَضاءُ على قُوَّةِ الإِيمَانِ وَالثِّقَةِ بِالنَّفْسِ وَشُعُورِ الإنسان بعِزَّتِه.

وَكَأَنَّ خَيْبَةَ النِظَام الفَاشِيسْتِي لَمْ تَنْفَعْهُمْ شَيْئًا...

وَلَكِنْ هَلْ لَنَا نَحْنُ أن نَقْتَصِرَ على فَضْحِ تلك الأَعْمَالِ الشَّنِيعَةِ وَنُبْقِي إِخْوَانَنَا وَعِيَالَهُم وَأَوْلاَدَهُمْ في حَالَةٍ تُذَكِّرُنَا بِمُعَامَلَةِ الجُيُوشِ العِدَائِيَّةِ حِينَ احْتِلاَلِهَا أَرْضَ العَدُوِّ المُقَابِلِ ! وَهَلْ لَنَا أَنْ لاَ نُدَافِعَ عنْ أَنْفُسَنَا، وقد أَصْبَحْنَا في حَالَةِ الدِّفَاعِ الشَّرْعِيِّ !

إنَّ حُرِيَّةَ الإِضْرَابِ تُخَوِّلُ لِلعُمَّالِ التَّخَلِّيَ عن الشُّغْلِ وَمَنْعَ اشْتِغَالِ اليَدِ العَامِلَةِ التي لاَ تَنْتَمِي إلى المَعْمَلِ أو المَزْرَعَةِ أو المَصْنَعِ الوَاقِعِ بِه الإِضْرَابُ. وَحُرِيَّةُ الشُّغْلِ تُخَوِّلُ لِلعُمَّالِ المُنْتَمِينَ لِلمَعْمَلِ أَوْ المَزْرَعَةِ أو المَصْنَعِ مُوَاصَلَةَ العَمَلِ فِيمَا إِذَا لَمْ يُوَافِقُوا على الإِضْرَابِ. فَأَيْنَ نَحنُ مِن هذهِ الحَالَةِ التي نَحْتَرِمُهَا وَقَدْ أَفْسَحَتِ السُّلَطُ المَحَلِّيَةُ المُتَجَبِّرَةُ المجالَ لِلمُعَمِّرِينَ لِيَنْتَخِبُوا العُمَّالَ الجُدُدَ الذين يَأْتُونَ بِهِمْ تَحْتَ حِرَاسَةِ أَعْوَانِ الشُّرْطَةِ بِأُجُورٍ مُضَاعَفَةٍ بِالنِّسْبَةِ لِلأُجُورِ القَانُونِيَّةِ!

وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ حُرِيَّةِ الشَّخْص إِذْ يُطَارِدُ البُولِيسُ الغَشومُ المُضْرِبِينَ في دِيَارِهِمْ، وَيُزْعِجُ النِّسَاءَ وَالأَطْفَالَ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ بُيُوتِهِمْ، وَيَعْتَقِلُ الرِّجَالَ، وَيُشْبِعُهُمْ ضَرْبًا لِجَبْرِهِمْ على فَكِّ الإِضْرَابِ وَالرُّجُوعِ إِلى العَمَلِ تَحْتَ الضَّغْطِ وَالإِرْهَاقِ.

وَالحُكُومَةُ التي تَتَمَسَّكُ بِالقَوَانِينِ البَالِيَةِ لِتَحْرِمَ العُمَّالَ مِنْ تَحْسِينِ حَالَتِهِمْ هَلْ لَهَا قَوَانِينُ زَجْرِيَّةٌ تُخَوِّلُ لَهَا إِفْسَاحَ المجالِ لأَعْوَانِهَا لِتَسْلِيطِ تلك الاعْتِداءاتِ الوَحْشِيَّةِ على العُمَّالِ المُتَمَسِّكِينَ بحَقِّهِم الشَّرْعِيِّ في الإِضْرابِ، والذين لم يَعْتَدُوا على حُرِيَّةِ الشُّغْلِ، وَتَمْكِينِ الأَعْوَانِ أَيضا من الاعْتِداء على المُضْرِبِينَ حَتَّى في بيوتهم !

لِنُقَاوِمِ العُنْفَ حِينَئِذٍ كُلَّمَا تَسَلَّطَ عَلَيْنَا بِطَرِيقَةٍ كَهاتِهِ لَمْ تُقِرَّهَا العَدَالَةُ وَلَمْ يَكُنْ مَصْدَرُهَا حماية الحَقِّ المُغْتَصَبِ أَوِ الدِّفَاعَ عَنْ الحُرِيَّاتِ الإِنْسَانِيَّة.

فالطَّبَقَةُ الشَّغِيلَةُ التُّونسيَّةُ التي لم تزل تُقِيمُ الدَّلِيلَ على نُضْجِهَا وعلى شُعورها بمَكانَتِهَا في المُجتمع تُجابهُ القُوَّاتِ الاسْتِعْمَارِيَّةَ بِكُلِّ صَلابَةٍ وَثَبَاتٍ. وَقَدْ أَظْهَرَتْ أَنَّهَا قَادِرَةٌ على تَحَمُّلِ التَّضْحِيَّاتِ بِصَبْرٍ وَجِلَدٍ، لَكِنَّهَا أَيْضًا سَوْفَ لا تَتَنَازَلُ وَلَنْ تتَنَازَلَ عن حُقُوقِهَا الشَّخْصِيَّةِ وَعَنْ حُرْمَتِهَا البَشَرِيَّةِ، وَسَتُدَافِعُ عَنْهَا بِكُلِّ مَا لَدَيْنَا مِنْ سَبيل.

فَرْحاتْ حشّاد

المقَاومَة

نشر بجريدة «الحُرّيَّة» عَدَد 48 (6 مارس 1950)

يُقَاوِمُ الشَّعْبُ التُّونِسِيُّ النِّظَامَ الاِسْتِعْمَارِيَّ بما يَحْتَوِي عليه مِنْ تَسَيْطُرٍ وَتَفَوُّقٍ عُنْصُرِيٍّ وَضَغْطٍ على الحُرِّيّاتِ وَهَضْمٍ لِلحُقُوقِ وَفَرْضِ إِرَادةِ القَوِيِّ على الضَّعِيفِ. وَيُقَاوِمُ الشَّعْبُ المَجْلِسَ الكَبِيرَ كَرُكْنٍ مِنَ الأَرْكَانِ التي يُقَامُ عَليها النِّظَامُ الاِسْتِعْمَارِيُّ نَفْسُهُ. وَفِي مُقَاوَمَتِنَا لِلمَجْلِسِ الكَبِيرِ لاَ يَهُمُّنَا في الحَقِيقَةِ أَشْخَاصُ الأَعْضَاءِ المُكَوِّنِ منهُمْ هذا المجلسُ وَلَكِنْ يَهُمُّنَا الهَيْكَلُ الذي بِوَاسِطَتِهِ تُنَفَّذُ البرامجُ الشَّيْطَانِيَّةُ ضِدَّ الشَّعْبِ. وَإِذَا نَحْنُ تَوَجَّهْنَا إِلى الأَشْخَاصِ الذين يَتَكَوَّنُ مِنْهُمُ المجلِسُ الكَبِيرُ فَذَلِكَ لِأَنّنا نَشْعُرُ بأنَّ الإِنْسَانَ المُخْطِئَ لا يُؤاخَذُ إِلاَّ إِذَا أَصَرَّ واسْتَكْبَر، وَلاَ يُعْتَبَرُ مُجْرِمًا إِلاّ مَتَى تعَمَّدَ الجُرْمَ بعدَ تَنْبِيهِهِ إِلى ما ارْتَكَبَهُ مِنْ إِجْرَام. وَنَحْنُ في الحَقِيقَةِ نَعْتَبِرُ أنَّ المِيزَانِيَّةَ التُّونِسِيَّةَ هي المِرْآةُ الصَّادِقَةُ لِلسِيَّاسَةِ الحُكُومِيَّةِ. وَإِذَا ما عَلِمْنَا أَنَّ المِيزَانِيَّةَ لم تَتَعَرَّضْ وَلَوْ بِسَطْرٍ وَاحِدٍ إِلى حُقُوقِ العُمَّالِ وإِلى التَّشْرِيعِ الاِجْتِمَاعِيّ تيقَّنَّا مِنْ نَوَايَا الحُكُومَةِ إِزاءَ الطَّبَقَةِ الشَّغيلَةِ، وَعَرَفْنا جيِّدًا وَحقَّقْنَا ما كُنَّا نَعْلَمُهُ من أَنَّ الحُكُومَةَ لم تُفكِّرْ في مَصِيرِ العُمّالِ بِهاتِهِ البلادِ كما أَنَّهَا لَمْ تُفكِّرْ في مُسْتَقْبَلِ الشَّعْبِ. وَإِذَا عَلِمنَا ذلك وصارَ الحَقُّ يَصْدَعُ لاَ غُبَارَ عليْهِ، وَجبَتْ علينَا المُقَاوَمَة.

فنقاوِمُ البَرَامِجَ التي لم تُرَاعَ فيها مَصْلَحَتُنَا وَمصْلَحَةُ بِلاَدِنَا، وَنُقَاوِمُ النَّوَايَا الخَبِيثَةَ حينَ تُعَبِّرُ عَن اِزْدِهَارِ البلادِ بِمَعْنَى ازْدِهَارِ الاِسْتِعْمَار.

وَنُقَاوِمُ التَيَّارَ الاِسْتِعْمَارِيَّ الذي يُرِيدُ الاِسْتِحْوَاذَ على مَا بَقِيَ بِأَيْدِينا حَتَّى نُصْبِحَ كُلُّنَا في حالةِ البُؤْسِ نَعِيشُ.

وَنُقَاوِمُ الفِكْرَةَ الاِسْتِعْمَارِيَّةَ التي تَجْعَلُ مِنَّا اليوم شَعْبًا يَتَقَهْقَرُ اجْتِمَاعِيًّا وَأَدبِيًّا وَأَخْلاَقِيًّا وَمَادِيًّا بِفَضْلِ البَرَامِجِ المُحْكَمَةِ التي تُرِيد القَضَاءَ عَلَيْنَا.

وَنُقَاوِمُ فِكْرَةَ التَّفَوُّقِ العُنْصُرِيّ التي تُرِيدُ بَقَاءَ حالةِ الإِدَارَةِ على ما هِيَ عليه مَسْلوبَةً مِنَ المَعْنَى التُّونُسِيّ وَآلَةً في أَيَادي العَابِثِين.

وَنُقَاوِمُ الاِمْتِيَازَاتِ التي مَكَّنَتِ الشَّرِكَاتِ الكُبْرَى من امْتِلاَكِ الأَرْزَاقِ وَالخَيْرَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ وَمِنَ الاِسْتِحْوَاذِ على جَمِيعِ أَنْوَاعِ النَّشَاطِ وَالإِنْتَاجِ وَالنُّفُوذِ في شَتَّى الميادين.

وَنُقَاوِمُ فِكْرَةَ الرُّكُودِ وَالخُمُولِ وَالاِسْتِسْلاَمِ لِأَنَّنَا شعبٌ نُرِيدُ الاِنْتِصَارَ عَلَى أَعْدَائِنَا الذين يُرِيدون لنا حَيَاةَ الذُّلِّ والهَوَان.

وَنُقَاوِمُ كُلَّ مَنْ يُرِيدُ الاِعْتِدَاءَ عَلَيْنَا في حُقُوقِنَا وَسَلْبَنَا كَرَمَتَنَا وَالنَّيْلَ مِنْ قُوَّتِنَا المَعْنَوِيَّةِ التي هي سِلاَحُنَا العَظِيمُ، وذلك بِشَتَّى المُنَاوَرَاتِ وَأَسَالِيبِ التَّهْدِيدِ وَالعِقَابِ وَالزَّجْرِ وَالاِضْطِهَادِ. وَإِذَا نَحْنُ تَلَفَّظْنَا بهذه العِبارَاتِ فَذَلِكَ لِعِلْمِنَا أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يُمْكِنُهُ الاِنْتِصَارُ على خَصْمِهِ الذي هو أَشَدُّ منه قُوَّةً إِلاَّ بِالمُقَاوَمَةِ. تلك هِيَ الطَّرِيقَةُ التي يَسْلُكُهَا عَمَلَةُ المناجِمِ بِشَرِكَةِ صَفاقس - قَفْصَة الذين أَعْلَنُوا الإِضْرَابَ العامَّ مُنْذُ أُسْبُوعَيْنِ. وَالاِعْتِصَابُ مُسْتَمِرٌّ في المراكِزِ الثَّلاثةِ بِالمِتْلَوِّي وَأُمِّ العَرَائِسِ وَالرَّدَيِّفْ بِحَيْثُ تَعَطَّلَتِ القطاراتُ وَلَمْ يَعُدْ يَأْتِي إِلى صَفاقس وَلَوْ حَبَّةٌ فُسْفَاطٍ وَاحِدَةٌ. وذلك الإِضْرَابُ الرَّهِيبُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بابِ المُقَاوَمَةِ ضِدَّ التَّعَنُّتِ وَالبَغْيِ وَالتَّسَيْطُرِ الذي اتَّصَفَتْ بِهِ الشَّرِكَةُ وَرجالُها.

وَإِذَا أَوْقَفْنَا العَمَلِيَّاتِ بِالمَرَافِئِ كُلِّهَا في الأَيَّامِ القَادِمَةِ فَذَلِكَ أَيْضًا مِنْ بابِ المُقَاوَمَةِ ضِدَّ المقَرَّراتِ الدِّكْتَاتوريَّـةِ التي اتَّخذَتْهَا الحُكُومَـةُ ضِدَّ عَمَلَـةِ الرَّصِيفِ

وَمُحَاوَلَةِ تَجْرِيدِهِمْ مِنْ كُلِّ الحقوقِ التي اكْتَسَبوها طِيلَةَ عَشَرَاتِ السِّنِينَ المَاضِيَةِ في الكِفاحِ وَالتَّضْحِيَةِ. وإذَا نَحْنُ أَعْلَنَّا الإضْرَابَاتِ بِالمَعَامِلِ المُخْتَلِفَةِ في هذه الظُّرُوفِ، وَإِذَا تَعَاقَبَتِ الوُفُودُ وَتَعَدَّدَتِ المُظاهراتُ النَّقَابِيَّةِ فَذَلِكَ لِمُقَاوَمَةِ الرُّكُودِ الإِدَارِيِّ وإِفْهَامِ المَجْلِسِ الكَبِيرِ أَنَّ النَّاحِيَةَ الاجْتِمَاعِيّةَ المَفْقُودَةَ مِنْ مُهِمَّاتِ الحُكُومَةِ والتي لا وُجُودَ لها في لَوَائِحِ المِيزَانِيّةِ تَتَكَفَّلُ وَحْدَهَا بِتَذْكِيرِ الدَّوَائِرِ المَسْؤُولَةِ أَنَّهَا في الوُجُودِ وَأَنَّهَا لاَ تَتَّفِقُ وَلَنْ تَتَّفِقُ وَسِيَاسَةَ الإِهْمَالِ.

وَمَا دَامَتِ الحُكُومَةُ سَالِكَةً سِيَاسَتَهَا تلك فَلاَ نَعْرِفُ سِوَى المُقَاوَمَةِ، فَلْتَكُنْ كَلِمَةُ الشَّعْبِ التي تُوَحِّدُ جُهُودَهُ وَتُكْسِبُهُ القُوَّةَ اللاَّزِمَةَ لِلدِّفَاعِ عَنْ كِيَانِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ : المُقَاوَمة.

فَرْحاتْ حشّادِ

فلْتَسقُطْ سِياسةُ الركُودِ

نشر بجريدة «الحُرِّيَّة» عَدَد 134 (29 أكتوبر 1950)

جُنُودُ الاتِّحَادِ العام التُونِسِيّ لِلشُّغل مُوظِّفينَ وَعَمَلَةً يَعْمَلُون عَلَى تَقْويضِ النِّظَام المَخِلّ، وَيَضْغَطُونَ على الحُكُومَةِ لِحَمْلِهَا على إنْجَازِ وُعودِها.

لَقَدْ تَعَرَّضْنَا فِي العَدَدِ السَّابق إِلَى سِياسةِ الجُمُودِ التي يُرِيدُ الرِّجْعِيُّونَ تَفْويقَهَا على سِياسةِ التَّقدُّمِ. وَفَضَحْنَا مَرَّةً أُخْرَى تَغَلُّبَ فِكْرَةِ الأَنَانِيَّةِ وَالتَّسَيْطُرِ عَلَى الشَّرْعِيَّةِ الدُّسْتُورِيَّةِ وَالتَّمثيل الشَّعْبِي. وَباسْمِ الاتِّحَادِ العامّ التُّونُسِيّ لِلشُّغْل أَحَيِّيكُمْ جَمِيعًا في هذا الاجْتِمَاع بِاسْمِ اللَّجْنَةِ المَرْكَزِيَّةِ لِلضَّمانات مِنْ تَعَاسَةٍ وَتَقَهْقُرٍ في جَمِيعِ المَيَادِين. وَقَدْ صَرَّحَ المُقِيمُ العامُّ في الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ أَنَّهُ عازِمٌ على إِنْجَازِ بَعْضِ الإِصْلاَحَاتِ في النَّاحِيَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ، وَذَلِكَ خِلاَفًا لِمَا قَدْ صَرَّحَ بِهِ قَبْلُ مِنْ وُجُوبِ تَغْيِيرِ الجَوِّ السِّيَاسِيِّ الذي يَتَحكَّم في كُلِّ المِيادِينِ الأُخْرى.

وَبَيْنَمَا الشَّعْبُ التُّونِسِيُّ يَسْتَمِعُ إِلى تلك التَّصْرِيحاتِ المُتناقِضَةِ والتي تَنِمُّ عنْ عَزِيمَةِ المَحْظُوظِينَ في إِبْقَاءِ الحالةِ على ما هيَ عليه وَنكْثِ العُهُودِ كَالعَادَةِ، بَيْنَمَا يَنْتَظِرُ الشَّعْبُ ما سَيَنْتُجُ عَنِ الصِّرَاعِ المُتَواصِلِ بَيْنَ قُوَّاتِ الرِّجْعِيَّةِ وَصُفُوفِ الأُمَّةِ المُكَافِحَة، تَسْتَمِرُّ الإِدَارَةُ التي لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْ هَيْكَلِهَا شَيْءٌ والتي هيَ دَائِمًا في قَبْضَةِ أَيَادِي الكِتابَةِ العامَّةِ تَتَصَرَّفُ فِيها حَسَبَ إِدَارَةِ المُسْتَشارِينَ وَالاسْتِعْمَارِيِّين، تَسْتَمِرُّ في سِياسةِ سَلْبِ التُّونُسِيِّ مِمَّا تَبَقَّى في يَدِهِ مِنْ حُقُوقٍ عِوَضَ أَنْ تَتَرَاجَعَ فَتُمَكِّنُهُ مِن اِسْتِرْجَاعِ مَا ضَاعَ مِنْهُ مِنْ مُمَيِّزَاتِ ذَاتِيَتِهِ وَسِيَادَتِهِ وَقُوَّتِهِ الشَّرْعِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ.

وَفِي هذا الأُسْبُوعِ نزَلَ المُتَوَظِّفُ التُّونِسِيُّ إِلَى الميدانِ مَرَّةً أُخْرَى شاهِرًا سِلاحَ الحَقِّ ضِدَّ العُدْوَانِ وَصارِخًا في وَجْهِ الخَصْمِ لِيَصُدَّهُ عنْ سُلُوكِ طريقِ البَغْيِ وَالضَّلال.

وَإِذَا كَانَ مُمَثِّلُ الحُكُومَةِ الفِرَنْسِيَّةِ حُرًّا فيما يَخْتَارُهُ لِنَفْسِهِ مِنَ المناهِجِ أَوْ هُوَ مَجْبُورٌ على تَنْفِيذِ مَا يَتَلَقَّاهُ مِنْ تَعْلِيمَاتٍ حُكُومَتِهِ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ الشَّعْبَ التُّونِسِيَّ لَهُ حُقُوقٌ فِي بِلاَدِهِ لاَ يُمْكِنُ لِمُقِيمٍ عامٍّ وَلاَ لِحُكُومَةٍ مَا أَنْ تَعْبَثَ بِهَا. وَلَيْسَ الشَّعْبُ أُلْعُوبَةً بين أَيَادِي الطَّمَّاعِينَ. وَلَيْسَ هُوَ هَزِيلاً لِدَرَجَةٍ تَسْمَحُ لِأَيٍّ كانَ بِأَنْ يَسْخَرَ منه وَأَنْ يُمْلِيَ عليه إِرَادَتَهُ وهو مُكْرَهٌ. لَقَدْ تَحَمَّلْنَا ما لا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَحَمَّلَهُ مِنْ سِيَاسَةِ المَكْرِ وَالخِدَاعِ، وَقَاسَيْنَا وَيْلاَتِ الظُّلْمِ وَالإِزْهاقِ، وَصَبَرْنَا على المكارِهِ لِأَنَّنَا نَعْلَمُ عِلْمَ اليَقِينِ أَنَّ طَرِيقَ كِفاحِنا سَيُوصِلُنَا إِلَى تَحْقِيقِ هَدَفِنَا طالَ الزَّمَانُ أَمْ قَصُرَ. ثُمَّ إِنَّنَا مَنَحْنَا خُصومَنَا ثِقَتَنَا عِنْدَمَا أَعْرَبُوا عن فِكْرَةِ التَّفاهُمِ وَالتَّعَاوُنِ، وَقَابَلْنَا وَعُودَهُمْ بِنِيَّةٍ حَسَنَةٍ، وَظَنَنَّا أَنَّ الثِّقَةَ المُتَبَادَلَةَ هِيَ التي وَحْدَهَا تُذَلِّلُ العَرَاقِيلَ وَتَقْضِي على الأَنَانِيَّةِ وَتُمَهِّدُ السُّبُلَ لِتَحْقِيقِ الغَايَةِ المَنْشُودَةِ. وَتَرَقَّبْنَا إِنْجازَ الوُعُودِ وَاغْتِنَامَ الفُرَصِ لِذَلِكَ، فَلَمْ يَحْصُلْ ما كُنَّا نُؤَمِّلُهُ مُنْذُ تناسَتِ الحُكُومَةُ وَتَرَاجَعَتْ عَمَّا وَعَدَ بِهِ مُقِيمُهَا العامُّ فِيُونْ سنةَ **1937**. وَلَمْ تَسْتَفِدْ نَفْسُ الحُكُومَةِ مِنْ عِبَرِ الحَرْبِ وَأَطْوارِهَا، وَلَمْ تَكْتَرِثْ بِرَغَائِبِ الشَّعْبِ الطَّمُوحِ إِلى السَّعادةِ وَالرَّفَاهِيَةِ. فَكُلَّمَا اشْتَدَّتِ الأَزَمَاتُ بَدَّلَتْ مُقِيمًا بِمُقِيمٍ، وَمَنَحَتْ نَفْسَهَا الوَقْتَ الكافِي لِدَرْسِ الحالةِ. ثُمَّ يَسْتَوْلِي الرِّجْعِيُّونَ كَعَادَتِهِمْ على سِياسةِ السِّفارَةِ العامَّةِ. وَهَكَذَا عِشْنَا إلى يوم **13** جوان من هذا العام حَيْثُ أَتَى المُقِيمُ الحالِي وَصَرَّحَ على لِسَانِ حُكُومَتِهِ بِأَنَّهُ جاءَ لِتَنْفِيذِ تَعْلِيمَاتٍ مُدَقَّقَةٍ وَلِتَطْبِيقِ بَرَامِجِ إِصْلاَحَاتٍ مُسَطَّرَةٍ تَحْتَوِي على تَقْوِيَةِ نُفُوذِ الحُكُومَةِ التُّونِسِيَّةِ وَإِصْلاحِ الوَظِيفَةِ العُمُومِيَّةِ حَتَّى يَتَمَكَّنَ التُّونُسِيُّ مِنْ مُبَاشَرَةِ شُؤُونِ بِلادِهِ الإِدَارِيَّةِ وَإِنْجازِ الانْتِخَابَاتِ البَلَدِيَّةِ. وَهَذَا البَرْنَامَجُ يُعْتَبَرُ كَخُطْوَةٍ أُولَى في سَبِيلِ الاِسْتِقْلاَلِ.

وَاسْتَبْشَرَ الشَّعْبُ لِتِلْكَ التَّصْرِيحَاتِ لاَ لِكَوْنِهَا فِي الحَقِيقَةِ أَرْضَتْ رَغَائِبَهُ السِّيَاسِيَّةَ الجَوْهَرِيَّةَ، وَلكِنَّهُ قَابَلَهَا بِارْتِيَاحٍ لِكَوْنِهَا خُطْوَةً فِي مِنْهَاجِ التَّقَدُّمِ وَالخُرُوجِ مِن الرُّكُودِ الذي أَرَادَ الرّجعيُّونَ فَرْضَهُ على البِلاَدِ فَرْضًا في جميعِ نَوَاحِي حيَاتِهَا.

وَاليومَ، وَقَدْ تَرَاجَعَ المُقِيمُ العامُّ فيما وَعَدَ بهِ على لِسَانِ حُكُومَتِهِ وَأَعْلَنَ عَنْ عَزْمِهِ تَرْكَ القَضِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ جَانِبًا وَالاِهْتِمامَ بالنَّاحِيَةِ الاِجْتِماعِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ، فَنَحْنُ لاَ نَغْتَرُّ بذلك إِذْ أَنَّ نَتِيجَةَ عِنَايَتِهِ بِالمَنْطَقَةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ سَوْفَ لاَ تَتَقَدَّمُ بنا خُطْوَةً وَاحِدَةً مِثْلَمَا وَقَع ذلِكَ بالنِّسْبَةِ لِلنَّاحِيَةِ السِّيَاسِيَّةِ. وهكذَا يُرِيدُ الاِسْتِعْمَارُ تَدْعِيمَ سِيَاسَةِ التَّمْوِيهِ وَالمُغَالَطَةِ. وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ الأَصْلِيُّ الذي دَعا المُتَوَظِّفَ التُّونِسِيَّ لِيُعَبِّرَ عَن اسْتِنْكَارِهِ لِتلك السِّيَاسَةِ التي تَجَلَّتْ بِصِفَةٍ وَاضِحَةٍ فِي إِعْدَادِ المُنَاظَرَةِ بالنِّسْبَةِ لِكَتَبَةِ التَّصَرُّف.

وَإِذَا دَعانا اليَوْمَ المُقِيمُ العامُّ إلى الاِهْتِمَام بِمَسْأَلَةِ الاِنْتِخَابَاتِ البَلَدِيَّةِ قَبْلَ إِنجَازِ الإِصْلاَحَاتِ الأُخْرَى فَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ ذلك أَيْضًا مِنْ بابِ التَّمْوِيهِ حَيْثُ أَنَّ التَّجْرِبَةَ التي عَاشَتْهَا عاصِمَةُ تُونِسَ مُنْذُ وَقَعَتْ الاِنْتِخَابَاتُ بها قَدْ أَزَاحَتِ اللِّثَامَ عَنِ النَّوَايَا الخَبِيثَةِ التي تَنْطَوِي عليها الأَلْفَاظُ الجُوْفَاءُ الخَلاَّبَةُ. وَمَا دَامَتِ الحُكُومَةُ التُّونِسِيَّةُ لَمْ تَتَكَوَّنْ على قَاعِدَةِ النُّفُوذِ الحَقِيقِيِّ وَمَا دَامَتْ تلك الحُكُومَةُ لَمْ تَسْتَمِدَّ نُفُوذَهَا مِنْ إِرَادَةِ الشَّعْبِ الذي يُطَالِبُهَا بِمَسْؤُولِيَّتِهَا فَلاَ يُمْكِنُ أَنْ تُصْلَحَ الأَحْوَالُ فِي أَيِّ مَيْدَانٍ سَوَاءٌ كَانَ ذلك بالنِّسْبَةِ لِلإِدَارَةِ أَوْ البَلَدِيَّةِ أَوِ الأُمُورِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ أَوْ الاِقْتِصَادِيَّةِ أو الثَّقَافِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا.

وَالحُكُومَةُ التُّونِسِيَّةُ التي تَجِدُ الطَّرِيقَ أَمَامَهَا وَعْرًا وَالعَرَاقِيل تَعْتَرِضُهَا في كُلِّ خَطْوَةٍ تَرَى نَفْسَهَا مَجْبُورَةً على مُجَابَهَةِ تلك العَرَاقِيل قَبْلَ المَسِير.

وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ مِنْ تَأْجِيل تَسْوِيَةِ الأُمُور الجَارِيَةِ وَتَعْطِيل بَعْضِ المصالِحِ وَلَكِنَّ المسؤولَ الوَحِيدَ على ذلك هُوَ المُتَسَبِّبُ في عَرْقَلَةِ السَّيْرِ.

فَالكِفَاحُ الذِي يَقُومُ بِهِ الشَّغَّالُونَ مِن عَمَلَةٍ وَمُتَوَظِّفِينَ يَجِبُ أَنْ يَتَقَوَّى وَأَنْ يَتَعَزَّزَ دَائِمًا حَتَّى تَفْهَمَ الدَّوَائِرُ المَاسِكَةُ لِزِمَامِ السِّيَاسَةِ بِهَذِهِ البِلاَدِ أَنَّهُ لاَبُدّ مِنَ الوَفَاءِ بِالوَعْدِ، وَلاَبُدَّ مِنْ إِنْجَازِ مَا يَنْتَظِرُهُ الشَّعْبُ مِنْ إِصْلاَحَاتٍ، وَلاَبُدَّ مِنْ إِرْضَاءِ رَغَائِبِ الطَّبَقَةِ الشَّغِيلَةِ وَلاَبُدَّ مِنْ سَنِّ القانونِ التُّونُسِيِّ لِلوَظِيفَةِ العُمُومِيَّةِ، وَلاَبُدَّ مِنْ تَمْكِينِ الشَّعْبِ مِنْ حُقُوقِهِ المَشْرُوعَةِ.

فَلْتَسْقُطْ سِيَاسَةُ التَسْوِيفِ، وَلْيَعِشِ الكِفَاحُ الصَّادِقُ فِي سَبِيلِ النَّهْضَةِ وَالتَّقَدُّمِ.

فَرْحاتْ حشّاد

أُحِبُّكَ يا شَعْبُ

نشر بجريدة «الحرّية» عَدَد 138 (26 نوفمبر 1950)

أُحِبُّكَ يَا شَعْبَ تُونِسَ الذي امْتَحَنَكَ الدَّهْرُ وَامْتَحَنْتَهُ فَعَرَفَ فيكَ الشَّجَاعَةَ مَعَ الإِخْلَاصِ وَعَرَفَ فيكَ الصَّبْرَ مَعَ المُثَابَرَة.

أُحِبُّكَ لِمَا فيكَ مِنْ شُعورٍ فَيَّاضٍ وَإِحْسَاسٍ نَبيلٍ وَلِمَا تُكِنُّهُ مِنْ عَوَاطِفَ عِنْدَ النَّكَبَاتِ وَمَنْ تَآخٍ عند المِحَنِ، وَأُحِبُّ فيكَ الإِقْدَامَ عِنْدَ اقْتِحَامِ الشَّدَائِدِ وَبَذْلَ الجُهْدِ المُسْتَطَاعِ لِانْتِشَالِ الضَّعِيفِ عِنْدَ الحاجَةِ.

أُحِبُّكَ في وَحْدَتِكَ عِنْدَ المَصَائِبِ وَتَكَتُّلِكَ أَمَامَ الخَصْمِ وَصُمُودِكَ أَمَامَ العُدْوَانِ.

أُحِبُّكَ بِما اشْتَمَلَ فِيكَ مِنْ خِصَالٍ تُفاخِرُ بها، وَصِفَاتٍ حَمِيدَةٍ تَرْفَعُ رَأْسَكَ. وَأُحِبُّكَ لِحُبِّكَ في العَمَلِ وَاعْتِصَامِكَ بِمَبَادِئِكَ المُقَدَّسَةِ. وَأُحِبُّكَ لِمُشَاطَرَتِكَ أَفْرَاحَ المَظْلُومِ عِنْدَ انْتِصَارِهِ على الظُّلْمِ وَمُسَاهَمَتِكَ لأَتْرَاحِ المَغْلُوبِ وَمُسَاعَدَتِهِ. فَإِذَا ما شَعُرْتَ بِخَطَرٍ يُهَدِّدُ فَرْدًا أَوْ قِسْمًا من هَيْكَلِكَ دَقَّ قَلْبُكَ دَقَّةً وَاحِدَةً، وَاتَّجَهَتْ مُهْجَتُكَ كُلُّهَا لِدَفْعِ الضَّرَرِ.

لَقَدْ أَصْبَحْتَ أَيُّهَا الشَّعْبُ التُّونِسِيُّ النَّبِيلُ مِثالَ الوَحْدَةِ الصَّادِقَةِ يَعْسُرُ عَلَى خَصْمِكَ تَفْكِيكُهَا مَهْمَا حَاوَلَ وَمَهْمَا سَعَى وَتَفَنَّنَ في بَثِّ الخُبْثِ وَالدَّسَائِسِ. وَلَيْسَتْ هَذِهِ الوَحْدَةُ مُصْطَنَعَةً أَوْ مُلَفَّقَةً، بَلْ هِيَ وَحدَةٌ مَتِينَةٌ حَقِيقِيَّةٌ وَاقِعِيَّةٌ مَلْمُوسَةٌ تَتَجَلَّى في أَبْهَى مَظَاهِرِهَا.



فرحات حشّاد في لقاءٍ شَعبيّ يُرْفَعُ عَلَى الأَكْتَاف

فَأُحِبُّكَ حِينَ تَبْحَثُ وَتُكْثِرُ مِنَ البَحْثِ عَنْ مَجْرَى أُمُورِ بلادِكَ وَسَيْرِ قَضِيَّتِكَ، وَحِينَ تَنْتَقِدُ، وَحِينَ تَصِيحُ، وَحِينَ تَغْضَبُ، وَحِينَ تُدَبِّرُ. وَأُحِبُّكَ حِينَ تَدَافَعُ عَنْ مُخْتَلَفِ النَّظَرِيَّاتِ التِي تَخْطُرُ بِبَالِكَ في سُلُوكِ السِيَاسَةِ العامَّةِ، وَحِينَ تَسْتَفْسِرُ وَتَسْتَجْوِبُ، وَحِينَ تَنَاقِشُ وَتحَاسِبُ. وَلَكِنَّكَ تَتْرُكُ النَّزَاعَاتِ جَانِبًا عِنْدَ الشَدَائِدِ، وَتَنْسَى التَّشَاكُسَ عِنْدَ العَوَاصِفِ، فَتَهُبُّ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَمَكَانٍ، وَتَتَخَلَّى عن شُغْلِكَ وَمَصْنَعِكَ، وَتَنْدَفِعِ بِكُلِّ قُوَّتِكَ حَيْثُ تَلْتَقِي بِبَعْضِكَ بَعْضًا في صَفٍّ وَاحِدٍ، صَفِّ الشَّعْبِ المُوَحَدِ الهَدَفِ وَالكَلِمَةِ، صَفِّ الأُمَّةِ المُكَافِحَةِ، صَفِّ الحَقِ المُدَافِعِ عَنْ كِيَانِهِ وَالمُنَاضِلِ فِي سَبيلِ تَحْرِيرِهِ.

فَأَمِيرُكَ وَوَزِيرُكَ وَقَائِدُكَ وَفَلاَّحُكَ، وَتَاجِرُكَ وَعَامِلُكَ وَمُتَوَظِّفُكَ وَصَانِعُكَ وَطَالِبُكَ، وَكَبِيرُكَ وَصَغِيرُكَ، رِجَالُكَ وَنِسَاؤُكَ، وَطَبِيبُكَ وَأُسْتَاذُكَ، جَاهِلُكَ وَعَالِمُكَ، شَيْخُكَ وَشَبَابُكَ، غَنِيُّكَ وَفَقِيرُكَ [كُلُّهُمْ فِي صَفٍّ وَاحِدٍ.]

وَتَقِفُ بِجَمِيعِ أَفْرَادِكَ وَطَبَقَاتِكَ جَنْبًا لِجَنْبٍ مُسْتَعِدًّا لِلطَّوارِئِ، صَارِخًا على صَمْتِكَ فِي وَجْهِ العَدُوِّ بِمَا فِيكَ من إِيمَانٍ وَثِقَةٍ فِي نَفْسِكَ صَرْخَةً تُذْهِلُ النُّفُوسَ المُعْتَدِيَةَ وَتُزَعْزِعُ أَرْكَانَ الظُّلْمِ وَالجَبَرُوتِ، فَيَتَقَهْقَرُ الخَصْمُ وَهُوَ مُحْتَارٌ لا يُمَيِّزُ طَرِيقَ النَّجَاةِ مِنْ سَبِيلِ الهَلاكِ.

فَبِتَضَامُنِكَ فَرَضْتَ احْتِرَامَكَ. وَبِوَحْدَتِكَ ذَلَّلْتَ الصِّعَابَ. وَبِتَضْحِيَّتِكَ عَبَّدْتَ طَرِيقَ النَّصْرِ. وَبِمُثَابَرَتِكَ خَذَلْتَ العَدُوَّ، وَصَيَّرْتَهُ فَاقِدَ الرُّشْدِ وَالصَّوَابِ، لا يَدْرِي أَيْنَ المَصِيرُ. فَلَقَدْ انقَضَى ذَلِكَ العَصْرُ الذي تَنْقَسِمُ فيهِ الأُمَّةُ عِنْدَ الكَوَارِثِ، فَيَرْتَعُ الخَصْمُ، وَيَرْتَاحُ بَالُهُ، وَيَكِيلُ الوُعُودَ لِمَنْ يُرِيدُ التَّقَرُّبَ وَيَدُوسُ إِخْوَانَهُ فِي مِحْنَتِهِمْ لِيَنَالَ رِضَى الطَّاغِي المُتَجَبِّرِ. وَلَقَدْ انْقَضَى ذَلِكَ العَصْرُ الذي لاَ يُحِسُّ فيهِ التُّونِسِيُّ آلاَمَ غَيْرِهِ وَلاَ يَهُمُّهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا إلاَّ مَا يَعُودُ على شَخْصِهِ بِالغَنِيمَةِ مَهْمَا كَانَ مَأْتَاهَا.

فَلَقَدْ اسْتَبْدَلَ شَعْبُنَا ذلك بِحَياةٍ مُشْتَرِكَةٍ في السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَأَصْبَحَ يَشْعُرُ بِأَنَّ نَجَاحَ الفَرْدِ وَسَعَادَةَ الجَمِيعِ وَعِزَّتَهُ الشَّخْصِيَّةَ فِي عِزَّةِ بِلاَدِهِ وَوَطَنِهِ، وَكَرَامَتَهُ البَشَرِيَّةَ في كَرَامَةِ أُمَّتِهِ واحْتِرَام كِيَانِهَا وَسِيَادَتِهَا. وَأَصْبَحَ الأَمِيرُ يَلْتَقِي مَعَ أَبْسَطِ الأُجَرَاءِ عِنْدَ المُصَابِ لِأَنَّ السَّهْمَ مُوجَّهٌ في الحَقِيقَةِ لِجَمِيعِنا فَنُجَابِهُ الخَطَرَ في وَحْدَةٍ شَامِلَةٍ حَيْثُ أَنَّ الذي أَصَابَهُ السَّهْمَ هو أَحَدُنَا.

تلك هِيَ العِبَرُ التي أَمْلَتْهَا عَلَيْنَا مُشَاهَدَةُ الوَحْدَةِ القَوْمِيَّةِ التي تَجَلَّتْ بِمُنَاسَبَةِ كَارِثَةِ النَّفِيضَةِ، وَقَدْ كَانَتْ عُنْوَانًا لِلتَّضَامُنِ الفَعَّال وَعُرْبونًا لِلفَوْزِ القَرِيب.

سَقَطَ المُضْرِبُونَ بِالنَّفِيضَة، فَوَقَفَتِ الأُمَّةُ بِأَكْمَلِهَا مُنادِيَةً بِالقِصَاص، فَتَجَاوَبَتِ الأَصْدَاءُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ. وَاعْتُقِلَ المَضْرِبُونَ بِزَغْوان وَالنَّفِيضَة أَيْضًا، فَصَرَخَتِ الطَّبَقَةُ الشَّغِيلَةُ كُلُّها وَالشَّعْبُ التُّونِسِيُّ مَعَها كَالرَّجُلِ الوَاحِدِ في يَوْمٍ يَشْهَدُ بِهِ التَّارِيخُ أَنَّهُ مِنْ أَيَّامِ الفَخْرِ وَالذِّكْرَيَاتِ التي لا تَمَّحِي.

فَأُحِبُّكَ وَأُخْلِصُ لَكَ العَمَلَ.
وَإِنْ دُمْتَ هَكَذَا مُتَّحِدًا فَوَاللَّهِ لَنْ تُغْلَبَ أَبَدًا.

فَرْحاتْ حشّاد



فرحات حشّاد وَسَطَ الصُّورَة في جَمْعٍ مِنَ المُناضِلِينَ
في مَوْكِبِ تأبينِ شُهَدَاءِ النّفِيضَة بِالجامعِ الكَبير بِسُوسة

انتِشالُ أطفالِنا أمرٌ ضروريٌّ

نشر بجريدة «الحرّيّة» عَدَد 148 (21 ديسمبر 1950)

إنَّ مُسْتَقْبَلَ الشُّعُوبِ يَنْبَنِي على سَوَاعِدِ الرِّجَالِ وَعلى الأَنْظِمَةِ التي تَضعُ بَرَامِجَ الحَيَاةِ الشَّعْبيَّةِ فِي جَمِيعِ مَيَادِينِ النَّشَاطِ مِنْ ثَقَافَةٍ وَاجْتِمَاعٍ وَاقْتِصَادٍ وَآدَابٍ وَخُلُقٍ وَفَنٍّ حَتَّى يُصْبحَ الشَّخْصُ يَشْعُرُ بِقِيمَتِهِ فِي المُجْتَمَعِ كَمَا يَشْعُرُ الجَمِيعُ بِالوَاجبِ نحْوَ الوَطَنِ الذِي يَحْتَضِنُ التُّرَاثَ القَوْمِيَّ وَيَحْمِيه، وَذلِكَ بما يُعِدُّهُ لـهُ الشَّعْبُ مِنْ نِظَامٍ يَحْفَظُ حُقُوقَ الجَمِيعِ فِي دَائِرَةِ العَدْلِ وَالأُخُوَّةِ وَالتَّآلُفِ.

وَالمُسْتَقْبَلُ الذي نَعْمَلُ علَى بِنَاءِ صَرْحِهِ هُوَ ذلك الغَدُ الزَّاهِرُ الذي سَنُكَيِّفُهُ لِبِلادِنَا حَسَبَ مَا نَرْتَضِيهِ لِأَنفُسِنَا وَنَحْنُ العَارِفُونَ بِمَا يَلزَمُ وَمَا نَودُّهُ دُونَ غَيْرِنَا.

وَرجَالُ الغدِ الذِينَ سَتُنَاطُ بِعُهْدَتِهِمْ تلك المُهِمَّةُ العُظْمَى هُمْ شَبَابُ اليَوْمِ وَهُمْ أَطْفَالُنَا الذين لا حَوْلَ لَهُمْ وَلاَ قُوَّة.

فَمَسْؤُولِيَّتُنَا نَحْنُ هِيَ مَسْؤُولِيَّةٌ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلى تَهْيِئَةِ الطَّرِيق، بَلْ هِيَ تَشْمَلُ أَيْضًا إِعْدَادِ الرِّجَالِ الذينَ سَيَقُومُونَ بِإِتْمَامِ المُهِمَّةِ وَإِتْقَانِهَا وَخُصُوصًا السَّهَرِ عَلَى أَنْ لا يَمَسَّهُمْ سُوءٌ مِنْ أَيَّةِ نَاحِيَةٍ كَانَتْ.

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى هَذِهِ المَسْأَلَةِ الحَيَوِيَّةِ نَجِدُ أَنْفُسَنَا في حالةٍ يُؤْسَفُ لَهَا لِمَا نُشَاهِدُهُ مِنْ مَأْسَاةٍ تُدْمِي القُلُوبَ وَلَكِنَّهَا تَسْتَفِزُّ العَوَاطِفُ وَتَبْعَثُ في الإِنْسَانِ رُوحَ الحَسْرَةِ وَالضَّجَرْ.

كَيْفَ لاَ وَقدِ امْتلأَتِ الشَّوارِعُ بِهؤُلاَءِ الأَطْفَالِ الشُّرَّدِ العُرَاةِ الجِياعِ وَالذِينَ تَتَجَسَّمُ في أَشْبَاحِهِمْ الإِنْسَانِيَّةُ المُعَذَّبَةُ البائِسَة.

وَلَمْ تكُن المداشِرُ وَالقُرَى أَحْسَنَ حَالاً مِنْ تلك التي عليها المُدُنُ الكُبْرَى في هذا الميدَانِ، بَلْ عَمَّ المُصابُ، وَانتَشَرَ البُؤْسُ، وَأَصْبَحَتِ المناظِرُ المُؤْلِمَةُ تُجْبِرُ الإِنْسَانَ على أنْ يُحَوِّلَ اهْتِمَامَهُ إِلَى هذِهِ القَضِيَّةِ التي كَادَتْ تَكونُ لِلشَّعْبِ التُّونِسِيِّ أَوَّلَ عِبْرَةٍ تَتَمَثَّلُ فيها نَتِيجَةُ السِيَّاسَةِ الاسْتِعْمَارِيَّةِ المَسْلُوكَةِ بِبِلاَدِنَا.

فَنحْنُ نُحِسُّ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِنَا بذلك الوَاجِبِ العَظِيمِ الذي يَفْرِضُهُ عَلَيْنَا وُجُوبُ العَمَلِ المُجْدِي لِإِنْقاذِ نَاشِئَتِنَا مِنْ مَخَالِبِ الجَهْلِ وَالفَقْرِ وَالتَّعَاسَةِ وَالأَخْلاَقِ الفَاسِدَةِ وَالمُسْتَقْبَلِ المُظْلِمِ.

وَلَقَدْ شَعُرَتِ الأُمَّةُ التُّونِسِيَّةُ بِهَذَا الوَاجِبِ المَفْرُوضِ عليها فَأَخَذَتْ تُؤَسِّسُ المَشَاريعَ تِلْوَ المَشَاريعِ لِإِغاثَةِ المُعْوزِين وَلإِعانَةِ البُؤَساءِ وَلاِنْتِشَالِ الأَطْفَالِ كُلَّمَا اسْتَطاعَتْ إلى ذلك سَبِيلاً.

فَفِي مَيْدَانِ التَّعْلِيمِ أَخذَتِ الحُكُومَةُ على طريقِ مُدِيرِ المَعارِف في عَرْقَلَةِ انْتِشارِ المدارسِ القُرْآنِيَّةِ.

وَفِي مَيْدَانِ الإِغاثَةِ فَالجَمِيعُ يَعْلَمُ ما تُلاَقِيهِ المشاريعُ مِنْ عَقَبَاتٍ لِإِحْدَاثِ المؤَسَّسَاتِ وَجَمْعِ الأَمْوَالِ لِهَذَا الغَرَضِ فَضْلاً عن إِعْرَاضِ الحُكُومَةِ عَنْ مَنْحِ تلك المؤَسَّساتِ مَا تَتَطَلَّبُهُ مِنْ إِعَانَةٍ مادِّيةٍ وَتَشْجيعٍ ومُؤَازرَةٍ. وَلَكِنْ بَعْدَ بَيانِ تِلك الحَقَائقِ التي لا يُنْكِرُهَا أَحَدٌ لَنا أَنْ نَتساءلَ هَلْ قامَ الشَّعْبُ نَحْوَ أَبْنَائِهِ الفُقَرَاءِ بِكُلِّ ما لَدَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ في سَبيل إِنْقاذِهِمْ وإِعْدادِهم لما يَنْتَظِرُهُمْ من مَهامَّ عَظِيمَةٍ وَمِنْ أَعْمال جَبَّارَةٍ لِإِتْمَامِ البِناءِ الذي نَحْنُ بِصَدَدِ وَضْعِ حَجَرِهِ الأَسَاسِيِّ المُبَارَك.

كَلاَّ وَأَلْفُ كَلاَّ.

إِنَّنَا لَوْ أَدْرَكْنَا حقيقةَ أَهَمِّيَةِ المَسْأَلَةِ لَشَمَّرْنَا عَلَى سَوَاعِدِنَا وَلَوَضَعْنَا بِأَيْدِينا أَجْهِزَتَنَا التَّقَدُّمِيَّةَ رَغْمَ الحَوَاجِزِ وَرَغْمَ الصُعُوبَاتِ.

فَلَقَدْ تَوَجَّهْنَا بِشَدِيدِ الانْتِقادِ وَالاِحْتِجَاجِ والاِسْتِنْكارِ إلى الحُكُومَةِ التي رُبَّمَا كان من مَصْلَحَةِ المَحْظُوظِينَ أَنْ تَبْقَى الحَالَةُ على ما هِيَ عليه، وَلَكِنْ هَلْ لنا أنْ نَقْتَصِرَ على الاِحْتِجَاجِ وَنُسَجِّلَ إِصْرَارَ الحُكُومَةِ في تَقاعُسِها نَحْوَ أَبْنَائِنَا وَمُسْتَقْبَلِنَا.

إِنَّ مُسْتَقْبَلَنَا بِأَيْدِينا، فَلَنَا أَنْ نَدُوسَ العَرَاقِيلَ دَوْسًا وَأَنْ نُحَطِّمَهَا تَحْطِيمًا، فَلاَ نَرْكُنَ قَطُ لِمَنْ يَعْتَرِضُ تَقَدُّمَنا وَيُحَاوِلُ إِحْباطَ مَساعِينا الإِنْشَائِيَّةِ التي سَتُقامُ عليها حَياةُ بِلاَدِنا وَيَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا ازْدِهارُ شَعْبِنَا.

فَلْنُوجِدِ العَمَلَ لِلبَطَّالِينَ، وَلْنَزِدْ في المدارس للأَطْفال، ولْنَسِرْ قَافِلَةً وَاحِدَةً في طريقِ العِزَّةِ والعَمَلِ المُجْدِي المُثْمِرِ حَتَّى نَفْرِضَ إرادَتُنَا على مَنْ يُحاوِلُ إِرْجَاعَنَا إلى الوَرَاءِ. وَبِذَلِكَ فَقَطْ نُحَقِّقُ لِبِلاَدِنا سَعَادَتَها وَلِأُمَّتِنَا رَفاهِيَّتَهَا وَلِلْأَفْرَادِ جَمِيعًا حَياةً كَرِيمَة.

فَرْحاتْ حشّاد

"تُونس ومُؤتَمرُ النِّقَابات الحرَّةً"

«لِوَاءُ الحُرِّيَّة» 24 جوان 1951 عدد 13

سَينْعَقدُ بِمَدينَةِ ميلانُو في أَوَائِل شَهرِ جويلية المُقْبل مُؤْتَمرُ الجامِعَةِ العَالَمِيَّةِ لِلنِّقَابَاتِ الحُرَّةِ الذي سَيحْضُرُهُ مُمَثِّلُو الاتِّحَادِ العَامِّ التُّونِسِيِّ للشُّغْل بِصِفَتِهِمْ مَنْدُوبِينَ عَن المُنَظَّمَةِ النَّقَابِيَّةِ التّونُسِيَّةِ الوَحِيدَةِ التي تُمَثِّلُ الطَّبَقَةَ الشَّغِيلَةَ التُّونِسِيَّةَ وَتَتَكَلَّمُ باسْمِ تُونس فِي المَنَابِرِ النَّقَابِيَّةِ العَالَمِيَّةِ.

وَقَد اسْتَعَدَّ وَفْدُ الاِتِّحَادِ العَامِّ التُّونِسِيِّ للشُّغْل أَتَمَّ الاِسْتَعْدَادِ للمُشَارَكَةِ في أَعْمَال ذلك المُؤْتَمر الذي سَيَبْحَثُ في كُلِّ المَسَائِل العالَمِيَّةِ التي لها مَسَاسٌ بِحياةِ الشَّغَّالِينَ مِنَ النَّاحِيَّةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ وَالسِيَّاسِيَّةِ وَالثّقَافِيَّةِ. وَسَيَدْرُسُ المُؤتَمرُ عِدَّةَ تَقَارِيرَ وَعِدَّةَ مَقْتَرحَاتٍ فِي مِضْمَارِ العَلاَقَاتِ بَيْنَ عُمَّالِ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا وَإِيجَادِ الحُلُولِ النَّاجِعَةِ بالنِّسْبَةِ لِلمشَاكِلِ العَدِيدَةِ المُتَنَوِّعَةِ التي تَشْغَلُ بالَ الحُكُومَاتِ وَالشُّعُوبِ.

وَمِمَّا لاَ شَكَّ فيهِ أَنَّ المُؤْتَمرَ العَالَمِيَّ سَيَتَنَاوَلُ البَحْثَ الدَّقِيقَ فِي مُشْكِلَةِ الوَضْعِ الاِسْتِعْمَارِيِّ المَفْرُوض على الشُّعُوبِ وَكُلِّ مَا يَنْجَرُّ عَنْ ذَلِكَ الوَضْعِ مِنَ اضْطِهَادِ الحَرَكَةِ النَّقَابِيَّةِ وَعَرْقَلَةِ تَقدُّمِهَا واعْتِدَاءَاتٍ على الحُرِّيَاتِ الشَّخْصِيَّةِ وَالجَمَاعِيَّةِ وعلى الحُقُوقِ البَشَرِيَّةِ.

وَالجَامِعَةُ النَّقَابِيَّةُ العَالَمِيَّةُ سَتَنْظُرُ بِطَبِيعَةِ الحَال إلى الحالَةِ النَّقَابِيَّةِ بالنِّسْبَةِ لِلأَقْطَارِ المُوَلَّى عليها. وَسَيَأْخُذُ الاِتِّحَادُ العَامُّ التّونُسِيُّ قِسْطَهُ الأَوْفَى فِي الدِّفَاعِ عَنِ الشَّغَالِينَ بِتِلْكَ الأَقْطَارِ دِفَاعًا صَادِقًا ثابِتًا مَبْنِيًّا على الحقائِقِ المَلْمُوسَةِ التي

لاَ تَقْبَلُ الجدالَ. وَسَيَبْسطُ الاتّحادُ العامُّ. في هذا الصَّدَدِ الحَالَةَ الرَّاهِنَةَ بالشَّمالِ الإِفْرِيقِيّ وَبوَضْعِ أَسَالِيبِ الضَّغْطِ المَفْرُوضَةِ على إِخْوانِنَا الجَزَائِرِيّينَ وَالمُرَّاكشِيّينَ وَالتِي تَحْرِمُهُمْ مِنْ حَقِّ التَّمَتُّعِ بالحُرِيَّاتِ البَسِيطَةِ. كَمَا أَنَّ وَفْدُ الاتِّحَادِ سَيَقُومُ بِتَقْدِيمِ تَقْرِيرٍ ضَافٍ حَوْلَ الحَالَةِ السِّيَاسِيَّةِ العَامَّةِ التي تُعَرْقِلُ سَيْرَ الشُّعُوبِ المُوَلَّى عليها نحوْ غَايَاتِهَا الطَّبِيعِيّةِ في النُّهُوضِ وَالحُرِيَّةِ وَمُبَاشَرَةِ شُؤُونِهَا بِنَفْسِهَا في جَمِيعِ المَيَادِينِ.

وَالجَامِعَةُ العَالَمِيَّةُ الحُرَّةُ سَتَهْتَمُّ اهْتِمَامًا فَائِقًا بالاِضْطِرابَاتِ الدَّوْلِيَّةِ التي تُهَدِّدُ السَّلاَمَ في العَالَمِ، فَيَصْدَعُ الاتِّحَادُ العَامُّ بِصَوْتِ الشُّعُوبِ المَغْلُوبَةِ على أَمْرِهَا وَالمُكَافِحَةِ ضِدَّ الاسْتِعْمَارِ مُوَضِّحًا أَنَّ السَّبَبَ الأَصْلِيَّ في إِثَارَةِ القَلاَقِلَ في العَالَمِ هِيَ الفِكْرَةُ الاسْتِعْمَارِيَّةُ التي تَجْعَلُ دَوْلَةً مُعَيَّنَةً تَفْرِضُ سَيْطَرَتَهَا على دَوْلَةٍ أُخْرَى وَتَسْتَغِلُّ خَيْرَاتِهَا وَتَسْطُو على كُلِّ ما فيها لِفَائِدَةِ العُنْصُرِ المَحْظُوظِ، فَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَتِبَّ الأَمْنُ في الدُّنْيَا بِوَاسِطَةِ المَوَاثِيقِ الدَّوْلِيَّةِ وَلَو اتَّفَقَ في ذلك الأَقْطَابُ الأَرْبَعَةُ أَوِ الخَمْسَةُ ما دَامَ النِّظَامُ الاسْتِعْمَارِيُّ قَائِمًا بِرُبُوعِ إِفْرِيقْيَا وَغَيْرِهَا مِنَ البُلْدَانِ التي ابْتُلِيَتْ بِدَاءِ الاسْتِعْمَارِ.

فَشُعُوبُنَا تُطَالِبُ بِتَحْرِيرِهَا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلاَ شَيْءَ يَهُمُّنَا مِنْ سَيْرِ تَطَوُّرَاتِ الأَحْدَاثِ العَالَمِيَّةِ مَادَامَتْ هِيَ تَرْزَحُ تَحْتَ نَيرِ الاسْتِعْبَادِ وَالقُيُودِ الاسْتِعْمَارِيّةِ.

وَالاتِّحَادِ العَامُّ سَيَأْخُذُ النَّصِيبَ الأَوْفَرَ في الدِّفَاعِ عَنِ الحُرِيَّةِ النَّقَابِيَّةِ وَالاسْتِقلالِ النَّقَابِيّ بالنِّسْبَةِ لِكُلِّ قُطْرٍ وَلِكُلِّ وَطَنٍ، فَلاَ يَرْضَى بِأَنْ تَسُودَ الفِكْرَةُ النَّقَابِيَّةُ الاسْتِعْمَارِيَّةُ، بَلْ سَيَرْفَعُ لِوَاءَ الحُرِيَّةِ النَّقَابِيَّةِ المُطْلَقَةِ كَشَرْطٍ مِنَ الشُّرُوطِ الأَصْلِيَّةِ لِتَحْرِيرِ البَشَرِ خُصُوصًا بِالنِّسْبَةِ لِلشُّعُوبِ المُوَلَّى عليها.

فَإِنَّ تحْرِيرَ الحرَكَةِ النَّقَابيَّةِ بِهَا لَهِيَ أَقْوى سِلاَحٍ يُمَكِّنُ العُمَّالَ مِنَ النِّضَالِ المُبَاشِرِ باعْتِمَادِهِم على أَنْفُسِهِمْ قَبْلَ كُلِّ شيْءٍ وَمُسْتَمِدِّينَ مِنَ الحرَكَةِ النَّقَابيَّةِ العَالَمِيَّةِ رُوحَ التَّضَامُنِ الأَخَوِيِّ لاَ خُضُوعًا وَلاَ اسْتِسْلاَمًا لِمُنَظَّمَةٍ أُخْرَى رُبَّمَا مَالَتْ إلى فِكْرَةِ التَّفَوُّقِ العُنْصُرِيِّ وَتَحْبِيذِ النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ القَائِمِ على دَعَائِمِ الظُّلْمِ وَالجَبَرُوتِ كَمَا هُوَ الشَّأْنُ بالنِّسْبَةِ لِلمُنَظَّمَاتِ الفِرَنْسِيَّةِ مَثَلاً. وَهَذَا مَوْقِفُهُمْ في مَيْدَانِ الوَظِيفَةِ العُمُومِيَّةِ التّونسِيَّةِ أَقْوَى شَاهِدٍ وَدَلِيلٍ عَلَى فَسَادِ نِيَّتِهِمْ وَمَا يَكِنُّونَهُ مِنْ سُوءٍ نَحْوَ الأُمَّةِ التُّونسِيَّةِ بِأَجْمَعِهَا.

فَالاتِّحَادُ العَامُّ التُّونسِيُّ للشُّغْلِ يُرِيدُ مِنْ مُشَارَكَتِهِ في مُؤْتَمرِ الجَامِعَةِ العَالَمِيَّةِ لِلنَّقَاباتِ الحُرَّةِ تَوْجِيهَ الجُهُودِ إلى مَا سَيَعُودُ بِالنَّفْعِ على الشُّعُوبِ المُوَلَّى عليها حَتَّى يَزُولَ نِظَامُ الاسْتِعْمَارِ البَغِيضِ. ثُمَّ إنَّ الاتِّحَادَ يُرِيدُ التَّخَلُّصَ مِنْ رِبْقَةِ الاسْتِعْمَارِ لِتَسُودَ الحُرِّيَّةُ وَ لِتَفُوزَ الطَّبَقَةُ الشَّغِيلَةُ بِتَحْقِيقِ رغَائِبِهَا في الرُّقِيِّ الاجْتِمَاعِيِّ بازْدِهَارِ المُؤَسَّسَاتِ القَوْمِيَّةِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ في ظِلِّ ذَلِكَ بِفَضْلِ ما تَبْذُلُهُ مِنْ جُهُودٍ صَادِقَةٍ غَيْرَ مُكْتَرِثِينَ بالمُنَاوَرَاتِ الهَدَّامَةِ التي لاَ تُؤَثِّرُ قَطُّ على نَشَاطِنَا لِفَائِدَةِ الأُمَّةِ وَالوَطن.

فرحات حشّاد



التونسية تعلم ان اشتغالها بغير الاستعمار ـ وهو جاثم على صدرها ـ نجاح له و كل جهد يبذل

في غير مكافحته انما هو جهد ضاع على الوطن وخسارة لا تعوض

لِواء الحُرّيّة

العدد العاشر — الاحد ٢٨ شعبان ١٣٧٠ الموافق ٣ جوان ١٩٥١ — الثمن ٢٠ ف

الرئيس الجليل امام الصحافيين الاندنسيين في جاكرتا في الندوة الصحافية التي اقامها يوم ١٢ - ٤ - ١٩٥١

... بل يجب حذف العدلية الاجنبية

بقلم عبد الصمد

ماذا تريد فرنسا ان تكون نواياها نحوها؟ وماذا يريد الفرنسيون ان نضمر لهم؟ بل ماذا تريد امريكا التي ترغب ان تؤلف جبهة قوية ضد الشيوعية ان نكون زمن الحرب؟ فهل تريد ان نكون مخلصين لفرنسا وهذه سياستها ثم؟ ام هل ترتجي ان نكون بجانب فرنسا ندافع عنها غائلة الشيوعية كما دافعنا عنها قبل غائلة الديكتاتورية وهي التي نزعت من قلوبنا كل عطف وولاء مدة سبعين سنة كلها ظلم لنا وتعد على حقوقنا واعتداء على كرامة سيادتنا.

فمن الحطال في الراي والتعامي ... تعتدي على سيادة دولتنا التونسية دائما لهم على ذلك التوغل في الحكم المباشر ومحق الذاتية التونسية وفرنسة الدولة التونسية ففي ٢١ ماية ١٩٥١ اصدر المقيم العام المكلف بتطبيق تعهدات دولته قرارا نهاية في التعدي وغاية في الاعتداء على كرامة الدولة التونسية بحذف منصب وكلاء الدولة لدى المحاكم التونسية خصص بالفرنسيين.

ولا شك ان المقيم قد اعتمد عن الفصل الرابع من الامر العلي المؤرخ في ٧ جوان ١٩٣٧ القائل ان مناصب الرقابة المتولدة عن تنفيذ ميثاق ٩ جوان ١٨٨٣ المنظمة للعلائق ...

حريتنا ونترك يد المستعمرين فسادا وتستمر وتستغل.

ثم اين معنى توظيف التونسيين في وظائف ادارتهم واين العمل على ازالة الحكم المباشر الذي تحدث عنه وزير خارجية له كلمته المسموعة في المحافل الدولية فاذا لم يحترم الفرنسيون كلمة ووعد لرئيسهم الاول فكيف تحترم الدول كلمتهم فبهذه السياسة وبهذه المعاملة وبهذه النوايا الخبيثة تريد فرنسا او تؤمل هي وامريكا ان نكون معها في ...

ارباب الصناعة التونسية

يجيبون ورقة «تونيز» فرانسا

تحت عنوان «الاعين المتلقة» كتب احمد عمري ورقة «تونزي فرانس» بامضاء: «ازاد» يطلب منا ماذا نفكر في مسالك «الحبيب الثالث» (يعني الحبيب بورقيبة).

وقد تساءلنا في انفسنا: اية علاقة تربط هاته المسألة بسفرنا الاستطلاعي الى فرنسا؟

نحن في الحقيقة اصحاب مصانع وليس لنا اي ادعاء في ميدان السياسة ولم نكن نترقب ابدا ان سفرنا ...

التبعة عليه طبعا.

ان راينا في الحبيب بورقيبة هو التالي:

«نحن نعتقد بدون تردد اي وصفتنا تونسيين شاعرين بالمصالح العليا لبلادنا بان الاستاذ الحبيب بورقيبة يتمتع بثقتنا الكاملة ويلحق لنا التام في العمل الذي ما انفك يقوم به لفائدة الجميع.

الامضاءات: باحمد بشير ـ حسن المحجوب ـ حامدي الكباتي

صُورةُ جريدةِ «لِواء الحُرِّيَّة»

"لن تُقهر إرادةُ الشّعب"

«لِواءُ الحُرِّيَّة» 2 سبتمبر 1951

انْتَهَتِ الجَوْلَةُ التي قُمْنَا بها طِيلَةَ الأسبوع المَاضِي بِجِهَةِ السَّاحِلِ وَجِهَةِ القَيْرَوانِ وَالفِراشِيش والتي مَكَّنَتْنَا مِنْ مُشَاهَدَةِ الحَالَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ التي عليها الشَّعْبُ. وكَانَتْ فُرْصَةً سَائِحَةً لِلاتِّصال مُبَاشَرَةً بِجَمِيعِ الأَوْسَاطِ الشَّعْبِيَّةِ والجَمَاهِيرِ وبالهَيْئَاتِ وَالمُؤَسَّسَاتِ السَّاهِرَةِ على ازْدِهارِ الحَرَكَةِ القَوْمِيَّةِ في مُخْتَلَفِ مَيادِينِ النَّشَاطِ.

فَكَانَتْ الاجْتِمَاعَاتُ النَّقَابِيَّةُ العَامَّةُ تَتَخَلَّلُهَا اجْتِمَاعَاتٌ خَاصَّةٌ تَحْتَ إِشْرَافِ اللِّجَانِ الفَرْعِيَّةِ للضَّمَانَاتِ الدُّسْتُورِيَّةِ وَالتَّمْثِيلِ الشَّعْبِيِّ مِمَّا خَوَّلَ لَنَا الاِطِّلاَعَ على حَالَةِ الشَّغَّالِينَ وَدَرْسَ مُعْضِلَةِ البَطَالَةِ التي تَفَشَّتْ في الصُّفُوفِ الشَّعْبِيَّةِ وَاسْتَفْحَلَ خَطَرُهَا في البَوَادِي وَالمُدُنِ وَالقُرَى مِنْ سَوَاحِلِ المَهْدِيَّةِ إلى جبالِ القَصْرِين وَتالَةَ بِصِفَةٍ مَهُولَة.

وَأَقْبَلَتِ الجَمَاهِيرُ إِقْبالاً فَائِقًا على كُلِّ هَاتِهِ الاجْتِمَاعَاتِ بسوسة وَالمَهْدِيَّةَ وقصور السَّاف وطبلبة والقيروان وفِرْيانة والقصرين وتالة والقلعة الصُّغرى. كَمَا أَنَّ الاتِّصَالاَتِ بالمَسْؤولِين النّقابيّين بالمنستير وَبِمْبلة وسبيطلة وغيرها مِنَ المَراكز، وَالبَحْثَ الواسِعَ لِكُلِّ المشاكِلِ القَائِمَةِ بِتِلْكَ الجِهاتِ كانَتْ مُفِيدَةً وَدَلَّتْ على مَدَى تَعَلُّقِ الشَّعْبِ بِمُنَظَّمَتِهِ القَوْمِيَّةِ وَمَدَى الثِّقَةِ التي تَتَمَتَّعُ بها الحركةُ النِّقابِيّةُ في تلك الرُّبُوعِ.

وَكَانَ اهْتِمَامُنَا المُتَزَايِدُ بِقَضِيَّةِ البَطَّالِينَ يَدْفَعُنَا إلى البَحْثِ المُدَقِّق حَوْلَ هذهِ المُشْكِلَةِ الخَطِيرَةِ، فَكَانَتْ مُشَاهَدَاتُنَا تؤَيِّدُ كُلَّ مَا نَعْرِفُهُ عَنْ تلك القَضِيّةِ مِنْ مَهَازِلَ اسْتِعْمَارِيَّةٍ وَمَنْ وَضْع عراقيل في وَجْهِ الشَّعْبِ وذلك تمْهِيدًا لِخطَّةِ الاستعمارِ المُدَبَّرَةِ والرّأسمال في عرقلة سَيْرِ هذه البِلاَد نحو التَّقَدُّمِ وَالنُّهُوض.

فَكُلَّمَا نَظرنا في مُشكلةٍ مِنَ المشاكِلِ التي تَشْغَلُ بالَ السُّكَانِ سواءٌ مِنَ النَّاحِيَةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ أوْ مِنَ الوُجْهَةِ الاِقْتِصَادِيَّةِ إلاَّ وَتبَيَّنَ بِصِفَةٍ جَلِيَّةٍ لا غُبَارَ عليها أنَّ يَدَ الاِسْتِعْمَارِ هِيَ التي تَعْبَثُ بِمَصَالِحِ الشَّعْبِ، وهِيَ التي تُحَرِّكُ دَوَالِيبَ سِيَاسَةِ الفَقْرِ وَالجَهْلِ وَسِيَاسَةِ تَفَوُّقِ المُحْظُوظِيّةِ التي تُسَخِّرُ السُّلَطُ العَامَّةُ لِخِدْمَةِ مَصَالِحِهَا وَتَدْعِيم امْتِيَازاتِهَا بِهَذِهِ البِلاد.

فهذا ما نَسْتَنْتِجُهُ حِينَ نَنْظُرُ في نَشَاطِ إِدَارَةِ الأَشْغَالِ العُمُومِيَّةِ، وَحِينَ نَبْحَثُ عَنْ مُشْكِلَةِ الحَلْفَا أَوْ نَنْكَبُّ مُسْتَفْسِرِينَ عَنْ أَسْبَابِ البطَالَةِ التي اسْتَحْكَمَتْ وأَصْبَحَتْ تُهَدِّدُ الشَّعْبَ بِالفَنَاءِ بَعْدَ أنْ سَادَتِ المَجَاعَةُ وَعَمَّ البُؤْسُ وَعَظُمَ البلاءُ.

وَمَعَ ذلك فَإِنَّ السُّلَطَ تدَّعِي أَنَهَا أَخَذَتْ بيدِهَا النُّفُوذَ وَاسْتَحْوَذَتْ على السُّلْطَانِ في هذِهِ البلادِ لِلسَّهَرِ على مَصَالِحِ الشَّعْبِ وَالسَّيْرِ بِهِ في طَرِيقِ التَّقَدُّمِ وَالنُّهُوض، قُلْنَا إِنَّ السُّلَطَ التي بِيَدِهَا النُّفُوذُ عِوَضًا أَنْ تَهْتَمَّ بِمُحَارَبَةِ هَذِهِ التَّعَاسَةِ وَتَسخير كُلّ الأسبابِ للتَّخْفِيفِ مِنْ آلاَمِ الشّعب البائِسِ وَإِنْقَاذِهِ من هذا الدّاء الوَبِيلِ فلا يَهُمُّهَا مِنْ كُلِّ هذِهِ الأمور إلاّ ما تُسَمِّيهِ «بالأَمْنِ العامّ». فهي تَقومُ بِنَشَاطٍ لاَ مَزِيدَ عليه وفي حَزْمٍ لاَ يَعْرِفُ الكَلَلَ، وذاك جَرْيًا وَرَاءَ مَنْعِ الاِجْتِمَاعَاتِ وَتَحْجِير النَّدَوَاتِ الخاصّةِ المُنظَّمَةِ في المَحَلاّتِ الخَاصَّةِ وَبالاستدعاءَاتِ الشَّخْصِيَّةِ.

وَالسُّلَطُ ذاتُ النُّفوذِ تَظُنُّ حِينَئِذٍ أَنَّ خَنْقَ الحُرِّيَّاتِ، وَتَسْلِيطَ التَّتَبُّعاتِ، وَفَتْحَ أَبْوابِ السُّجونِ في وَجْهِ الرِّجَالِ العَامِلِينَ، واسْتِخْدَامَ القَوانِينَ الزَّجْرِيَّةِ الاِسْتِثْنَائِيَّةِ، كُلُّ ذلك مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُخْفِتَ صَوْتَنَا وَيَصُدَّنَا عَنْ نِضَالِنَا وَعَنْ كِفَاحِنَا في سَبِيلِ التَّخَلُّصِ مِنْ رِبْقَةِ العُبُودِيَّةِ.

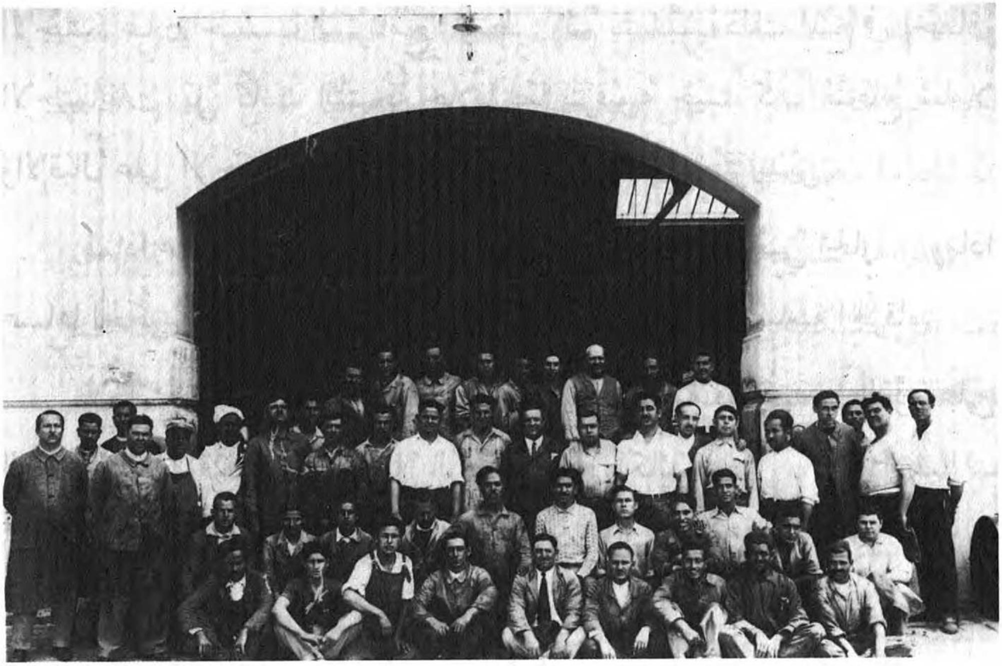
وَكَانَ مِنْ نَتَائِجِ هذه المُضَايقَاتِ أَنْ وَقَعَ تَتَبُّعُ المَسْؤُولِينَ عَنْ تَنْظِيمِ الاِجْتِمَاعَاتِ الخَاصّةِ بقصور السّاف وتالة والقيروان. ولم يَمْنَعْ ذلك التَّتَبُّعُ وقُوعَ الاِجْتِمَاعَاتِ حَسَبَ البَرْنَامَجِ المُسَطَّرِ. وَلَمْ يَتَسَبَّبْ ذلك المَنْعُ في إِخْفاقِ الاِجتِمَاعَاتِ، بَلْ كَانَتِ النَّتِيجَةُ خِلاَفًا لِمَا يَتَرَقَّبُونَهُ حَيْثُ كَانَ النَّجَاحُ شاملاً وَالإِقبَالُ على الاِجْتِمَاعَاتِ إِقْبالاً تامًّا وَبِحَمَاسٍ وانْدِفَاعٍ مُتَزَايِدَيْنِ.

فماذا عساهَا أَنْ تَفْعَلَ سُلَطُ القَمْعِ أَمَامَ هذا التَّيَّارِ الشَّعْبِيِّ الجارفِ. وماذا عساها الحكُومَةُ أَنْ تَصْنَعَ وقد تَفَاقَمَ الغَضَبُ بِسَبَبِ هَذِهِ السِّياسَة الخَرْقاء.

إِنَّ الشغّالِينَ وَالمُتَوَظّفِينَ وَسَائِرَ الجماهير الشَّعْبِيَّةِ قَدْ عَقَدَتِ العَزْمَ على الدِّفَاعِ عَنْ حُقُوقِنَا مهما اسْتَعْمَلَ الرَّجْعِيُّونَ مِنْ مَكَائِدَ.

فَسَوْفَ يَكُونُ النَّصْرُ إِلى جَانِبِ المُكَافِحِينَ الصّادِقِينَ.

فرحات حشّاد



يظهر فرحات حشّاد بقميصٍ أبيض وَسَطَ الصُّورة في جمع مِنَ العُمَّال.

"حولَ الأزمةِ التُّونسيّة"

«لواء الحريّة» 29 أفريل 1951

(العدد الخامس)

تَتفَاقَمُ الأَزْمَةُ التُّونسِيَّةُ بَعْدَ أن اتَّضحَتْ سُوءُ نِيَّةِ المُسْتَعْمِرِ وَظَهرَ لِلعِيَانِ مَا يَكِنُّهُ مِنْ عدَاوَةٍ لِهَذَا الشَّعْبِ الأَبِيّ.

فَالأُمُورُ الإِدَارِيَّةُ مُعَطَّلَةٌ بِسَبَبِ عَدَمِ انسِجَامِ الهَيْكَلِ الحُكُومِيِّ. فَمُدِيرُ الإِدَارَةِ الفِرَنْسِيُّ لاَ يَعْتَبِرُ نَفْسَهُ بِمَثَابَةِ مُوَظَّفٍ سَامٍ لِلدَّوْلَةِ التُّونسِيَّةِ، وَلاَ كَفَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الحُكُومَةِ التُّونسِيَّةِ، فَلاَ يَأْتَمِرُ بِأَوامِرِ مَجْلِسِ الوِزَارَةِ، وَلَكِنَّهُ يُقِيمُ الدَّلِيلَ على اسْتِقْلاَلِهِ بِذَاتِهِ، وعَلَى أَنَّهُ لاَ يَسْتَمِدُّ النُّفُوذَ إِلاَّ مِنَ السِّفَارَةِ العَامَّةِ وَلَوْ أَدَّى بِهِ الحَالُ إلى السَّيْرِ في الطَّرِيقِ المُعَاكِسِ بِالنِّسْبَةِ لِلطَّرِيقِ التِي يَسْلُكُهَا رَئِيسُ الحُكُومَةِ التُّونسِيَّةِ.

فَالمَوْقِفُ الذِي اتَّخذَهُ السَّادَةُ المُدِيرُونَ لِلإِدَارَاتِ البَاقِيَةِ بِأَيْدِيهِمْ بِمُنَاسَبَةِ انْعِقَادِ المَجْلِسِ الحَقِيرِ لَهُوَ أَكْبَرُ بُرْهَانٍ على أنَّ الوَزِيرَ الأَكْبَرَ وَرَئِيسَ مَجْلِسِ الوُزَرَاءِ لاَ يَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنَ القُوَّةِ على هَؤُلاَءِ القَيَاصِرَةِ، وَلَوْ أَنَّ إِصْلاَحَاتِ 8 فيفري قَدْ مَنَحَتْهُ حَقَّ الإِشْرَافِ عَلَى مَجْمُوعِ الهَيْكَلِ الإِدَارِيِّ التُّونسِيِّ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الوِزَارَةَ التُّونسِيَّةَ لاَ قُدْرَةَ لَهَا على افْتِكَاكِ حُقُوقِ الشَّعْبِ وَالتَّصَرُّفِ فِيهَا طِبْقَ مَا تُشِيرُ بِهِ المَصْلَحَةُ العَامَّةُ لِلبِلاَدِ وَالشَّعْبِ.

فَالوَظِيفَةُ العُمُومِيَّةُ مُعَطَّلَةٌ، وَأَقْطَابُ التَّجَمُّعِ الفِرَنْسِيِّ يَتَصرَّفُونَ فيها تَصرُّفًا مُطْلَقًا، وَالسِّكَكُ الحَدِيدِيَّةُ لَمْ تَرْجَعْ لِلدَّوْلَةِ التُّونسِيَّةِ مُبَاشِرَةً بِالرَّغْمِ مِنِ انْتِهَاءِ

العَقْدِ الذي كانَ يَرْبطُ البلادَ التُّونسِيَّةَ بالشَّركَةِ التي لَمْ تزَلْ تحْكُمُ بحُكْمِهَا بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ وَمُخَالِفَةٍ لِلقَانُونِ.

وَالمَجْلِسُ الحَقِيرُ لاَ يَزَالُ يُوَاصِلُ جَلَسَاتِهِ وَيَنْظُرُ فِي المِيزَانِيَّةِ ويُثْقِلُ كَاهِلَ الشَّعْبِ لِتَدْعِيمِ سِيَاسَةِ التَّفَوُّقِ وَالعُنْصرِيَّةِ. وَالأُمُورُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ مَتْرُوكَةٌ فِي زَوَايَا الإِهْمَالِ إِذْ لاَ قُدْرَةَ لِوَزِيرِ الشُّؤُونِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ عَلَى إِنْجَازِهَا طِبْقَ رَغَائِبِ الشَّغَّالِينَ. وَ البَلَدِيَّاتُ تَعْبَثُ بِمَصَالِحِ السُّكَّانِ، وَتَسْتَمِرُّ فِي سِيَاسَتِهَا الخَرْقَاءِ المُضَادَّةِ لِلصَّالِحِ العَامِّ جَاعِلَةً مِنْ نَفْسِهَا آلَةً يَسْتَعْمِلُهَا المَحْظُوظُونَ لِتَوْفِيرِ أَسْبَابِ الرَّفَاهِيَّةِ لِأَنْفسِهِمْ وَالأَقْرَبِينَ.

وَقَدِ اسْتَفْحَلَتِ الأَزْمَةُ مِنْ جَرَّاءِ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ بِسَبَبِ التَّعَنُّتِ الذِي يَبْدُو ظَاهِرًا وَاضِحًا مِنْ طَرَفِ الجَانِبِ المُسَيْطِرِ كُلَّمَا عَبَّرَ الشَّعْبُ عَنْ رَغَائِبِهِ وَطَالَبَ بِحُقُوقِهِ.

وَذَهَبَ التَّنَطُّعُ بِالبَعْضِ مِنْهُمْ حَتَّى أَنَّهُمْ رَاحُوا يُفَكِّرُونَ مِنْ جَدِيدٍ فِي مَنْحِ الجَالِيَةِ الفِرَنْسِيَّةِ حَقَّ التَّمْثِيلِ التُّرَابِي بِالمَجْلِسِ الوَطَنِيِّ الفِرَنْسِيِّ.

إِنَّ الشَّعْبَ التُّونسِيَّ الذي قَدْ ضَاقَ ذَرْعًا بِهَذِهِ الحَالَةِ قَدْ أَيْقَنَ بِأَنَّ خَلاَصَهُ مِنْهَا يَتَوَقَّفُ عَلَى مَجْهُودِهِ وَمَا يَبْذُلُهُ مِنْ أَعْمَالٍ مُثْمِرَةٍ ثَابِتَةٍ وَمَا يُقَدِّمُهُ مِنْ تَضْحِيَاتٍ فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ غَايَاتِهِ. وَقَدْ أَيْقَنَ أَيْضًا بِأَنَّ حُقُوقَهُ المُغْتَصَبَةَ مِنْهُ اغْتِصَابًا سَوْفَ لاَ تَرْجَعُ لَهُ إِلاَّ بِدَفْعِ ثَمَنِهَا وَبِافْتِكَاكِهَا عَنْوَةً حَيْثُ أَقَامَ الخَصْمُ الدَّلِيلَ طِيلَةَ الأَشْهُرِ المَاضِيَةِ عَلَى عَدَمِ اسْتِعْدَادِهِ لِفَهْمِ الحَقَائِقِ وَعَدَمِ التَّسْلِيمِ بِمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْهِ حُكْمُ الوَاقِعِ، وَهُوَ الذي قَضَى عَلَى النِّظَامِ الاِسْتِعْمَارِيِّ بِالزَّوَالِ.

وَبَعْدَ الأَمْثِلَةِ العَدِيدَةِ المُتَتَابِعَةِ التي عَرَّفَتِ الدُّنْيَا بِمَجْرَى التَّارِيخِ وَتَيَّارِ الشُّعُوبِ التَّقَدُّمِيِّ التَّحْرِيرِي هَاهُوَ الشَّعْبُ الإِسْبَانِيُّ بِدَوْرِهِ يَتَحَرَّكُ وَيَقِفُ فِي وَجْهِ الحُكْمِ الدِّكْتَاتُورِيِّ المَفْرُوضِ عَلَيْهِ بِالقُوَّةِ الحَدِيدِيَّةِ وَإِنْ كَانَتْ قَوْمِيَّةً.

فَكَيْفَ لاَ يَتَحَرَّكُ الشَّعْبُ التُّونِسِيُّ لِتَكْسِيرِ الأَغْلاَلِ الْمُقَيِّدَةِ لِحُرِيَّاتِهِ وَهِيَ الْمُسْتَمَدَّةُ مِنْ نِظَامٍ دِيكْتَاتُورِيٍّ أَجْنَبِيٍّ! ...

فَهذِهِ الأَزْمَةُ الْمُتَفَاقِمُ أَمْرُهَا إِنَّمَا هِيَ فِي الحَقِيقَةِ تُبَشِّرُ بِالْخَيْرِ القَرِيبِ. فَالشَّعْبُ التّونِسِيُّ اليَوْمَ بِمَثَابَةِ الفَلاَّحِ الذي خَدمَ الأَرْضَ وَبَذرَ البَذْرَ الصَّالِحَ وَوَقَفَ يَنْتَظِرُ تَهَاطُلَ الأَمْطَارِ.

وَمَا السُّحُبُ الْمُتَلَبِّدَةُ وَتِلْكَ الغُيُومُ إِلاَّ دَلِيلٌ على قُرْبِ انْفِجارِ الزَّوْبَعَةِ الجَوِّيَةِ التي يَعْقُبُهَا السَّيْلُ الْمُنْتَظَرُ. فَنَحنُ لاَ نَحْزَنُ لِذَلِكَ الانْفِجَارِ إِذْ فِيهِ كُلُّ خَيْرٍ وَفِيهِ كُلُّ بُشْرَى.

وَلَكِنَّ الوَيْلَ كُلَّ الوَيْلِ لِمَنْ لَبِسَ الثِّيَابَ الخَفِيفَةَ واطْمَأَنَّ على نَفْسِهِ وَظَنَّهَا شَمْسًا لاَمِعَةً فِي جَوٍّ صَافٍ يَدْعُو إِلَى اللَّعِبِ وَالتَّنَزُّهِ.

فَذَاكَ الذِي يَخْشَى الزَّوَابِعَ وَذَاكَ الذي يَنْتَظِرُ قُرْبَ الانْفِجَارِ بِمَزِيدٍ مِنَ الحَسْرَةِ وَاللَّوْعَةِ.

وَإِنَّكَ يا شَعْبَ تُونِسَ مَصْدَرُ القُوَّةِ وَمَنْبَعُ النُّفُوذِ. فَعَلَيْكَ أَنْ تَعْتَبِرَ نَفْسَكَ حُرًّا وَأَنْ لاَ تُعِيرَ خَصْمَكَ إِلاَّ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ قِيمَةٍ.

فَلَوْلاَ اعْتِبارُ نَفْسِهِ بِمَثَابَةِ صَاحِبِ السِّيادَةِ لَمَا أَمْكَنَ لَهُ الاِسْتِحْوَاذُ على بِلاَدِكَ وَالتَّصَرُّفُ الْمُبَاشِرَ فِي شُؤُونِهَا وَفِي جُزْئِيَّاتِ حَيَاتِكَ بِكَامِلِ النَّوَاحِي.

وَلَوْلاَ تَقَهْقُرُنَا مَا كَانَ لَهُ احْتِلاَلُ مَكَانِنَا. فَعَلَيْنَا اليَوْمَ أَنْ نَفتَكَّ نُفُوذَنَا إِذْ نَحْنُ لَسْنَا بِأَقَلِّ شَجَاعَةٍ وَاسْتِعْدَادٍ مِنْ كُلِّ الشُّعُوبِ التِي شَنَّتْهَا على الخُصُومِ حَرْبًا لاَ هَوادَةَ فِيهَا.

تِلْكَ هِيَ النَّتَائِجُ التِي نَرَاهَا تَتَخَلَّصُ مِنْ مَوَاقِفِ الرَّجْعِيَّةِ التي أَرَادَتْ بِصَنِيعِهَا الْمَمْقُوتِ إِخْفَاقَ سِيَاسَةِ الْمُفَاهَمَةِ.

فَإِذَا كَانَتْ تلكَ النَّتِيجَةُ هِيَ المَقْصُودَةَ مِنْ ذَلِكَ التَّعَنُّتِ فَنَحْنُ نُرَحِّبُ بِهَا إِذ قُلنَا مُنْذُ زَمَانٍ بِأَنَّنَا رَابِحُونَ سَوَاءٌ نَجَحَتِ التَّجْرِبَةُ أَمْ خَابَتْ.

وَإِذَا كَانَ الخَصْمُ يَتَوقَّعُ غَيْرَهَا فَسَيَعْلَمُ أَنَّ الشَّعْبَ التُّونِسِيَّ لَهُ بِالمِرْصَادِ...

لَقَدْ قُلْنَا إِنَّ غُرَّةَ مَايْ سَتَكُونُ فَاتِحَةَ عَهْدٍ جَدِيدٍ فِي مَيْدَانِ الكِفَاحِ الشَّعْبِيِّ بَعْدَ تَسْجِيلِ إِخْفَاقِ المُفَاهَمَاتِ. فَيَالَهَا مِنْ مَسْؤُولِيَّةٍ كُبْرَى عَلَى مَنْ أَصَمَّهُ التَّعَنُّتُ وَرَكِبَ مَتْنَ التَّمَرُّدِ!

فرحات حشّاد

٦

خِطاب حَشّادٍ في غُرّةِ مايْ 1951

نُشر بجريدة «الصّباح» (3 ماي 1951)

أَيُّهَا الشَّعْبُ المُكَافِحُ نِساءً ورجَالاً، شبَابًا وَشُيوخًا على اخْتِلاَفِ أَصْنافِكُمْ الاِجْتِمَاعِيَّةِ أُحَيِّيكُمْ جَمِيعًا تَحِيَّةَ الاِتِّحَادِ العامّ التّونسيّ للشّغل، تَحِيَّةَ ضَحايا الكِفاحِ الاِجْتماعيّ.

في هذا اليَوْمَ التَّاريخِيِّ تَحْتَفِلُ بذِكْري عيدِ الشُّغْلِ وَأَتَوجَّهُ باسْمِكُمْ جَمِيعًا إلى كافّةِ الشَّغَّالِينَ في العالَمِ فَأُبَلِّغُهُمْ تَحِيَّةَ الشَّعْبِ التّونسيّ الذي يُكَافِحُ في جانِبِ الشُّعوبِ التي تَسْعَى لِلنَّهْضَةِ وَالحُرِيَّةِ وَالاِسْتِقْلاَلِ. ثُمَّ أَتَوجَّهُ إلى أَرْواحِ الشُّهَدَاءِ الذِينَ سَقَطُوا في مَيْدَانِ الكِفاحِ القَومِيّ وَالذينَ قَدَّمُوا لَنَا دَرْسًا فِي الكِفَاحِ.إِنِّي أُحَيِّيهُمْ وَأُحَيِّي الأَرْوَاحَ الطَّاهِرَةَ الزَّكِيَّةَ الَتي اسْتُشْهِدَتْ في مَيْدَانِ الوَعْيِ وَتركَتْ لَنَا هذه المُثُلَ العُلْيَا التي نَحْتَفِلُ اليَوْمَ مِنْ أَجْلِهَا لِنُقيمَ الدَّليلَ على أَنَّنَا في طَرِيقِهِمْ سَائِرُونَ وعلى تَحْقِيقِ أَمَانِيهِمْ عامِلون.

غُرَّةُ ماي فاتحةُ عهدٍ جديد..

أَيُّهَا الإِخْوَانُ يَجْتَمِعُ الشَّغَّالُونَ اليَوْمَ في أَنحاءِ المَمْلَكَةِ التّونُسيّةِ مُدُنِها وَقُراها احْتِفَاءً بهذا العيدِ لِإِقَامةِ الدَّلِيل على أَنَّ الطَّبَقَةَ الشّغيلةَ سَائِرَةٌ وَرَاءَ الاِتِّحَادِ. فَعِيدُ الشُّغْلِ أَصْبَحَ عِيدَ الشَّعْبِ، عِيدَ تُونِسَ، عيدَ أَعْظَمِ عِبْرَةٍ، عيدَ السَّوَاعِدِ القَوِيَّةِ، عِيدَ التَّضْحِيَةِ، عِيدَ الثَّوْرَةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ التي حَرَّرَتْ وَهِيَ في طريقِها لِتَحْرِيرِ بَقِيَّةِ الشُّعوبِ مِنَ الأَغْلاَلِ. بهَذَا العِيدِ يَحْتَفِلُ الشَّعْبُ الجَزائِرِيُّ وَشَعْبُ مرَّاكش وَشَعْبُ طَرَابُلسْ لإِقَامَةِ الدّليل على أَنَّهَا شُعُوبٌ مُتَّحِدَةُ المَرْمَى وَالاِتّجاهِ وَمُسْتَعِدَّةٌ لِلقضَاءِ على الاِسْتِعْمَارِ المُشْتَرَكِ. وهي بهذه الصفة تَلْتَحِقُ بِقَافِلَةِ النّهوضِ وَالتَّقدُّمِ الاِجْتِمَاعِيّ العظيم.

عيدُ الوَحدةِ المغربيّة والتّحرير

إنَّ اتِّحَادَكُم أَيُّهَا العُمَّالُ اتِّحادُنَا العظيمُ الذي بَثَّ الرُّوحَ في هذه الطَّبقاتِ الشَّعْبيّةِ وَنادَاها إلى التَّكتُّلِ وَالسَّيْرِ الجِدّيّ الحثيثِ نَحْوَ تَحْقيق أهدافِها السَّامِيَةِ. إنَّ هذا الاتِّحادَ لَيَتَكلَّمُ باسْمِ الشَّعْب الإفْريقِيِّ بِأَجْمَعِه إذْ لاَ تَحريرَ لِتونسَ ولا لِلجزائرِ أو مرَاكش مادام هذا المَغْرِبُ العَظِيمُ يَرْزح تَحْتَ أثقال الاِستعمار، فَلاَ غَرَابَةَ حينئذ أنْ نُنَوِّهُ في هذا العيدِ بالشُّعوبِ الشَّقيقة، المَغْرِبِ وَجَلاَلَةِ سُلْطَانِهِ العَظِيمِ سِيدي مُحمّد بِنْ يُوسف وَشَعْبِهِ وَزُعَمائِه، وَشَعْبِ طَرَابُلسْ الجَسور الذي تَحصَّلَ على اسْتِقْلاَلِه. فَهَذِهِ الوَحْدَةُ التي تَجلَّتْ في هذا العيدِ تَجْعَلُنَا نَعْتَبِرُهُ عِيدَ التَّحريرِ وَالاِسْتِقْلال.

نَعَمْ، نَحْتَفِلُ كُلَّ عَام بعيدِ الشُّغْلِ، وَلَكِنَّ هذا الاِحْتِفَالَ عَسِيرٌ على أَقْطَابِ الرَّجْعِيَّةِ الذينَ لَمْ يَتفَطَّنُوا إلى الحَقِيقَةِ وَقُرْبِ انْهيارِ الحُكْمِ المُتجَبِّرِ الذي يَجْعَلُ مِنَ الشُّعُوبِ عَبِيدًا دون مُرَاعَاةِ حُرِيَّةِ البَشَرِ وَرَفاهِيَّتِهِمَ وَتَحرُّرِهِمْ مِنْ ظُلْمِ الإنْسَانِ لِأَخِيهِ الإنْسَانِ. إنَّهُ لَيَوْمٌ عَسِيرٌ على الرَّجْعِيَّةِ.

إنَّ اِحْتِفالَكُمْ بعِيدِ الشُّغلِ لَهُ مَعْنَى وَأَيُّ مَعْنَى فَلاَ بُدَّ بَعْدَ الاِحْتِفَال بِهذا العيدِ أَنْ يُفْتَحَ بابٌ جَدِيدٌ لِلنِّضَال حَتَّى نَقْضِيَ على قُوَى الرَّجْعِيَّةِ وَحتَّى نَكْسِرَ القُيُودَ التي تَغُلُّ شَعْبًا نَاشِدًا لِلحُرِّيَّةِ، مُدَاسَةً حُقُوقُهُ الشَّرْعِيَّةُ.

أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ما هِيَ الحَالَةُ التي نحنُ عليها اليَوْم. لَقَدْ اجْتَمَعْنَا في مِثْلِ هذا اليوم مِنْ سَنَةِ **1950**، وَأَنْذَرْنَا الحُكُومَةَ وَالوزارَةَ الكَعَّاكِيَّةَ بأنَّ الشَّعْبَ التُّونسِيَّ لا يُمْكِنُ أَنْ يَسْكُتَ عنْ هذه الحالةِ المَمْقُوتة. وَأَمَامَ اتِّساع الكِفَاح الشَّعْبِيِّ وَتَقَدُّمِهِ جَنَحَ الخَصْمُ إلى التَّفَاوُض فَتَأَلَّفَتِ الوزارةُ في شَهْرِ أُوتِ الماضي.

كَانَ يُظَنُّ أنَّهُ بمُجَرَّدِ هذه العَمَلِيَّةِ يُمْكِنُ أَنْ تَهْدَأَ الحَالَةُ وَيَتَخَلَّى الشَّعْبُ عَنْ كِفَاحِهِ اليَوْمِيِّ لِإِنْجازِ رَغَائِبِهِ الوَطَنِيَّة.



فرحات حشّاد يخطبُ في عيد الشّغل (غُرّة مَاي 1951) بساحة القصبة حَيْثُ ضَريحهُ الآن.



فرحات حشّاد يخطب في حُشودٍ جمَاهِيريَّةٍ بعيدِ الشُّغل في ساحةِ القصبة حيْثُ مقامُهُ الآن بتونس العَاصِمة.



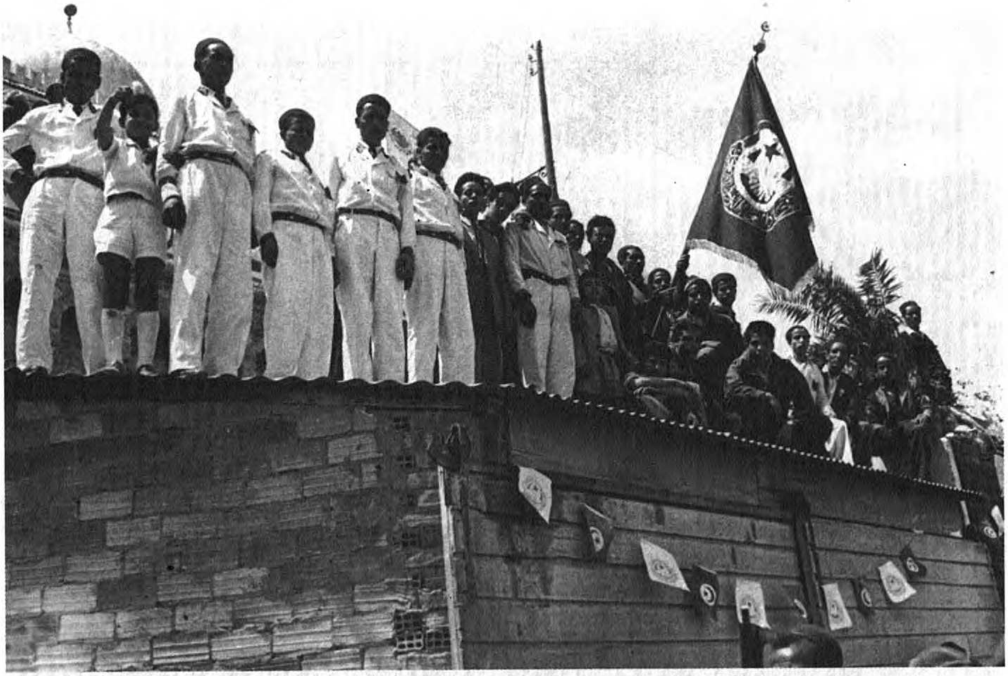
عيد الشُّغل بساحةِ القصبة.
وَيُرَى فرحات حشّاد على يَسار المِنَصّة



مَشْهَدٌ مِنْ عِيدِ الشُّغْل بساحةِ القصبة



مشهدٌ آخر مِنْ عيدِ الشُّغل بالقصبة بإشرافِ فرحات حشّاد في حُشُودٍ جماهريّةٍ



مَشهدٌ آخر مِنَ الاحتفال بعيدِ الشّغل في ساحة القصبة.
وَيُرَى في صورة صَفٌّ مِنْ رُعاةِ أَمْنِ التَّجَمُّعِ الجماهيري.



عيدُ الشُّغْل بِساحةِ القصبة



عيدُ الشُّغْلِ بِساحَةِ القصبة

وَلَكِنْ هَلْ تَرَاخَيْتُمْ عَنْ رَغَائِبِكُمْ ؟ كَلاَّ، فَالعَامِلُ الفِلاَحِيُّ دَائِمًا في طَرِيقِ النِّضَالِ. وَحَوَادِثُ النَّفِيضَةِ وَغَيْرُهَا أَعْظَمُ دليل عَلَى ذلك. وَقَدْ بَرْهَنْتُمْ كُلُّكُمْ مُوَاطِنِينَ وَعُمَّالاً على أَنَّ السِّيَاسَةَ الحَالِيَّةَ لا تُجْدِي نَفْعًا. وَكَانَتِ الوِزَارَةُ تُكَافِحُ دَاخِلَ الحُكْمِ. وَقَدْ تفطَّنَ الشَّعْبُ لِأَسَالِيبِ الاِسْتِعْمَارِ الشَّيْطَانِيَّةِ إِذِ اتَّحَدَ في جَبْهَةٍ تُقَاوِمُ الحُكُومَةَ في دَوَاوِينِهَا نَفْسِهَا. وَهَذِهِ اضْطِرَابَاتُ عُمَّالِ الفِلاَحَةِ تَشْهَدُ بِأَنَّ العَامِلَ التُّونِسِيَّ يَتَقَدَّمُ وَيَنْتَظِمُ، فَكَانَتْ الاِضْطِرَابَاتُ مِنَ المَظَاهِرِ العَامَّةِ على كِفَاحِهِ. وَقَدْ زَعْزَعْتُمْ أَرْكَانَ الإِدَارَةِ الفِرَنْسِيَّةِ حَتَّى تَخَلَّى الكَاتِبُ العامُّ وَكَاهِيَتُهُ عَنْ مَنْصِبَيْهِمَا. وَظَنَّتِ الحُكُومَةُ أَنَّ سِيَاسَةَ التَّدْجِيلِ تُوهِنُ الإِيمَانَ الرَّاسِخَ، وَتُفَرِّقُ بَيْنَكُمْ، فَكَانَ الاِتِّحَادُ فَاتِحَ بَابِ الوَحْدَةِ القَوْمِيَّةِ وَمُمَهِّدَ سَبِيلِهَا. وهْيَ أَعْظَمُ دَلِيلٍ على أَنَّ سِيَاسَةَ المُرَاوَغَةِ قد أَفْلَسَتْ.

وَنقُولُ لِلْجَانِبِ الفَرَنْسِيِّ : لَقَدْ افْتَضَحَ الأَمْرُ، وَقَدْ بَرْهَنَ العَامِلُ وَالشَّعْبُ التّونُسِيُّ بِأَجْمَعِهِ على أَنَّ هذه الحَالَةَ لا يُمْكِنُ أنْ تَدُومَ، وَأَنَّ الطَّرِيقَ الوَحِيدَ المُوصِلَ إلى الأَمْنِ إِرْضَاءُ الرَّغَائِبِ العَامَّةِ لِلشَّعْبِ التّونسيّ، وَأَنَّ الشَّعْبَ قَدْ أَعَدَّ العُدَّةَ لِكُلِّ طَارِئٍ وِلأَنْ يَفْتَكَّ حُقُوقَهُ افْتِكَاكًا.

هُنَاكَ أَزْمَةٌ مُخَيِّمَةٌ على البلاد. وَهَذِهِ الأَزْمَةُ سِيَاسِيَّةٌ تَتَجَسَّمُ في بَقَاءِ هَذَا المَجْلِسِ الحَقِيرِ الذي يَعْمَلُ لِفَائِدَةِ أَقْطَابِ الاِسْتِعْمَارِ. وَقَدْ أَصْبَحَ مُمَثِّلُ فِرَنْسَا مُحْتَارًا في أَيِّ الطُّرُقِ يَسْلُكُ، هَلْ يَتَوَجَّهُ نَحْوَ التَّجَمُّعِ الفِرَنْسِيِّ فَيَكُونَ طَرِيقُ الخَيْبَةِ وَيكُونَ طَرِيقُ سَفْكِ الدِّمَاء ؟ أَمْ يَسْلُكُ طريقَ الجِنِيرَالْ جوانْ ؟ لَكِنَّ شعورَ القَوْمِيَّةِ يَنْمُو في التّونِسِيِّ وَيَزِيدُ إِيمَانًا بِأَنَّ الشَّعْبَ التُّونِسِيَّ لم يَبْقَ وَحْدَهُ. فَلَنَا أَنْصَارٌ في الدُّنْيَا وَشُعُوبٌ في العَالَمِ حَكَمَتْ على الاِسْتِعْمَارِ بِالمَوْتِ. وَإِنَّ العَالَمَ بِأَجْمَعِهِ لَيَنْظُرُ إلى الشَّعْبِ التُّونِسِي.

وَإِنَّ الشَرِكَاتِ الإِسْتِغْلاَلِيَّةَ ما زَالَتْ مُهَيمِنَةً عَلَى البلاد. وَهَذِهِ شَرِكَةُ السِّكَكِ الحَدِيدِيَّةِ بَعْدَ أنِ انْتَهَتْ عُقْدَتُهَا مَعَ الحُكُومَةِ تُرِيدُ هذه الأَخِيرَةُ فَرْضَهَا

مُقَابِلَ أَرْبَعَةِ مَلاَيِين مِن الفِرَنْكَات في الوَقْتِ الذي يَقُومُ فيه الشَّعْبُ الإِيرانِيُّ ضِدَّ الشَّرِكَةِ الإنْقلِيزِيَّةِ لِلبِتْرُول مُطَالِبًا بِتَأْمِيم البِتْرُولِ الإِيرانِيِّ، وَيقُومُ الشَّعْبُ الإِسْبَانِيُّ ضِدَّ الشَّرِكَاتِ الرَّأْسمالِيَّةِ وَاسْتِغْلاَلِها، وَلَكِنَّ الشَّعْبَ التُّونِسِيَّ سَيُقَاوِمُ تلك الشَّرِكَاتِ أَكْبَرَ مُقَاوَمَةٍ.

نِظَامٌ عَسْكَرِيٌّ مَخيِّمٌ عَلَى الجَنُوبِ التُّونِسِيِّ يَجْعَلُ مِنْ شَعْبٍ أَبِيٍّ كُتْلَةً مُكَبَّلَةً بالأَغْلالِ، وَقَوَافِلُ المَجَاعَةِ تَمُرُّ في الطُّرُقَاتِ، وَالبطَالَةُ مُنْتَشِرَةٌ بَيْنَمَا الحكومَةُ الفِرَنْسِيَّةُ تُفكِّرُ في الزِّيَادَةِ في عَدَدِ اليَدِ العَامِلَةِ الأَجْنَبِيَّةِ وَالنُّفوذِ الاِسْتِعماري.

عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَعِدَّ لِتَدْمِيرِ مَعاقِلِ الاِسْتِعْمَار تَدْمِيرًا إِذْ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَعِيشَ التُّونِسِيُّ مَحْرُومًا مِنْ حُرِّيَّاته.

لَقَدِ امْتَلأَتِ السُّجونُ بِضَحَايَا الاِضْطِرابات، وَتكَاثَرَتْ الاِعْتِقَالاَتُ وَالتَّهْدِيدَاتُ لِلعُمَّالِ، يُرِيدُونَ بذلك إِضْعَافَ هذه القُوَّةِ.

واليَوْمَ يَنْعَقِدُ **65** اجْتِمَاعًا بِالقُطْرِ التُّونُسِي مَعْنَاهُ **65** تقرِيرًا لِلبوليس سَتَكُونُ الجَوَابَ عَنْ كُلِّ ذلك، وَالشَّعْبُ التّونِسِيُّ قَدْ عَقَدَ العَزْمَ على افْتِكاكِ حُقُوقِهِ إِذْ لاَ حُرِيَّةَ لِلشَّغَالِينَ ما دَامَتِ الحِمَايَةُ الأَجْنَبِيّةُ قَائِمَةً وَمَا دَامَ رُؤساءُ الإِدَارَاتِ أَجَانِبَ يَعْمَلُونَ ضِدَّ مَصْلَحَةِ التُّونِسِيِّ، وَمَادَامَ زِمَامُ الحُكْم خَارِجًا عَنْ أَيْدِينَا وَالحُكُومَةُ لَيْسَتْ مَسْؤُولَةً أَمَامَ بَرْلَمَانٍ. نُجَدِّدُ ما قُلْنَاهُ إِنَّ الحياةَ الكَرِيمَةَ في مُوَاصَلَةِ العَمَلِ لِتَحْقِيقِهَا، وَالشَّبَابُ يَشْهَدُ. وَقَدْ عَقَدَ العَزْمَ على التَّخَلُّصِ مِنَ الحالةِ المَفْرُوضَةِ على البلادِ، وَأَنْ يُقِيمَ عَلى سَوَاعِدِهِ. بِنَاءً جَدِيدًا طِبْقًا لِمَبَادِئِهِ. وَهَذِهِ المرأةُ بَيْنَكُمْ تُقِيمُ الدَّلِيلَ أَكْثَرَ مِنَ السَّابِقِ على أَنَّهَا دَخَلَتْ مَيْدَانَ الكِفَاحِ. وَهؤُلاَءِ العُمَّالُ وَالمُتَوَظِّفُون وَقُدَمَاءُ المُحَارِبِينَ قَدْ كافَحُوا الاِضْطِهادَ. وَهؤُلاَءِ المُثَقَّفُونَ التُّونِسِيُّونَ قد انْضَمُّوا للاِتِّحَاد.

وَإِنَّا لَنَمُدُّ أَيْدينا إلى الطَّبقَةِ العَامِلَةِ العَالَمِيَّةِ التي هَيَّأتْ بَرامِجَ لإِعَانَةِ الشَّعْبِ التُّونسِيّ حَتَّى يفْتَكَّ مَطالِبَه. وَقَدْ دَعَتْ الاِتِّحَادَ إلى المَشَارَكَةِ في المُؤْتَمَرِ الذي يُعْقَدُ في هذه الصَّائِفَةِ وَتقْدِيم تقَارِيرَ لِفَضْحِ الاِسْتِعْمَارِ بِشَمَال إِفْرِيقيَا.

إنَّ هذا الصَّوتَ الجَبَّارَ صَوْتَ الاِتِّحَادِ سَيَكُونُ لَهُ صَدًى في جَمِيعِ أَقْطَار العالَمِ، وَيَفرِضُ على فِرَنْسَا المُشَارَكَةَ في المُفاهمات وَسيَمْنَعُهَا مِنَ الاِدِّعَاءِ بِأَنَّ الشَّعْبَ التُّونسُيَّ رَجْعِيٌّ. وَسَيُجِيبُ الاِتِّحادُ لِسَانِكُمْ بِأَنَّ كُلَّ ذلك مِنْ بابِ المُراوغَةِ، وَيَفْضَحُ أَنَّ كُلَّ ذلك يُقَالُ لِفَائِدَةِ الجَالِيَةِ الفِرَنْسِيَّةَ

إنَّ الطُّفُولَةَ المَشَرَّدَةَ وَالبطَالَةَ وَالتَّعَاسَةَ التي عَلَيْهَا الشَّعْبُ تَشْهَدُ بِأَنَّ الاِسْتِعْمَارَ لم يُفَكِّرْ إلاَّ في كَبْحِ الحَرَكَاتِ التَّقَدُّمِيَّةِ.

إِنَّنَا نُعَاهِدُ الشُّهَدَاءَ

وَهَذِهِ النَّتَائِجُ التي جَنَاهَا الاِتِّحَادُ لم نَتَحَصَّلْ عليها إلاَّ بِسَوَاعِدِنَا الجَبَّارَةِ وأَعْمَالِنَا الخَالِدَةِ. سَنَعْمَلُ دَائِمًا في الحَقْلِ القَوْمِيِّ الوَطَنِيِّ إِذْ نَحْنُ مِنَ الشَّعْبِ وإليه. وَإِنَّ الشَّعْبَ وَحْدَةٌ لا تَتَجزَّأُ. وَهُنَاكَ قَضِيَّةٌ عامَّةٌ. وَسَنَعْمَلُ دائما بعزيمةٍ لِنَيْلِ حُقوقِنا وَتَحْقِيقِ حَياةِ الكَرَامَةِ وَالشَّرَفِ.

إِنَّنَا نُعَاهِدُ الشُّهَدَاءَ على مُوَاصَلَةِ الكِفاحِ لِتَحقِيقِ الرَّغَائِبِ القَوْمِيَّةِ وإزَالَةِ الكابوس حَبَّ الاِسْتِعْمَارُ أم كَرِهَ. وَلْتَحْيَا تُونسُ عَزِيزَةً مُكَرَّمَةً.

فَرْحاتْ حشّاد

الحركةُ النقابيةُ بشمالِ إفريقيا

نشر بمجلة «النَّدوة» عدد 12 السنة الأولى (5 ديسمبر 1952)

تكَوَّنت الحَركَةُ النَّقَابِيَّةُ عَنْ إرادَةِ العُمَّالِ فِي التَّحَرُّرِ مِنَ الإِكْرَاهِ وَالضَّغْطِ المُسَلَّطَيْنِ عليهم مِنْ زُعَماءِ الرَّأْسماليَّةِ دون مُرَاعَاةٍ لِلنِّظَامِ الإِنْسَانِيِّ وما يَقْتَضِيهِ على الفَرْدِ مِن احْتِرام لِأَخيهِ الإِنْسان.

وَقَدْ بَدَأَتْ هذه الإِرَادَةُ في الظُّهور وفي التَّعْبِيرِ عَنْ نَفْسِهَا مِنْ يَوْم أَنْ أَخَذَ العُمَّالُ يَشْعُرُونَ بِقِيمَتِهِمْ كَرِجَالٍ بِحَيْثُ نَشَأَتْ عنْ ذلك اهْتِزَازتٌ أَخَذَتْ في التَّطْوُّرِ شَيْئًا فَشَيْئًا، بَلْ أَخَذَتْ أَحْيَانًا شَكْلاً عَنِيفًا ارْتَعَدَتْ لهُ أَرْكَانُ الأَنْظِمَةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ القائمة.

فَعِنْدَمَا قامَ العُمَّالُ الأَمْرِيكان بِثَوْرَتِهِمْ سنةَ 1896 في شِيكاغُو، وَعِنْدَمَا مَضَى العُمَّالُ الفِرَنْسِيُّونَ في مُقَدِّمَةِ الحَمَلاَتِ الاِنْتِفاضِيَّةِ لِلنُّظُم الاِجْتِماعيَّةِ كانوا جَمِيعًا يَرْزَحُونَ تَحْتَ الاِسْتِغْلال الاِقْتِصَادِيِّ من طَرَفِ الرَّأْسَماليّين في بُلْدَانِهِمْ، وَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أي أُولَئِكَ الرَّأْسُمَاليُّون كانوا بالإضافةِ إلى ذلك يُمْسِكون بِأَزِمَّةِ الحُكْمِ الذي ارْتقَوْا إليه بِفَضْلِ مَرَاكِزِهِمْ الماليَّةِ.

وَلَكِنَّ العُمَّالَ مَعَ ذلك كانوا في الدُّوَلِ المُتَمَتِّعَةِ بِاسْتِقْلاَلِهَا الوَطَنِيِّ يَتَمَتَّعُونَ في الحَقْلِ السِّيَاسِيِّ بِنَفْسِ الحُقُوقِ التي يَتَمَتَّعُ بها مُسْتَخْدِمُوهُمْ وَهُمْ جَمِيعًا أَمَامَ هذا القانُونِ السِّيَاسِيِّ سَوَاءٌ.

أَمَّا في البُلْدَانِ المَحْرُومَةِ مِنْ هذا الاِسْتِقْلاَلِ السِيَاسِيِّ والتي تُسَيْطِرُ عليها دُوَلٌ أَجْنَبِيَّةٌ فَإِنَّ العُمَّالَ فيها يُسَلَّطُ عليهم اضْطِهَادٌ مُضاعَفٌ مُزْدَوِجٌ أَي أن

العَامِلَ هُنَا يَشْعُرُ بالاسْتِغْلاَلِ الاقْتِصَادِيِّ المُسَلَّطِ عليه مِنَ الرَّأسماليِّين الذين يَحْرِمُونَهُ مِنْ أَبْسَطِ الضَّماناتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ المُعْتَرَفِ بها لِزُمَلائِهِمْ في البُلْدَانِ المُسْتَقِلَّة. يُضَافُ إلى ذلك أَنَّهُمْ مَحْرُومونَ تَمَامًا مِنْ حُقُوقِ الإِنْسَانِ التي مِنْ حَقِّ كُلِّ عامِلٍ أَنْ يُمَارِسَهَا وَيَتَمَتَّعُ بِهَا تَمتُّعًا كَامِلاً قَبْلَ أَنْ يُفكِّرَ في تَحْرِيرِهِ الاقْتِصَادِيِّ الحَقِيقِيِّ.

وَهَذَا هو مَفْهُومُ الوَطَنِيَّةِ لاَ بالمَعْنَى الذي يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَهُ بهِ المُسْتَعْمِرُونَ الذين يُحَاوِلُونَ بذلك تَشْوِيهَ وَتَحْرِيفَ المَعْنَى النَّبيلِ لِلتَّحْرِيرِ الوَطَنِيِّ، بل على معنى أنه إحساسٌ طبيعيٌّ من حقِّ كل إنسانٍ أن يَكِنَّهُ نحو وطنه وَعَلَيْهِ تَقُومُ العَلاَقَاتُ بَيْنَ الشُّعُوبِ وَالدُّوَلِ المُتَمَدِّنَة.

لِذَلِكَ يَجِدُ العَامِلُ نَفْسَهُ في المَغْرِبِ وَالجَزَائِرِ وَتُونسَ مُضْطَلِعًا بِمَسْؤوليَّتَيْنِ يَجِبُ عليه تَأْدِيَتَهُما : أولاهُما التَّحَرُّرُ الاجْتِماعِيُّ، وَثَانِيَتُهُمَا هي التَّحَرُّرُ الوَطَنِيُّ.

فَهْوَ في الوَاقِعِ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحُدَّ نشاطَهُ في المُهِمَّةِ الأُولى وَحدَهَا لِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنَ المُسْتَحِيلِ عَمَلِيًّا أنْ يُحقِّقَ مَطَامِحَهُ في الحَقْلِ الاقْتِصَادِيِّ وَهُوَ رَازِحٌ تَحْتَ نِظَامٍ سِيَاسِيٍّ يُسَيْطِرُ على البِلاَدِ وَلاَ يَعْتَرِفُ لِشَعْبِهِ بِالحُقُوقِ الأَوليَّةِ التي تَتَوَفَّرُ بِها شُرُوطُ الإِنْسَانِيَّة.

وَالحَقِيقَةُ أَيْضًا أَنَّ السِّيَاسَةَ هي التي تُحَدِّدُ شُرُوطَ حَيَاةِ الشُّعُوبِ. فَالسِّيَاسَةُ الإِدَارِيَّةُ تَحْرِمُ سُكَّانَ البِلاَدِ مِنْ إِدَارَةِ شُؤُونِ بِلاَدِهِمْ. وَالسِّيَاسَةُ الاقْتِصَادِيَّةُ تَحْتَكِرُ ثَرْوَةَ البِلاَدِ القَوْمِيَّةَ كما تَحْتَكِرُ كُلَّ إِمْكَانِيَّاتِ الإِنْتَاجِ لِفَائِدَةِ الرَّأْسماليِّين الأَجَانِب.

وَهَؤُلاَءِ مِنْ نَاحِيَتِهِمْ هُمْ الذينَ يُمْلُونَ إِرَادَتَهُمْ على الحُكُومَاتِ التي أَصْبَحَتْ فِعْلاً أَدَاةً لِتَنْفِيذِ مَطَامِحِ المُؤَسَّسَاتِ الاقْتِصَادِيَّةِ العَتِيدَة.

وَالسِّيَاسَةُ التَّعْلِيمِيَّةُ لا تَهْدِفُ إلاَّ إلى نَشْرِ الجَهَالَةِ وَمُضَاعَفَةِ البَطَالَةِ حَتَّى تَتَمَكَّنَ مِنْ تَخْفِيضِ مُسْتَوَى الحَيَاةِ الاِجْتِمَاعِيِّ لِلجماهيرِ وَحَتَّى يُمْكِنَهَا بِذَلِكَ أَنْ تَسْتَعْمِلَ اليَدَ العَامِلَةَ بِأَبْخَسِ الأَثْمَانِ.

وَالسِّيَاسَةُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ المُرِيعَةُ تَجْعَلُ مِنَ القِسْمِ الأَعْظَمِ من أَبْنَاءِ الشَّعْبِ كُتْلَةً مِنَ المَعُوزِينَ الذينَ سُلِبَتْ مِنْهِمْ جَمِيعُ الخَيْرَاتِ وَسُدَّتْ عَلَيْهِمْ جَمِيعُ مَنَافِذِهَا، فَأَصْبَحُوا فَرِيسَةً لِلأَمْرَاضِ وَالجُوعِ وَالمَسْكَنَةِ.

وَسِيَاسَةُ العُنْفِ تَحْرِمُ الشُّعُوبَ مِنْ جَمِيعِ الحُقُوقِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ وَتَتَشَبَّثُ بِكُلِّ نَظَامٍ اسْتَبْدَادِيٍّ وَكُلِّ نُفُوذٍ شَخْصِيٍّ قَائِمٍ على حَالَةِ الحِصَارِ مَعَ ما في ذلك مِنَ التَّطَرُّفِ وَالإِسْرَافِ وَالأَعْمَالِ التَّعَسُّفِيَّةِ الاِنْتِقَامِيَّةِ النَّاتِجَةِ عَنْهَا.

وَالسِّيَاسَةُ الجِبَائِيَّةُ تَمْتَصُّ الجَمَاهِيرَ لِفَائِدَةِ أَصْحَابِ الاِمْتِيَازَاتِ الذين يَعِيشُونَ في بِلاَدِنَا كما لَوْ كانوا غُزَاةً حَقِيقِيِّينَ يُقِيمُونَ في بِلاَدٍ احْتَلُّوهَا احْتِلاَلاً الخ...

إِنَّهُ مِنَ العَبَثِ المُطَالَبَةُ بِبَعْضِ التَّحْسِينَاتِ المُتَعَلِّقَةِ بالمَسَائِلِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ عِندما تَكُونُ السِّيَاسَةُ الحُكُومِيَّةُ هادِفَةً بِالضَّبطِ إلى عَكْسِ ما تَتَطَلَّبُهُ المَصَالِحُ الشَّعْبِيَّةُ وذلك بِتَنْفِيذِهَا المَبَادِئَ المُسَيْطِرَةَ القَائِمَةَ على قُوَّةِ السِّلاَحِ.

وَإِذَنْ فَعَلَى الطَّبَقَةِ العَامِلَةِ أَنْ تُقَاوِمَ أَيْضًا النِّظَامَ السِّيَاسِيَّ لِتَحْقِيقِ تَحْرِيرِها الوَطَنِيِّ وَنَيْلِ حُرِّيَّاتِهَا الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ وَحَقِّ إِدَارَةِ شُؤونِهَا بِنَفْسِهَا بَعِيدًا عَنْ كُلِّ تَأْثِيرٍ مُغْرِضٍ مِنْ جَانِبِ القُوَى الرَّأْسماليّةِ الأَجْنَبِيَّةِ التي تُحَاوِلُ المُحَافَظَةَ على إِبْقَائِهَا تَحْتَ نَيْرِ الاِسْتِغْلاَلِ المُزْرِي.

فَفِي المَغْرِبِ تَرْفُضُ حُكُومَةُ الحِمَايَةِ أَنْ تَعْتَرِفَ لِلعُمَّالِ بِحَقِّهِمْ النِّقَابيِّ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنْضَمَّ العُمَّالُ المَغَارِبَةُ أَنْفُسُهُمْ ضِمْنَ حَرَكَةٍ نِقَابِيّةٍ حُرَّةٍ وَمُسْتَقِلّةٍ عَنْ كُلِّ تَبَعِيَّةٍ لِلحَرَكَاتِ النِّقَابِيّةِ الفِرَنْسِيَّةِ.

لَكِنَّ حُكُومَةَ الحِمَايَةِ هذه لاَ تَرْضَى في الوَاقِعِ إلاَّ عَنْ حَرَكَةٍ نقابِيَّةٍ وَاحِدَةٍ في البلادِ وَتَعْتَبِرُهَا شَرْعِيَّةً وهي حَرَكَةُ (س. ج. ت.) الشُّيوعيّة.

فَالأَزْمَةُ المَرَّاكُشِيَّةُ التي حَدَثَتْ في عَهْدِ الجِنرالْ جوانْ كان هَدَفُهَا هُوَ معاكَسَةُ جَلاَلَةِ السُّلْطَانِ في مَشَارِيعِهِ الخَاصَّةِ بِمَنْحِ المَغْرِبِ حُقُوقًا نقابيّة.

وَهُوَ أَصْدَقُ مِثَالٍ لِلسِّياسةِ الرّجْعِيَّةِ التي تُبَرِّرُ مَا يُوجَدُ في الحَرَكَاتِ النَّقَابيّة بالبُلْدَانِ غَيْرِ المُسْتَقِلَّةِ مِنْ اهْتِمَامٍ بالمَسَائِلِ الوَطَنِيَّةِ.

وَلكنَّ هذه السِّياسَةَ لا يُمْكِنُها مُطْلَقًا أنْ تمْنَعَ يَقَظَةَ العُمّال المغَارِبَةِ مِنْ أَنْ تَزِيدَ ضَغْطَهَا المُتزايِدَ قُوَّةً يَوْمًا فَيَوْمًا على الحُكُومَةِ مِنْ جِهَةٍ وعلى النّقاباتِ الشُّيُوعِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ ثانِيَة...

وَفي الجَزائِرِ نَجِدُ الحَرَكَةَ النّقابيّةَ الشُّيُوعِيَّةَ هِيَ التي تَتَزَعَّمُ الأَغْلَبِيَّةَ العُظْمَى مِنَ العُمَّال الجزائِرِيِّينَ. فَالضَّغْطُ وَالاِضْطِهَادُ المُسَلَّطَانِ على الشَّعْبِ الجَزائِرِيِّ وَحَرَكَاتِهِ القَومِيَّةِ وَأَتْبَاعِهَا المُنْخَرِطِينَ فيها جَعَلاَ العُمَّال الجَزَائِرِيّينَ في وَضْعِيَّةٍ مِنَ السَّلْبِيَّةِ بِحَيْثُ لا يَسْتَفِيدُ منها غيرُ الشُّيُوعِيّينَ.

وَهَؤُلاَءِ الشُّيوعِيُّونَ لا يَتْرُكُون أَيَّةَ فُرْصَةٍ دُونَ أنْ يَغْتَنِمُوا فيها الاِسْتِياءَ الشَّعْبِيَّ لِلتَّغَلْغُلِ في صُفُوفِ الجماهير. وَلَكِنَّ الوَعْيَ العَمِيقَ لِلمَبادِئِ القَوْمِيَّةِ عند الشَّعْبِ الجَزَائِرِيِّ يُشَكِّلُ مع ذلك سِيَاجًا طَبِيعِيًّا مَنِيعًا ضِدَّ التَّسَرُّبِ الشُّيُوعِيِّ. وَالعُمَّالُ الجَزَائِرِيُّونَ في فِرَنْسَا وَوَطَنِيَّتُهُمْ المُتَأَصِّلَةُ وَدَرَجَةُ نُضْجِهِمْ الرَّاقِيَةُ تَقُومُ كُلُّهَا شَوَاهِدَ في احْتِفَالاَتِ فاتِح ماي بباريس وَغَيْرِهَا مِنَ العَوَاصِمِ الفِرَنْسِيَّةِ على ما لِلطَّبَقَةِ العامِلَةِ الجَزَائِرِيَّةِ مِنْ إِرَادَةٍ قَوِيَّةٍ وَنَاضِجَةٍ على مُتَابَعَةِ الكِفَاحِ الرَّامِي لِتَحْقِيقِ الأَهْدَافِ الوَطَنِيَّةِ التي يَعْمَلُ لَهَا شَعْبُ الجزائِرِ.

أَمَّا في البلادِ التُّونسِيَّةِ فَالمُشْكِلَةُ تَبْدُو على شَكْلٍ آخر في الوَقْتِ الحاضِرِ بِسَبَبِ وُجُودِ مُنَظَّمَةِ الاِتِحَادِ العَامِّ التُّونِسِيِّ للشُّغْل، وَهْيَ المُنَظَّمَةُ التي تَحْتَضِنُ

الأَكْثَرِيَّةَ المُطْلَقَةَ مِنْ عُمَّالِ المُدُنِ والأَرْيَافِ وَمُسْتَخْدَمِي الدَّوْلَةِ وَالمُؤَسَسَاتِ الصِّنَاعِيَّةِ الخَاصَّةِ. وَكَانَتْ هَذِهِ المُنَظَّمَاتُ تَنْتَمِي مِنْ قَبْلُ إِلى الاتِّحَادِ النَّقَابِيِّ العَالَمِيِّ الذي طَلَبَتْ الانْخِرَاطَ فِيهِ عِنْدَمَا كانَ هذا الاتِّحَادُ مُنَظَّمَةً عَالَمِيَّةً مُوحَّدَة.

إلاَّ أَنَّ الاتِّحَادَ العامَّ التُّونِسِيَّ لِلشُّغْلِ شَعُرَ بَعْدَ ذلك أَنَّ الاتِّحَادَ النَّقَابِيَّ العَالَمِيَّ لم يَكُنْ إلاَّ حَرَكَةً نَظرِيَّةً وَأَدَاةً تَعْمَلُ لِتَنْفِيذِ سِيَاسَةِ الكُتْلَةِ الرُّوسِيَّةِ. فَالنَظَرِيَّةُ الشُّيُوعِيَّةُ تَعْمَلُ في الظَّاهِرِ على تَحْرِيرِ الشُّعُوبِ. وَأَقُولُ «الظَّاهِرُ» لِأَنَّ الحَقِيقَةَ هِيَ أَنْ لاَ وُجُودَ في نَظَرِ الكُتْلَةِ الرُّوسِيَّةِ لِأَيِّ مَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ التَّحْرِيرِ غَيْرِ الشُّيُوعِيّ.

وَالشَّعْبُ التُّونِسِيُّ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ مُسْتَعْمَرٌ مِنْ طَرَفِ الأَجْنَبِيِّ وَأَنَّهُ يَعْمَلُ بِطَبِيعَةِ الحَالِ لِلتَّحَرُّرِ مِنْ نَيْرِ الاسْتِعْمَارِ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْبَلَ هَذا النَّوْعَ مِنَ التَّحْرِيرِ المُوصَى بِهِ مِنْ نَظَرِيَّةٍ ضَيِّقَةِ الأُفُقِ تَتَجَاهَلُ تَمَامًا جميعَ الحُرِّيَّاتِ الأَسَاسِيَّةِ لِلتَّفْكِيرِ والتَّعْبِيرِ وَهِيَ الحُرِّيَاتُ التي تُعَدُّ مِنْ أَعَزِّ وَأَثْمَنِ الحُرِّيَاتِ وَأَكْثَرِهَا حَيَوِيَّةً وَإِلْحَاحًا بِالنِّسْبَةِ لِلإِنْسَان.

إِنَّ الشَّعْبَ التُّونِسِيَّ يَعْتَبِرُ أَنَّ لِكُلِّ شَعْبٍ الحَقَّ في أَنْ يَكُونَ حُرًّا في تَسْيِيرِ شُؤونِهِ بِنَفْسِهِ بِطَرِيقَةٍ دِيمُقْرَاطِيَّةٍ، وذلك مُنْذُ الحِينِ الذي يَنَالُ فيه حَقَّهُ مِنَ النَّاحِيَةِ الدُّسْتورِيَّةِ وَالنَّاحِيَةِ العَمَلِيّة.

إِنَّ الشَّعْبَ التُونِسِيَّ يَعْتَبِرُ أَنَّ الشَّعْبَ الإِنْقِلِيزِيَّ شَعْبٌ حُرٌّ. وكذلك الشّعْبُ السويسريّ وَالبَلْجِيكِيِّ والسُّوِيدِي وَالهُلَنْدِي قَدْ أَصْبَحُوا كُلُّهُمْ أَحْرَارًا مُنْذُ الوَقْتِ الذي اخْتَارُوا فيه بِصِفَةٍ دِيمُقْرَاطِيَّةٍ نِظَامَ حَيَاتِهِمْ الذي يُحِبُّونَهُ، وَمِنْذُ الوَقْتِ الذي اخْتَارُوا فِيه حُكَّامَهُم المسؤولين أَمَامَ جَمْعِيَّاتِهِمْ التَّشْرِيعِيَّةِ النّيابيّة.

أَمَّا الشُّيوعيُّونَ فيَعْتَبِرُونَ أَنَّ هذه الشُّعُوبَ جَمِيعًا ما تَزَالُ في حاجةٍ إلى «التَّحَرُّر» لِإلْحَاقِهَا ببولُونْيَا وَتشيكوسْلُفاكْيَاس مِمَّنْ يَعيشون تَحْتَ الأَنْظِمَةِ الشُّيُوعِيَّة.

الشَّعْبَ التُّونسِيَّ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتحرَّر مِنْ سَيْطَرةٍ اسْتِعْمَارِيَّةٍ لِيَقَعَ مِنْ جَدِيدٍ تَحْتَ نِظَامٍ اسْتِبْدَادِيٍّ مِنْ نَوْعٍ آخر. وَهَذَا جَعَلَهُ يَبْتَعِدُ عَن الشُّيُوعِيَّة بِقَدْرِ ما يُكَافِحُ لِلتَّحَرُّرِ مِنَ الاسْتِعْمَار.

إنَّ شَعْبَ شَمَال إِفْرِيقْيَا في كِفَاحِهِ التَّحْرِيرِيِّ يَهْدِفُ إلى التَّعَاوُنِ مَعَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الْمُحِبَّةِ للحُرِيَّةِ وَالعَدَالَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ. إِنَّهُ شَعْبٌ لا يُرِيدُ أَنْ يَسْجُنَ نَفْسَهُ في حُدُودٍ ضَيِّقَةٍ مِنَ الوَطَنِيَّةِ المَحْدُودَةِ. وَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّ مُقْتَضَيَاتِ الحياةِ الحديثةِ تَفْرِضُ على الشُّعُوبِ تَعَاوُنًا مُتَبَادَلاً في جَمِيعِ الميادين.

إِنَّ هذا التَّعَاوُنِ هُوَ الذي نَبْحَثُ عَنْهُ سَوَاءٌ مَعَ بُلْدَانِ الشَّرْقِ التي هي امْتِدَادٌ طَبِيعِيٌّ لِحَوْضِ البَحْرِ الأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ الغَنِيِّ بِحَضَارَتِهِ القَدِيمَةِ وَبِإِيمَانِهِ العَتِيدِ، أَوْ مَعَ الغَرْبِ الذي أَتَتْ حَيَوِيَّتُهُ وَنَشَاطُهُ بِمَا يَتَمَتَّعُ به العَالَمُ مِنْ تَطَوّرٍ وَتقَدُّمٍ.

إِنَّ شَعْبَ شَمَال إِفرِيقْيَا إذَنْ يَتَّصِفُ بهذه المِيزَةِ الخاصَّةِ به وَهِيَ أَنْ يَكُونَ في مُقَدمَّةِ الْمُكَافِحِينَ مِنْ أَجْلِ التَّحَرُّرِ في الحَقْلِ الدُّوَلِيِّ وَيَعْمَلَ في الوَقْتِ نَفْسَهُ على تَجْهِيزِ بِلادِهِ بِأَنْظِمَةٍ مَتِينَةٍ نَكْفُلُ لَهُ الرُّقِيَّ الاجْتِمَاعِيَّ الذي يُرِيدُ تَحْقِيقَهُ في هذا الجُزْءِ مِنْ إِفْرِيقْيَا النَّاهِضة الْمُتَوثِّبَة.

وَإِنَّ نِضَالَه في الحَقْلِ الاجْتِمَاعِيِّ لَيَنْدَمِجُ بِكِفَاحِهِ مِنْ أَجْلِ التَّحرِيرِ الوَطَنِيِّ وذلك لِئَلاَّ يَكُونَ تَحْرِيرُهُ مِنَ السَّيْطَرَةِ الاسْتِعْمَارِيَّةِ مُهَيِّئًا له لِيَقَعَ تَحْتَ النِّظَام الاسْتِبْدَادِيِّ المَفْرُوضِ مِنَ الشُّيُوعِيَّةِ الدَّوْلِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا. كما أَنَّ شَعْبَنَا لا يُرِيدُ أَيْضًا أَنْ يَأْتِيهِ التَّحَرُّرُ الوَطَنِيُّ السِّيَاسِيُّ الذي لا يَكُون مَصْحوبًا أَوَّلاً وَيَخْدِمُ

فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ قَضِيَّةَ التَّحَرُّرِ الاِجْتِمَاعِيّ. وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى إِنَّ نِضَالَهُ مِنْ أَجْلِ التَّحْرِيرِ السِّيَاسِيِّ لَيس إِلاَّ مَظْهَرًا لِكِفَاحِهِ من أَجْلِ التَّحْرِيرِ الاِجْتِمَاعِيّ.

إِنَّ شَعْبَنَا يَعْتَقِدُ أَنَّ الاِسْتِقْلاَلَ السّياسيَّ - بِغَيْرِ الرُّقِيِّ الاِجْتِمَاعِيّ وَبِغَيْرِ سِيَادَةِ العَدَالَةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ وَتَغْيير القَوَاعِدِ الاِقْتِصَادِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ لِلنِّظَامِ القائمِ - لَيْسَ إِلاَّ إِغْرَاءً خَادِعًا خَطِيرًا.

إِنَّ شَعْبَ شَمَال إِفْرِيقْيَا عِنْدَمَا يَعْمَلُ لِمُقَاوِمَةِ النّظَامِ الرَّأْسِ مالي يَعْمَلُ فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ على تَقْوِيضِ القَوَاعِدِ الرأسماليَّةِ وَالإِقْطاعِيَّةِ المَحَلِيَّةِ التي يَرْتَكِزُ عَلَيْهَا النِّظَامُ القَائِمُ. وَمنْ بَيْنِ القَضَايَا الهَامَّةِ بالنِّسْبَةِ لِاقْتِصَادِ شَمالِ إِفْرِيقْيَا نَجِدُ قَضِيَّةَ تَوْزِيعِ ثَرَوَاتِ البِلاَدِ وَنَوْعِيَّةَ الحَياةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ لِلبلاد تَبَعًا لِطَبَقَاتِ سُكَّانِهَا المُخْتَلِفَةِ وَالمَكَانَةِ التي يَجِبُ أَنْ تَحْتَلَّهَا الطَّبَقَةُ العَامِلَةُ فِي حَيَاة البِلاد المُتَحَرِّرَةِ. كُلُّ ذلك دَاخِلٌ فِي نطاقِ العَمَلِ النَّقَابِيِّ بِشَمَال إِفْرِيقْيَا. إِنَّهُ شَعْبٌ يَعْمَلُ عِنْدَمَا يَجِيءُ يَوْمُ الاِسْتِقْلاَلِ لِإِيجَادِ حَياةٍ دِيمُقْرَاطِيَّةٍ فِي بلادِ شَمال إِفْرِيقْيَا الحُرَّةِ التي اخْتَفَى مِنْهَا النِّظَامُ الاِسْتِعْمَارِيُّ وَتَحَرَّرَتْ مِنَ الضَّغْطِ الأَجْنَبِيِّ السِّيَاسِيِّ وَتَحَقَّقَتْ داخِلَهَا الحياةُ الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ الحَقُّ التي تَحْتَضِنُ الحُرِيَّةَ الإِنْسَانِيَّةَ وَتَتَلاءَمُ مَعَ العَدْلِ وَالدِّيمُقَرَاطِيَّةِ الحَيَّةِ عَلَى نَحْوِ مَا هو سَائِدٌ فِي أَنْحَاءِ العَالَمِ المُتَمَدِّنِ مِنْ مُثُلٍ مطابقَةٍ لِمَطَامِحِ الإِنْسَانِ الذي سَئِمَ أَنْظِمَةَ الدِّيمُقْرَاطِيَّاتِ العَتِيقَةِ البَالِيَّةِ التي أَصْبَحَتْ فيها مَبَادِئُ الحُرِيَّةِ وَالعَدَالَةِ وَالمُسَاوَاةِ وَالأُخُوَّةِ مُجَرَّدَ أَلْفَاظٍ عَارِيَّةٍ عَنْ كُلِّ مَدْلُول.

وَلَكِنَّ هَذِهِ المِيزَةَ الخَاصَّةَ التي تَتَّصِفُ بها الحركةُ النّقابيّةُ فِي شَمال إِفْرِيقْيَا لا يَمْنَعُهَا مِنَ الاِنْضِمَامِ إِلَى الحَرَكَةِ النَّقَابِيَّةِ العَالَمِيَّةِ الحُرَّةِ التي تُحَاوِلُ أَنْ تَحْتَضِنَ جَمِيعَ العُمَّالِ مِنْ مُخْتَلَفِ المُنَظَّمَاتِ النقابيَّةِ التي لاَ تَقْبَلُ بِأَنْ تَجْعَلَ عُنْفُوَانَهَا الثَّوْرِيَّ تَحْتَ تَصَرُّفِ نَظَرِيَّةٍ لاَ تَعْرِفُ شَيْئًا من حُرِيَّةِ الإِنْسَانِ الحَقَّةِ وَسَعَادَةِ عَالَمِ العُمَّالِ.

إِنَّ الحَرَكَةَ النَّقَابِيَّةَ العُمَّالِيَّةَ لاَ يُمْكِنُ لَهَا أَنْ يَكُونَ لها طَابِعٌ خَاصٌّ رُوسِيٌّ أَوْ أَمْرِيكِيٌّ أَوْ أُورُبِيٌّ أَوْ أَسْيَوِيّ. إِنَّهَا تَجَمُّعٌ جَبَّارٌ لِلقُوى الحَيَّةِ العَامِلَةِ في العالَمِ كُلِّهِ يَحْتَرِمُ خُصُوصِيَّاتِ كُلِّ حَرَكَةٍ بِذَاتِهَا وَمَا تَمْتَازُ بِهِ مِنْ خَصَائِصَ وَيَجْمَعُ العَمَلَ المُشْتَرَكَ مِنْهُمْ جَمِيعًا لِتَحْقِيقِ مُثُلِهِمْ المُشْتَرَكَة.

وَضِمْنَ هَذِهِ الشُّرُوطِ وَحْدَهَا يَتَيَسَّرُ إِيجَادُ مُنَظَّمَةٍ مِنْ هذا المُسْتَوى تَحْتَلُّ فيها صِغَارُ الأُمَمِ وَكِبَارُهَا مَكَانَتَهَا الخَاصَّة.

إِنَّ حُقُوقَ الإِنْسَانِ لَيْسَتْ مُتَوَقِّفَةً على إِقَامَةِ الأَشْخَاصِ كما أَنَّ حُقُوقَ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ لاَ تَكُونُ على قَدْرِ مَسَاحَاتِ بُلْدَانِهَا الجَغْرَافِيَّةِ. وَإِنَّ لِلإِنْسَانِ حُرْمَةً وَوَحْدَةً لاَ تَقْبَلُ التَّجْزِئَةَ. وعلى البَشَرِيَّةِ الشَّاعِرَةِ بهذه الكَرَامَةِ أَنْ تَسْهَرَ على تَوْفِيرِ الاحْتِرَامِ التَّامِ لِحقُوقِ أَفْرَادِها جَمِيعًا مَهْمَا كانت أَلْوَانُ بَشْرَتِهِمْ وَأَنَّى وُجِدَتْ أَوْطَانُهُمْ مِنْ سَطْحِ الأَرْضِ.

وَلِتَحْقِيقِ هذه الغاياتِ وَالمُثُلِ العُلْيَا قَرَّرَ الاتِّحَادُ العامُّ التُّونِسِيُّ لِلشُّغْلِ في طَلِيعَةِ الحَرَكَاتِ النَّقَابِيَّةِ لِشَمَالِ إِفْرِيقْيَا أَنْ يَنْضَمَّ إلى الجامِعَةِ النَّقابِيَّةِ الأَمَمِيَّةِ الحُرَّةِ .(**CISL**)

وَسَيَبْذُلُ الاتِّحَادُ دَاخِلَ هذه المُنَظَّمَةِ العَالَمِيَّةِ كُلَّ جُهْدِهِ في غَيْرِ اقْتِصَادٍ وَلاَ تَوانٍ لِيَدْعَمَ الكِفَاحَ التَّحَرِيرِيَّ الذي تَقُومُ به شُعُوبُ شَمَالِ إِفْرِيقيَا.

وَهُوَ في ذلك يَعْتَمِدُ على الإِعانَةِ وَالتَّأْيِيدِ مِنَ المُنَظَّماتِ النَّقَابِيَّةِ الحُرَّةِ في البُلْدَانِ التي حَقَّقَتْ لِنَفْسِهَا التَّمَتُّعَ بالحُرِّيّاتِ الدِّيمقراطِيَّةِ، وَذلك إيمانًا مِنْهُ بِمَا لِلحُرِّيّاتِ مِنْ ثَمَنٍ وَبأَنَّهُ لا يَتَيَسَّرُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَعِيشَ وهو مَحْرُومٌ مِنْ حُقُوقِهِ. فَحُرِّيَّةُ الإِنْسَانِ وَحُقُوقُهُ هِيَ الشُّرُوطُ الأَسَاسِيَّةُ الواجِبَةُ لِكَيْ يُحَقِّقَ الشَّغَّالُونَ مَطَالِبَهُمْ الاِجْتِمَاعِيَّة.

فَرْحَاتْ حَشَّاد

مجلة تونس المصورة — العدد ١ – المجلد العاشر

منتخبات تونس المصورة

مـن ثمـرات العقـول

الجمال الجمال نسب واوزان قد تحسها النفس احيانا بواسطة العين بعد خلوصه مما يعلق به من مادة وضوضاء وقد تسمعه النفس احيانا بواسطة الاذن دون ان يلبس احرفا او تكون له لغة تحفظ في المعجمات

الدكتور منصور فهمي

الادب الادب عالم معنوي تتغذى منه العواطف الرقيقة والافهام الدقيقة بل هو معراج ترقى به النفس الى السماء لتشعر بالجمال وتعلق بالكمال .

الدكتور منصور فهمي

..موقف الانسان خطر ان تظهر للمرء انه شبيه بالانعام من غير ان تظهر له عظمته وانه لخطر كذلك ان تظهر له عظمته من غير ان تظهر له صغارته واخطر من هذا وذاك ان تتركه في عماء عن عظمته وحقارته ولكن من المصلحة ان تظهرهما جميعا .

باسكال

العظيم ليس العظيم من غير تقوى باكثر من دابة ضخمة من غير نفس

دانيل ديفوا .

اياغاضبا ... ياغاضبا من صروف القضا بنفسك تعصف لا بالقدر

وياضاربا صخرة بالعصا

ضربت العصا ام ضربت الحجر (الرافعي)

المتكبرون ان الكبرياء على المتكبرين هي اعلى التواضع

مصطفى صادق الرافعي

المسيخ كل امة تحيا على غير ما تسوقها فطرتها اليها فهي امة باكيه بدموع صامتة .

فلكس فارس

الاتحاد العام التونسي للشغل



هي اكبر مؤسسة وطنية عندنا تدافع على مصلحة العملة وتاخذ بايديهم كلما وجدوا من رؤوس الاموال هضما لحقوقهم واعتداء عليهم . . قد تجلت عظمة هذه المؤسسة في كل مناسبة مرت في تاريخ حياتها . ولعل آخرها هو الاحتفال العظيم الذي اقامته بمناسبة عيد الشغل بقمبطا حيث ضم عشرات الالاف من المنخرطين في سلكها شاركت المراة التونسية فيه مشاركة محسوسة كما يظهر في الصورة المنشورة مع هذا الكلام . وقد اخذ الكلمة كثير من زعماء الحركة النقابية وفي مقدمتهم مؤسس الاتحاد ونافخ الروح فيه الشاب اللطيف السيد فرحات حشاد الذي يراه القراء في الصورة الصغرى اعلاه وهو يلقي خطابه امام الميكروفون .



صُورَةٌ وَثَائِقيَّةٌ لِتَجَمْهُرٍ شعْبيٍّ نَقَابِيٍّ ضَخْمٍ بِقَمْبَطَّا بَارْكْ (شَارع محمد الخَامس الآن) بالعَاصِمَةِ (غرة مَاي 1947) من مجلَّةِ «تونس المصوَّرة» التي كان يديرها الشاعر والصُّحُفِيّ سعيد بن بوبكر صديق فرحات حشّاد (عدد جويلية 1947).
ويشار في التّعليق إلى مشاركة عشرات الآلاف من المنخرطين في الاتّحاد العامّ التّونسيِّ للشّغل وكذلك إلى المشاركة المحسوسة للمرأة التّونسية بهذه المناسبة التي أشرف عليها حشّاد.

فهرس الأَعْلاَم

فهرس المَواضِيع

المصادر والمراجع (انظر القسم الفرنسي)

« أحِبُّكَ يَا شَعْبَ تُونِسَ الذِي امْتَحنَكَ الدَّهْرُ وَامْتَحنْتَهُ، فَعَرَفَ فِيكَ الشَّجَاعَةَ مَعَ الإِخْلاَصِ، وَعَرَفَ فِيكَ الصَّبْرَ مَعَ المُثَابَرَة.

أُحِبُّكَ لِمَا فِيكَ مِنْ شُعُورٍ فَيَّاضٍ وَإِحْسَاسٍ نَبِيلٍ وَلِمَا تُكِنُّهُ مِنْ عَوَاطِفَ عِنْدَ النَّكَبَاتِ وَمِنْ تَآخٍ عِنْدَ المِحَنْ. وَأُحِبُّ فِيكَ الإِقْدَامَ عِنْدَ اقْتِحَامِ الشَّدَائِدِ وَبَذْلَ الجُهْدِ المُسْتَطَاعِ لاِنْتِشَالِ الضَّعِيفِ عِنْدَ الحَاجَة.

أُحِبُّكَ فِي وَحْدَتِكَ عِنْدَ المَصَائِبِ وَتَكَتُّلِكَ أَمَامَ الخَصْمِ وَصُمُودِكَ أَمَامَ العُدْوَان...»

فرحَات حَشَّاد «أُحِبُّكَ يَا شَعْب»

جريدة «الحُرِّيَّة» 26/11/1950

« كَانَ عَلَيْنَا بَادِئَ ذِي بَدْءٍ أَنْ نُكَوِّنَ لِحَرَكَتِنَا مَذْهَبًا، وَحَرَكَتُنَا النَّقَابِيَّةُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَرْمِيَ إِلَى القَضَاءِ عَلَى رَأْسِ المَالِ مُطْلَقًا لأَنَّنَا نُقَدِّرُ حَاجَةَ كُلٍّ مِنْ رَأْسِ المَالِ وَالعَمَلِ إِلَى صَاحِبِهِ وَضَرُورَتَهُمَا لِحَيَاةِ البِلاَد... فَكَانَ حَتْمًا عَلَيْنَا إِيجَادُ طَرِيقَةٍ يَتَكَامَلُ بِهَا العُنْصُرَان: رَأْسُ المَالِ وَالعَمَلَةُ عِوَضَ أَنْ يَكُونَا مُتَنَافِرَيْنِ مُتَبَاعِدَيْن، وَذَلِكَ بِأَلاَّ يَتَضَخَّمَ رَأْسُ المَالِ عَلَى حِسَابِ العَمَلِ تَضَخُّمًا لاَ حَدَّ لَهُ إِذْ مَهْمَا كَانَ العَمَلُ فَيَجِبُ أَنْ يَلْقَى مِنَ الأَجْرِ العَادِيِّ مَا يَكْفِي وَيَضْمَنُ لِلْعَامِلِ حَيَاةً كَرِيمَةً...»

فرحَات حَشَّاد مِنْ مُحَاضَرَتِهِ عَلَى مِنْبَرِ
طَلَبَةِ شَمَالِ إِفْرِيقيَا المُسْلمين
ـ بَاريس 26/12/1946

« هذا الكتاب قدْ أردْناهُ تعْريفًا بالزّعيمِ الشّهيدِ فرْحات حشّاد، نضالِهِ وفكْرِهِ وكتاباتِهِ، جامعًا بيْنَ جنْسيْنِ أدبيّيْنِ هُما فنُّ تراجِمِ الأعْلامِ والتّأْريخُ. ويشْتملُ الكتابُ على جزْأيْنِ بالعربيّةِ والفرنْسيّةِ مُتكامليْنِ مُتلازميْنِ يُثْري أحدُهُما الآخرَ بمُعْطياتٍ وتحاليلَ إضافيّةٍ خُصوصيّةٍ مِنْ حيْثُ مضْمونُ سيرةِ العلَمِ التّونُسيّ ذي الإشْعاعِ العالَميّ فرْحات حشّاد الخالدِ بنضالهِ وفكْرِهِ وأعْمالهِ في الميْدانيْنِ الاجْتماعيِّ النّقابيِّ والسّياسيِّ الوطنيّ والعالميِّ، وكذلكَ منْ حيْثُ روائعُ المُنْتخباتِ مِنْ كتاباتِهِ باللّغتيْنِ العربيّةِ والفرنْسيّةِ في الملاحقِ.»



منشورات زخارف